تفسير الصراط المستقيم

تأليف

العلامة المفسر الخبير
آية الله السيد حسين البروجردي (ره)

الجزء الخامس

مؤسسة المعارف الإسلامية

تفسير
الصراط المستقيم
«سورة البقرة»

تأليف

العلّامة المفسّر آية الله

السيّد حسين البروجردي

تحقيق

الشيخ غلام رضا بن علي أكبر مولانا البروجردي

الجزء الخامس

مؤسّسة المعارف الاسلاميّة

بروجردی، حسین، ۱۲۵۳ ـ ۱۳۴۰
تفسیر الصراط المستقیم / تألیف حسین البروجردی ؛ تحقیق غلامرضا بن علی اکبر مولانا البروجردی ـ قم: مؤسسة المعارف الاسلامیة، ۱۴ ق = ۱۳ ـ
ج.ـ(بنیاد معارف اسلامی ؛ ۱۵۱)
ISBN : 964 - 6289 - 43 - 6 (دوره)ـ
ISBN: 964 - 7777 - 43 - 4 (ج۴)
فهرستنویسی بر اساس اطلاعات فیپا (فهرستنویسی پیش از انتشار).
عربی
فهرستنویسی بر اساس جلد چهارم: ۱۴۲۵ ق = ۱۳۸۳.
کتابنامه.
۱. قرآن ـ بررسی وشناخت. ۲. قرآن ـ اخلاق. الف مولانا بروجردی، غلامرضا، مصحح. ب بنیاد معارف اسلامی. ج عنوان.
۷ ت ۴ ب / ۴ / ۶۵ BP ۲۹۷/۱۵
کتابخانه ملی ایران ۱۵۶۲۸ ـ ۷۷ م

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

اسم کتاب .... تفسیر الصراط المستقیم ج ۵.
تألیف: .... العلّامة المفسّر آیةالله السید حسین البروجردي ﷺ.
تحقیق ونشر: .... الشیخ غلام رضا بن علی أکبر مولانا البروجردي.
نشر: .... مؤسسة المعارف الإسلاميّة.
الطبعة: .... الأُولی ۱٤۲٥ هـ.ق.
المطبعة: .... عترت.
العدد: .... ۱۱۰۰ نسخة.
شابک: ٩٦٤ـ٦٢٨٩ـ٤٣ـ٦
٩٦٤ـ٧٧٧٧ـ٤٣ـ٤

جمیع حقوق الطبع والنشر محفوظة
لمؤسسة المعارف الاسلاميّة

ایران ـ قم المقدّسة
ص.ب ۳۷۱۸۵/۷۶۸ تلفون ۷۷۳۲۰۰۹ فاکس ۷۷٤۳۷۰۱

بسم الله الرحمن الرحيم

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير الآية (٢٨)

﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ﴾

إستفهام فيه إنكار وتعجب، وتوبيخ لهم على كفرهم، والخطاب لهم على سبيل الإلتفات تسجيلاً لكفرهم بما قدّمت لهم أنفسهم.

(وكيف) إسم وضع للسؤال عن الحال الّتي يكون عليها الشّيء، واشتقّوا منه الكيفيّة كما اشتقّوا الكميّة من الكم على وجه الإنتساب، وإنكار الحال يدلّ على إنكار ذي الحال على وجه أبلغ، وحيث إنّه حقيقة أو ظاهر ولو بمعونة المقام في السّؤال عن جميع الأحوال فالمعنى أنّه لا يصحّ ولا ينبغي أن يوجد حال ما لكفركم وقد علمتم ذلك بضرورة عقولكم فأخبروني على أيّ حالٍ تكفرون والحال أنّكم كنتم أمواتاً؟

﴿وَكُنتُمْ أَمْوَاتاً﴾ أعداماً محضة لاحظّ لها من التقرّر والثبوت بحسب الماهيّة والوجود في شيء من العوالم الكونيّة والإمكانيّة. كما قال: ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ

الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئاً﴾[١] أو فاقدين للوجودات الكونيّة وإن كنتم متميّزين باعتبار التقرّرات الإمكانية بناء على أنّها أمور إعتبارية كما قيل، أو باعتبار كونها مجعولة بالمشيّة الإمكانية على وجه ليس لها حدّ ونهاية كما هو الحقّ أو أجساماً لا حياة لها قطرات مزنية أو سجينيّة، ورشحات سحابيّة، وبسائط عنصريّة، واغذية حيوانيّة، واخلاطاً بدنيّة ونطفاً أمشاجيّة، ومضغاً مخلّقة وغير مخلّقة، وعظاماً باللّحم مكسوة، أو فاقدين للعلم والشعور والإدراك الذي به الحياة الانسانية كما قال :﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئاً وَجَعَلَ لَكُمُ الْسَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ﴾[٢] أو للايمان والتصديق الذي به الحياة الحقيقيّة الابديّة كما قال : ﴿لِيُنذِرَ مَن كَانَ حَيّاً وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾[٣]، ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى﴾[٤]، ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ﴾[٥]، أو خاملي الذكر، بناءً على ما قيل: من أنّ العرب تسمّي كلّ أمر خامل ميّتاً وكلّ أمر مشهور حيّاً قال:

فأحييت عن ذكري وما كان خاملا ولكن بعض الذكر أنبه من بعض

﴿فَأَحْيَاكُمْ﴾ خلقكم بالمشيّة الإمكانية ثمّ بالمشيّة الكونيّة ثمّ فطر عقولكم وأبدع نفوسكم وركب أرواحكم وأنشأ أبدانكم خلقاً من بعد خلق إلى أن أنشأكم خلقاً آخر على ما جرى به القدر، وجعل لكم السمع والأبصار والقدرة والاختيار، وعلّمكم بعد الجهالة الجهلاء ونجّاكم من الضلالة الظّلماء، وهداكم إلى المحجّة البيضاء، وكنتم على شفا حفرة من النّار فانقذكم منها ونشر ذكركم ورفع قدركم بعد

(١) مريم: ٦٧.
(٢) النحل : ٧٨.
(٣) يس: ٧٠.
(٤) النمل: ٨٠.
(٥) الانعام: ١٢٢.

أن كنتم مستضعفين في الأرض تخافون أن يتخطّفكم الناس فآواكم وأيّدكم بنصره.

﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾ عند إنقضاء آجالكم الطّبيعيّة والإختراميّة ﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ للسؤال في القبور وللبعث والنشور يوم ينفخ في الصور ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾، بالنشور للحساب أو بالمصير إلى الجزاء من الثواب أو العقاب.

وإنّما عطف الأوّل بالفاء الدّالة على الإتّصال والباقي بثمّ الدّالة على التّراخي، لأنّ الإحياء الأوّل قد تعقّب الموت الّذي طرى عليه الحياة بشيء من الوجوه المتقدّمة بغير تراخ لاعتبار المقابلة في معنييهما على ما سمعت، فانّ الإحياء قد ترتّب على كونهم أمواتاً الصّادق على ما قبل الإحياء وإن كان له أزمنة غير متناهية متحققة أو موهومة من جهة المبدء، وأمّا الموت فقد تراخى عن الإحياء كما أنّ الإحياء الثّاني في القبر أو الحشر متراخ عن الموت، وكذا الرّجوع على الوجهين.

والموت عدم الحياة مطلقاً او عدم الحياة عمّا من شأنه الحياة، ويتقابلان بالمعاني المتقدّمة، والحقّ أنّهما مخلوقان لقوله: ﴿خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ﴾[1] ولما ورد من ذبح الموت بين الجنّة والنّار[2]، نعم الموت بالمعنى الاوّل وهو العدم الأزلي المطلق المستمّر غير مخلوق ولا مجعول.

والكفر في الآية يشمل كفر الجحود والعناد والاعتقاد والعصيان، فيكون الخطاب للمؤمنين والمنافقين والكفّار، ويحتمل الإختصاص بالاخيرين على ما مرّ، وبعضهم وإن انكر حياة القبر والبعث في الحشر وانّه إليه يرجع الأمر، إلّا أن تمكّنهم عن تحصيل العلم بها بعد نصب الدّلائل وإخبار الرسل وتظافر الحجج وشهادة العقول نزّلها عندهم منزلة الامور المعلومة الّتي لا يحوم حولها شبهة وريبة، مع أنّ

(١) الملك: ٢.

(٢) بحار الأنوار ج ٦٠ ص ٢٦١.

في الآية دلالة لطيفة على ما يرشدهم إلى صحّتها والتصديق بها، وهو أنّه تعالى لمّا قدر أن أحياهم أوّلا وهم حيارى في فيافي العدم قَدَرَ أن يحييهم ثانياً، فإنّ بدء الخلق ليس بأهون عليه من إعادته بل الاعادة أهون عليه.

ويحتمل الحمل على ما يشمل كفر النعمة حيث عدّد عليهم أصول النّعم، وهي الوجود والبقاء والحياة الحقيقيّة الابديّة والرّجوع إليه سبحانه وإن فصّلنا عن الحياة الدّنيوية بالموت، ولذ أعدّه أيضاً من جملة النّعم مع أنّه استراحة لقوم إذ به يحصل الفراغ عن الكدورات الحسّية والعوائق البدنيّة، وقد سمعت أنّ الآية تشمل المؤمنين أيضاً بل قد يحتمل اختصاص الخطاب بهم لتقرير المنّة عليهم وتبعيد الكفر عنهم على معنى كيف يتصوّر منكم وانتم عالمون باستناد جميع الشؤون إليه متوقعون لنيل جميع الخيرات من لديه.

والواو في ﴿وَكُنتُمْ أَمْوَاتاً﴾ للحال والمعنى قد كنتم باضمار «قد» فيه كما في قوله:﴿أَوْ جَاؤُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ﴾[1] فانّ الماضي لما كان بعيداً عن الحال توصلوا إلى تقريبه بدخول «قد» واضماره ليصلح لها، أو أنّ المعنى كيف تكفرون بالله، وقصّتكم هذه وحالكم أنّكم كنتم أمواتاً فاحياكم فما أعجب كفركم مع علمكم بحالكم وزوال الغدر عنكم.

وقرء يعقوب[2] ترجعون بفتح التّاء في جميع القرآن.

والآية تدلّ على فساد القول بالجبر ونفي الاختيار وانّ الكفر بأقسامه من قبل العباد لأنّه لو كان هو الخالق للكفر فيهم لما جاز توبيخهم عليه مع إسناد الفعل

---

(١) النساء: ٩٠.

(٢) هو يعقوب بن اسحاق بن زيد بن عبدالله أبو محمد الحضرمي البصري أحد القرآء العشرة مات سنة (٢٠٥) هـ وله (٨٨) سنة.

غاية النهاية ج ٢ ص ٣٨٦.

إليهم في قوله ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ﴾ كما أنّه لا يجوز إسناد الفعل إليهم ولا ذمّهم في الأفعال الخلقية كالطول والقصر والملاحة والقباحة فلا يقال كيف تكونون طوالاً وقصاراً، ضرورة أنّه يقبح من الحكيم أن يخلق فيهم الكفر ويقول لهم: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ﴾، ويمنعهم عن الايمان ويقول لهم: ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُواْ﴾[1]، ﴿فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[2]، ويخلق فيهم الإعراض والإفك فيقول ﴿فما لهم عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ﴾[3]. ﴿فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾[4] إلى غير ذلك من التقريعات الغريبة والتوبيخات الشديدة على أنّ النّعمة التي منّ بها عليهم في الآية لا تكون نعمة لهم حقيقة بل نقمة عليهم حيث أنّه أوجب عليهم بما خلق فيهم وأجبرهم عليه العذاب الدّائم والخسار اللازم مثل من قدم إلى غيره طعاماً مسموماً له حلاوة ظاهرة وأجبره على أكله فانّه لا يعدّ نعمة منه، وهذا ظاهر جدّاً.

وأمّا ما يقال: من أنّ الاستدلال بهذه الوجوه ونظائرها يرجع إلى التمسك بطريقة المدح والذّم والامر والنهي والثّواب والعقاب، ونحن أيضاً نقابلها بشبهة العلم الأزلي المتعلّق بكفرهم فلو لم يقع لانقلب علمه جهلاً وهو محال ومستلزم المحال محال، وبأنّ القدرة على الكفر كانت صالحة للإيمان وامتنع كونها مصدراً لشيء منهما إلّا لمرجّح راجع إلى العبد وهو محال على ما قرّروه أو إلى الله تعالى وهو المطلوب.

ففيه أنّه وإن إفتخر بعض المشككين من أحزاب الشياطين حتّى قال إمامهم الرّازي: «إنّ المعتزلي اذا طوّل كلامه وفرّع وجوهه في المدح والذّم فعليك بمقابلتها

(١) الاسراء: ٩٤.

(٢) الانشقاق: ٢٠.

(٣) المدثر: ٤٩.

(٤) الانعام: ٩٥.

بهذين الوجهين فانّهما يهدمان جميع كلماته ويشوّشان كلّ شبهاته»[١].

إلّا أنّ الجواب عنهما واضح مشهور وفي أصول الاماميّة مسطور وقد أشرنا إليه فيما تقدّم عند تفسير آية الختم وغيرها. وأمّا الاستدلال بها على التجسّم بظهور الرّجوع إليه في التّحيز، وعلى بطلان عذاب القبر بحمل قوله ﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ على الحياة الاخروية، كما هو أحد الوجهين فضعيف جدّاً للمنع عن الظهور اذ المراد الرجوع إلى أمره وحكمه ولذا يسمّى الحشر رجوعاً إليه تعالى كما قال: ﴿ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ﴾[٢] وذلك لأنّه رجوع إلى حيث لا يتوّلى الأمر والحكم غيره تعالى ولذا قال: ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ﴾[٣]، ﴿وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ﴾[٤]، ﴿أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ﴾[٥]، ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئاً وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾[٦].

وأمّا نفي عذاب القبر فليس فيها إشعار عليه بشيء من الدّلالات إلّا من جهة عدم التعرض الذي هو أعمّ منه.

مع أنّ فيه دلالة على الحياة البرزخيّة كما هو الوجه الاظهر فيها، مضافاً إلى أنّه هو المصرّح به في تفسير الامام عليه السلام للآية حيث قال عليه السلام: أنّه قال رسول الله صلى الله عليه وآله لكفّار قريش، واليهود كيف تكفرون بالله الّذي دلّكم على طرق الهدى وجنّبكم إن أطعتموه سبل الردى ﴿وَكُنتُمْ أَمْوَاتاً﴾ في أصلاب ابائكم وأرحام أمّهاتكم

---

(١) تفسير الفخر الرازي ج ١ ص ١٥١.

(٢) الانعام: ٦٢.

(٣) الغاشية: ٢٥.

(٤) ق: ٤٣.

(٥) الشورى: ٥٣.

(٦) الانفطار: ١٩.

﴿فَأَحْيَاكُمْ﴾ أخرجكم أحياء ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾ في هذه الدّنيا ويقبركم ﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ في القبور، وينعم فيها المؤمنون[١] بنبوّة محمّد ﷺ وولاية عليّ عليه السلام، ويعذّب فيها الكافرون[٢] بهما، ثمّ إليه ترجعون في الاخرة بأن تموتوا في القبور بعد ثمّ تجيئوا[٣] للبعث يوم القيامة، ترجعون إلى ما وعدكم من الثّواب على الطاعات إن كنتم فاعليها، ومن العقاب على المعاصي إن كنتم مقارفيها[٤].

فقيل له: يا رسول الله ففي القبر[٥] نعيم وعذاب ؟ قال: أي والذّي بعث محمّداً بالحق نبيّاً وجعله زكيّاً هادياً مهديّاً وجعل أخاه عليّاً بالعهد وفيّاً، وبالحق مليّاً ولدى الله مرضيّاً، وإلى الجهاد سابقاً ولله في أحواله موافقاً، وللمكارم حايزاً، وبنصر الله على أعدائه فايزاً، وللعلوم حاوياً ولاوليائه موالياً ولأعدائه معادياً[٦] وبالخيرات ناهضاً[٧]، وللقبائح رافضاً وللشيطان مخزياً، وللفسقة المردة مقصياً[٨] ولمحمّد ﷺ نفساً، وبين يديه لدى المكاره جُنّة وتُرسا، آمنت به أنا وأخي علي بن أبي طالب عبد ربّ الارباب، المفضّل على أولي الالباب، الحاوي لعلوم الكتاب، زين من يُوافي يوم القيامة في عرصات الحساب بعد محمّد صفي الكريم العزيز الوهاب، إنّ في القبر نعيماً يوفّر الله به حظوظ اوليائه، وإنّ في القبر عذاباً يشدّد الله به على أشقياء أعدائه، إن المؤمن الموالي لمحمّد وآله الطيبين المتّخذ لعلي بعد محمّد إمامه

---

(١) في تفسير البرهان: المؤمنين.

(٢) في تفسير البرهان: الكافرين.

(٣) في تفسير البرهان: تحيوا.

(٤) البرهان ج ١ ص ٧٢.

(٥) في البحار: فني القبور.

(٦) في البحار: مناوياً.

(٧) في البحار: ناوياً.

(٨) في تفسير العسكري المطبوع: مُقصياً.

الّذي يحتذي مثاله، وسيّده الذي يصدّق أقواله، ويصوّب أفعاله، ويطيعه بطاعة من يندبه من أطائب ذريته لامور الدين وسياسته إذا حضره من أمر الله ما لا يردُّ، ونزل به من قضاء الله ما لا يصدّ، وحضره ملك الموت وأعوانه وجد عند رأسه محمّداً رسول الله من جانب، ومن جانب آخر عليّاً سيّد الوصيّين، وعند رجليه من جانب الحسن سبط سيّد النّبيّين، ومن جانب آخر الحسين سيّد الشّهداء أجمعين، وحواليه بعدهم خيار خواصّهم ومحبّيهم الذين هم سادة هذه الأمّة بعد ساداتهم، من آل محمّد، ينظر اليهم العليل المؤمن فيخاطبهم بحيث يحجب الله صوته عن آذان حاضريه كما يحجب رؤيتنا أهل البيت ورؤية خواصّنا عن عيونهم، ليكون ايمانهم بذلك أعظم ثواباً لشدّة المحنة عليهم فيه فيقول المؤمن: بأبي أنت وأمّي يا رسول ربّ العزّة، بابي أنت وأمّي يا وصيّ رسول الرحمة، بأبي أنتما وأمّي يا شبلي محمّد وضرغاميه، ويا ولديه وسبطيه، ويا سيّديّ شباب أهل الجنّة المقربين من الرحمة والرّضوان، مرحباً بكم معاشر خيار أصحاب محمّد وعليّ وولديهما، ما كان أعظم شوقي اليكم، وما أشدّ سروري الآن بلقائكم، يا رسول الله هذا ملك الموت قد حضرني ولا أشكّ في جلالتي في صدري لمكانك ومكان أخيك منّي، فيقول: رسول الله ﷺ: يا ملك الموت استوص بوصيّة الله في الاحسان إلى مولانا وخادمنا ومؤثرنا، فيقول ملك الموت : يا رسول الله مره أن ينظر إلى ما قد أعدّ له في الجنان، فيقول له رسول الله ﷺ :أنظر فينظر إلى العلو وينظر إلى ما لا يحيط به الألباب ولا يأتي عليه العدد والحساب، فيقول ملك الموت : كيف لا أرفق بمن ذلك ثوابه هذا محمّد وعترته زوّاره يا رسول الله لولا أنّ الله تعالى جعل الموت عقبة لا يصل إلى تلك الجنان إلّا من قطعها لما تناولت روحه، ولكن لخادمك هذا ومحبّك أسوة بك وبسائر أنبياء الله ورسله وأوليائه الذين اذيقوا الموت بحكم الله تعالى.

ثمّ يقول محمّد ﷺ: يا ملك الموت هاك اخاه قد سلّمناه اليك فاستوص به

خيراً ثمّ يرتفع هو ومن معه إلى رَوْض الجنان وقد كشف عن الغطاء والحجاب لعين ذلك المؤمن العليل، فيراهم المؤمن هناك بعدما كانوا حول فراشه فيقول يا ملك الموت الوحا[١] تناول روحي ولا تلبثني هاهنا فلا صبر لي عن محمّد وعترته والحقني بهم فعند ذلك يتناول ملك الموت روحه فيسلّها كما يُسّل الشعرة من الدقيق، وان كنتم ترون أنّه في شدّة فليس في شدّة بل هو في رخاء ولذّة، فاذا أُدْخِلَ قبره وجد جماعتنا هناك، واذا جاء منكر ونكير قال أحدهما للاخر: هذا محمّد وعليّ والحسن والحسين وخيار أصحابهم بحضرة صاحبنا فلنتّضع[٢] لهم[٣] فيأتيان ويسلّمان على محمّد سلاماً تامّاً منفرداً ثمّ يسلّمان على عليّ عليه السلام سلاماً تامّاً منفرداً[٤] ثمّ يسلّمان على ساير من معنا من أصحابنا ثمّ يقولان قد علمنا يا رسول الله زيارتك في خاصّتك لخادمك ومولاك ولولا أنّ الله يريد اظهار فضله لمن بهذه الحضرة من أملاكه ومن يسمعنا من ملائكته بعدهم لما سائلناه ولكن أمر الله لابدّ من امتثاله، ثمّ يسألانه فيقولان: من ربّك وما دينك ومن نبيّك ومن إمامك وما قبلتك[٥] ومن أخوانك؟ فيقول: الله ربّي، ومحمّد نبيّي وعليّ وصيّي محمد إمامي، والكعبة قبلتي، والمؤمنون الموالون لمحمّد وعليّ واوليائهما والمعادون لأعدائهما إخواني، وأشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له وأشهد أنّ محمّداً عبده ورسوله وانّ اخاه عليّاً وليّ الله، وأنّ من نصبهم للامامة من اطائب عترته وخيار ذرّيته وخلفاء الامّة وولاة الحقّ والقوّامون بالعدل[٦] فيقولان: على هذا حييت وعلى هذا

---

(١) كلمة تقال في الاستعجال ومعناه: البِدار البِدار.

(٢) أي فلنتذلل ولنخشع.

(٣) في البحار: لها.

(٤) في البحار: ثم يسلّمان على الحسين سلاماً يجمعانها.

(٥) في البحار: ومن شيعتك ومن أخوانك؟

(٦) في البحار: بالصدق.

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

متّ وعلى هذا تبعث ان شاء الله وتكون مع من تتولّاه في دار كرامة الله ومستقرّ رحمته.

قال رسول الله ﷺ: إن كان لأوليائنا معادياً ولأعدائنا موالياً ولاضدادنا بالقابنا ملقّباً فاذا جاءه ملك الموت لنزع روحه مثّل الله لذلك الفاجر سادته الّذين أتّخذهم ارباباً من دون الله عليهم من أنواع العقاب ما يكاد نظره اليهم يهلكه، لا يزال يصل إليه من حرّ عذابهم ما لا طاقة له به. فيقول له ملك الموت: أيّها الفاجر الكافر تركت أولياء الله إلى أعدائه فاليوم لا يغنون عنك شيئاً، ولا تجد إلى مناص سبيلاً، فيرد عليه من العذاب ما لو قُسّم ادناه على أهل الدنيا لاهلكهم، ثمّ اذا أدني في قبره رأى باباً من الجنّة مفتوحاً إلى قبره، فيرى منه خيراتها فيقول منكر ونكير، انظر الى ما حرمته من الخيرات، ثمّ يفتح له في قبره باب من النّار ويدخل عليه منه عذابها، فيقول: يا رب لا تقم السّاعة يا ربّ لا تقم الساعة[1].

وفي كتاب الكافئة للمفيد رحمه الله أنّه لما قدم عليّ الكوفة وجلس إليه الناس فسأل عن رجل من الصحابة كان ينزله الكوفة فقال قائل استأثر الله به، فقال ﷺ: أنّ الله لا يستأثر بأحد من خلقه إنّما أراد الله جلّ ذكره بالموت اعزاز نفسه واذلال خلقه ثمّ قرء ﷺ ﴿وَكُنتُمْ أَمْوَاتاً فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[2].

---

(١) بحار الأنوار ج ٦ ص ٢٣٦ وص ١٧٦ عن تفسير الامام العسكري ﷺ ص ٢١٠ ـ ٢١٥.

(٢) بحار الأنوار ج ٣٢ ص ٣٥٥.

تفسير الآية ٢٩

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً﴾ لمّا ذكر في الآية السابقة إنعامه علينا بخلق ذواتنا والإفاضة علينا بنور الوجود ونفخ الأرواح والتّنقل إلى الاطوار البرزخيّة والاخرويّة عقّبها ببيان نعمة أخرى لعامّة الخلق مترتبة عليها، وهي خلق ما يتوقف عليه بقاؤهم وبه يتمّ معاشهم من البسيطة الغبراء والمحيطة الخضراء، وما بينهما من الاجسام البسيطة والمركبة، وما يتعلّق بها من القوى والأرواح والكيفيات وغيرها من الاعراض التي خلقت لأجل انتفاع الناس بها في دنياهم بان يتمتّعوا منها بفنون المطاعم والمشارب والمناكح والملابس والمراكب والمساكن والمناظر وغيرها ممّا ينتفعون بها في مصالح أبدانهم ودفع المضارّ عنها وتقويها على الطاعة وحفظ المقاصد المطلوبة وفي دينهم بالنظر فيها والاستدلال بها وبما تتضمّنه من عجائب الصّنع وغرائب البدع على الصانع الحكيم والقادر العليم.

ولذا روى الامام عليه السلام في هذه الآية عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام: أنّه خلق لكم لتعتبروا به وتتوصلوا به إلى رضوانه وتتوقوا من عذاب نيرانه[1].

والاقتصار عليه في كلامه لكونه الأهم الاعمّ من الانتفاعين، والاّ فالآية بعمومها واطلاقها تدلّ على جواز إنتفاعهم بكلّ ما فيها من المنافع الخالية عن المضرّة، ولذا إستدلّوا بها على أصالة الاباحة الشرعيّة حسبما قرّر في الأصول من تطابق العقل والشرع على ذلك وفساد القول بأصالة الحظر فيها قبل ورود الشرع أو بعد بيانه عقلاً أو شرعاً و فساد القول بالتوقف أيضاً، وبالجملة فالأشياء كلّها من الأفعال والمطاعم وغيرها على الإباحة الاصليّة بل الشرعيّة إلّا ما ورد النص فيه بالحرمة بالخصوص أو بالعموم ولو لكونه من الخبائث كما في الآية أو ممّا يضرّ في

(١) تفسير البرهان ج ١ ص ٧٢ عن تفسير الامام عليه السلام ص ٢١٥.

البدن.

كما في خبر المفضل قال: قلت لابي عبدالله عليه السلام: لم حرّم الله الخمر والميتة والدم ولحم الخنزير؟ قال عليه السلام :إنّ الله تبارك وتعالى لم يُحرّم ذلك على عباده وأحلّ لهم ما سويه من رغبة منه فيما حرّم عليهم، ولا زهد فيما أحلّ لهم، ولكنّه خلق الخلق فعلم ما تقوم به أبدانهم وما يصلحهم فأحل لهم وأباحه تفضّلاً منه عليهم به لمصلحتهم وعلم ما يضرّهم فنهاهم عنه وحرّمه عليهم ثمّ اباحه للمضطر وأحلّه في الوقت الذي لا يقوم بدنه إلّا به فأمره أن يتناول منه بقدر البلغة لا غير ذلك[1] الخبر على ما يأتي في تحريم الخمر واخواتها.

وممّا يدل على الاصل المتقدم مضافاً إلى الآية وآيات كثيرة تأتي الاشارة إليها قوله عليه السلام: كل شيء مطلق حتى يرد فيه نهي[2] إلى غير ذلك ممّا حررناه في الأصول فلا يقدح في الأصل المزبور إمكان تطرق المناقشة في الآية بأنّ الحمل على العموم في المطلقات مشروط بعدم كون المقام مقام الاجمال والإهمال، بل مقام البيان وليس المقام منه إذ المقصود بيان أنّ في خلق الاشياء منفعة لكم لا بيان أنّها أي شيء وفي أي شيء وبان «ما» وإن كان من ألفاظ العموم إلاّ أنّ وجوه الانتفاع المستفادة من اللام إمّا مجمل أو مطلق فلا وجه للحمل على العموم بالنسبة إليها أيضاً سيّما بعد ما مرّ في كلام الإمام عليه السلام من تفسيره بالانتفاع في الامور الدينية وبأنّ غاية ما تدل عليه أنّه خلق الكل للكل لا أنّه خلق كلّ شيء ممّا في الارض لكل فرد من أفراد الانسان، فاذا احتمل اختصاص شيء من المنافع بغيره ولو لأسباب طارئة لم يجز إستعماله لعدم الدّليل سيّما مع ما ذكروه في مقابلة الجمع

(١) بحار الأنوار ج ٦٥ ص ١٣٤ عن المحاسن.

(٢) بحار الأنوار ج ٢ ص ٢٧٤.

بالجمع إلى غير ذلك من المناقشات التي لا ينبغي الإصغاء إليها بعد اعتضاد الأصل المتقدم بالعقل والنقل بل الاجماع نقلاً وتحصيلاً فيما يتعلق بالأعيان وغيرها مع عدم المخصص بأحد الوجهين.

هذا مضافاً إلى أنّه يمكن الجواب عن الوجوه المتقدّمة بظهور ورود الآية في مقام الإمتنان الذي هو أعلى مراتب البيان ولذا قالوا بافادة المفرد المنكر في مثله للعموم كما في قوله: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا﴾[1] و«اللام» وان كان مطلقاً من حيث جهات الانتفاع إلّا أنّ الإطلاق كافٍ سيّما في مقام الإمتنان، ومجرّد الإقتصار في تفسير الآية على ذكر البعض غير صالح لشيء من التقييد والتخصيص، وأمّا مقابلة الكل بالكل فلا دلالة فيها على إختصاص البعض بالبعض وإن علم ذلك من أدلّة أخرى، ولذا لزم أن يرجع في الإختصاص إلى سائر الاسباب، وبه يضعف إستدلال أهل الإباحة بالآية على نفي الإختصاص ورفض اسباب الملكيّة وجواز انتفاع كلّ أحد بما يجده من المطاعم والملابس والمناكح وغيرها.

نعم يستفاد منها أنّ لكلّ شيء ممّا في الأرض فائدة ونفعاً وان لم نعلمها بالخصوص.

وما يقال من أنّ ما لا نفع فيه كأنواع السموم والحيوانات الموذية من الحيّات والأفاعي والعقارب ونحوها خارج عن ذلك ففيه أنّه ناشٍ عن التصور والجهالة، بما أودع الله فيها من الخواص الجليلة والمنافع العظيمة التي لم يزل الناس من أهل الملل والمذاهب يطّلعون عليها شيئاً فشيئاً على مر الدهور والأعصار، وناهيك في ذلك الاطلاع على جملة ممّا استنبطه أطباء الافرنج والاندلس وحكماؤهم من الخواص الغريبة والآثار العجيبة من تلك العقاقير والنباتات التي ربما يتوهم الجاهل

---

(١) الفرقان: ٤٨.

خلوها عن المنافع حتى من مثل السموم القاتلة ونحوها ومنافع لحوم الافاعي مفردة ومركبة مع الترياق وغيره غير خفية.

ثمّ إنّها وإن دلت على جواز الإنتفاع بجميع ما في الارض نظراً إلى وضع الموصول سيّما مع كون ﴿جَمِيعاً﴾ حالاً عنه في المقام، بل ومع كونه توكيداً أيضاً وان كان احتماله في غاية البعد لقلّة التوكيد به ولخلوه عن الضّمير إذ لو كان كذا لقيل جميعه.

وبالجملة ففيها دلالة على إباحة الانتفاع بما في الارض إلّا أنّه تختلف كيفيّة الإنتفاع به باختلاف الأشياء، فقد يكون في بعضها بالاكل وفي بعضها بالشرب، وفي بعضها باللبس، وفي بعضها بالسكون، والزراعة والحراثة ونحوها، فاذا كان للشيء منفعة واحده أو كانت واحدة منها ظاهرة فلا ريب في جواز الانتفاع بها، وأمّا المنافع الغير الظاهرة والتي لم يتداول الإنتفاع بها عند الناس أو ما لم يطلّعوا عليها قبل ذلك فهل يجوز الانتفاع بشيء منها بعد الإطلاع وحصول الانتفاع وجهان بل قولان: يظهر من البعض العدم لإجمال الآية بالنسبة إلى هذه الصورة نظراً إلى بعض الوجوه المتقدّمة، وقد عرفت ضعفها، ومنه يظهر أنّ الاظهر الاوّل ولذا لا ينبغي التأمّل في جواز استعمال العقاقير المختلفة في وجوه الانتفاعات التي تطلّع عليها الحكماء، وغيرهم يوماً فيوماً على مرّ الدهور والأعصار ممّا لم تكن متداولة في القرون السابقة والأزمنة المتقدّمة.

ومنه يظهر أيضاً ضعف ما ربما يستدل بالآية على حرمة أكل الطين نظراً إلى أنّ أكله من المنافع الغير المتداولة مع أنّها أنما دلّت على إباحة ما في الارض لا هي نفسها إذ فيه أنّ أكل الطين وان كان حراماً في الشرع لكن الحرمة غير مستفادة من الآية لا منطوقاً كما لا يخفى ولا مفهوماً لعدم شيء من المفاهيم المعتبرة وإن كان مراد القائل عدم الدّلالة على الإباحة لا اثبات الدّلالة على الحرمة.

وأمّا ما يقال: من أنّ المراد بالأرض جهة السفل كما أنّ المراد بالسماء جهة العلو فالمعنى خلق لكم ما في هذه الجهة المقابلة للعلو فيشمل الارض، وانّ من جملة الارض ما يطلق عليه أنّه في الارض فيكون جامعاً للوصفين.

ففيه مع الغض عمّا فيهما من التكلف أنّه لا منفعة في أكل الطين بل المضرّة فيه واضحة جدّاً كما صرّح به الاطباء وغيرهم.

بل في الخبر المحكي عن «العلل» و«المحاسن» و«الكافي» عن ابي جعفر عليه السلام إنّ أكثر مصائد الشيطان أكل الطين إنّ أكل الطين يوجب السقم في الجسد ويهيج الداء ومن أكل الطين فضعفت قوته التي كانت قبل أن يأكله وضعف عن عمله الذي كان يعمله حوسب على ما بين ضعفه وقوته وعذب عليه (١).

وعن الصادق عليه السلام: من أنهمك في اكل الطين فقد شرك في دم نفسه(٢).

وعنه عن النبي صلى الله عليه وآله من أكل الطين فمات فقد أعان على نفسه (٣)، إلى غير ذلك ممّا يدل على أنّه يوقع الحكة في الجسد ويورث البواسير ويهيج السوداء ويذهب بالقوة من الساقين والقدمين وغيرها، بل الظاهر من كثير منها والمصرح به في كلام جملة من الاصحاب عدم الفرق في الحرمة بين التراب الخالص والممزوج بالماء.

ومن الغرائب ما في «الجواهر» من اختصاص الحكم بالطين الذي هو الممزوج بالماء، وأمّا التراب الخالص فلا دليل على حرمته، بل مقتضى الأصول عدمها ضرورة خروجه عن مسمّى الطين إلى آخر(٤) ما ذكره هناك حيث تفرد القول

---

(١) بحار الأنوار ج ٦٠ ص ١٥٣ ح ١ عن العلل وفيه: إنّ أكل الطيب يورث السقم.

(٢) العلل ص ٥٣٣ وعنه البحار ج ٦٠ ص ١٥٢ ح ٨

(٣) المحاسن للبرقي ح ٩٧٥ وعنه البحار ج ٦٠ ص ١٥٤.

(٤) الجواهر ج ٣٦ ص ٣٥٥ـ٣٥٦.

بحليّة أكله مستدلاً له بما لا دلالة فيه أصلاً فلاحظ وتامّل إذ من البيّن أنّه وإن كان الحكم في الاخبار معلّقاً على الطين الذي هو ظاهر في المخلوط بالماء لكن المستفاد من الاخبار في المقام إرادة مطلق التراب عنه كما انّه المراد أيضاً في استثناء طين قبر الحسين عليه السلام بل وكذا في طين الأرمني الذي وقع التصريح بجواز أكله في الأخبار وفي كلمات الاصحاب بل الاطباء ذكروا في باب الادوية المفردة الطين المطلق والطين الأرمني والمختوم وغيرها ولم يذكروا التراب أصلاً بل ربّما يحصل القطع بارادة العموم من التأمل في فحاوى الأخبار الناهية عن أكله سيّما بعد ملاحظة العلل المنصوصة المشتركة بينه وبين التراب والرّمل بل ومطلق وجه الارض وان من يأكل ذلك فالغالب أنّه يأكل اليابس دون المبلول بالماء.

مضافاً إلى ما في «الخصال» عن أبي الحسن الأوّل قال أربعة من الوسواس: أكل الطين، وفت الطين[1] الخ الظاهر في إرادة اليابس منهما ولو بقرينة الفت الذي هو الكسر.

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

وما في مرفوع البرقي أن رسول الله صلى الله عليه وآله نهى عن أكل المدر[2]، بل هو الظاهر أيضا من الاستثناء الوارد في المعتبرة المشتملة على حرمة أكل الطين كلّه إلّا طين القبر وطين الحائر الظاهر فيما يؤخذ من الموضع الشريف، كما هو بل لعله الظاهر أيضاً ممّا دل على النهي عن بيعه، والاستخفاف به، والتعبير في بعض الاخبار والادعية بأنّ الشفاء في تربته[3]، وفي بعضها التعبير بطين قبره، بحيث يمكن تحصيل القطع باتحاد المراد منهما الى غير ذلك من الشواهد التي يطول بذكرها

(١) الخصال ص ٢٢١ ح ٤٦ وعنه البحار ج ٦ ص ١٥١ ح ٣.

(٢) البحار ج ٦٠ ص ١٥٨ ح ٢٨ عن معاني الاخبار ص ٢٦٢.

(٣) الوسائل الباب ٦٧ من أبواب المزار ح ٩.

الكلام وانما أشرنا إلى شطر منها في المقام لما في القول المذكور من الغرابة.

بقي الكلام في شيء وهو أنّه قد اختلف أهل العلم في معنى اللام في المقام وفي قوله تعالى ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[1] وقوله ﴿وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾[2] وغيرها مما يضاهيها.

فاصحابنا الإمامية وأكثر المعتزلة حملوها على ظاهرها من الدلالة على الغاية والفائدة ولو باعتبار عودها إلى خلقه لا إلى ذاته الذي هو غني عن فعله فضلاً عن غيره.

وأمّا الاشاعرة فقالوا أنّه تعالى لما فعل ما لو فعله غيره لكان فعله لذلك الشيء لاجل الغرض لا جرم أطلق عليه ما يدل على الغرض بقرينة المشابهة المسوغة للتجوز، واستدلوا على نفي الغرض بأن من فعل فعلاً لغرض كان مستكملاً بفعل ذلك الشيء والمستكمل بغيره ناقص لذاته.

وتوهم ان فعله تعالى معلل بغرض غير عايد إليه بل إلى غيره مدفوع بأنّ عود ذلك الغرض إلى ذلك الغير هل هو أولى لله تعالى من لا عود ذلك الغرض أو ليس أولى، فان كان الاول فهو قد انتفع بذلك الفعل فيعود المحذور المذكور، وان كان الثاني لم يكن تحصيل ذلك الغرض للغير غرضاً لله تعالى فلا يكون مؤثراً في فعله وبان من فعل فعلاً لغرض كان عاجزاً عن تحصيل ذلك إلا بواسطة ذلك الفعل والعجز محال عليه سبحانه.

وبأنّه تعالى لو فعل فعلاً لغرض فذلك الغرض ان كان قديماً لزم قدم الفعل، وإن كان حادثاً كان فعله لذلك الغرض لغرض آخر ولزم التسلسل وهو محال.

---

(١) الذاريات: ٥٦.

(٢) هود: ١١٩.

وبانّه تعالى لو كان لفعله غرض لكـان ذلك الغـرض هـو رعـاية مـصلحة المكلفين ولو توقفت فاعليته على ذلك لما فعل ما كان مفسدة في حقهم لكنه قد فعل ذلك كلّف من علم أنّه لا يؤمن.

فهذه هي الوجوه التي استدلت بها الأشاعرة على نفي الغرض على ما حكاه الرازي وغيره، وقد سمعت الجواب عن الاول في تفسير الفاتحة عند البحث عـن حقيقة الاستعانة مع الاشارة إلى ما ينفعك في تحقيق أصل المسألة.

والجواب عن الثاني انّه لا دلالة فيه على العجز فانّ الحكمة قد تقتضي ترتب الغايات على المبادىء التي هي الافعال، وان امكن تعلق المشيّة بنفس الغايات على أنّه ربما ينشأ عدم القبول فضلاً عن عدم الحكمة والمصلحة من خصوص المحل كما أشير اليه في الخبر المتضمن لخلق الدنيا في البيضة عن دون أن تصغر الدنيا ولا تكبر البيضة (١).

وعن الثالث أنّ الفعل لغرض غير حاصل لكـنّه لا يـجب أن يكـون لذلك الغرض غرض آخر مغاير له ولا أن يكون الغرض لنفس الفعل بل قد يكون نفسه كما في المشيّة على ما حقق في محله.

والسؤال عن سبب تخصيص بعض الازمنة دون غيره بخلقها ساقط عـندنا بعد ظهور كون الازمنة من متعلقات المشية وكذا الامكنة وغيرها من متعلقات الفعل فلا أين ولا متى ولا كيف في صقع انوجاد المشية فضلاً عن ايجادها.

وعن الرابع ان التكليف في نفسه لطف ومصلحة لعامة المكلفين على ما قرر في الكتب الكلاميّة.

---

(١) بحار الانوار ج ٤ ص ١٤٠ ح ٧عن توحيد الصدوق ص ١٢٢ ح ١.

﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ﴾[١] قصد إليها بعلمه ومشيّته وارادته قصدا تقتضيه الحكمة البالغة والقدرة الشاملة من قولهم: استوى إليه كالسهم المرسل اذا قصده قصداً من غير أن يلوي على شيء أو أقبل إليها آخذاً في خلقها وإتقانها كما يظهر من تفسير الإمام[٢] ﷺ، ويؤيده ما عن أحمد[٣] بن يحيى بن ثعلب من أنّ الاستواء في صفة الله هو الإقبال على الشيء يقال كان فلان مقبلاً على فلان ثم استوى عليّ وإليّ يكلمني على معنى أقبل عليّ وإليّ أو استوى وعلا أمره الفعلي إلى ناحية السماء لايجادها وتسويتها او استولى وقهر وملك كما ذكروه في قوله: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾[٤] ومنه قوله:

فلما علونا واستوينا عليهم تركناهم صرعى لنسرٍ وكاسرِ

وقال آخر:

قد استوى بشر على العراق من غير سيف ودم مهراق[٥]

والمعنى استيلاؤه ملكا وتدبيراً وعلما وقدرة عليها كغيرها من سائر خلقه.

وقيل: انّ المراد تفرده بملكها وانّه لم يجعلها كالارض ملكاً لخلقه وهو ضعيف في المقام كضعف إرادته منه ولو في غيره سيّما مع التعدي «بإلى» دون «على» ومرجع الوسطين إلى الاوّل فلا تغفل. وأمّا الاستواء بمعنى الانتصاب والاعتدال الذي ضدّه الاعوجاج فلا يتصف سبحانه به لانّه من صفات الاجسام.

والمراد بالسماء جهة العلو أو الاجرام العلوية أو خصوص الافلاك السبعة

---

(١) البقرة: ٢٩.

(٢) تفسير الامام العسكري ﷺ ص ٢١٥.

(٣) احمد بن يحيى بن زيد بن سيّار النحوي اللغوي الاديب المعروف بثعلب المتوفى س (٢٩١).

(٤) الاعراف: ٥٤، يونس: ٣.

(٥) مجمع البيان ج ١ ص ٧١.

الكليّة أو مع جزئياتها على فرضها، وهي اسم جنس يطلق على القليل والكثير، وقيل: أنّها جمع سماوة أو سمائة.

ثم إنّ ظاهر هذه الآية وكذا قوله في سورة السجدة:﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ﴾[١]، إلى قوله: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء وَهِيَ دُخَانٌ﴾[٢]. أنّ خلق الأرض كان قبل خلق السّماء مع أنّ مقتضى قوله في سورة والنازعات:﴿أَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقاً أَمِ السَّمَاء بَنَاهَا، رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا، وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾[٣].

أن التدحية التي هي البسط كانت بعد خلق السماء ولذا أورد بعض الملاحدة تناقضاً بين هذه الآيات وأجيب عنه في المشهور بانّ خلق الأرض كان قبل السماء كما هو ظاهر الآيتين الّا أنّ دحوها بعد خلق السماء كما هو صريح الثالثة.

ويدل عليه ما رواه في «الكافي» بالاسناد عن أبي جعفر عليه السلام في خبر طويل وفيه انه قال: إنّ الله سبحانه خلق الشيء الذي جميع الاشياء منه، وهو الماء الذي خلق الاشياء منه، وخلق الريح من الماء، ثم سلط الريح على الماء، فشققت الريح متن الماء حتى صار من الماء زبد على قدر ما شاء أن يثور، فخلق من ذلك الزبد أرضاً بيضاء نقيّة ليس فيها صدع ولا ثقب ولا نقب ولا صعود ولا هبوط ولا شجرة ثمّ طواها فوضعها فوق الماء، ثمّ خلق الله النّار فشققت النّار متن الماء حتى صار من الماء دخان على قدر ما شاء الله أن يثور فخلق من ذلك الدخان سماء صافية نقيّة ليس فيها صدع ولا ثقب وذلك قوله: ﴿أَمِ السَّمَاء بَنَاهَا، رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا،

(١) فصلت: ٩.

(٢) [illegible]

(٣) [illegible]

﴿وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا﴾، وقال: ولا شمس ولا قمر ولا نجوم ولا سحاب ثمّ طواها فوضعها فوق الأرض ثمّ نسب الخليقتين فرفع السماء قبل الارض فذلك قوله: عزّ ذكره ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا﴾ يقول بسطها الخبر[1].

والمراد بقوله ثم نسب الخليقتين أنّه رتبهما في الوضع وجعل أحدهما فوق الاخرى، أو أنّه بيّن بنسبة خلقهما في كتابه بقوله: ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا﴾[2] فبيّن أنّ دحو الأرض بعد رفع السماء، أو أنه رفع الأشرف الألطف ثمّ بسط الأوضع الأخس تحقيقاً لرتبتهما كذا قيل في معنى النسبة لكن الأظهر الاول كما لا يخفى.

وفي «الإحتجاج» عن هشام بن الحكم عن الصادق عليه السلام أنّه سأله الزنديق عن النهار خلق قبل الليل: قال عليه السلام نعم خلق النهار قبل الليل والشمس قبل القمر والارض قبل السماء[3] الى غير ذلك من الاخبار التي ستسمع شطراً منها في تفسير الايات الاتية.

ويؤيده ما رواه في «الدر المنثور» عن ابن عباس أنّ رجلاً قال له: آيتان في كتاب الله تخالف احداهما الاخرى، فقال: أنّما أتيت من قبل رأيك، إقرء قال: ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ﴾[4]، ﴿حتى بلغ﴾، ﴿ثمّ استوى إلى السماء﴾[5]، وقوله: ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا﴾[6] قال خلق الله الارض قبل أن يخلق السماء ثمّ خلق السماء ثم دحا الارض بعد ما خلق السماء وإنما قوله

---

(١) بحار الأنوار ج ٥٧ ص ٩٧ ح ٨١ عن الكافي الروضة ص ٩٤ ح ٦٧.

(٢) النازعات: ٣٠.

(٣) الاحتجاج ص ١٩٣ وعنه البحار ج ٦٠ ص ٧٨ ح ١.

(٤) فصلت: ٩.

(٥) فصلت: ١١.

(٦) النازعات: ٣٠.

دحاها يعني بسطها[١].

ويؤيده في الجملة ما رواه في «الكافي» عن الصادق عليه السلام انّ الله تعالى خلق الخير يوم الاحد وما كان ليخلق الشر قبل خلق الخير، وفي يوم الاحد والاثنين خلق الارضين، وخلق أقواتها في يوم الثلاثاء، وخلق السموات يوم الاربعاء، ويوم الخميس وخلق أقواتها يوم الجمعة وذلك قوله عزّوجل: ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وما بَيْنَهُما فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾[٢] آه[٣]. حيث أنها تدل على تقدم خلق الأرضين.

نعم فيها إشكال من وجوه سنشير اليها وإلى الجواب عنها في سورة السجدة.

وفي «العلل» عن أبي جعفر عليه السلام قال: أنّ الله تعالى خلق البيت قبل الأرض ثمّ خلق الأرض من بعده فدحاها من تحته[٤].

وفي «التوحيد» و«مجالس» الصدوق و«الاحتجاج» وغيرها في مناظرة الصادق عليه السلام لابن أبي العوجاء، قال عليه السلام: هذا بيت إستعبد الله به خلقه – إلى قوله – خلقه الله تعالى قبل دحو الأرض بألفي عام[٥].

وأمّا ما رواه القمي عن الصادق عليه السلام: من أنّه تعالى كان عرشه على الماء والماء على الهواء والهواء لا يحدّ، ولم يكن يومئذ خلق غيرهما، والماء يومئذ عذب فرات، فلمّا أراد أن يخلق الأرض أمر الريّاح، فضربت الماء حتى صار موجاً، ثم أزبد فصار زبداً واحداً، فجمعه في موضع البيت ثمّ جعله جبلاً من زبد، ثم دحى

(١) الدر المنثور للسيوطي ج ٦ ص ٣١٣.

(٢) الفرقان: ٥٩.

(٣) روضة الكافي ص ١٤٥ وعنه البحار ج ٥٧ ص ٥٨ ـ ٥٩ ح ٣٠.

(٤) العلل ج ٢ ص ٨٥ وعنه البحار ج ٥٧ ص ٦٥ وفيه: إنّ خلق البيت قبل الارض.

(٥) بحار الانوار ج ١٠ ص ٢١٠ ح ١١.

الارض من تحته فقال الله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكاً﴾[١] ثمّ مكث الرب تبارك وتعالى ما شاء فلما أراد أن يخلق السماء أمر الرياح فضربت البحور حتى زبدتها[٢]، فخرج من ذلك الموج والزبد من وسطه دخان ساطع من غير نار، فخلق منه السماء فجعل فيها النجوم والبروج ومنازل الشمس والقمر[٣]،الخبر.

فهو وإن كان بظاهره يدل على تقدم الدحو على خلق السماء أيضاً إلا أنّه لمخالفته لظاهر الآية بل صريحه يجب تأويله بعدم ترتب قوله: فلما أراد أن يخلق السماء على سابقه الذي هو الدحو، بل على ما تقدم من خلق الارض أو أن الفاء لمجرد الارتباط دون الترتب، فانه لم يلحظ فيه.

كما أنّه لم يلحظ فيما ذكره الامام عليه السلام في تفسيره قال: إنّ الله تعالى لما خلق الماء فجعل عرشه عليه قبل أن يخلق السماوات والارض، فأرسل الرياح على الماء فتفجر[٤] الماء من أمواجه، وارتفع عنه الدخان وعلا فوقه الزبد، فخلق من دخانه السماوات السبع وخلق من زبده الارضين، فبسط الارض على الماء، وجعل الماء على الصفا، والصفا على الحوت والحوت على الثور، والثور على الصخرة إلى أنّ قال: فلما خلق الله الارض دحاها من تحت الكعبة ثم بسطها على الماء فاحاطت بكل شيء[٥] آه.

وفيما ذكر الباقر عليه السلام لمحمد بن مسلم على ما رواه في «الكافي» قال عليه السلام: كان كلّ شيء ماءً وكان عرشه على الماء فأمر الله عزّ وجلّ الماء فاضطرم ناراً، ثم أمر النار

---

(١) آل عمران: ٩٦.

(٢) في المصدر: أزبد بها.

(٣) تفسير القمي ج ٢ ص ٦٩ ـ ٧٠ وعنه البحار ج ٥٧ ص ٧٢ وفي المصدر: فبخّر الماء.

(٤) وفي المصدر: فبخّر الماء.

(٥) تفسير الامام عليه السلام ص ١٤٤ ـ ١٤٥ وعنه البحار ج ٥٧ ص ٨٧.

فخمدت، فارتفع من خمودها دخان، فخلق الله السماوات من ذلك الدخان، وخلق الارض من الرماد، آه[١].

وربما يستشكل هذا الوجه مرة بأنّ الارض جسم عظيم فامتنع إنفكاك خلقها عن التدحية . فاذا كانت التدحية متأخرة عن خلق السماء، كان خلقها أيضاً متأخراً عن خلق السماء، وأخرى بأنّ الآية في المقام دلت على أنّ خَلْقَ الأرضِ وخَلْقَ كلِّ مافيها متقدم على خَلْقِ السماء، وخَلْقُ الأشياء في الارض لا يكون إلّا بعد ما كانت مدحوّة فدلت على تقدم كونها مدحوة فالتناقض بحاله .

ويضعف الاول بوضوح عدم امتناع إنفكاك خلقها عن التدحية سيما بعدما دلت عليه الاخبار الكثيرة حسب ما سمعت شطراً منها.

والمناقشة في اطلاق خلق الارض على ايجادها غير مدحوّة لا ينبغي الإصغاء إليها بعد ما سمعت من الآية والرواية.

والثاني بأن تقدم خلق ما في الارض لا يستلزم تقدم دحوها ضرورة أنّه ليس المراد بالموصولة خصوص ما يتجدد فيها من أفراد النبات والثمار والحيوان وضروب الانتفاعات الجزئية، فانها متأخرة عن الجميع كائنة فاسدة بمر الدهور والازمنة، بل المراد بها أصول أسبابها القابلة الاستعدادية التي كانت قائمة بسنخ الارض ونوعها بل بالارض التي كانت كالطينة والخميرة للارض المدحية، ولذا عبر بالدّحو الذي هو مجرد البسط والسعة، وبالجملة فالجواب المذكور بمكان من الصحة والقبول.

نعم ربما يجاب عن أصل الإشكال بوجوه أخر أيضاً: منها أنّ كلمة «ثم» في آيتي البقرة والسجدة لتفاوت ما بين الخلقين وفضل خلق السماء على خلق الارض

---

(١) روضة الكافي ص ٩٥ ح ٦٨ وعنه البحار ج ٥٧ ص ٩٨ ح ٨٣.

كما يقول الرجل لصاحبه: أليس قد أعطيتك ثم رفعت منزلتك ثم بعد هذا كله فعلت كذا وكذا، ومثله قوله: ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ﴾[١] إلى قوله: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾[٢]. أي وكان فعلى هذا يكون خلق الارض بما فيها من الأقوات وغيرها متأخراً عن خلق السماء، وهذا الوجه ذكره شيخنا الطبرسي وتبعه الرازي والقاضي وغيرهما.

ومنها: أنّ معنى قوله: ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾[٣]أي مع ما ذكر من خلقها وجعلها مهاداً كما في قوله: ﴿عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ﴾[٤]أي مع ذلك، وهو المحكي عن مجاهد والسدي[٥].

ومنها ما يرجع إلى سابقه وهو أن تكون كلمة بعد لمجرد الإذكار وتعداد النعم لا للتأخر الزماني والرتبي حيث لا يتعلق لغرض بالاخبار عن ا لاوقات والازمنة كما تقول: أليس قد أعطيتك كذا وكذا وبعد ذلك أحسنت إليك في كذا[٦].

وأما كون الظرف للاخبار بعد الاخبار لا المخبر عنه فلا يخلو عن تكلف.

ومنها أنّه فرق بين التسوية المطلقة للسماء المذكورة في آيتي السجدة والنازعات وبين تسويتها سبع سماوات المذكورة في المقام، فتسويتها مطلقاً متقدّمة على دحو الارض والمقيدة متأخرة عنه، وأمّا قوله في آية السجدة: ﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾[٧] فمترتبة على قوله: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ

---

(١) البلد: ١٢.

(٢) البلد: ١٧.

(٣) النازعات: ٣٠.

(٤) القلم: ١٣.

(٥) مجمع البيان ج ٥ ص ٤٣٤.

(٦) مجمع البيان ج ١ ص ٧٢.

(٧) فصلت: ١٢.

دُخَانٌ﴾[١]، إلّا أنها مبينة لها ويدل عليه ما رواه في «الدر المنثور» كما تقدم.

ومنها: أن كلمتي «بعد» و«ثم» على ظاهرهما من التاخر والتراخي إلّا أنّ المراد بالخلق هو التقدير لا الإيجاد في العين واطلاقه عليه شايع كثير، ولذا يقيد الخلق في الاخبار مرة بالتكوين وأخرى بالتقدير ويؤيّده قوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى﴾[٢] وقوله: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثِمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ [٣] وفي الخبر عن الرضا ﷺ: أفعال العباد مخلوقة لله خلق تقدير لا خلق تكوين[٤].

وعلى هذا فخلق الارض وما فيها متأخر عن خلق السماء كتأخر دحوها عنه إلّا أن تقديرها وهندستها متقدم على خلق السماء، ويؤيده أنّه سبحانه ذكر في سورة السجدة خلق الأرض واقواتها ثم قال: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾[٥].

ومن البيّن أن المراد الإتيان من العدم إلى الوجود تعبيراً للخلقة العينية وتصويراً للقدرة الكاملة، ولذا ذهب بعضهم إلى تقدم خلق السماء على الارض وما فيها.

وما رواه الكيدري في شرح النهج، قال ورد في الخبر: أنّ الله تعالى لما أراد خلق السماء والارض خلق جوهراً أخضر ثمّ، ذوّبه فصار ماء مضطرباً ثم أخرج منه بخاراً كالدخان وخلق منه السماء كما قال ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء وَهِيَ دُخَانٌ﴾ [٦]، ثم فتق تلك السماء فجعلها سبعاً ثم جعل من ذلك الماء زبداً فخلق منه

(١) فصلت: ١١.

(٢) الأعلى: ٢.

(٣) آل عمران: ٥٩.

(٤) بحار الانوار ج ٥ ص ٣٠ ح ٣٨ عن العيون.

(٥) فصلت: ١١.

(٦) فصلت: ١١.

أرض مكة، ثم بسط الارض كلها من تحت الكعبة، ولذلك تسمى مكة أم القرى، لأنّها أصل جميع الارض، ثمّ شق من تلك الارض سبع أرضين وجعل بين كل سماء وسماء مسيرة خمسمائة عام، وكذلك بين كلّ أرض وأرض، وكذلك بين هذه السماء وهذه الارض [١]، الخبر.

وفي «الدر المنثور» عن النبي ﷺ في قوله: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ﴾[٢]، قال: إنّ الله تعالى كان عرشه على الماء ولم يخلق شيئاً قبل الماء، فلما أراد أن يخلق الخلق أخرج من الماء دخاناً فارتفع فوق الماء فسما عليه فسماه سماء ثم أيبس الماء فجعله أرضا واحدة، ثم فتقها فجعلها سبع أرضين في يومين في الاحد والاثنين، فجعل الارض على الحوت وهو الذي ذكره في قوله: ﴿ن وَالْقَلَمِ﴾ والحوت في الماء على صفاة، والصفاة على ملك، والملك على صخرة، والصخرة على الريح وهي الصخرة التي ذكرها لقمان ليست في السماء ولا في الارض، فتحرك الحوت، فاضطرب فتزلزلت الارض فأرسى عليها الجبال فقرت فذلك قوله: ﴿وَجَعَلْنَا فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ﴾[٣] وخلق الجبال فيها وأقوات أهلها وشجرها وما ينبغي لها في يومين في الثلاثاء والاربعاء وذلك قوله: ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ﴾[٤] إلى قوله: ﴿وَبَارَكَ فِيهَا﴾ يقول أنبت فيها شجرها وقدر فيها أقواتها

---

(١) بحار الانوار ج ٥٧ ص ٢٩ ح ٤ عن شرح نهج للكيدري.

(٢) البقرة: ٢٩.

(٣) الانبياء: ٣١.

(٤) فصلت: ٩.

يقول أقواتها واهلها في أربعة أيام سواء للسائلين يقول من سال فهكذا الامر ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾[1] فكان ذلك الدخان من تنفس الماء حين تنفس فجعلها سماء واحدة، ثم فتقها فجعلها سبع سماوات في يومين في الخميس والجمعة وانما سمي يوم الجمعة لانّه جمع فيه خلق السموات والارض[2] الخبر وهذا الخبر ظاهر في الوجه المتقدم وان خلق السماء كان أولاً على وجه الدخانية ثم بعد خلق الارض واقواتها جعلها سماء واحدة ثم جعلها سبع سموات.

ومنها: أن لا يكون معنى دحيها مجرد البسط بل يكون المراد أنّه بسطها بسط مهيأ لنبات الاقوات ويؤيده قوله مبيناً للدحو المذكور ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا﴾[3]، وذلك لان الاستعداد لا يحصل للارض إلّا بعد وجود السماء فان الارض كالام والسماء كالأب، وما لم يحصلا لم تتولد المواليد التي هي المعادن والنباتات والحيوانات.

ومنها: أن الارض مقدمة في الخلقة ويدفع المنافات المذكورة باعتبار الاية الثالثة بان الفاء في قوله: ﴿فَسَوَّاهَا﴾ بمعنى ثم أو لمطلق الترتب والمشار إليه بذلك في قوله: ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾[4] وهو بناء السماء وخلقها لا مجموع ما ذكر قبله حتى تسويتها، فيجوز معه تأخر التسوية عن التدحية.

ومنها: أنّ قوله ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾ يقتضي تقدم خلق السماء على دحو الارض ولا يقتضي تقدم تسوية السماء على دحو الارض فجاز تأخر التسوية عن الدحو فيكون خلق الارض قبل خلق السماء وخلق السماء قبل الدحو والدحو

(١) فصلت: ١١.

(٢) الدر المنثور ج ١ ص ٤٣ وعنه البحار ج ٥٧ ص ٢٠٤ ـ ٢٠٥ ح ١٥٢.

(٣) النازعات: ٣١.

(٤) النازعات: ٣١.

قبل تسوية السماء.

وفيه نظر واضح لدلالة آية الدحو على تأخره عن تسوية السماء إلّا أن يرفع التنافي بشيء من الوجوه المتقدمة أو الاتية فيرجع إليه.

ومنها: ما يحكى عن مقاتل أنه قال: خلق الله السماء قبل الارض وقبل دحوها وخلق ارزاقها وأمّا قوله: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ﴾ فمعناه ثم كان قد استوى وهي دخان قبل أن يخلق الارض فاضمر فيه كان كما في قوله تعالى ﴿قَالُواْ إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِن قَبْلُ﴾[1]، معناه أن يكن سرق.

ومنها: أن تكون دحيها جملة مستأنفة وتنصب الارض بفعل مقدر دل عليه ﴿أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقاً﴾[2] مثل تعرف الارض واذكرها وتدبر أمرها بعد ذلك وهو كماترى.

ومنها: أن يضمر الفعل على شريطة التفسير كما هو الظاهر ويكون ذلك إشارة إلى المذكور سابقا فالمشار إليه ذكر خلق السماء لا خلقها نفسه للدلالة على أنّه قاصر في الدلالة عن الاول لكنه تتميم كما تقول جملا ثم تقول بعد ذلك كيت وكيت ومثله شايع في الاستعمال.

ومنها: ما ذكره الشيخ الامجد الاحسائي طاب ثراه حيث سئل عن ذلك فأجاب بأنّه تعالى لما رمق الماء بعين الهيبة فذاب وزبد وارتفع دخانه وكان الزبد والدخان فصعد الدخان وكان الدخان قد أخذ في الصعود لطيفة قبل بدء الزبد وارتفع أخره عند انتهاء الزبد خلق الارض واقواتها من الزبد في أربعة أيام ثم توجه وجه المشية إلى الدخان به الصاعد فخلق من وسطه فلك الشمس وذلك لاستوائه في اللطافة والغلظ وخلق فلك القمر وفلك زحل وفلك عطارد وفلك المشتري

---

(١) يوسف: ٧٧.

(٢) الصافات: ١١.

وفلك الزهرة وفلك المريخ فصار الاستواء إلى السماء بعد الارض والسماء دخان موجودة وهو قوله تعالى: ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ﴾[1] إلى قوله: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾[2] فكان كون السماء قبل كون الارض وكان عين الارض قبل عين السماء فكلما لطف وعلا تأخرت صورة الجسمانية ولذا قلنا فلك القمر وفلك زحل والمراد بالاستواء الالتفات أي توجه وجه المشية والقدر.

وهذا الوجه يساعده في الجملة ظاهر آية السجدة لكن الاظهر في دفع التنافي ما ذكرناه أولاً، وامّا سائر الوجوه فبعضها وإن لم يكن به بأس على وجه الاحتمال إلّا أنّ كثيراً منها لا يخلو من ضعف أو اختلال.

﴿فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ﴾ التسوية هو التعديل وجعل الشيئين أو الاشياء على حد سواء، والمعنى خلقهن مصونة من العوج والامت والفطور والتفاوت على أعدل ما يمكن وأقومه وأحسنه واتقنه، والضمير للسماء بناء على كونها جمعاً أو جنساً على ما مر وإن نوقش فيهما بعدم ثبوت الاوّل وعدم كفاية الثاني، ولذا قيل: إن الاولى كونه مبهماً يفسره ما بعده كقولهم: ربه رجلاً مع أنّ فيه حينئذ من التفحيم والتشويق والابهام والتفسير والتمكن في النفس ونحو ذلك ما لا يخفي، ويمكن كونه للسماء باعتبار نواحيها وجهاتها فتكون الواحدة جماعة كما في قولهم: ثوب اخلاق وامهال أو باعتبار أن السماوات كانت سماء فوق سماء فتكون الجملة واحدة من حيث الاطباق والاحتواء، أو باعتبار أن المراد بالسماء هو الجوهر الدخاني الذي خلق منه السموات فالافراد باعتبار الوحدة وعدم التميز والتعدد

---

(١) فصلت: ٩.

(٢) فصلت: ١١.

يومئذ والتعدد باعتبار الاول والمشارفة هذا مضافاً إلى ما قد يقال من جواز اجراء اسماء الاجناس في الاضمار والتوصيف على الوجهين كما يقال: أهلك الناس الدراهم البيض والدنانير الصفر. والسبع للمؤنث كالسبعة للمذكر واشتقوا منه السبع بضم الباء وسكونها لأنّه مضاعف القوى كانه ضوعف سبع مرات أو لأنه كامل القوى، فانّ السبعة عدد كامل مركب من زوج الفرد وفرد الزوج أو زوج الزوج وفرد الفرد، ونصبه على البدل أو التفسير والسموات هي الافلاك.

وأما ما يحكى عن علي بن عيسى من التغاير وانّ الافلاك تتحرك وتدور والسموات لا تتحرك ولا تدور لقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَن تَزُولَا﴾[1] أي تتحركا فضعيف جداً ومعنى الآية نفي زوالها عن مراكزها التي تدور عليها أو نفي رجوعها إلى العدم الاصلي الذي مر مقتضي امكاناتها لانّ كل ممكن سيّال الوجود دائم الحركة إلى العدم الاصلي، وأمّا بقاؤه فانّما هو بالاضافات السيّالة المتجددة الدائمة حسبما هو مقتضى قيوميّة الفعلية، وبالجملة فالقول المذكور شاذ لا يعرف به قائل غيره.

نعم قد يحكى ذلك أيضاً عن الشيخ الكراجكي في كتابه كنز الفوائد، حيث قال: اعلم أن الارض على هيئة الكرة والهواء يحيط بها من كل جهة، والافلاك يحيط بالجميع احاطة استدارة، وهي طبقات بعضها يحيط ببعض، فمنها سبعة يختص بالنيّرين والكواكب الخمسة التي تسمى بالمتحيرة، ولكل منها فلك يختص به ثم عدّ الافلاك السبعة على ما هو المشهور عند الجمهور إلى أنّ قال: ويحيط بهذه الافلاك السبعة فلك الكواكب الثابتة وهي جميع ما يرى في السماء غير ما ذكرنا ثم الفلك المحيط الاعظم المحرّك لجميع هذه الافلاك. ثمّ السموات السبع تحيط

(١) فاطر:٤٢.

بالأفلاك وهي مساكن الافلاك، ومن رفعه الله تعالى الى سمائه من أنبيائه وحججه عليهم السلام انتهى [١].

وهو مع شذوذه مردود بالاخبار الكثيرة كالخطبة العلوية المذكورة في «النهج» وفيها: ثمّ أنشأ سبحانه ريحا اعتقم مهبّها وأدام مَرَبّها واعصف مجراها وأبعد منشأها فأمرها بتصفيق الماء الزّخّار وآثارة موج البحار فمخضته مخض السقاء وعصفت به عصفها بالفضاء، تردّ أوّله على آخره وساجيه على مائرة، حتى عبّ عبابه ورمى بالزبد ركامه، فرفعه في هواء منفتق، وجوّ منفهق، فسوى منه سبع سماوات جعل سفلاهن موجاً مكفوفاً، وعلياهن سقفاً محفوظاً وسمكا مرفوعاً بغير عمد يدعمها، ولا دسار ينظمها، ثمّ زينتها بزينة الكواكب، وضياء الثواقب، فأجرى فيها سراجاً مستطيراً وقمراً منيراً في فلك دائر، وسقف سائر، ورقيم مائر، ثم فتق ما بين السماوات العلى فملأهن أطوارا من ملائكته منهم سجود لا يركعون، وركوع لا ينتصبون، وصافون لا يتزايلون [٢]. الخطبة.

حيث دلت على أن السماوات هي المجاري للكواكب والمساكن للملائكة والاخبار بهذا المعنى كثيرة جداً، وورد أنّ زحل مطلعه في السماء السابعة، وأنّه ثقب بضوئه حتى أضاء في السماء الدنيا [٣] وانّ الشمس في السماء الرابعة إلى غير ذلك ممّا يدل على ما ذكرناه فلا اشكال فيه وان اختلفوا في أنّ المراد بالفلك هل هو نفس السماء؟ أو المجرى أو المنطقة أو غيرها ممّا لا يهمنا البحث عنه في المقام إنّما الكلام فيما ذكره الرياضيون من الترتيب بين الافلاك الكليّة واثبات افلاك

(١) كنز الفوائد ج ٢ ص ١٠١ ـ ١٠٢.

(٢) نهج البلاغة الخطبة الاولى ص ١.

(٣) البحار ج ٥٨ ص ٢٢٠.

جزئية للحركات السبع المشهورة واثبات فلكين اخرين مضافاً إليها فانّها عندهم تسع، سبع منها للسبعة السيّارة على الترتيب المشهور، وثامنها فلك الثوابت وتاسعها فلك الافلاك المحرك لجميعها حركة يوميّة سريعة شرقيّة واستندوا في ذلك إلى جملة من المشاهدات والحدسيات والاصول الطبيعية التي لم يقم على كثير منها برهان، وبالجملة فإنّهم لم يأتوا بدليل متين أو بسلطان مبين فيما اتفقوا عليه واختلفوا فيه من اعداد الافلاك قلة وكثرة، نعم دلّ صريح الكتاب وهو الحجة بأنّها سبعة فجعلوها للكواكب السبعة التي أحسوا باختلاف حركتها طولاً في الجميع وعرضا في غير الشمس، فانّ لها الميل وهي النيّران والخمسة المتحيرة التي فسر بها قوله تعالى ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ﴾ [1] في العلوي [2] المروي في «المجمع» وغيره وجعلوا ادناها للقمر واعلاها لزحل والباقي على الترتيب المشهور وفي بعض الأخبار دلالة على بعضها مثل ما روي عن الصادق عليه السلام من أنّ زحل مطلعه في السماء السابعة وأنّه ثقب بضوئه حتى أضاء في السماء الدنيا فمن ثم سماه الله النجم الثاقب[3] والعلوي المتضمن للخمسة المتحيرة على الترتيب الذكري الدال على كونها كذلك حيث قال عليه السلام: أنّ الخنّس خمسة انجم زحل والمشتري والمريخ والزهرة وعطارد [4]، إلّا أنّهم استندوا فيما ذكروه من الترتيب إلى وجهين:

الاوّل الكسف فإنّ الكوكب الاسفل يكسف الاعلى في المقارنة المرئية بحسب عين الناظر وإن لم تكن باعتبار المركز ويعرف الكاسف بلونه الغالب ككمودة زحل ودريّة المشتري وحمرة المريخ وبياض الزهرة وصفرة عطارد ثمّ

---

(١) التكوير: ١٥.

(٢) مجمع البيان ج ٥ ص ٤٤٦.

(٣) البحار ج ٥٨ ص ٢٢٠.

(٤) بحار الانوار ج ٥٨ ص ٢٢٠.

أنّهم وجدوا القمر يكسف الكواكب وعطارد يكسف الزهرة، وهكذا في الجميع إلّا أنّه بقي الشك في أمر الشمس فالاكثر على أنّها في وسط الأفلاك السبعة فوق الزهرة وعطارد لاقتضاء النظام الطبيعي أن يكون ما هو ابطء حركة من الكواكب أكثر بعداً وأعظم مداراً وأن تكون الشمس واسطة في النظم والترتيب بمنزلة شمسة القلادة بين ما يعد عنها الابعاد الاربعة وهي المقابلة وأخواتها وبين ما لا يبعد منها أقلّ البعد وهو التسديس ولما يحكى عن جماعة أنّهم رأوا الزهرة كشامة على صفحتها، وعن آخر أنّه رأي شامتين وحسبهما الزهرة.

وهذه الوجوه كلها ضعيفة بل قيل: إنّه في وجه الشمس نقطة سوداء فوق مركزها بقليل كالمحو في وجه القمر ولعلها الشامة المرئية، ولذا ذهب بعض القدماء إلى أنها تحتهما وبعض المتأخرين إلى أنّه فوق عطارد وتحت الزهرة بل جزم به صاحب التحفة لدليل لاح له في الابعاد والاجرام.

والثاني اختلاف المنظر لكنّه غير جارٍ في الجميع لانتفائه في العلوية محسوساً ومحسوباً وكونه في الشمس في غاية القلة بل عن أبي الريحان وغيره أنّ اختلاف المنظر لا يحس إلّا في القمر فانهم صرحوا بانّه في الشمس غير محسوس بالآلات الرصدية اصلاً وان اقتضاه حسابهم بحسبانهم وأمّا السفليتان فلتعذر الوقوف على مواضعهما الحقيقية في الطول والعرض.

ثمّ أنّ هذا كلّه على ما حققه الحكماء السابقون وأمّا المتأخرون من حكماء الاندلس والافرنج فقد ذهبوا إلى نفي الافلاك رأساً، وانّ كرة الشمس ساكنة في مركز العالم وأنّ كرة الارض من جملة السيارة التي تدور حول جرم الشمس وتكتسب منها النور والحرارة، وانّ كلّاً من الثوابت المرصودة وغيرها ممّا لا يعلم عددها أحد إلّا الله مركز لعالم كلي كالشمس في عالمها ولكلّ منها أقمار وسيارات مشتملة على عوالم كثيرة وأصناف من المخلوقات كالمواليد وغيرها.

وهذا كله رجم بالغيب ومخالفة للنواميس والقواعد الحكميّة على ما أشرنا إليه آنفاً نعم قدر ورد في بعض الاخبار تعدد [١] القباب والعوالم والشموس بل في البصائر عن ابي الحسن عليه السلام قال: إنّ لله تعالى خلف هذا النطاق زبرجدة خضراء فمن خضرتها اخضرت السماء قيل وما النطاق؟ قال عليه السلام: الحجاب ولله وراء ذلك سبعون ألف عالم أكثر من عدد الانس والجن وكلهم يلعن فلاناً وفلاناً [٢]. وعن الصادق عليه السلام: إنّ من وراء شمسكم هذه اربعين عين شمس فيها خلق كثير، وانّ من وراء قمركم أربعين قمراً فيها خلق كثير لا يدرون أنّ الله خلق ادم أم لم يخلقه ألهموا الهاماً لعنة فلان وفلان [٣].

وأمّا اسماء السماوات وألوانها فقد روي في «العلل» و«العيون» و«الخصال» في خبر الشامي أنّه سأل أمير المؤمنين عليه السلام عن ذلك فقال عليه السلام: اسم السماء الدنيا رفيع وهي من ماء ودخان واسم السماء الثانية قيدوم وهي على لون النحاس والسماء الثالثة اسمها الماروم، وهي على لون الشبه، والسماء الرابعة اسمها ارقلون وهي على لون الفضة، والسماء الخامسة اسمها هيفون وهي على لون الذهب والسماء السادسة اسمها عروس، وهي ياقوتة خضراء والسماء السابعة اسمها عجماء وهي درة بيضاء [٤]، الخبر.

وروي عن أبن جعفر عليه السلام: السجين: الارض السابعة وعليون: السماء السابعة [٥].

وفي حديث ابن سلام أنّه سأل النبي صلى الله عليه وآله فقال اخبرني ما بال السماء الدنيا

---

(١) البحار: ج ٤٧ ص ١٥٩.

(٢) البصائر ص ٤٩٢ ح ٧ وعنه البحار ج ٥٧ ص ٣٣٠ ح ١٥.

(٣) البحار ج ٢٧ ص ٤٥.

(٤) البحار ج ١٠ ص ٧٦.

(٥) البحار ج ٥٨ ص ٥١ ح ٤ عن المحاسن ص ٣٣٤ ح ١٠٣.

خضراء؟ قال ﷺ: اخضرت من جبل قاف قال صدقت فاخبرني ممّا خلق؟ قال ﷺ: من موج مكفوف قال: وما الموج المكفوف؟ قال: يا ابن سلام ماء قائم لا اضطراب لها وكانت في الاصل دخاناً، قال: صدقت يا محمّد، إلى أن قال: فاخبرني عن السماء الثانية ممّ خلقت؟ قال ﷺ: من الغمام قال: صدقت فاخبرني عن السماء الثالثة ممّ خلقت؟ قال: من زبرجد خضراء قال: فالرابعة؟ قال ﷺ: من ذهب احمر قال: فالخامسة؟ قال ﷺ: من ياقوتة حمراء، قال: فالسادسة؟ قال: من فضّة بيضاء؟ قال: فالسابعة؟ قال: من ذهب قال صدقت، الخبر[1].

وبعض النّاس قد تكلم في أمثال هذا الخبر بالتأويل والتوجيه والتطبيق على قواعد الفلاسفة وترهات الصوفية والاكاذيب الاحكامية من اثبات الطّبايع والمنسوبات للافلاك والكواكب والحمل على ظاهرها والسكوت عن التأويل أولى فان كان ولابد فلعلها كانت مشتهرة عندهم كذلك أو كانت رموزاً موروثة عن الانبياء عليهم السلام .

بقي الكلام فيما قد طال التشاجر بينهم فيه وهو أنّ السماوات وما فيها من الكواكب هل هي حيّة مدركة أم لا؟ فجمهور الحكماء على الاول واكثر أهل الشرع على الثاني وفي الآيات والاخبار اشارات إلى القولين ولذا قال شيخنا البهائي طاب ثراه في الحديقة الهلاليّة بعد قوله: أيّها الخلق المطيع الدائب السريع المتردد في منازل التقدير المتصرف في ذلك التدبير بعد جملة كلام له: أنّه لا يبعد أن يراد بفلك التدبير الفلك الذي يدبره القمر نفسه نظراً إلى ما ذهب اليه طائفة من أنّ كلّ واحد من السيارات السبع مدبر لفلكه كالقلب في بدن الحيوان.

قال سلطان المحققين في شرح الاشارات: ذهب فريق إلى أنّ كلّ كوكب منها

(١) بحار الانوار ج ٦٠ ص ٢٤٧ ـ ٢٤٨.

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

ينزل مع افلاكه منزلة حيوان واحد ذي نفس واحدة تتعلق بالكوكب أوّل تعلقها وبافلاكه بواسطة الكوكب كما تتعلق نفس الحيوان بقلبه أوّلاً وباعضائه الباقية بعد ذلك، فالقوة المحركة منبعثة عن الكوكب الذي هو كالقلب في افلاكه التي هي كالجوارح والاعضاء الباقية انتهى كلامه زيد إكرامه إلى أن قال: إنّ خطابه للقمر ونداؤه له وصفه بالطاعة والجد والتعب والتردد في المنازل والتصرف في الفلك ربما يعطي بظاهره كونه ذا حياة وإدراك ولا استبعاد في ذلك نظراً إلى قدرة الله تعالى إلّا انّه لم يثبت بدليل عقلي قاطع يشفي العليل او نقلي ساطع لا يقبل التأويل، نعم أمثال هذه الظواهر ربما تشعر به وقد يستند في ذلك بظاهر قوله تعالى: ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [١] فانّ الواو والنون لا يستعملان حقيقة في غير العقلاء، وقد أطبق الطبيعيون على أنّ الافلاك باجمعها حيّة ناطقة عاشقة مطيعة لمبدعها وخالقها واكثرهم على أنّ غرضها من حركاتها نيل التشبه بجنابه والتقريب إليه جلّ شأنه، وبعضهم على أنّ حركاتها لورود الشوارق القدسيّة عليها آناً فآناً فهي من قبيل هزة الطرب والرقص الحاصل من شدّة السرور والفرح، وذهب جم غفير منهم إلى أنّه لا ميت في شيء من الكواكب ايضاً حتى اثبتوا لكلّ واحد منها نفساً على حدة تحركه حركة مستديرة على نفسه، وابن سينا في «الشّفاء» مال إلى هذا القول ورجحّه وحكم به في النمط الخامس من (الاشارات) ولو قال به قائل لم يكن مجازفاً وكلام ابن سينا وامثاله وإن لم يكن حجّة يركن إليها الديانيون في أمثال هذه المطالب إلا أنّه يصلح للتأييد ولم يرد في الشريعة المطهرة على الصادع بها أفضل الصلوات وأكمل التسليمات ما ينافي هذا القول، ولا قام دليل عقلي على بطلانه واذا جاز أن يكون لمثل البعوضة والنّملة وما دونهما حياة فايّ مانع مَن أن يكون لتلك الاجرام

---

(١) الانبياء: ٣٣.

الشريفة أيضاً ذلك، وقد ذهب جماعة إلى أن لجميع الأشياء نفوساً مجردة ونطقاً وجعلوا قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾[١] محمولاً على ظاهره، وليس غرضنا من هذا الكلام ترجيح القول بحياة الأفلاك بل كسر سورة استبعاد المصرّين على إنكاره وردّه وتسكين صولة المشنعين على من قال به وجوّزه[٢] انتهى كلامه زيد مقامه، واعترضه شيخنا المجلسي طاب ثراه بانّ هذا الترجيح الذي أبداه في لباس الاحتمال والتجويز مناف لسياق اكثر الآيات والأخبار الواردة في أحوال الكواكب والافلاك ومسيرها وحركاتها والاشارات التي تمسك بها ظاهر من سياقها انّها من قبيل المجازات والاستعارات الشايعة في كلام البلغاء بل في اكثر المحاورات فانّهم يخاطبون الجمادات بخطاب العقلاء وغرضهم تفهيم غيرها كما في هذا الخطاب وخطاب شهر رمضان ووداعه وخطاب البيت والمخاطب فيها حقيقة هو الله تعالى والغرض إظهار نعمه تعالى وشكره عليها ولم أر أحداً من المتكلمين من فرق المسلمين قال بذلك إلّا بعض المتأخرين الذين يقلّدون الفلاسفة في عقائدهم ويوافقون المسلمين فيما لا يضرّ بمقاصدهم، ثمّ حكى عن السيّد المرتضى أنّه قال في كتاب «الغرر والدرر»: قد دلت الدلالة الصحيحة الواضحة على أنّ الفلك وما فيه من شمس وقمر ونجوم غير متحرك لنفسه ولا طبعه على ما يهذي به القوم وانّ الله تعالى هو المحرك له والمتصرف باختياره فيه وقال رحمه الله في موضع آخر: لا خلاف بين المسلمين في ارتفاع الحياة من الفلك وما يشتمل عليه من الكواكب فانّها مسخرة مدبرة متصرفة وذلك معلوم من دين رسول الله ﷺ ضرورة.

---

(١) الاسراء: ٤٤.

(٢) بحار الأنوار: ج ٥٥ ص ١٨٥ – ١٨٦.

أقول: لا يخفى أنّه لو قلنا بأنّ الاشياء من الجمادات وغيرها كلّها مدركة شاعرة حيّة مسبحة لله سبحانه حسبما تسمع تمام الكلام فيه عند تفسير قوله: ﴿وَإِن مِن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَـكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾[1]، فلا ريب في القول بذلك في الافلاك والكواكب أيضاً سيّما مع التصريح بالسماوات وما فيها كما في أوّل الآية وفي المسبّحات وغيرها من الآيات وان حملنا ذلك على التسبيح التكويني وقلنا أن الاجسام على قسمين: منها حيّة مدركة كالانسان ومنها فاقدة للادراك والشعور كالجمادات فمن البيّن أنّه لم يدل دليل على الحاق الافلاك والكواكب بالثاني دون الأوّل بعد ظهور امكان كلّ من الوجهين فيها فلا ينبغي الجزم بأحد الوجهين من دون حجّة ولذا قال شيخنا الشهيد الاوّل في قواعده كلّ من اعتقد في الكواكب أنّها مدبرة لهذا العالم وموجدة فيه فلا ريب أنّه كافر وان اعتقد أنّها تفعل الآثار المنسوبة إليها والله سبحانه هو المؤثر الأعظم كما يقوله أهل العدل فهو مخطيء اذ لا حياة لهذه الكواكب ثابتة بدليل عقلي ولا نقلي[2]اه.

ومراده كما ترى عدم الثبوت لا ثبوت العدم، ومن هنا يظهر ضعف ما ذكره الشيخ الاكبر[3] في شرح القواعد[4] مازجاً عبارته بعبارة العلّامة قائلاً: وعمل التّنجيم حرام، وكذا تعلّم علم النّجوم والفلكيّات، وتعليمه، وعلمه بالنظر من غير تعليم مع اعتقاد قدمها لذاتها، وهو كفر الإنكار والإشراك، أو لقدم علّتها، وحدوثها متّصفة بالعلوم والإدراكات وصفة الاختيار لها مع الصفات، وهذان من كفر إنكار الضّروريّات انتهى.

(١) الاسراء: ٤٤.

(٢) القواعد للشهيد: ج ٢ ص ٣٥.

(٣) هو الشيخ جعفر بن خضر الجناجي النجفي المتوفى سنة (١٢٢٧) هـ.

(٤) هو شرح مبسوط لطهارة «قواعد العلّامة» مستقصى فيه كلام الفقهاء.

اذ فيه أنّ ضروريّة الاخير غير واضحة، اللّهم إلّا أن يكون مراده كغيره ممّن يدّعي الاجماع عليه، نفي الحياة والشعور والارادة الموجبة للتّصرف في السّفليات بايجاد الآثار على وجه الاستقلال أو التشريك أو التفويض أو غيرها، وهذا لا شبهة في قيام الإجماع بل الضرورة على فساده على اكثر الوجوه، ولعلّ هذا هو المنساق منهم في نفي الحياة والاختيار، حيث أنّ كلامهم مع الفلاسفة والمنجّمين القائلين باستناد الحوادث بأسرها إليها على وجه الاختيار أو الايجاب، ولذا قال العلامة [١] أعلى الله مقامه في «أنوار الملكوت في شرح الياقوت» [٢]: اختلف قول المنجّمين على قسمين: أحدهما قول من قال: انّ الكواكب السّبعة حيّة مختارة، والثاني قول من قال: انّها موجبة، والقولان باطلان، أمّا الأوّل فلانّها أجسام محدثة فلا تكون، آلهة، ولأنّها محتاجة إلى محدث غير جسم، فلابدّ من القول بالصّانع إلى آخر ما ذكره.

فانظر كيف أبطل قولهم بنفي الآهيّتها وإثبات الصّانع المحدِث لها، وأين هذا من القول بأنّها مصنوعة محدثة حيّة مختارة في عبادة ربّها، مع عدم استناد شيء من الحوادث إليها بوجه، أو مع القول بإثبات نوع إرتباط لها إليها على وجه لا يمنع من القول به شيء من العقل والنقل.

ولذا قال شيخنا المدقّق الورع التستري [٣] دام ظله العالي بعد نقل عبارة الشهيد المتقدّمة ما لفظه: وظاهره[٤] أنّ عدم القول بذلك لعدم المقتضي له وهو

(١) آية الله العلّامة الحلي المتوفى (٧٢٦) هـ

(٢) الياقوت: في علم الكلام لابي اسحاق اسماعيل بن اسحاق بن أبي سهل النوبختي كان من أعلام الشيعة في عصر الامام الرضا عليه السلام.

(٣) هو الشيخ الاعظم الشيخ مرتضى الانصاري المولود (١٢١٤) هـ والمتوفى (١٢٨١).

(٤) أي وظاهر كلام الشهيد الأول في قوله: وإن اعتقد أنّها تفعل الاثار المنسوبة اليها، والله =

الدّليل، لا لوجود المانع منه، وهو انعقاد الضرورة على خلافه، فهو ممكن غير معلوم الوقوع، ولعلّ وجهه أنّ الضّروري، عدم نسبة تلك الأفعال إلى فاعل مختار باختيار مستقل مغاير لاختيار الله تعالى، كما هو ظاهر قول المفوّضة.

أمّا استنادها إلى الفاعل بارادة الله المختار بعين مشيّته واختياره حتّى يكون كالآلة بزيادة الشعور وقيام الاختيار به بحيث يصدّق عليه أنّه فعله وفعل الله تعالى، فلا مانع عنه اذ المخالف للضرورة انكار نسبة الفعل إلى الله على وجه الحقيقة لا اثباته لغيره أيضاً بحيث يصدق أنّه فعله.

نعم ما ذكر الشهيد طاب ثراه من عدم الدّليل عليه حقّ، فالقول به تخرّص، ونسبة لفعل الله إلى غيره بلا دليل وهو قبيح ثمّ قال سلمه الله: وما ذكره قدّس سرّه كأنّ مأخذه ما في «الاحتجاج» عن هشام [1] بن الحكم قال سأل الزّنديق أبا عبدالله عليه السلام، فقال: ما تقول فيمن يزعم أنّ هذا التدبير الّذي يظهر في هذا العالم تدبير النّجوم السّبعة؟ [2] قال عليه السلام: يحتاجون إلى دليل أنّ هذا العالم الاكبر والعالم الاصغر من تدبير النّجوم الّتي تسبح في الفلك [3] وتدور حيث دارت مُتبعة، لا تفتر [4] وسائرة لا تقف، ثمّ قال: عليه السلام: وانّ كلّ نجم منها موكّل مدبّر فهي بمنزلة العبيد

= تعالى هو المؤثر الأعظم.

(١) هشام بن الحكم الكوفي الواسطي البغدادي المتوفى سنة (١٧٩) هـ.

(٢) وهي الشمس والقمر، وزحل والمرّيخ والمشتري، وعطارد والزهرة، بناء على رأي القدماء.

(٣) الفُلك (بضم الفاء وسكون اللام): جمع فلك (بفتح الفاء واللام) وهي المدارات حول الشمس.

(٤) تفتر: فعل مضارع على وزان يَقْعُدُ ويجلس أي لا تضعف.

المأمورين المنهيّين، فلو كانت قديمة ازليّة لم يتغيّر من حال إلى حال [١] الخبر .

والظّاهر أنّ قوله بمنزلة العبيد المأمورين المنهيّين يعني في حركاتهم لا أنّهم مأمورون بتدبير العالم بحركاتهم، فهي مدبّرة باختيارها المنبعث عن أمر الله.

ثمّ حكى عن المحدّث [٢] الكاشاني. أنّه قال في «الوافي» في توجيه البداء كلاماً ربما يظهر منه مخالفته للمشهور حيث قال: إعلم أنّ القوى المنطبعة الفلكيّة لم تُحط بتفاصيل ما سيقع من الأمور دفعة واحدة لعدم تناهي تلك الأمور، بل إنّما تنقش فيها الحوادث شيئاً فشيئاً، فإنّ ما يحدث في عالم الكون والفساد إنّما هو من لوازم حركات الافلاك ونتائج بركاتها، فهي تعلم أنّه كُلّما كان كذا كان كذا انتهى ما حكاه عن الكاشاني [٣].

ثمّ قال: وظاهره [٤] أنّها فاعلة بالاختيار لملزومات الحوادث، وبالجملة فكفر المعتقد بالرّبط على هذا الوجه الثاني لم يظهر من الأخبار، ومخالفتها لضرورة الدّين لم يثبت أيضاً، إذ ليس المراد العليّة التّامة كيف وقد حاول المحدّث الكاشاني بهذه المقدّمات اثبات البداء [٥].

أقول: وهو جيّد وجيه فيما ذكره من المنع عن قيام الإجماع والضرورة على نفي الحياة والقول بالتأثير في الجملة، وإن كان لا يخلو من نظر فيما ذكره في معنى الخبر حسبما سنشير اليه والى ما يرد على المحدّث الكاشاني في تفسير الآيات

---

(١) الاحتجاج ط النجف الأشرف ج ٢ ص ٧٢.

(٢) هو العالم الفاضل الكامل الحكيم المتأله محمد بن المرتضى المدعوّ بالمولى محسن القاشاني توفي سنة (١٠٩١) هـ.

(٣) الوافي: ج ١ ص ١١٢.

(٤) أي وظاهر كلام المحقّق الكاشاني.

(٥) المكاسب ج ٢ بتعليق الكلانتر ص ٣٣١ ـ ٣٤٤.

المتعلّقة بها.

ثمّ أنّ قوله ﷺ في الخبر المتقدّم بمنزلة العبيد المأمورين المنهيّين ظاهر فيما ذكرناه من الحياة والإختيار على كلا الوجهين في معنى الخبر فلا تغفل، فقد ظهر ممّا مرّ أنّه ليس لهم الإستناد في نفي الحياة إلى الإجماع والضّرورة وأمّا الوجوه الّتي ربما يحكى عن المتكلّمين فهي بمكان من الضّعف والقصور، ولذا قال السيّد المرتضى [1] في أجوبة [2] المسائل السلارية أنّه قد سطر المتكلّمون طرقاً كثيرة في أنّ النجوم ليست بحيّة ولا قادرة، اكثرها معترض، وأشفّ ما قيل في ذلك أنّ الحياة معلوم أنّ الحرارة الشّديدة كحرارة النّار تفنيها ولا تثبت معها، ومعلوم أنّ حرارة الشّمس أشدّ وأقوى من حرارة النّار بكثير، لأنّ الّذي يصل إلينا على بعد المسافة من حرارة الشّمس بشعاعها يماثل أو يزيد على حرارة النّار ولما كان بهذه الصّفة من الحرارة يستحيل كونه حيّاً.

أقول: وهو كما ترى، ثمّ لا يخفى أنّ شيخنا المجلسي طاب ثراه قد صرّح في موضع آخر بأنّ للاشياء كلّها شعوراً واختياراً وتسبيحاً إراديّاً حملاً للآيات والاخبار النّاطقة بذلك على ظاهرها، وقد مرّت حكاية عبارته، فاعتراضه في المقام على شيخنا البهائي طاب ثراه لا يخلو من غرابة، سيّما مع ما ربّما يوهمه كلامه من التعريض عليه أو على غيره.

---

(١) هو علي بن الحسين بن موسى بن محمد بن موسى بن ابراهيم الامام موسى الكاظم عليه السلام توفى لخمس بقين من ربيع الاول سنة (٤٣٦) هـ.

(٢) كتاب في المسائل التي سألها عن السيّد المرتضى تلميذه حمزة بن عبدالعزيز الديلمي أبو يعلى سلّار المتوفى (٤٦٣) هـ.

مركز تحقيقات كامپيوتری علوم اسلامی

ثمّ أنّ ما ذكره شيخنا التّستري دام عُلاه في تحقيق الفاعليّة بقسميه والمنع من أحدهما دون الآخر لعلّه ينفعك في تقريب ما مرّت الاشارة إليه من معنى وساطة النّبي وآله الطّاهرين صلّى الله عليهم أجمعين للفيوض الالهية وبابيّتهم وشفاعتهم وانّه غير التفويض الّذي تقول بكفر معتقده حسبما مر غير مرّة.

﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ لمّا وصف نفسه بكمال القدرة والاستيلاء قرن ذلك بكمال العلم ليعلم وقوع الفعل منه على النمط الأتقن والوجه الأحسن، فانّ القادر العالم بوجوه الصّنع وهندسة المقادير لا يختار في فعله بالحكمة البالغة إلّا الاكمل الأجمل، وهذا من الاستدلال بالعلّة على المعلول، ويحتمل العكس تنبيهاً على أنّ من كان فعله على هذا النظم العجيب والنّسق البديع مع اتّصال الإمداد وسيلان الفيض منه عليه الموجب لبقائه بقيّوميّته المطلقة فهو متّصف بكمال العلم بجميع ما في الإمكان والأكوان، فانّ إتقان الافعال وإحكامها واختيار الوجه الأحسن الأتقن فيها أدلّ دليل على العلم والحكمة.

وفيه تهديد شديد على من قابل الإحسان بالكفران حيث ختم به الإمتنان عليهم بخلق أنفسهم والتفضل عليهم بما فيه حياتهم في العاجل والآجل بعد توبيخهم على كفرهم في صدر الآية السابقة فكأنّه هدّدهم بأنّ عاقبتهم السّوى لعلمه بقبح فعالهم وسوء مقالهم ونظيره قوله: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾[1].

---

(١) التوبة: ٩٤.

ومن هنا ينقدح أنّ فيها إشارة إلى دفع الشبهة المختلجة في صدورهم الجارية على ألسنتهم من أنّ الابدان بعد ما تفتّتت وتفرّقت أجزاؤها وتمزّقت كلّ ممزّق واتّصلت أجزاؤها البسيطة بما يشاكلها في مراكزها وعادت إلى ما منه بدأت عود ممازجة لا عود مجاورة، فكيف يجمع أجزاء كلّ بدن مرّة ثانية بحيث لا يشذ منها شيء ولا ينضمّ اليها غيرها، فأجاب بأنّه سهل يسير لمن له القدرة الكليّة والإحاطة العلميّة كما في قوله: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾[1]، وقوله: ﴿يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾[2] وذلك بعد ما أشار في الآية السّابقة إلى أنّ مواد الابدان قابلة للجمع والتفريق والحياة بعد الموت، وأنّ القادر على انشائها أوّل مرّة قادر على احيائها في الآخرة، فصحّ دلالة الآيتين على صحّة الحشر.

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامى

وقد ظهر ممّا مرّ وجه التعبير بصيغة الفعيل دون الفاعل، ولذا قال سيبويه[3]: إذا ارادوا المبالغة عدلوا إلى فعيل نحو عليم وحكيم، وقد سكّن نافع[4] من طريق قالون[5]، وأبو عمرو[6]، والكسائي[7] الهاء في نحو (فَهْو) و (وَهْوَ) تشبيهاً له بعَضُد،

(١) يس: ٧٩.

(٢) لقمان: ١٦.

(٣) هو عمرو بن عثمان الفارسي البيضاوي الفارسي النحوي المتوفى (١٨٠) هـ.

(٤) نافع بن عبدالرحمن بن أبي نعيم أبو رويم المدني المتوفى (١٦٩) أحد القرّاء السبعة.

(٥) هو عيسى بن مينا بن وردان الملقب بقالون قاريء المدينة توفي سنة (٢٢٠) هـ.

(٦) هو زبان بن العلاء بن عمار ابو عمرو البصري المتوفى (١٥٤) أحد القراء السبعة.

(٧) هو ابو الحسن علي بن حمزة الكوفي المقريء النحوي (المتوفى (١٧٩) أحد القراء السبعة.

وفي نحو (فهي) و(هي) تشبيهاً له بكَتِف، تنزيلاً للأوائل منزلة الأواسط، حيث جعلوا الواو والفاء كأنّهما من نفس الكلمة، وهي لغة فصيحة.

تفسير الآية ﴿٣٠﴾

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾

شروع في ذكر بدء خلق آدم وكيفية تكريم الله تعالى له قبل ظهوره في هذا العالم، حيث بشّر به ملائكته ونوّه باسمه وأهّلَه للخلافة الكليّة، وأودعه علمه وحكمته، والنور الذي هو السبب الكلّي لإيجاده وتكريمه وأمره بسجود ملائكته له، وغير ذلك ممّا يأتي، وذلك النور هو نور نبيّنا ﷺ والأئمة الطّاهرين صلّى الله عليهم أجمعين، فالآية إشارة إلى مننه التي لا تحصى ولا تستقصى عليه وعلى ذريّته الطيّبين صلوات الله عليهم أجمعين، حيث إنّه سبحانه آتاه ما لم يؤتِ أحداً من العالمين، ثمّ على خصوص هذه الأمّة المرحومة الذين هم شيعتهم ومحبّوهم حيث خلقهم الله تعالى من فاضل طينتهم، وعجنهم بماء ولايتهم، ثم على عموم بني آدم حيث خصّهم بهذه النّعمة العظمى من بين أهل العالم، فانّه من أدلّ الدلائل على عناية الباري سبحانه بشأن هذا النوع.

و﴿إِذْ﴾ في الأصل ظرف للزمن الماضي، واستعماله للاستقبال في نحو ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾[1] قليل، أو مؤوّل، وتلزمه الإضافة إلى الجمل، فأشبه الحروف بافتقاره الأصلي، ثمّ أنّه قد يخرج عن الظرفيّة المحضة لكثرة دوره في

---

(١) الزلزال : ٤.

الكلام، فيستعمل للتّعليل للمناسبة بينه وبين الظرف، وقد يحذف عامله نحو ﴿وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ﴾ (١) أي وإذ لم يهتدوا ظهر عنادهم، ثمّ توسّعوا فيه باستعماله بمعنى الوقت مطلقاً، فنصبوه على المفعول به بتقدير اذكر، كما في الآية وفي كثير من أوائل القصص، أو على البداية كقوله ﴿اذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنبِيَاء﴾(٢) وخفضوه باضافة الأزمنة خاصّة إليه، في نحو حينئذ ويومئذ، و ﴿بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾(٣).

وأمّا رفعه بالفاعليّة ونحوها فالجمهور على عدم جوازه، حسبما يحكى عنهم لكن الأظهر وفاقاً لكثير ممّن تأخّر جوازه، ولذا وجّه الزّمخشري(٤) قراءة بعضهم ﴿لَقَدْ مَنَّ اللّهُ عَلَى الْمُؤمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً﴾(٥) بكونه في محلّ الرّفع على الابتداء حملاً له على إذا في قولهم: أخطب ما يكون الأمير اذا كان قائماً(٦) للتّسوية بين المبتدأ والخبر، ولا غرابة في ذلك بعد مساعدة القليل، وهو اتّفاقهم على التّصرف والخروج عن الظّرفيّة، ومن هنا يظهر أنّه لا يحتاج إلى سماع خاصّ، فلا يقدح فيه عدم التصريح به، ولعلّ فيما يأتي من عبارة الإمام ﷺ دلالة على ما اخترناه فلاحظ، والتزام ظرفيّته دائماً حتّى في مثل المقام تكلف جدّاً، بل قيل: إنّه وهم فاحش، لاقتضائه حينئذ الأمر بالذكر في الوقت الذي قد مضى مع أنّ امتثال الأمر في الحال أو الاستقبال، بل من البيّن أنّ المراد في مثل المقام ذكر الوقت نفسه

---

(١) الاحقاف: ١١.

(٢) المائدة: ٢٠.

(٣) آل عمران: ٨.

(٤) هو ابو القاسم محمود بن عمر بن محمد الخوارزمي المعتزلي المتوفى (٥٣٨) هـ.

(٥) آل عمران: ١٦٤.

(٦) الكشاف ج ١ص ٤٧٧ ط بيروت دار الفكر.

لا الذكر في الوقت.

وجعله ظرفاً للحادث المحذوف، كما توهمه البيضاوي[١] بأن يكون التقدير واذكر الحادث، إذ قال ربّك، مع كونه خلاف المنساق عن السّياق واشتماله على التكلّف الظّاهر مردود بأولويّة المجاز من الإضمار.

وأوهن من الجميع القول بكونه زائداً في مثل المقام كما عن أبي عبيدة[٢] وغيره.

وعامله في الآية اذكر على أن يكون مفعولاً به له، لا على ما قيل من التأويل، وتكون الجملة عطفاً على قوله:﴿وَبَشِّرِ﴾[٣] من عطف القصّة على القصّة، من غير التفات إلى ما فيها من الجمل إنشاءاً وإخباراً، والمتخلل من تمام القصّة، أو جار مجرى الاعتراض، وعطفاً على فتدبّر، ونحوه مقدراً بعد قوله: وهو بكلّ شيء عليم، كأنّه قال بعد تعداد النعم والاستدلال بالعلّة على المعلول، أو العكس على ما تقدم فتدبر ذلك واذكر.

ويحتمل أن يكون الفاعل فيه قوله في هذه الآية: ﴿قَالُوا﴾، فيكون على حقيقة الظرفيّة، والمعنى قالت الملائكة إذ قال ربّك لهم إنّي جاعل في الأرض خليفة: أتجعل، وإن يكون ظرفاً لمضمر دل عليه مضمون الآية المتقدمة مثل: وبدأ خلقكم.

---

(١) هو القاضي ناصر الدين عبدالله بن عمر بن محمد بن علي الفارسي الاشعري الشافعي توفي بتبريز سنة (٦٨٥) هـ ـ الكنى والالقاب ج ٢ ص ١٠٠.

(٢) هو أبو عبيدة معمر بن المثنى البصري النحوي اللغوي المتوفى (٢٠٩) أو ٢١١.

(٣) سورة البقرة: ٢٥.

لكن في تفسير الإمام عليه السلام ما يستفاد منه كونه ظرفاً لقوله: ﴿خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ﴾ حيث قال عليه السلام: لمّا قيل لهم: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً﴾[1] قالوا: متى كان هذا؟ قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ﴾: إبداعي هذا الخلق: ﴿لَكُم ما فِي الأَرْضِ جَمِيعاً﴾ حين قال ربّك[2].

بناءً على أحد الوجهين فيه، والوجه الآخر خروجه عن الظّرفية بكونه خبراً عن قوله ابداعي، ولذا عبّر عنه بلفظ حين وجعله مسنداً، ولعلّ المراد أنّهم لما سألوا عن الوقت أجيبوا بأنّه حيث لم يكن لكم وجود، ولا قوّة اعانةٍ له في خلق معايشكم، ولا لسان سؤال منه بل كان حين التفضل عليكم بالإخبار من إرادة خلق أبيكم وتكريمه بكذا وكذا. فالظّرف هو الزمان الممتد قبل خلق آدم، وإن كان خلق ما في الأرض في طرف منه، والقول في آخر تنبيهاً على أنّه هو المبتدء بالنعم قبل الاستحقاق وقبل وجود المستحق.

والقول موضوع لحكاية لفظ أو فعل أو حال باللّفظ الدّال عليه. وقد يعمّ في الحكاية كالمحكي بناءً على التوسعة فيه عمّا وضع له في اصل اللغة. ويقال: قال بيده أي أشار، وهو منه تعالى بما يفيد الإفهام من وحي أو إلهام أو خلق صوت وكلام، أو نصب دليل على المرام.

وقد مرّت الاشارة إلى معاني الرّب في الفاتحة والأنسب منها في المقام هو المربيّ بايصال الفيوض والمتفضل بالإمدادات الظاهرة والباطنة مع دفع العوائق إلى أن يصل إلى الكمال اللائق، وأضافته إلى ضمير الخطاب المكنى به عن النبي صلى الله عليه وآله للاشارة إلى أنه هو المقصود الاصلي والسبب الكلّي في خلق آدم وانّ ذلك من تمام

---

(١) البقرة: ٢٩.

(٢) تفسير المنسوب الى الإمام العسكري عليه السلام، نقل عنه تفسير البرهان ج ١ ص [illegible]

تربيته وارادة ظهوره في هذا العالم، فانّه كالثمرة المقصودة من هذه الشجرة، والتنبيه على أنّه ﷺ كان مقيماً على حدّ العبوديّة متمكناً في مقام الشهود الدائم، ولذا شافهه كفاحاً.

والملائكة جمع ملك، وأصله ملأك، بل قيل: أنّه لا خلاف في ذلك وقد جاء الأصل في نحو.

ولست لإنسِيّ ولكن لمَلأكٍ تنزل من جوّ السّماء يصوب

وانّما اختلفوا في ملأك فعن الكسائي وابن السكيت[١] واللّيث[٢] أصله مألك بتقديم الهمزة من الالوك، وهي الرسالة، ثمّ قلبت بتقديم اللام، ثمّ تركت همزته لكثرة الاستعمال، فلما جمعوه ردّوها إليه فقالوا ملائكة وملائك أيضاً، وعن أبي عبيدة أنّه فعل من لاك اذا أرسل، قال في القاموس: الملأك والملأكة الرسالة وألِكْني إلى فلان أبلغه عني، اصله التكني، حذفت الهمزة وألقيت حركتها على ما قبلها، والملأك الملك، لأنّه يبلغ عن الله تعالى ووزنه مفعلُ والعين محذوفة، والزمت التخفيف إلّا شاذاً، وهذا لسلامته من القلب سيّما مع شيوع استعماله أجود من الأوّل، وتوهم ضعفه مدفوع بثبوت النقل والاستعمال، مع أنّه المحكي عن ابن الانباري[٣] وابن

---

(١) ابن السكيت (بكسر السين وتشديد الكاف): أبو يوسف يعقوب بن اسحاق الدورقي الاهوازي النحوي اللغوي المقتول بامر المتوكل سنة (٢٤٤) هـ.
الكنى والالقاب: ج ١ ص ٣١٤.

(٢) الليث بن خالد أبو الحارث البغدادي المقريء من جلّة أصحاب الكسائي توفي سنة (٢٤٠) هـ. غاية النهاية: ج ٢ ص ٣٤.

(٣) هو ابو بكر محمد بن القاسم بن محمد بن بشار اللغوي النحوي الاديب المتوفى (٣٠٤) أو ٣٠٥.

الهيثم[١] وغيرهما، فلا ينبغي التّأمل في ثبوته لعدم نصّ الجوهري[٢] وغيره وعن ابن كيسان [٣] أنّه من ملك لدوران المادّة مع القوّة والشدة يقال: ملكت العجين أي شددت عجنه، وملّك النبعة، وهي اسم شجرة صلّبها وذلك اذا يبّسها في الشمس مع قشرها، وملكت بالطعنة كفي أي شددت، ومعنى القوة ظاهر في المالك والملك وما تصرّف منهما، ومنه ملك الدابة بضمّ الميم واللام لقوائمها، وملك الطريق بالتثليث لمعظمه ، بل قد يرجح هذا على الأوّلين بأنّ معنى الشدّة والقوّة يعمّ جميع الملائكة، وناهيك في ذلك قوله تعالى: ﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾[٤]، وأيّ قوّة أعظم من ذلك وأنّه سبحانه جعلهم وسائط جلّ أو كلّ ما يظهره في هذا العالم ببديع حكمته وباهر قدرته من الفيوض التكوينيّة والاحكام التشريعية.

وأمّا الرسالة فلقوله تعالى : ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ﴾[٥] .

وأما قوله ﴿جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلاً﴾[٦] فمخصص جمعاً بل وضرورة إلّا مع التجوّز في معنى الرسالة، ويشكل حينئذ بجمعه هذا الجمع إلّا باعتبار أصله الذي هو ملأك على أن الهمزة مزيدة فيجمع على ملائك كشمأل وشمائل، وأمّا الحاق التاء فقيل: إنّه لتأكيد تأنيث الجماعة، وأوسط الاقوال أوسطها لسلامته من القلب

---

(١) هو داود بن الهيثم بن اسحاق ابو سعيد التنوخي الانباري اللغوي النحوي المتوفى (٣١٦).

(٢) الجوهري: ابو نصر اسماعيل بن حمّاد الفارابي، المتوفى سنة (٣٩٣) هـ على الأشهر.

(٣) هو ابو الحسن محمد بن احمد بن ابراهيم بن كيسان البغدادي النحوي المتوفى (٢٩٩) هـ

(٤) الأنبياء: ٢٠.

(٥) الحجّ: ٧٥.

(٦) فاطر: ١.

وقلّة البناء على فعأل فلا يرتكب مثله إلّا لظهور الاشتقاق كما في شمأل، مضافاً إلى ظهور المناسبة، وعدم اطّرادها على فرضه غير قادح.

والمراد بهم هذا الخلق المعروف الذين هم أجسام نورانية على ما تأتي اليها الاشارة، والجعل إمّا بمعنى الخلق أو بمعنى الصيرورة، فله مفعولان دخل على المبتدأ والخبر، «في الأرض خليفة» عمل جاعل فيهما لكونه بمعنى الاستقبال معتمداً على المسند اليه، وهو ضمير المتكلم في أنّي، و«الخليفة» فعيلة من إستخلف في الأمر مكان من قبله فكأنّه خلف غيره وقام مقامه، كما أن الامام مأخوذ من الامّ الذي هو القصد، أو من الامام لتقدمه فهو المتقدّم الذي يقتدى به، وزيدت الهاء للمبالغة.

والمراد به خصوص آدم لأنه كان خليفة الله في أرضه في عمارة الارض ونشر الشرايع والأحكام وتكميل الانام وسياستهم وتنفيذ أمره فيهم.

أو لأنه خليفة من سكن الأرض قبله من الملائكة حيث كانوا يعبدون الله في الأرض فلما قال لهم: إنّي جاعل في الارض خليفة بدلاً منكم ورافعكم منها اشتدّ ذلك عليهم لانّ العبادة عند رجوعهم الى السماء تكون أثقل عليهم، كما في تفسير الإمام عليه السلام [1].

أو من بني الجان والنسناس وغيرهم ممّن سكن الارض واشتغل بالسفك والافساد فأكلوا رزقه وعبدوا غيره.

وأنّ المراد به هو الخاتم لاختصاصه بالخلافة الكليّة المحمّدية ولذا نكره تعظيماً له وتفخيماً لشأنه.

---

(١) تفسير البرهان ج ١ ص ٧٣ عن تفسير الامام العسكري عليه السلام.

أو كلّ نبيّ أو الحجّة بعد الحجّة في كلّ زمان حيث إنّ الارض لا تخلوا في كلّ زمان من حجة معصوم أو آدم وذريّته، وستسمع تفصيل الكلام فيه، وإفراد اللفظ على بعض الوجوه ظاهر للوحدة الشخصيّة أو الوجوديّة في كلّ عصر وعلى غيره فعلى تأويل من يخلف أو خلقا يخلف، أو للاستغناء بذكر الأب الجسماني أو الروحاني عن ذكر نبيّه، كما استغنى بذكر أبي القبيلة في قولهم : هاشم، ولؤيّ، ومضر، على أنّه قد يقال بمعنى فاعلة إسم يصلح للواحد والجمع والمذكر والمؤنث .

وقُرأ خليقة بالقاف وهو في الاصل مصدر يطلق على الخلائق يقال هم خليقة الله وهم خلق الله وعلى الطبيعة لاختصاص هذا النوع بطبيعة لا يشاركه فيها شيء من الخلق وإن شارك الكلّ في طبائعهم في الجملة، والتاء...باعتبار تعدد الموصوف أو تأنيثه، فانّه قد استعمل بمعنى المفعول.

والمراد بالارض تمام البسيط من البراري والبحار، فانّ للانسان الخلافة في الجميع ﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ [1] وكذا تمام الجهات الأربعة من الشرق والغرب والشمال والجنوب لظاهر الآية وتحقق الدّحو قبل الخطاب.

وأما ما رُوي من طرق العامة عن النّبي ﷺ أنّه قال : دحيت الأرض من مكّة وكانت الملائكة تطوف بالبيت وهي أوّل من طاف بها، وهي الأرض التي قال الله تعالى ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [2] فضعيف سنداً، ولو صحّ فلعلّ تخصيص أرض مكّة بالذكر لتبعيّة غيرها لها خلقاً وشرفاً، فلعلّه اشارة إلى أن المقصود من

---

(١) يونس : ٢٢.

(٢) تفسير الفخر الرازي ج ٢ ص ١٦٥ رواه عن عبدالرحمن بن سابط، عن النبي وعبدالرحمن توفي سنة (١١٨) فخبره مرسل.

تلك الخلافة بل من خلق آدم وغيره هو الخلافة الكليّة الثابتة لنبيّنا ﷺ، حيث إنّه بعث في الاميّين لينذر أمّ القرى ومن حولها، فكما أنّ الأرض دُحيت من مكة، فكذلك أعلام العلم والهداية تشرّف منها، ولعلّ هذا هو السرّ في إعلام الملائكة بخلق آدم الذي هو طليعة ظهور الخاتم الذي هو علّة وجود العالم، لأنّه المخاطب بقوله: «لولاك لما خلقت الافلاك» [1] ففي الإبشار بوجوده قبل خلقه واستحقاقه الخلافة الالهيّة وجامعيّة المطلقة، سيّما مع إزاحة ما ربما يختلج في صدورهم من الشك في فضله أو التّرديد في سببه اشاراتٌ إلى تعظيمه وتكريمه واظهار لفضله الرّاجح على ما فيه من المفاسد، سيّما مع كونه مستودعاً للأنوار الالهيّة والاشباح القدسيّة التي هي أنوار الأئمة عليهم السلام.

بقي الكلام في أمور: أحدها أنّه لا خلاف بين الملّيين القائلين بحدوث العالم في تأخر خلقة آدم عن هذا العالم الجسماني، واختلفوا في قدر تأخّره، كما أنّهم قد إختلفوا في قدر بقائه فالاحكاميون منهم بنوا ذلك على ما إصطلحوا عليه من حساب الأدوار، وذلك انّهم أجمعوا على أن الكواكب السبع السيّارة كانت في بدو خلق العالم مجتمعةً مقترنةً في أوّل نقطة برج الحمل وانّ أوجاتها وجوزَهريّتها كانت مقترنة معها في أوّل دقيقة من الحمل، بل وكذا الثوابت على رأي المتأخرين الذين ذهبوا إلى أنّ لها حركة بطيئة، وتنقسم الأدوار عندهم إلى أدوار الالوف وادوار الفصول، وللاول أقسام أربعة: أعظم واكبر وأوسط وأصغر، ولكلّ منها تيسير وانتهاء، ولهم في ذلك كلام طويل لا طائل تحت التعرض له، وزعموا أن مقدار عمر

---

(١) بحار الانوار ج ١٦ ص ٤٠٦ عن المناقب لابن شهرآشوب.

الدّنيا هو ما بين القِران الكلي للسّبع في دقيقة أوّل الحمل إلى قِران آخر مثله، فاعتمدوا في معظم الحوادث على القِرانات الكليّة، سيّما التي بين العلويين إلى غير ذلك من هذياناتهم التي لا ينبغي الإصغاء اليها، وذكر بعضهم في تاريخ صنّفه في سنة تسعمائة واحدى وأربعين من الهجرة النّبوية أنّه قد انقضى من حركة الافلاك والكواكب ثمان مائة وستّ عشر ألف سنة وثلاثمائة واثنان وثمانون سنة، ومن أوّل أيّام العالم الذي هو عبارة عن اجتماع السبع السيّارة في أوّل نقطة من الحمل وهو المسمّى عندهم بالقران السباعي مائة وأربع وثمانون ألف سنة وستمائة واثنان وسبعون سنة، ومن خلقة الجنّ والشياطين ستّ وستون ألف سنة وتسعمائة وأربع وعشرون سنة، ومن كتابة الصخرة أربعون ألف سنة واربع وثلاثون سنة، ومن بناء هرمان بمصر ثلاثة عشر الف سنة وستمائة وثلاث وأربعون ألف سنة.

ومن هبوط آدم على نبيّنا وآله وعليه السلام سبعة الاف سنة ومائة واربع سنين، إلى آخر ما ذكره.

وليت شعري من أين قدّر هذه الاوقات، ثمّ إنّ المشهور أنّ بناء الهرمين كان بعد الهبوط وان بانيه كان من بني أبينا آدم أبي البشر، وإن اختلفوا في بانيها على أقوال قال في القاموس: الهرَمَان بالتحريك بناءآن أوّليان بناهما إدريس عليه السلام لحفظ العلوم فيهما عن الطّوفان، أو بناء سنان بن المشلشل أو بناء الأوائل لمّا علموا بالطوفان من جهة النجوم، وفيهما كلّ طبّ وطلسم وهنالك أهرام صغار كثيرة انتهى.

ولعلّ توّهم تقدّمه على الهبوط مبنيّ على ما اشتهر في الألسنة أو وجد مكتوباً هناك، أو في موضع آخر من أنّه بنى الهرمين والنّسر طائر في السرطان،

وعدّه في «تحفة العالم» حديثاً وهو وهم.

وبالجملة فأقوالهم في ذلك على إختلافها لا عبرة بشيء منها لفقد الحجّة عليها، وأمّا الأخبار فهي مختلفة أيضاً ففي «المشارق» وغيره أنّه سُئِل مولانا أمير المؤمنين عليه السلام عن عمر الدنيا فقال عليه السلام يقال سبعة آلاف ثمّ لا تحديد[1].

ولعلّ المراد أنّ تلك المدّة المذكورة كانت من آدم إلى الخاتم، كما لعلّه يؤميء اليه خبر أبي لبيد[2] المتقدّم في تفسير «ألم» وأمّا نفي التحديد فمن مبعث النبيّ صلى الله عليه وآله إلى قيام السّاعة.

وفي «جامع الاخبار» عن النّبي صلى الله عليه وآله أنّ موسى عليه السلام سأل ربّه عزّ وجلّ أن يعرفه بدء الدّنيا منذ كم خلقت؟ فاوحى الله تعالى إلى موسى تسألني عن غوامض علمي؟ فقال : يا ربّ أحبّ أن أعلم ذلك، فقال: يا موسى خلقت الدّنيا منذ مائة ألف الف عام عشر مرّات [3]، الخبر على ما مرّ مع اخبار أخر في تفسير قوله ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

وروى العياشي عن عيسى بن أبي حمزة قال: قال رجل لابي عبدالله عليه السلام جعلت فداك إنّ الناس يزعمون أنّ الدنيا عمرها عشرة آلاف سنة فقال ليس كما يقولون، إنّ الله خلق لها خمسين ألف عام فتركها قاعاً قفراً، خاوية عشرة آلاف، ثمّ بدا لله بداء فخلق فيها خلقاً ليس من الجنّ ولا من الملائكة ولا من الانس، وقدّر لهم عشرة آلاف عام فلمّا قربت آجالهم أفسدوا فيها فدمّر الله عليهم تدميراً ثمّ تركها

---

(١) بحار الانوار ج ١٠ ص ١٢٧ عن ارشاد القلوب ج ٢ ص ١٨٦ ـ ١٨٧.

(٢) البحار ج ٥٢ ص ١٠٦ وابو لبيد هو البحراني الهجري المخزومي من أصحاب الباقر عليه السلام.

(٣) البحار: ج ٥٧ ص ٣٣١ عن جامع الاخبار.

خاوية عشرة آلاف عام ثمّ خلق فيها وقدّر لهم عشرة آلاف عام فلمّا قربت افسدوا فيها وسفكوا الدّماء وهو قول الملائكة: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ كما سفكت بنو الجان، فاهلكهم الله تعالى ثمّ بدا لله فخلق آدم وقدّر له عشرة آلاف، وقد مضى من ذلك سبعة. الا‌ف عام ومائتان وأنتم في آخر الزمان[1].

وفي «الخصال» و«المعاني» عن أمير المؤمنين ﷺ قال: إنّ الله تبارك وتعالى خلق نور محمّد ﷺ قبل أن يخلق السّموات والأرض والعرش والكرسي واللّوح والقلم والجنّة والنّار وقبل أنّ يخلق آدم ونوحاً وابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب وموسى وعيسى وداود وسليمان وقبل أن يخلق الأنبياء كلّهم باربعمائة ألف سنة وأربع وعشرين ألف سنة[2].

وفي الاختصاص عنهم ﷺ: أنّ الله خلقنا قبل الخلق بالفي الف عام فسبّحنا فسبّحت الملائكة بتسبيحنا[3]. الخبر.

وفي البحار: عن أبي الحسن البكري[4] استاذ الشهيد الثاني في كتاب الانوار عن مولانا أمير المؤمنين ﷺ أنّه قال كان الله ولا شيء معه. فأوّل ما خلق نور حبيبه محمّد ﷺ قبل خلق الماء والعرش والكرسي والسماوات والارض واللّوح والقلم والجنّة والنّار والملائكة وآدم وحوّاء باربعة وعشرين واربعمائة الف عام، فلمّا خلق الله تعالى نور نبيّنا محمّد ﷺ بقى ألف عام بين يدي الله ﷻ واقفاً يسبّحه ويحمده،

(١) تفسير العياشي ج ١ ص ٣١ وعنه تفسير البرهان ج ١ ص ٥٧.

(٢) بحار الأنوار: ج ٥٧ ص ١٧٥.

(٣) بحار الانوار: ج ٢٥ ص ١ ح ٢ عن الاختصاص.

(٤) هو الشيخ الجليل أحمد بن عبدالله بن محمد البكري صاحب كتاب الانوار في مولد النبي ﷺ، وكتب أخر، توفي سنة (٩٥٣) هـ بمصر ودفن جنب قبر الشافعي وبنوا عليه قبّة عظيمة.

والحق تبارك وتعالى ينظر اليه ويقول: يا عبدي أنت المراد والمريد، وأنت خيرتي من خلقي، وعزتي وجلالي لولاك ما خلقت الافلاك، من أحبّك أحببته ومن أبغضك أبغضته، فتلألأ نوره وارتفع شعاعه فخلق الله تعالى منه إثني عشر حجاباً أوّلها حجاب القدرة، ثمّ حجاب العظمة، ثمّ حجاب العزّة، ثمّ حجاب الهيبة، ثمّ حجاب الجبروت، ثمّ حجاب الرّحمة، ثمّ حجاب النبوة، ثمّ حجاب الكبرياء، وفي بعض النّسخ الكرامة، ثمّ حجاب المنزلة، ثمّ حجاب الرفعة، ثمّ حجاب السعادة، ثمّ حجاب الشفاعة، ثمّ إنّ الله تعالى أمر نور رسول الله ﷺ أن يدخل في حجاب القدرة فدخل وهو يقول سبحان العليّ الاعلى، وبقي على ذلك إثني عشر الف عام، ثمّ أمره أن يدخل في حجاب العظمة فدخل وهو يقول: سبحان عالم السرّ واخفى أحد عشر الف عام، ثمّ دخل في حجاب العزّة وهو يقول: سبحان الملك المنّان عشرة آلاف عام، ثمّ دخل في حجاب الهيبة وهو يقول: سبحان من هو غنيّ لا يفتقر تسعة آلاف عام، ثمّ دخل في حجاب الجبروت وهو يقول: سبحان الكريم الاكرم ثمانية آلاف عام، ثمّ دخل في حجاب الرّحمة وهو يقول: سبحان ربّ العرش العظيم سبعة آلاف عام، ثمّ دخل في حجاب النبوّة وهو يقول: سبحان ربّك ربّ العزّة عمّا يصفون ستة آلاف عام، ثمّ دخل في حجاب الكبرياء وهو يقول: سبحان العظيم الاعظم خمسة آلاف عام، ثمّ دخل في حجاب المنزلة وهو يقول: سبحان العليم الكريم، أربعة آلاف عام، ثمّ دخل في حجاب الرفعة وهو يقول: سبحان ذي الملك والملكوت ثلاثة آلاف عام، ثمّ دخل في حجاب السّعادة وهو يقول: سبحان من يزيل الأشياء ولا يزول الفي عام، ثمّ دخل في حجاب الشفاعة وهو يقول سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم الف عام، قال الامام عليّ بن أبي طالب ؑ : ثمّ انّ الله تعالى خلق من نور محمّد ﷺ عشرين بحراً من نور، في كلّ بحر علوم لا يعلمها إلّا الله تعالى، ثمّ قال لنور محمّد ﷺ : أنزل في بحر العزّ فنزل،

ثمّ في بحر الصبر، ثمّ في بحر الخشوع، ثمّ في بحر التواضع، ثمّ في بحر الرضا، ثمّ في بحر الوفاء، ثمّ في بحر العلم، ثمّ في بحر التقى، ثمّ في بحر الخشية، ثمّ في بحر الإنابة، ثمّ في بحر العمل، ثمّ في بحر المزيد، ثمّ في بحر الهدى، ثمّ في بحر الصيّانة، ثمّ في بحر الحياء، حتّى تقلب في عشرين بحراً، فلمّا خرج من آخر الأبحر قال الله تعالى: يا حبيبي وسيّد رسلي ويا أوّل مخلوقاتي ويا آخر رسلي أنت الشّفيع يوم المحشر، فخرّ النور ساجداً ثمّ قام فقطرت منه قطرات كان عددها مائة الف وأربعة وعشرين الف قطرة، فخلق الله تعالى من كلّ قطرة من نوره نبيّاً من الانبياء، فلمّا تكاملت الانوار صارت تطوف حول نور محمّد ﷺ كما تطوف الحجّاج حول بيت الله الحرام، وهم يسبّحون الله ويحمدونه ويقولون: سبحان من هو عالم لا يجهل، سبحان من هو حليم لا يعجل، سبحان من هو غنيّ لا يفتقر، فناداهم الله تعالى: تعرفون من أنا؟ فسبق نور محمّد ﷺ قبل الأنوار ونادى: أنت الله لا إله إلّا أنت وحدك لا شريك لك، ربّ الارباب وملك الملوك، فاذا بالنداء من قبل الحق أنت صفيّي وأنت حبيبي وخير خلقي، أمّتك خير أمّة أخرجت للنّاس ثمّ خلق من نور محمّد ﷺ جوهرة، وقسّمها قسمين: فنظر الى القسم الأوّل بعين الهيبة فصار ماء عذباً، ونظر إلى القسم الثاني بعين الشفقة فخلق منه العرش فاستوى على وجه الماء، فخلق الكرسي من نور العرش، وخلق من نور الكرسي اللّوح، وخلق من نور اللوح القلم الى آخر الخبر(١).

وبالجملة فالأخبار الدالّة على بدو العالم ومقدار كينونته مختلفةٌ جدّاً بحيث لا يمكن الجمع بينها إلّا بالتأويلات البعيدة الّتي لا داعي إلى ارتكابها في المقام، بل الأولى ردّ علمه إلى أهله.

---

(١) بحار الانوار: ج ٥٧ ص ١٩٨ـ ٢٠٠.

ثمّ أنّ لغير الملّيّن أيضاً مقالات في ذلك وأكثرهم على القدم بل على إنكار آدم أبي البشر، حيث زعموا أنّه لا أوّل لنوع البشر بل ولا لغيرهم من الانواع المتوالدة كما هو المحكي عن الفلاسفة. وأمّا الهنود والبراهمة فاكثرهم على نفي الأفلاك واستقلال الكواكب سيّما السيّارة وخصوصاً الشمس في الآثار الواقعة وايجاد الكينونات الحادثة وزعموا أنّه تعالى خلقها وفوّض اليها تدبير العالم واختفى هو في الملأ الاعلى وربّما يظهر لبعض المصالح في صور بعض الحيوانات واكثر ما يظهر في صورة البقر، ولذا يبالغون في تكريمه وإعظامه، ولهم غلوّ في القول بالحلول والتّناسخ وإنكار المعاد، وقالوا: إنّ العالم ليس له أوّل ولا آخر، ولا يزال يدور بين أدوار أربعة فالامتداد للدّور الأوّل ألف ألف سنة وسبعمائة ألف سنة وعشرون ألف سنة، وللدّور الثّاني ألف ألف سنة ومائتا ألف سنة وتسعون ألف سنة، وللدّور الثالث ثمانمائة ألف سنة وأربعة وستّون ألف سنة، وللرّابع أربعمائة ألف سنة واثنان وثلاثون ألف سنة. وزعموا أنّه قد مضى من الدّورة الرابعة مايقرب من خمسة آلاف سنة، وانّه اذا إنقضت الأدوار فلابدّ أن ينقلب العالم ويفنى أهله، ثمّ يبتدء من الدّور الأوّل أيضاً من دون فصل، وزعموا أنّه قد كانت الأعمار الطّبيعيّة لنوع البشر في الدّورة الأولى مائة ألف سنة، وفي الثانية عشرة آلاف سنة، وفي الثالثة ألف سنة، وأنّه كان آدم ونوح في أواخر تلك الدّورة، وفي الرابعة مائة وعشرين سنة.

وحكى شيخنا المجلسي عن الهنود: أن من كان منهم على رأي الفلاسفة فهو يوافقهم في القول بالقدم، ومن لم يكن منهم على رأي الفلاسفة وقال بحدوث العالم

لم يثبت آدم، ويقول: إنّ الله تعالى خلق الافلاك وخلق فيها طباعاً محركة لها بذاتها، فلّما تحركّت وحشوها أجسام، لاستحالة الخلأ، وكـانت الاجسـام عـلى طـبيعة واحدة، فاختلفت طبايعها بالحركة الفلكية، وكان القريب من الفلك أسخن وألطف، والبعيد أبرد وأكثف، ثم اختلطت العناصر وتكوّنت منها المركّبات، وممّا تكوّن منه نوع البشر، كما يتكوّن الدّود في الفاكهة واللحم والبق في البطايح والمواضع الغضّة، ثمّ تكوّن البشر بعضه من بعض بالتّوالد، ونسي التخليق الأوّل الذي كان بـالتولّد، ومن الممكن أن يقول: يتكوّن بعض البشر في بعض الأراضي القاصية بالتولد وانّما انقطع التولّد لأن الطبيعة إذا وجدت للكون طريقاً إستغنت عن طريق ثان.

قال: وأمّا المجوس فلا يعرفون آدم ولا نوحاً ولا ساماً ولا حاماً ولا يافث وأوّل متكون من البشر عندهم كيومرث ،ولقبه كوهشاه أي ملك الجبل، وقد كـان كيومرث في الجبال ومنهم من يسمّيه گلشاه أي ملك الطين، لأنّه لم يكن يومئذ بشر يملكهم، وقيل: تفسير كيومرث حي ناطق ميت قالوا وقد رزق من الحسن ما لا يقع عليه بصر حيوان إلّا وَلِهَ وأغمي عليه، ويزعمون أنّ مبدء تكوّنه وحدوثه أنّ يزدان وهو الصانع الأوّل عندهم فكّر في أمر «أهرمن» وهو الشيطان عندهم فِكرةً أوجبت أن عرق جبينه فمسح العرق ورمى به، فصارت منه كيومرث، ولهم خبط عظيم في كيفيّة تكوّن أهرمن عن فكرة يزدان، او من اعجابه بنفسه، أو من توحّشه، ثمّ إنّهم قالوا بعد هذيانات غريبة، أنّه قطر من كيومرث قطرتا نطفة على الأرض فنبت منها ريباستان في جبل باصطخر، ثمّ ظهرت على تينك الرّيباستين الاعضاء البشرية في أوّل الشهر التاسع وتمّت أجزائه فتصوّر منها بشران ذكر وانثى، وهما ميشا وميشانه،

وهما بمنزلة آدم وحوا عند المليّين ويسمّيهما مجوس خوارزم: مرد ومردانه، وزعموا أنّهما مكثوا خمسين سنة مستغنين عن الطّعام والشراب متنعّمين غير متأذّيين بشيء، حتى ظهر لهما أهرمن في صورة شيخ كبير فحملهما على تناول فواكه الأشجار واكل منها وهما يبصرانه شيخاً فعاد شاباً. فاكلا منها حينئذ. فوقعا في البلايا وظهر فيهما الحرص حتّى تزاوجا وولد لهما ولد، فأكلاه حرصا ثمّ القى الله تعالى في قلوبهما رأفة فولد بعد ذلك ستّة أبطن، كلّ بطن ذكر وانثى وأسماؤهم في كتاب زردشت معروفة[1].

الى غير ذلك من خرافاتهم التي لا تليق بالذكر، وأمّا اليهود والنصارى فالمحكي عنهم الإتفاق على ما أجمع عليه المسلمون لكن المحكي عن كثير من نصارى الفرانسة والأرض الجديدة الميل إلى مذاهب الدّهريّة والتناسخ، وانكار المعاد وغير ذلك من الالحاد.

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامى

ثانيها: في الاشارة إلى ما خلقه الله تعالى في هذه الأرض من النّسناس وبني الجان وغيرهما.

روى الرّاوندي في «قصصه» في الصحيح عن أبي جعفر عليه السلام قال سئل أمير المؤمنين عليه السلام هل كان في الأرض خلق من خلق الله تعالى يعبدون الله قبل آدم عليه السلام وذرّيته؟ فقال: نعم قد كان في السموات والأرض خلق من خلق الله تعالى يقدّسون الله ويسبّحونه ويعظّمونه بالليل والنّهار لا يفترون فانّ الله عزّ وجلّ لمّا خلق الأرضين خلقها قبل السموات، ثمّ خلق الملائكة روحانيّين لهم أجنحة يطيرون بها حيث

(١) بحار الأنوار ج ٥٧ ص ٢٦٦ – ٢٦٨.

يشاء الله، فاسكنهم فيما بين أطباق السّماوات يقدسونه باللّيل والنّهار واصطفى منهم اسرافيل وميكائيل وجبرئيل، ثمّ خلق ﷻ في الأرض الجنّ روحانيّين لهم أجنحة فخلقهم دون خلق الملائكة، وخفضهم أن يبلغوا مبلغ الملائكة في الطّيران وغير ذلك، فاسكنهم فيما بين أطباق الأرضين السّبع وفوقهنّ يقدّسون الله اللّيل والنّهار لا يفترون ثمّ خلق خلقاً دونهم لهم أبدان وأرواح بغير أجنحة يأكلون ويشربون، نسناس اشباه خلقهم وليسوا بانس، وأسكنهم أوساط الأرض على ظهر الأرض مع الجنّ يقدّسون الله اللّيل والنّهار لا يفترون، قال ﷺ وكان الجنّ تطير في السماء فتلقى الملائكة في السماوات فيسلّمون عليهم ويزورونهم ويستريحون إليهم ويتعلّمون منهم الخبر، ثمّ إنّ طائفة من الجنّ والنسناس الذين خلقهم الله وأسكنهم أوساط الأرض مع الجنّ تمرّدوا وعتوا عن أمر الله تعالى فمرحوا وبغوا في الأرض بغير الحق وعلا بعضهم على بعض في العتوّ على الله تعالى حتى سفكوا الدماء فيما بينهم، واظهروا الفساد وجحدوا ربوبيّة الله.

قال: وأقامت الطائفة المطيعون من الجنّ على رضوان الله وطاعته، وباينوا الطائفتين من الجنّ والنّسناس الذين عتوا عن أمر الله تعالى، قال: فحط الله تعالى أجنحة طائفة من الجنّ الذين عتوا عن أمر الله وتمرّدوا وكانوا لا يقدرون على الطيران إلى السّماء وإلى ملاقاة الملائكة لمّا ارتكبوا من الذّنوب والمعاصي.

قال: وكانت الطائفة المطيعة لأمر الله من الجنّ تطير إلى السماء اللّيل والنّهار على ما كانت عليه، وكان ابليس واسمه الحارث يظهرللملائكة أنّه من الطائفة المطيعة ثمّ خلق الله خلقاً على خلاف خلق الملائكة، وعلى خلاف خلق الجنّ،

وعلى خلاف خلق النّسناس يدبّون كما يدبّ الهوام في الأرض يأكلون ويشربون كما تأكل الأنعام من مراعي الأرض كلّهم ذكران ليس فيهم إناث، لم يجعل الله فيهم شهوة النّساء ولا حبّ الأولاد ولا الحرث ولا طول الامل ولا لذة عيش ولا يلبسهم الليل ولا يغشاهم النّهار ليسوا ببهائم ولا هوام لباسهم ورق الشجر وشربهم من العيون الغزار والأودية الكبار، ثمّ أراد الله أن يفرقهم فرقتين فجعل فرقة خلف مطلع الشمس من وراء البحر، فكوّن لهم مدينة أنشأها تسمّى «جابلقا» طولها إثنى عشر ألف فرسخ في اثنى عشر ألف فرسخ، وكوّن عليها سوراً من حديد يقطع الأرض إلى السّماء ثم أسكنهم فيها، وأسكن الفرقة الاخرى خلف مغرب الشمس من وراء البحر وكوّن لهم مدينة أنشأها تسمّى «جابلقا» طولها اثنى عشر الف فرسخ في اثنى عشر ألف فرسخ وكوّن لهم سوراً من حديد يقطع الى السّماء فاسكن الفرقة الاخرى فيها، لا يعلم أهل جابرسا بموضع أهل جابلقا، ولا يعلم أهل جابلقا بموضع أهل جابرسا، ولا يعلم بهم أهل أوساط الأرض من الجنّ والنّسناس، فكانت الشمس تطلع على أهل اوساط الأرضين من الجنّ والنّسناس فينتفعون بحرّها ويستضيئون بنورها، ثمّ تغرب في عين حمئة فلا يعلم بها أهل جابلقا إذا غربت، ولا يعلم أهل جابرسا اذا طلعت، لأنّها تطلع من دون جابرسا وتغرب من دون جابلقا.

فقيل: يا أمير المؤمنين فكيف يبصرون ويحيون وكيف يأكلون ويشربون وليس تطلع الشمس عليهم؟ فقال ﷺ: إنّهم يستضيئون بنور الله فهم في أشدّ ضوء من نور الشمس، ولا يرون أنّ الله تعالى خلق شمساً ولا قمراً ولا نجوماً ولا كواكب لا يعرفون شيئاً غيره، فقيل: يا أمير المؤمنين فأين ابليس عنهم؟ قال لا يعرفون

ابليس ولا سمعوا بذكره، لا يعرفون إلّا الله وحده لا شريك له لم يكتسب احد منهم قطّ خطيئة ولم يقترف إثماً، لا يسقمون ولا يهرمون ولا يموتون إلى يوم القيامة يعبدون الله لا يفترون. اللّيل والنّهار عندهم سواء، قال ﷺ : ثمّ إنّ الله تعالى أحبّ أن يخلق خلقاً وذلك بعد ما مضى للجنّ والنّسناس سبعة الاف سنة فلمّا كان من شأن الله أن يخلق آدم للّذي أراد من التدبير والتقدير فيما هو مكوّنه في السماوات والأرضين كشط[1] عن أطباق السّماوات ثمّ قال للملائكة: انظروا إلى أهل الأرض من خلقي من الجنّ والنسناس هل ترضون أعمالهم وطاعتهم لي، فلمّا اطّلعوا ورأوا ما يعملون فيها من المعاصي وسفك الدّماء والفساد في الأرض بغير الحق أعظموا ذلك وغضبوا لله وأسفوا على أهل الأرض ولم يملكوا غضبهم وقالوا يا ربّنا أنت العزيز الجبار القاهر العظيم الشأن، وهؤلاء كلّهم خلقك الضعيف الذليل في أرضك، كلّهم يتقلّبون في قبضتك ويعيشون برزقك، ويتمتّعون بعافيتك وهم يعصونك بمثل هذه الذّنوب العظام لا تغضب ولا تنتقم منهم لنفسك بما تسمع منهم وترى، وقد عظم ذلك علينا واكبرناه فيك، قال: فلمّا سمع الله تعالى مقالة الملائكة قال: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ فيكون حجّتي على خلقي في أرضي فقالت الملائكة: سبحانك ربّنا ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ فقال الله تعالى : يا ملائكتي ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾ أنّي أخلق خلقاً بيدي واجعل من ذريّته أنبياء ومرسلين وعباداً صالحين وائمّة مهتدين، واجعلهم خلفائي على خلقي في أرضي ينهونهم عن معصيتي، وينذرونهم من

---

(١) كشط: أي كَشَفَ.

عذابي، ويهدونهم إلى طاعتي، ويسلكون بهم طريق سبيلي، أجعلهم حجّة لي عذراً ونذراً وأنفي الشياطين من أرضي واطهّرها منهم، فاسكنهم في الهواء وأقطار الأرض وفي الفيافي، فلا يراهم خَلْقِي ولا يرون شخصهم، ولا يجالسونهم ولا يخالطونهم ولا يواكلونهم ولا يشاربونهم وأُنفِرّ مردة الجنّ العصاة من نسل بريّتي وخلقي وخيرتي فلا يجاورون خلقي، واجعل بين خلقي وبين الجان حجاباً فلا يرى نسل خلقي شخص الجنّ ولا يجالسونهم ولا يشاربونهم ولا يتهجمون تهجمهم، ومن عصاني من نسل خلقي الذي عظّمته واصطفيته لغيبي اسكنهم مساكن العصاة وأوردهم موردهم ولا أبالي، فقالت الملائكة: ﴿لاَ عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾.

فقال للملائكة: ﴿إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُ سَاجِدِينَ﴾[1]، قال وكان ذلك من الله تقدمة للملائكة قبل أن يخلقه إحتجاجاً منه عليهم، وما كان الله ليغيّر ما بقوم إلّا بعد الحجّة عذراً أو نذراً فأمر تبارك وتعالى ملكاً من الملائكة فاغترف غرفة بيمينه فصلصلها في كفّه فجمدت فقال الله ﷻ منك أخلق[2].الخبر على ما يأتي ان شاء الله.

وفي «الخصال» وتفسير «العياشي» وغيرهما عن محمّد بن مسلم قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: لقد خلق الله ﷻ في الأرض منذ خلقها سبعة عوالم ليس هم من ولد آدم خلقهم من اديم الأرض فاسكنهم فيها واحداً بعد واحد مع عالمه، ثمّ

---

(١) الحجر: ٢٨ ـ ٢٩.

(٢) بحار الانوار: ج ٥٧ ص ٣٢٢ ـ ٣٢٥ ح ٥ عن قصص الراوندي.

خلق الله ﷺ آدم ابا البشر وخلق ذرّيته منه، ولا والله ما خلت الجنّة من ارواح المؤمنين منذ خلقها ولا خلت النّار من أرواح الكفّار والعصاة منذ خلقها، لعلّكم ترون انّه إذا كان يوم القيامة وصيّر الله ابدان أهل الجنّة مع أرواحهم في الجنّة وصيّر ابدان أهل النّار مع أرواحهم في النّار انّ الله تبارك وتعالى لا يُعبَدُ في بلاده ولا يخلق خلقا يعبدونه ويوحّدونه؟ بلى والله ليخلقنّ الله خلقاً من غير فحولة وأناث يعبدونه ويوحّدونه[1]. الخبر

وفي العلل عن الصّادق عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام إنّ الله تعالى لمّا أحبَّ أن يخلق خلقاً بيده، وذلك بعدما مضى من الجنّ والنسناس سبعة آلاف سنة...الى أن قال عليه السلام: فاغترف تبارك وتعالى غرفة من الماء العذب الفرات، فصلصلها فجمدت، ثم قال لها: منك أخلق النّبيّين والمرسلين وعبادي الصالحين والأئمّة المهتدين الدّعاة إلى الجنّة واتباعهم إلى يوم القيامة، ولا أبالي ولا أسأل عمّا أفعل وهم يُسألون، يعني بذلك خلقه أنّه سيسألهم، ثمّ إغترف غرفة من الماء المالح الاجاج فصلصلها فجمدت، ثمّ قال لها: منك أخلق الجبارين والفراعنة والعُتاة اخوان الشّياطين والدّعاة إلى النّار يوم القيامة واتباعهم ولا أبالي ولا أسأل عمّا افعل وهم يسألون.

قال: وشرط في ذلك البداء ولم يشترط في أصحاب اليمين البداء ثم خلط المائين فصلصلهما ثمّ ألقاهما قدام عرشه. وهما ثلّة من طين ثمّ أمر لملائكة الجهات الأربع: الشمال والدبور والصبا والجنوب، أن حوّلوا على هذا السلالة الطين وابرؤها وانشؤها ثمّ جزوها وفصلوها واجروا فيها الطبايع الأربعة الريح والمرة

(١) الخصال: ج ٢ ص ٣٥٨ ـ ٣٥٩.

والدّم والبلغم قال: فجالت الملائكة عليها وهي الشمال والصباء والجنوب والدبّور فاجروا فيها الطبائع الاربعة قال والرّيح في الطبائع الأربعة في البدن من ناحية الشمال قال والبلغم في الطبائع الأربعة في البدن من ناحية الصبا قال والمرة في الطبائع في البدن من ناحية الدّبور قال والدّم في الطبائع الاربعة في البدن من ناحية الجنوب قال فاستقلت النّسمة وكمل البدن قال فلزمه من ناحية الرّيح حبّ الحياة وطول الامل والحرص ولزمه من ناحية البلغم حبّ الطعام والشراب واللين والرفق ولزمه من ناحية المرة الغضب والسفه والشيطنة والتجبر والتمرّد والفجلة ولزمه من ناحية الدّم حبّ النّساء واللّذات وركوب المحارم والشهوات قال عمرو بن أبي المقدام أخبرني جابر أن ابا جعفر عليه السلام قال: وجدناه في كتاب من كتب عليّ عليه السلام[1].

أقول ورواه القمي بأدنى تغيير مع اشتماله على زيادة ونقصان[2] ولعلّنا نورده بعبارته ان شاء في سورة الحجر.

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

في حقيقة الملائكة

ثالثها: في الاشارة الى حقيقة الملائكة وأصنافها ووجودها في الجملة من ضروريّ الدّين عند جميع المسلمين بل كثير من المليّين ،فيجب الايمان بها والتّصديق بوجودها.

قال الله سبحانه: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَآئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾[3]

(١) علل الشرائع: ص ١٠٤ ـ ١٠٦ وعمرو بن أبي المقدام هو عمرو بن ثابت بن هرمز، يروي الكثير عن الامامين الهمامين الباقر والصادق عليهما السلام توفي سنة (١٧٢) هـ.

(٢) تفسير القمي: ج ١ ص ٣٦.

(٣) البقرة: ٢٨٥.

وقال النّبي ﷺ حين سئل عن الايمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله[١].

وأمّا البحث عن أنّها روحانيّة محضة أو جسمانيّة محضة، أو مركّبة من القسمين، وبتقدير كونها جسمانيّة فكثيفة أو لطيفة نورانيّة أو هوائيّة أو على الاختلاف كما ذهب إلى كلّ طائفة. فقد يقال: إنّه ليس بواجب لأنّ مدار الإيمان بهم ليس خصوصيّات ذواتهم في أنفسهم، بل هو اضافتهم إليه تعالى من حيث أنّهم عباد مكرمون من شأنهم التّوسط بينه تعالى وبين الرّسل بانزال الكتب والقاء الوحي.

وفيه نظر إذ قد علم من الأخبار المتواترة كونها قادرة على التّجسد والتشكل بالاشكال المختلفة ولذا كان جبرئيل قد يُرى بصورة دحية الكلبي[٢]، بحيث ربما كان يراه بعض النّاس أو كلّ من كان حاضراً عند النّبي ﷺ وقال الله سبحانه: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكاً لَجَعَلْنَاهُ رَجُلاً وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَا يَلْبِسُونَ﴾[٣].

وهذا كلّه ينافي كونها روحانيّة محضة من قبيل العقول والنفوس، ولذا ادّعى شيخنا المجلسي طاب ثراه إجماع الاماميّة بل جميع المسلمين على وجودها وأنّهم أجسام لطيفة نورانيّة أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع وأكثر، قادرون على التشكّل بالأشكال المختلفة، وانّه سبحانه يورد عليهم بقدرته ما شاء من الأشكال والصّور

---

(١) تاريخ ابن خلدون: ج ١ ص ٤٦٢، سبل الهدى والرشاد: ج ١١ ص ٤٨٦.

(٢) هو دحية بن خليفة بن فروة بن فضالة الكلبي الصحابي نزل المزّة ومات في خلافة معاوية.

التقريب: ج ١ ص ٢٨٤.

(٣) الانعام: ٩.

على حسب الحكم والمصالح، ولهم حركات صعوداً وهبوطاً وكان يراهم الانبياء والأوصياء عليهم السلام.

قال: والقول بتجرّدهم وتاويلهم بالعقول والنفوس الفلكيّة والقوى والطبائع، وتأويل الايات المتظافرة والأخبار المتواترة، تعويلاً على شبهات واهية واستبعادات وهميّة زيغ عن سبيل الهدى واتباع لأهل الغواية والعمى.

أقول ويمكن أن يقال: إنّ روحانيّتهم لا تنافي تجسّمهم متى شاؤا باذن الله سبحانه، إلاّ أنّ الظّاهر من الأخبار كونهم أجساماً متحيّزة مثل ما ورد عن الصادق عليه السلام من أنّه ليس في السّماء موضع قدم إلّا وفيها ملك يسبّحه ويقدّسه، ولا في الأرض شجر ولا مدر إلّا وفيها ملك موكّل بها يأتي الله كلّ يوم بعملها والله أعلم بها، وما منهم أحد إلّا ويتقرّب كلّ يوم إلى الله تعالى بولايتنا أهل البيت ويستغفر لمحبّينا ويلعن اعدائنا[1].

وفي «التوحيد» و«الخصال» أنّه سئل مولانا أمير المؤمنين عليه السلام عن قدرة الله جلّت عظمته فقام خطيباً فحمد الله واثنى عليه ثمّ قال: إنّ لله تبارك وتعالى ملائكة لو أنّ ملكاً منهم هبط إلى الأرض ما وسعته لعظم خلقه وكثرة أجنحته ومنهم من لو كلّفت الجنّ والانس أن يصفوه ما وصفوه لبُعد ما بين مفاصله وحسن تركيب صورته وكيف يوصف من ملائكته من سبعمائة عام ما بين منكبيه وشحمة اذنيه، ومنهم من يَسُدُّ الأفق بجناح من أجنحته دون عظم يديه، ومنهم من السماوات إلى

(١) بصائر الدرجات: ص ٨٩، بحار الأنوار: ج ٢٤ ص ٢١٠ ح ٧.

حجزته ومنهم من قدمه على غير قرار في جوّ الهواء الاسفل والأرضون إلى ركبتيه ومنهم من لو ألقى في نقرة ابهامه جميع المياه لوسّعتها، ومنهم من لو ألقيت السُّفُن في دموع عينيه لجرت دهر الدّاهرين، فتبارك الله فتبارك الله أحسن الخالقين(١).

وفي الخطبة الشريفة العلوّية المذكورة في النّهج: ثمّ خلق سبحانه لاسكان سماواته وعمارة الصّفيح الأعلى من ملكوته خلقاً بديعاً من ملائكته، وملأ بهم فروج فجاجها، وحشا بهم فتوق أجوائها، وبين فجوات تلك الفروج زَجَلَ المسبّحين منهم في حظائر القدس، وسترات الحجب، وسرادقات المجد، ووراء ذلك الرّجيج الذي تستك منه الأسماع سبحات نور تردع الأبصار عن بلوغها، فتقف خاسئة على حدودها، أنشأهم على صور مختلفات، وأقدار متفاوتات...إلى قوله عليه السلام : ومنهم من هو في خلق الغمام الدّلح، وفي عظم الجبال الشُّمَخ، وفي فترة الظّلام الأبهم، ومنهم من قد خرقت أقدامهم تخوم الأرض السفلى، فهي كرايات بيض، قد نفذت في مخارق الهواء، وتحتها ريح هفّافة تحبسها على حيث انتهت من الحدود المتناهية..إلى أن قال: وليس في أطباق السّماوات موضع إصاب إلّا وعليه ملك ساجد أو ساعٍ حافد(٢).

وفي التوحيد عن النّبي صلى الله عليه وآله : إنّ في السماوات السبع لبحاراً عمق أحدها مسيرة خمسمائة عام، فيها ملائكة قيام منذ خلقهم الله عزّوجل والماء إلى ركبهم، ليس منهم ملك إلّا وله ألف وأربعمائة جناح، في كل جناح أربعة وجوه في كلّ وجه

---

(١) الخصال: ص ٣٦ والتوحيد ص ٢٠١ وعنهما البحار ج ٥٩ ص ١٧٨.

(٢) نهج البلاغة شرح ابن أبي الحديد: ج ٦ ص ٤٢٣ خ ٩٠ المعروفة بخطبة الاشباح.

أربعة ألسن ليس فيها جناح ولا وجه ولا لسان ولا فم إلّا وهو يسبّح الله تعالى تسبيح لا يشبهه نوع منه صاحبه[١].

وفي الخرائج وغيره عن أبي جعفر عليه السلام قال: نحن الذين تختلف الملائكة إلينا فمنّا من يسمع الصوت ولا يرى الصّورة، وانّ الملائكة لتزاحمنا على تكأتنا وإنّا لنأخذ من زغبهم فنجعله سخباً لأولادنا[٢].

وروى القمي عن الصادق عليه السلام قال: خلق الله الملائكة مختلفة وقد رأى رسول الله صلى الله عليه وآله جبرئيل وله ستّمائة جناح على ساقه الدّر مثل القطر على البقل قد ملأ ما بين السماء والأرض[٣].

وقال عليه السلام: اذا أمر الله تعالى ميكائيل بالهبوط إلى الدّنيا صارت رجله اليمنى في السّماء السّابعة والأخرى في الأرض السّابعة، وأنّ لله تعالى ملائكة أنصافهم من برد وأنصافهم من نار، يقولون: يا مؤلّفاً بين البرد والنّار ثبّت قلوبنا على طاعتك، وانّ لله تعالى ملكاً بعد ما بين شحمة أذنه إلى عينيه مسيرة خمسمائة عام خفقان الطّير[٤].

وقصّة دردائيل وصورته كغيره من الملائكة مشهورة[٥].

وفي النبوّي المشتهر أطتِ السّماء حقّ لها أن تئط ما فيها موضع قدم إلّا وفيه

(١) البحار: ج ٥٨ ص ١٨٢.
(٢) البحار: جج ٥٩ ص ١٨٥.
(٣) البحار: ج ٤ ص ٤٣.
(٤) البحارج ٥٩ ص ١٧٤.
(٥) البحار: بج ٥٩ ص ١٩٩.

ملك ساجداً أو راكع[١].

إلى غير ذلك من الأخبار المتواترة التي يمكن تحصيل القطع منها بأنّها أجسام نوارنيّة وان كانت غير مرئيّة إلّا باسباب خاصّة وانّ لها أمكنة وأحيازاً وأعضاء وجوارح وقوّة ونشاطاً وقوتاً من التّسبيح والتهليل وحركة وسكوناً واجتماعاً وافتراقاً وقياماً وقعوداً وركوعاً وسجوداً وأصواتاً وكلاماً وعظما وأقداراً وغير ذلك من أحكام الاجسام وخواصها.

وحمل ذلك كلّه على الإستعارة والتّشبيه وانّه لو تجسّم بمقدار قوّته لكان كذا وكذا خروج عن الظّواهر المتظافرة التي هي الحجة من غير حجّة، والمؤمن الموحّد لا يتجاسر على أدنى من ذلك، فكيف بما هنالك، ولو ساغ في الشريعة فتح باب أمثال هذه التأويلات والإحتمالات المشتملة على ما لا يخفى من التكلّف والتحمّل لما أخضرّ للدّين عود، وما قام للإسلام عمود، لكنّهم قد استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله ولذا تراهم يتلاعبون بأحكام الشريعة ويستخفون باهلها، ويتصرّفون بعقولهم القاصرة وفطرتهم المغيّرة وأحلامهم الناقصة في أحكامها الظّاهرة بلا برهان ولا دليل، فاضلوا كثيراً وضلّوا عن سواء السبيل.

وبالجملة يجب التصديق والإذعان بما صحّ عنهم فيما لا تصل إليه عقولنا، وقد سمعت أنّ الظّاهر من الكتاب والسّنة كونهم أجساماً لطيفة نورانيّة كما عليه أكثر المسلمين، نعم لا نأبى من القول بأن يكون هناك أصناف أخر من الملائكة غير جسمانيّة، ولا متعلقة بالأجسام، بل يكون فوق عالم الأجسام كملائكة العالين

---

(١) البحار: ج ٥٩ ص ١٨٥.

والكروبيّين، والرّوح الذي هو من أمره سبحانه دون الذي على ملائكة الحجب.

الملائكة عند الفلاسفة

بقي الكلام في سائر الاقوال التي ذكروها في حقيقتها وهي عديدة منها: ما يحكى عن الفلاسفة وهي أنّها جوهرة قائمة بنفسها ليست بمتحيّزة البتّة، وانّها بالمهيّة مخالفة لأنواع النفوس النّاطقة البشريّة، وانّها أكمل قوّة منها واكثر علماً وأنّها للنفوس البشريّة جارية مجرى الشمس بالنّسبة إلى الأضواء، ثمّ أنّ هذه الجواهر على قسمين: منها ما هي بالنّسبة إلى اجرام الافلاك والكواكب كالنفوس الناطقة بالنّسبة إلى أبداننا، ومنها ما هي أعلا شأناً من تدبير أجرام الافلاك بل هي مستغرقة في معرفة الله مشتغلة بطاعته وهذا القسم هم الملائكة المقرّبون ،ونسبتهم إلى الملائكة الّذين يدبّرون السّماوات كنسبة أولئك المدبرين إلى نفوسنا الناطقة فهذان القسمان قد اتفق الفلاسفة على اثباتها، ومنهم من أثبت نوعاً آخر من الملائكة وهي الملائكة الأرضية المدبّرة لاحوال هذا العالم السفلي، ثمّ أنّ مدبّرات هذا العالم وإن كان خيّرة فهم الملائكة، وإن كانت شريرة فهم الشياطين، وهذا القول ربما مال إليه بعض الإسلاميّين كالسّيد الدّاماد والصدر الأجل الشيرازي وغيرهما.

قال السيّد: إنّ القول بتجسم الملائكة إنّما هو مَمْشى الخارجين عن دائرة التحصيل، وأمّا ما هو صريح الحقّ وعليه الحكماء الإلهيّون والمحصّلون من أهل الاسلام فهو أنّ الملائكة على قبائل: سفليّة وعلويّة أرضية وسماويّة، جسمانيّة وقدسانيّة، وفي القبائل شعور وطبقات كالقوى المنطبقة والطبائع الجوهرية وأرباب

الأنواع والنفوس المفارقة السماوية، والجواهر العقليّة القادسة بطبقات أنواعها وأنوارها، ومنها روح القدس النّازل بالوحي النّافث في ارواح أولى القوّة القدسيّة باذن الله سبحانه.

وقال الصّدر الاجل بعد الاشارة إلى دعاء الصحيفة المشتمل على اصناف الملائكة وقبائلها: إنّ قوله «اللهم وحملة عرشك» إشارة إلى الملائكة المقرّبين والجواهر المقدّسين الواقعين في سلسلة العقول المفارقة، وقوله: «والرّوح الذي هو على ملائكة الحجب والرّوح الّذي هو من أمرك» إشارة إلى الارواح المهيمنة الذين يستغرقون في شهود جمال الأزلية وليس لهم رسالة من الله إلى خلقه، ولذا سمّاهم بالرّوح ولم يطلق عليهم اسم الملك لأنّه مشتقّ من الألوكة بمعنى الرّسالة وكلّ روح مفارق لا رسالة له فهو ليس بملك وانّما هو روح فقط، وقوله: «على الملائكة الّذين من دونهم» إشارة إلى الملائكة الموكّلين بالاجرام السّماويةوالنفوس المدبرة للجواهر الفلكيّة والكوكبيّة، قوله: «وعلى الروحانيين من ملائكتك» اشارة إلى الملائكة العقليّة الواسطة في سلسلة اسباب الوجود بينه وبين ملائكة السّماء ولهذا قال في الدّعاء: «وأسكنتهم بطون أطباق سماواتك» فانّ بطون أطباق السماوات هي نفوسها المحركة لها إذ لكلّ نفس فلكي جوهر عقلي مفارق مسكنه قلب ذلك الفلك ونفسه الناطقة كما أنّ قلب المؤمن بيت الله اي نفسه الناطقة مكان معرفة الله سبحانه وقوله:«وخزّان المطر» آه إشارة إلى ملائكة الأرضين وهم مبادىء الصّور النّوعيّة للأنواع الطّبيعية العنصريّة، فكلّ ملك من جنس مايدبّره ويحرّكه باذن الله تعالى وأمره: فملك الريّاح من باب الرّياح، وملك الامطار من باب الامطار، وملك الجبال

من باب الجبال، وكذا ملك النّار من باب النّار، وملك الماء وملك الأرض كلّ هؤلاء من نوع ضمّه ومسمّى باسمه فملك الأرض أرض لعالم الغيب والملكوت وملك الماء ماؤه وملك الهواء هوائه وملك النّار ناره بل ما من موجود في هذا العالم إلّا وله صورة طبيعيّة محركة ونفس تدركه وعقل يسخّره واسم إلاهي يبدعه واذا ترقيت بذهنك إلى عالم الملكوت الأعلى شاهدت الماء هناك وهو حياة كلّ شيء والهواء عشق كلّ ذي روح وشوقه والنّار قدر كلّ حي وقهره والأرض قوّة تمسكه لكلّ جوهر ومديله انتهى.

وأنت ترى أن هذا كلّه رجم بالغيب وما كلّفنا بالتّصديق بامثال هذه التخريجات الظّنيّة والاعتبارات الوهميّة إنْ هم إلّا يظنّون وإنْ هم إلّا يخرصون.

الملائكة عند النصارى والمجوس

ومنها ما يحكى عن النصارى وهو أنّ الملائكة في الحقيقة هي الأنفس الناطقة بذاتها المفارقة لأبدانها على نعت الصفاء والخيريّة، وذلك لأنّ هذه النّفوس المفارقة إن كانت صافية خالصة فهي الملائكة، وإن كانت خبيثة كدرة فهي الشياطين.

ومنها: قول معظم المجوس والثّنوية وهو أنّ هذا العالم مركّب من أصلين أزليّين، وهما النّور والظلمة، وهما في الحقيقة جوهران شفّافان حسّاسان مختاران قادران، متضادّا النفس والصورة، مختلفا الفعل والتدبير، فجوهر النّور فاضل خيّر، تقيّ طيّب الريّح كريم النفس، يسرّ ولا يضر، وينفع ولا يمنع، ويُحيي ولا يُبلي،

وجوهر الظّلمة على ضدّ ذلك، ثمّ إنّ جوهر النور لم يزل يولّد الأولياء وهم الملائكة لا على سبيل التناكح، بل على سبيل تولّد الحكمة من الحكيم، والضّوء من المضيء وجوهر الظّلمة لم يزل يولد الاعداء وهم الشياطين على سبيل تـولّد السّـفه مـن السّفيه.

الملائكة عند أرباب الهياكل

ومنها : أرباب الهياكل وعبدة الأصنام، فانّهم قالوا: إنّ الملائكة في الحقيقة هي هذه الكواكب المتصرّفة في هذا العالم بصورها واشكالها وتشكّلاتها وارواحها المحرّكة لها المدبرة للعالم السفلي، لا على وجه القصد والالتفات، فانّ العـالي لا يلتفت إلى السّافل، بل على وجه الاشراق والتجلي، ولذا زعموا أنّ لها أرواحاً عالية قاهرة قوية، وهي مختلفة بجواهرها وهيآتها، وكـما أنّ لكـلّ روح مـن الأرواح البشريّة بدناً معيّناً، فكذلك لكلّ روح من الأرواح الفلكيّة بدن وهو ذلك الفلك؛ وله قلب وهو الكواكب المركوز فيه، فتتعلّق الروح الفلكيّة أوّلاً بقلبه، ثمّ ينبعث من جرم الكوكب خطوطٌ شعاعيّة تتّصل بها قوّة ذلك الكوكب ونوره إلى اجزاء العالم، وكما أنّ بواسطة الأرواح الفائضة من القلب والدّماغ إلى اجزاء البدن يحصل في كلّ جزء منها قوى مختلفة كالقوى الحيوانيّة من السّامعة والباصرة والشّـامة والذائـقة واللامسة، وكالقوى الطبيعيّة، كالجاذبية والدّافعة والغاذية وغيرها، فتكون هذه القوى كالنتائج والاولاد لجوهر النّفس المدبّرة لكلية البدن، فكذلك بـواسـطة الخـطوط الشعاعيّة المنبثة من الكوكب الواصلة إلى أجزاء هذا العالم يحصل في تلك الأجزاء

على حسب التأثيرات الجزئيّة وخصوصيّات القوابل والفواعل نفوس جزئيّة مخصوصة مثلاً نفس زيد ونفس عمرو ونحوهما، وهذه النفوس كالنتائج والأولاد لتلك النفوس الفلكيّة. ولما اختلفت النفوس الفلكيّة اختلافاً نوعيّاً من حيث جواهرها ومهيّاتها فكذلك النفوس المتولّدة من نفس فلك زحل مثلاً صنف من النّاس متجانسة متشاكلة في افرادها وجزئيّاتها، إلّا أنّها متخالفة اختلافاً ضيّقاً للنّفوس المنتسبة إلى روح المشتري مثلاً ثمّ نسبوا إلى كلّ من الكواكب شيئاً من أصناف النّاس وسائر الحيوانات والاقاليم والأزمنة والسّاعات والأيّام واللّيالي والألوان والطّعوم والاثمار والنّباتات والرّوائح وغير ذلك ممّا ملئت منه كتب الاحكاميّين.

ثمّ أنّهم قالوا إنّ تلك الأرواح الفلكيّة كالأب المشفق والسّلطان المربّي لمواليدها ومنسوباتها، ولذا سمّوها بالآباء العلويّة فتعيّن أولادها على صلاحها ونجاحها، ولذا سوّلت لهم نفوسهم أن بنوا لكلّ منها بصورها المتوهّمة لها هياكل واشكالاً وصوراً عظّموها واستشفعوا بها وتقرّبوا إليها بالسجود إليها وغيره من أنواع التّعظيم والتكريم، حتّى آل أمرهم إلى عبادتها، وهذا الأصل الّذي سمعت هو الذي بنوا عليه علم أحكام النّجوم، فسحقاً لهم بما سوّلت لهم أنفسهم ان سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون.

قول المشركين في الملائكة

ومنها: ما تقوّله بعض المشركين ككفّار قريش وأحزابهم، حيث قالوا: إنّ

الملائكة بنات الله، وجعلوا الملائكة الّذين هم عباد الرحمن إناثاً، وجعلوا له من عباده جزء فرد الله عليهم في محكم كتابه، إلى غير ذلك من الأقوال التي لا جدوى للتّعرض لها ولا لابطالها بعد قيام ضرورة الدّين واجماع المسلمين على ما سمعت الدّال على وجودهم أيضاً في الجملة، ولذا كنّا في غنى عن التكلّف لإثباتها بما تجشّمه بعض النّاس من الأدلّة الاقناعيّة التي استدلّ بها الرازي وغيره من انّه يبعد في العقل أن يحصل الحياة والعقل والنّطق في هذا العالم الكدر الظّلماني ولا يحصل في ذلك العالم الذي هو عالم الأضواء والانوار وانّه أشرف أنواع الحي فهو أولى بالوجود من الأوسط الذي هو الحيوان النّاطق والأحسن الذي هي البهائم ونسى أصحاب المشاهدات والمكاشفات والمجاهدات شاهدوها في مشاهدهم النّورانية وأصحاب الحاجات والضرورات أثبتوها من عجائب آثارها في الهداية إلى المعالجات النّادرة الغريبة والاختراعات البديعة العجيبة وتركيبات المعجونات واستخراج صفة التّرياقات وغيرها من الاثار والاسرار، لكنّها كماترى قاصرة عن افادة المطلوب، وانّما المعتمد ما سمعت، وأمّا مواد وجوداتهم وكينوناتهم فالأصل فيها هو الرحمة الكليّة والكلمة الالهيّة والمراد بها نور نبيّنا محمّد وآله الطاهرين صلّى الله عليهم، ولذا ورد في الاخبار الكثيرة التي مرّت إلى جملة منها الإشارة إلى أنّ الملائكة والانبياء خلقوا جميعاً من أشعّة أنوارهم ومن فاضل طينتهم، وانّ الملائكة العالين الذين هم أفضل أصناف الملائكة قوم من شيعتهم من الخلق الأوّل، بل ورد أنّ سبب قربهم سبقهم ومبادرتهم إلى الإقرار بالولاية.

وقال الصادق عليه السلام : إنّ الله سبحانه وتعالى عرض ولايتنا على الملائكة فمن

بادر إليها وعقد قلبه عليها صار من المقرّبين.

وفي «مصابح الأنوار» عن النّبي ﷺ أنّ العرش خلق من نور النّبي ﷺ وانّ الملائكة خُلقوا من نور عليّ ﷺ.

وعن أبي جعفر ﷺ أنّه خلق الله الملائكة واسكنهم السّماء ثمّ ترائى لهم الله تعالى ثمّ أخذ عليهم الميثاق له بالرّبوبيّة ولمحمّد بالنّبوة ولعليّ بالولاية فاضطربت فرائص الملائكة فسخط الله عليهم واحتجب عنهم فلاذوا بالعرش سبع سنين يستجيرون الله من سخطه ويقرّون بما أخذ عليهم ويسألونه الرضا فرضى عنهم بعد ما أقرّوا بذلك واسكنهم بذلك الاقرار السّماء واختصهم لنفسه واختارهم لعبادته، ثم أمر الله تعالى أنوارنا أن تسبّح فسبّحت فسبّحوا بتسبيحنا، ولولا تسبيح أنوارنا ما دروا كيف يسبّحون الله ولا كيف يقدّسونه، الخبر.

ثمّ أنّ هيهنا مواداً أخر لوجودهم ولذا ورد في كثير من الأعمال الحسنة والطّاعات المقبولة أنّ الله تعالى يخلق منها الملائكة فيسبّحون لصاحبها.

ففي خبر وضوء مولانا أمير المؤمنين أنّه قال لمحمّد بن حنفيّة يا محمّد من توضأ مثل وضوئي وقال مثل قولي خلق الله له من كلّ قطرة ماء ملكاً يقدّسه ويسبّحه ويكبّره فيكتب الله له ثواب ذلك إلى يوم القيامة[1].

وفي تفسير الامام ﷺ أنّ من قال في آخر وضوئه أو غسله من الجنابة سبحانك اللّهم وبحمدك...الدّعاء تحاتت عنه ذنوبه كما تتحات أوراق الشّجر وخلق الله بعدد كلّ قطرت من قطرات وضوئه او غسله ملكاً يسبّح الله ويقدّسه ويهلّله

---

(١) المحاسن: ص ٤٥ ـ عن البحار ج ٨٠ ص ٣١٨.

ويكبّره ويصلّي على محمد وآله الطيّبين وثواب ذلك لهذا المتوضيء[1].

بل قد روي عن النّبي ﷺ على ما رواه في «الانوار» عن ابن عباس أنّه لما أسري به الى السّماء انتهى به جبرئيل الى نهر يقال له النّور وهو قول الله ﷻ وخلق الظّلمات والنّور فلمّا انتهى به إلى ذلك النهر فقال له جبرئيل اعبر يا محمّد على بركة الله فقد نوّر الله لك بصرك ومدّ لك ملكك فانّ هذا نهر لم يعبره أحد لا ملك مقرّب ولا نبيّ مرسل غير أنّ لي في كلّ يوم اغتماسة فيه ثمّ اخرج منه فانفض أجنحتي فليس من قطرة تقطر من أجنحتي إلّا خلق الله تبارك وتعالى منها ملكاً مقرّباً له عشرون ألف وجه وأربعون ألف لسان في كلّ لسان يلفظ بلغة لا يفهمها اللّسان الاخر فعبّر رسول الله ﷺ حتّى انتهى إلى الحجب والحجب خمسمائة حجاب من حجاب إلى حجاب مسيرة خمسمائة عام[2]، الخبر بطوله.

وفيه عن النّبي ﷺ أنّ في السّماء الرابعة نهراً يقال له الحيوان يدخل فيه جبرئيل كلّ يوم طلعت فيه الشمس فاذا خرج انتفض أنتفاضة جرف عنه سبعون ألف قطرة فيخلق الله من كلّ قطرة ملكاً فيؤمرون أن يأتوا البيت المعمور فيصلّون فيه ثمّ لا يعودون فيه أبداً[3].

ولا يخفى أنّ الملائكة المخلوقة من أفعال العباد وغيرها من الموادّ أيضاً مخلوقة من أشعة أنوار محمّد ﷺ الطّاهرين صلّى الله عليهم أجمعين ولو بواسطة أو وسائط بحسب القرب من المبدء والبعد عنه، وأمّا استقصاء الكلام في ذكر

(١) تفسير الإمام، ص ٢٣٩ وعنه البحار ج ٨٠ ص ٣١٦.

(٢) أمالي الصدوق: ص ٢١٣ ـ وعنه البحار ج ١٨ ص ٣٣٨.

(٣) بحار الأنوار: ج ٥٥ ص ٥٥ عن تفسير الطبرسي ج ٩ ص ١٦٦.

أصناف الملائكة ومراتبهم وأوصافهم وشؤونهم وعصمتهم وغير ذلك من أحوالهم فسيأتي كلّ في موضعه من الآيات المتعلّقة بها.

بقي الكلام في أنّ المراد بالملائكة في الآية هل هو الكل نظراً إلى دلالة الجمع المحلّى على العموم الاستغراقي فيشمل جميع الأفراد أو البعض المطلق لكون اللام اشارة إلى المهيّة الجنسيّة الصّادقة على الكلّ والبعض، والمراد أنّه خاطب هذا الجنس من أجناس العالم، أو خصوص من حارب منهم بني الجان وأسروا ابليس، فيكون اللّام للعهد بأحد الوجهين وأن لم يجر له ذكر في خصوص ظواهر الآيات وجوه بل أقوال.

وقد مرّ في العلوي المروي عن القصص أنّه سبحانه كشط عن أطباق السماوات ثمّ قال للملائكة أنظروا إلى أهل الأرض من خلقي من الجنّ والنّسناس هل ترضون أعمالهم وطاعتهم لي فلمّا اطّلعوا ورأوا ما يعملون فيها من المعاصي وسفك الدّماء والفساد في الأرض بغير الحقّ اعظموا ذلك وغضبوا لله[1] إلى آخر ما مرّ الظّاهر في كون الخطاب متوجّهاً إلى الجميع والعمدة عموم الكتاب الذي لم يظهر له مخصّص مضافاً إلى ما ستسمع من كون المأمور بالسجود هو الجميع.

ولا يقدح فيه ما ورد عن أنّ أهل المدينتين اللّتين بالمشرق والمغرب لم يطّلعوا على خلق آدم[2] لاستغراقهم في عبادته سبحانه ولعدم كونهم من الملائكة.

وكذا لا ينافيه ما روي عن النّبي ﷺ قال: مررنا ليلة المعراج بملائكة من

(١) بحار الأنوار: ج ٥٧ ص ٣٢٤ عن قصص الراوندي.
(٢) بحار الانوار: ج ٥٧ ص ٣٢٩.

ملائكة الله ﷻ خلقهم الله تعالى كيف شاء، ووضع وجوههم كيف شاء، وليس شيء من اطباق وجوههم إلّا وهو يسبّح الله ويحمده من كلّ ناحية باصوات مختلفة. أصواتهم مرتفعة بالتسبيح والبكاء من خشية الله تعالى. فسألت جبرائيل عنهم فقال: كما ترى خلقوا أنّ الملائكة منهم إلى جنب صاحبه ما كلمه قطّ، ولا رفعوا رؤوسهم إلى ما فوقهم، ولا خفضوا رؤوسهم إلى ما تحتهم، خوفاً من الله تعالى وخشوعاً. فسلّمت عليهم فردّوا عليّ ايماء برؤوسهم ولا ينظرون إليّ من الخشوع. فقال لهم جبرئيل ﷺ : هذا محمّد نبيّ الرحمة ارسله الله إلى العباد رسولاً ونبيّاً وهو خاتم الأنبياء وسيّدهم أفلا تكلمونه. قال: فلمّا سمعوا ذلك من جبرئيل أقبلوا عليّ بالسلام وبشّروني وأكرموني بالخير لي ولأمّتي[1].

وأمّا ما رواه العامّة عن ابن عباس من أنّه سبحانه إنّما قال هذا القول للملائكة الذين كانوا محاربين مع ابليس لأنّ الله تعالى لمّا أسكن الجنّ الأرض فافسدوا فيها وسفكوا الدّماء وقتل بعضهم بعضاً فبعث الله ابليس في جند من الملائكة فقتلهم ابليس بعسكره حتى أخرجوهم من الارض والحقوهم بجزائر البحر فقال تعالى لهم إنّي جاعل في الأرض خليفة[2].

ففيه أنك ستسمع فيما يأتي أنّ ابليس لم يكن من الملائكة، وأنّه لم يقاتل الجنّ بل قوتل بالملائكة فقتل حزبه وأسروا نفسه، وأمّا كون المخاطبين خصوص المحاربين فهو غير واضح ايضاً، سيّما بعدما سمعت من الكشط عن اطباق

(١) بحار الأنوار: ج ١٨ ص ٣٢٤.
(٢) تفسير الفخر الرازي: ج ٢ ص ١٦٥.

السّماوات [١] الظّاهر في إرادة الجميع.

نعم في تفسير الامام ﷺ أنّه قال ذلك للملائكة الذين كانوا في الأرض مع ابليس وقد طردوا عنها الجنّ بني الجان [٢] الخبر على ما يأتي، وفي بعض الاخبار الاتية ما يدلّ عليه ايضاً، لكنّها لا تقاوم الأخبار الدّالة على العموم المؤيّدة بظاهر الكتاب وبوقوع الاستدلال في كثير من الأخبار على فضل البشر على الملائكة بسجودهم لآدم.

بل في العيون عن النّبي ﷺ إنّ الله فضّل أنبيائه المرسلين على ملائكته المقرّبين، وفضّلني على جميع النّبيّين والمرسلين، والفضل بعدي لك يا عليّ وللأئمّة من بعدك إلى أن قال ﷺ : ثمّ أنّ الله تبارك وتعالى خلق آدم فأودعنا صلبه، وأمر الملائكة بالسّجود له تعظيماً لنا وإكراماً، وكان سجودهم لله ﷻ عبوديّة ولآدم إكراماً وطاعة، لكوننا في صلبه فكيف لا تكون أفضل من الملائكة وقد سجدوا لآدم كلّهم أجمعون [٣].

وهو كما ترى صريح في العموم مع زيادة التأكيد لكن لا دلالة فيه على كون المقول لهم أو القائلين هم جميع المأمورين بالسجود بل في «العلل» عن الصّادق ﷺ فيما يأتي في حجج الحشويّة أنّه تعالى لمّا أراد خلق آدم قال للملائكة: إنّي جاعل في الأرض خليفة فقال ملكان من الملائكة أتجعل فيها من يفسد فيها

---

(١) البّحار: ج ٥٧ ص ٣٢٤.

(٢) البحار: ج ١١ص ١٢٧ عن تفسير الإمام ﷺ

(٣) عيون الاخبار: ص ١٤٥ وعنه البحار ج ١١ ص ١٤٠.

ويسفك الدّماء فوقع الحجب بينهما وبين الله ﷻ. الخبر[١] على ما يأتي.

رابعها: في الاشارة إلى معاني الخلافة التي تختلف باختلاف مراتب الإستخلاف وهي عديدة منها: مجرّد إذهاب قوم بالإهلاك أو الإجلاء أو غيرهما واقامة غيرهم مقامهم في مساكنهم واماكنهم ومكاناتهم كما في قوله: ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِن بَعْدِكُم مَّا يَشَاء كَمَا أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ﴾[٢] ﴿عَسَى رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾[٣] والخلافة بهذا المعنى تطلق مع القيام بمقتضاها من الايمان والعبوديّة وعدمه، ولذا أطلق على الكافر في قوله: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلائِفَ فِي الأَرْضِ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ﴾[٤] وقوله: ﴿وَاذكُرُواْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاء مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ﴾[٥] ﴿وَاذْكُرُواْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاء مِن بَعْدِ عَادٍ﴾[٦] إلى غير ذلك من الإطلاقات الكثيرة الواردة في القرآن وغيره وفي الدّعاء: «ويُهلِكُ ملوكاً ويستخلف آخرين»، وبمثل هذه الاطلاقات أُطلِقت على الخلفاء الثلاثة وخلفاء بني أميّة وبني العبّاس وغيرهم من المنافقين المتخلّفين، وعليه يُحملُ ما وضعوه وافتروه على النّبي ﷺ من أنّه قال: الخلافة بعدي ثلاثون سنة، والاّ فهم يزعمون أنّه ﷺ لم يستخلف أحداً بعد وفاته،

---

(١) علل الشرائع: ص ١٤٠ وعنه البحار ج ١١ ص ١٠٩ ح ٢٣.

(٢) الانعام: ١٣٣.

(٣) الاعراف: ١٢٩.

(٤) الانعام: ١٦٥.

(٥) الاعراف: ٦٩.

(٦) الاعراف: ٧٤.

ولذا اعترض عليهم المأمون لعنه الله في مجلس عقده للمناظرة معهم بمحضر الرّضا عليه السلام فقال لهم وهم زهاء اربعين رجلاً من علمائهم من أصحاب الحديث وأهل الكلام : أليس قد روت الأمّة باجماع منها أنّ النّبي صلى الله عليه وآله قال: من كذب عليّ متعمّداً فليتبوّء مقعده من النّار[1] قالوا: بلى قال ورووا عنه صلى الله عليه وآله أنّه قال من عصى الله بمعصية صغرت أو كبرت ثمّ اتّخذها دينا ومضى مصرّاً عليها فهو مخلّد بين أطباق الجحيم، قالوا: بلى : فخبّروني عن رجل تختاره الأمّة فتنصبه خليفة هل يجوز أن يقال له خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله ومن قبل الله عزّ وجلّ ولم يستخلفه الرّسول؟ فإن قلتم نعم كابرتم، وإن قلتم لا وجب انّ أبا بكر لم يكن خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله ولا كان من قبل الله عزّ وجلّ وانكم تكذبون على نبيّ الله، وانّكم متعرّضون لأن تكونوا ممّن وسمه النّبي صلى الله عليه وآله بدخول النّار، وخبّروني في أيّ قوليكم صدقتم أفي قولكم مضى صلى الله عليه وآله ولم يستخلف أو في قولكم في أبي بكر يا خليفة رسول الله، فان صدقتم في قولين فهذا ممّا لا يمكن كونه اذ كانا متناقضين، وإن صدقتم في أحدهما بَطَلَ الآخر.

إلى أن قال: خبّروني عن النّبي صلى الله عليه وآله هل استخلف حين مضى أم لا؟ فقالوا: لم يستخلف، قال: فتركه ذلك هدى أم ضلال؟ فقالوا هدى، قال: فعلى النّاس أن يتّبعوا الهدى ويتنكبوا الضّلال، قالوا: قد فعلوا ذلك، قال ولم استخلف الناس بعده وقد تركه هو وترك فعله ضلال ومحال أن يكون خلاف الهدى، واذا كان ترك الاستخلاف هدى فلم استخلف ابو بكر ولم يفعله النّبي صلى الله عليه وآله ولمّا جعل عمر الأمر بعده شورى بين المسلمين خلافاً على صاحبه؟ وزعمتم أنّ النّبي صلى الله عليه وآله لم يستخلف

(١) هذا الحديث مرويّ عن الفريقين في كتبهم منها: كنز العمّال ج ٣ ص ٣٥٥.

وانّ أبا بكر استخلف وعمر لم يترك الاستخلاف كما تركه النّبي ﷺ بزعمكم ولم يستخلف كما فعل أبو بكر وجاء بمعنى ثالث فخبّروني أيّ ذلك ترونه صواباً؟ فإن رأيتم فعل النّبي ﷺ صواباً فقد خطأتم أبا بكر، وكذلك القول في بقيّة الأقاويل، وخبّروني أيّهما أفضل ما فعله النّبي بزعمكم من ترك الاستخلاف أو ما صنعت طائفة من الاستخلاف؟ وخبّروني هل يجوز أن يكون تركه من النّبي ﷺ هدى وفعله من غيره هدى فيكون هدى ضدّ هدىً فأين الضلال حينئذٍ؟ وخبّروني هل وليّ أحد بعد النّبي ﷺ باختيار الصّحابة منذ قبض النّبي ﷺ إلى اليوم فان قلتم لا فقد أوجبتم أنّ النّاس كلّهم على ضلالة بعد النّبي وإن قلتم نعم كذبتم الامّة وابطل قولكم الوجود الذي لا يدفع إلى آخر ما ذكره على مارواه في العيون [١].

ثمّ أنّ الخلافة بهذا المعنى ثابتة لنوع البشر لأنّ كلّ قرن منهم خَلَف أو خَلْف لسلف، ولآدم وذرّيته ايضاً لأنّ الله تعالى قد استخلفهم في الأرض بعد اهلاك النّسناس وبني الجان وغيرهم على ما مضى ويأتي، وهذا المعنى هو الظاهر من بعض اخبار الباب.

ومنها: الولاية من الله تعالى بلا واسطة أو معها في تبليغ الاحكام ونشر الشرايع والقضاء بين الناس بشرط كون الولاية خاصة ناصّة من الله سبحانه ولو بلسان الرسول ﷺ مع إقترانها بالعلم والفضيلة والعصمة فيكون الولي بهذا المعنى حجّة على غيره ممّن استخلف عليه، وهذا المعنى هو الظّاهر من الآية على ما يستفاد من بعض الأخبار كالخبر المرويّ في «الكافي» و«العلل» و«تفسير القمي» وغيرها وفيه: أنّه قال جلّ جلاله: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ تكون حجّة لي

---

(١) العيون للصدوق: ج ٢ ص ١٩٧ ـ ١٩٨.

في أرضي على خلقي ولذا قالت الملائكة أتجعل فيها من يفسد فيها كما أفسد هؤلاء المردة من الجنّ والنّسناس الذين كانوا في الأرض ويسفك الدّماء كما فعل هؤلاء ويتحاسدون ويتباغضون فاجعل ذلك الخليفة منّا فانّا لا نتحاسد ولا نتباغض ولا نسفك الدّماء ونحن نسبّح بحمدك ونقدّس لك قال تبارك وتعالى إنّي أعلم ما لا تعلمون إنّي أريد أن أخلق خلقاً بيدي واجعل في ذريّته الانبياء والمرسلين وعباد الله الصّالحين وأئمّة مهديّين واجعلهم خلفاء على خلقي في ارضي يهدونهم إلى طاعتي وينهونهم عن معصيتي واجعلهم حجّة لي عليهم عذراً ونذراً الخبر[1] على مايأتي انشاء الله، حيث أنّ الظاهر منه ارادة الخلافة على الوجه المذكور وهو المراد ايضاً في قوله : ﴿وَقَالَ مُوسَى لأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلاَ تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾[2]، وقوله : ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ﴾[3].

ولذا ورد أنّ مولانا أمير المؤمنين عليه السلام رابع الخلفاء، ففي «العيون» وغيره عن مولانا ابي الحسن الرضا عليه السلام عن أبيه عن ابائه عن أمير المؤمنين قال بينا أنا أمشي مع النّبي صلى الله عليه وآله في بعض طرقات المدينة اذ لقينا شيخ طوال كثّ اللّحية طويل ما بين المنكبين فسلّم على النّبي صلى الله عليه وآله ورحّب به ثمّ التفت إليّ وقال السلام عليك يا رابع الخلفاء ورحمة الله وبركاته اليس هو كذلك يا رسول الله فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله بلى ثمّ مضى فقلت: يا رسول الله ما هذا الذي قال لي هذا الشيخ وتصديقُك له قال صلى الله عليه وآله:

(١) كنز الدقائق: ج ١ ص ٣٣٠ ـ ٣٣١ عن تفسير علي بن ابراهيم.

(٢) الأعراف: ١٤٢.

(٣) ص: ٢٦.

أنت كذلك والحمد لله إنّ الله ﷻ قال في كتابه: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[1] والخليفة المجعول فيها آدم ﷺ وقال ﷻ ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ﴾[2] فهو الثّاني وقال ﷻ حكاية عن موسى قال لهارون ﴿اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ﴾[3] فهو هارون اذا استخلفه موسى ﷺ في قومه وهو الثّالث وقال ﷻ: ﴿وَأَذَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الأَكْبَرِ﴾[4] وكنت أنت المبلغ عن الله ﷻ وعن رسوله وانت وصيّي ووزيري وقاضي ديني والمؤدي عنّي وأنت منّي بمنزلة هارون من موسى إلّا أنّه لا نبيّ بعدي فانت رابع الخلفاء كما سلّم عليك الشيخ أو لا تدري من هو؟ قلت: لا قال: هو أخوك الخضر ﷺ[5].

والخلافة بهذا المعنى ثابتة للأئمّة الطاهرين صلّى الله عليهم أجمعين سيّما قائمهم وخاتمهم عجّل الله فرجه فانّه المضطر الذي يجاب اذا دعى، ويكشف السّوء ويجعله خليفته في أرضه واليه الاشارة بقوله: ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الأَرْضِ﴾[6] وهو الموعود بالخلافة والتمكين في قوله: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ

(١) البقرة: ٣٠.
(٢) ص: ٢٦.
(٣) الاعراف: ١٤٢.
(٤) التوبة: ٣.
(٥) عيون الاخبار: ج ٢ ص ٩ ـ ١٠.
(٦) النمل: ٦٢.

خَوْفِهِمْ أَمْناً﴾[١]، الآية.

وفي الكافي عن ابي الحسن عليه السلام قال الأئمّة خلفاء ﷻ في أرضه [٢] وفيه عن محمّد بن اسحاق بن عمّار قال: قلت لأبي الحسن الأوّل عليه السلام الا تدلّني إلى من آخُذ عنه ديني. فقال: هذا ابني عليّ إنّ أبي أخذ بيدي فادخلني إلى قبر رسول الله صلى الله عليه وآله فقال يا بنّي انّ الله ﷻ قال: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ وانّ الله ﷻ اذا قال قولا وفىٰ به [٣].

وفيه دلالة على أنّ المراد بالخلافة هي الخلافة المتّصلة في كلّ عصر كما أشير إليها بقوله: ﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾[٤].

ومن فروع هذه الخلافة ما ثبت للنّائب العام في زمن غيبة الإمام عليه السلام في نشر الاحكام وبيان الحلال والحرام والقضاء بالحقّ بين الانام واقامة الحدود وولاية الايتام.

ولذا ورد في النبوي على ما رواه في «العيون» و«المعاني» من الرّضا عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله : اللّهم ارحم خلفائي ثلاث مرات فقيل: يا رسول الله ومن خلفاؤك؟ قال: الّذين يأتون من بعدي ويروون عنّي أحاديثي وسنّتي فيعلّمونها النّاس من بعدي، ومثله في «الفقيه» و«المجالس» عن امير المؤمنين عنه صلى الله عليه وآله.

---

(١) النور: ٥٥.

(٢) اصول الكافي: ج ١ ص ٣١٢ ح ٤.

(٣) اصول الكافي: ج ١ ص ٣١٢ ح ٤.

(٤) القصص: ٥١.

ومنها الولاية في الأمور التكوينيّة وفي شؤون الرّبوبيّة إذ مربوب بـاذن الله سبحانه. وهذه الخلافة ثابتة فيما شاء الله سبحانه لمن شاء من عباده كالملائكة الذّاريات والمقسّمات والمعقّبات والنّازعات والزّاجـرات وغـيرهم مـن المـلائكة الموكّلين بمصالح العالم وحفظ بني آدم، وهذه الخلافة ثابتة ايضاً للنّبي محمّد وآله الطّاهرين صلّى الله عليهم أجمعين فيما أشهدهم على خلقه واتّخذهم أعضاداً على ما يستفاد من فحوى الآية وصريح قول الحجّة عجّل الله فرجه فـي دعـاء رجب بأعضاد وأشهاد[1]، وغير ذلك من الأخبار الّتي مرّت إلى جملة منها الاشارة فـي تفسير الفاتحة.

وأمّا الخلافة الكليّة المحمّدية الثابتة له ولاوصيائه الطّيّبين فهي اشـارة إلى ذلك مضافاً إلى المعنى السّابق من وساطتهم في التّبليغ إلى جميع الاكوان في جميع العوالم ولذا ورد عنهم: انّ لله تعالى ألف ألف عالم وألف ألف آدم ونحن الحجج على جميع تلك العوالم وهؤلاء الادميّين.

وفي الكافي: عن أبي جعفر الثّاني: أنّ الله لم يزل متفرّداً بوحدانيّته ثمّ خلق محمّداً وعليّاً وفاطمة فمكثوا ألف ألف دهر ثمّ خلق جميع الاشياء فاشهدهم خلقها واجرى طاعتهم عليها وفوّض امورها إليهم فهم يحلّون ما يشاؤون ويحرّمون مـا يشاؤون ولن يشاؤا إلّا أن يشاء الله تبارك وتعالى [2].

---

(١) بحار الأنوار: ج ٩٨ ص ٣٩٣.

(٢) بحار الأنوار: ج ٢٥ ص ٢٥ بتفاوت يسير.

وفي «الاختصاص» في خبر المفضّل عن الصادق عليه السلام على ما رواه في البحار عنه عليه السلام: إنّ الله تبارك وتعالى توحّد بملكه، فعرّف عباده نفسه، ثمّ فوّض اليهم أمره، واباح لهم جنّته، فمن أراد الله أن يطهّر قلبه من الجنّ والانس عرّفه ولايتنا، ومن أراد الله أن يطمس على قلبه أمسك عنه معرفتنا. ثمّ قال يا مفضّل والله ما استوجب ادم أن يخلقه الله بيده وينفخ فيه من روحه إلّا بولاية عليّ عليه السلام وما كلّم الله موسى تكليماً إلّا بولاية علي عليه السلام ولا أقام عيسى بن مريم آية للعالمين إلّا بالخضوع لعليّ عليه السلام، ثمّ قال عليه السلام: اجمل الامر ما استاهل خلق من الله النّظر إليه إلّا بالعبودية لنا[1].

وهذه الخلافة هي المعبّر عنها بالقيام في سائر العوالم في الاداء مقامه في الخطبة العلوية الغديريّة على ما رواه شيخ الطائفة في «المتهجّد» على ما مرّت لكنّها هو المسك ما كرّرته يتضوّع، وفيها: وأشهد أنّ محمّداً عبده ورسوله إستخلصه في القدم على سائر الامم، على علم منه به انفرد عن التّشاكل والتّماثل من أبناء الجنس، وانتجبه[2] آمراً وناهياً عنه، أقامه في سائر عالمه في الاداء مقامه.

إلى أن قال عليه السلام: وانّ الله تعالى اختصّ لنفسه من بعد نبيّه صلى الله عليه وآله من بريّته خاصّة علّاهم بتعليته، وسما بهم إلى رتبته، وجعلهم الدّعاة بالحقّ إليه، والأدلّاء بالارشاد عليه، قرن قرن وزمن زمن.

أنشأهم في القدم قبل كلّ مذروء ومبروء أنواراً أنطقها بتحميده، والهمها

---

(١) البحار ج ٢٦ ص ٢٩٤ ح ٥٦ عن الإختصاص ص ٢٥٠.

(٢) في البحار: وائتمنه.

شكره وتمجيده، وجعلها الحجج على كلّ معترف له بملكة الربوبيّة وسلطان العبوديّة، واستنطق بها الخرسان بأنواع اللّغات بخوعاً له بأنّه فاطر الأرضين والسّماوات، واشهدهم خلق خلقه، وولّاهم ما شاء من أمره، وجعلهم تراجم مشيّته، والسن إرادته عبيداً لا يسبقونه بالقول: وهم بامره يعملون [١]آه.

ومنها: جامعيته للنشآت الكونيّة ومظهريّته للأسماء الالهيّة والصّفات الفعليّة على ما تأتي إليه الاشارة في قوله: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا﴾ [٢] وإن كان مرجعه إلى سابقه في ركنه الاعظم الذّي هو العمدة في معنى الخلافة قالوا: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء﴾ إستفهام على وجه الاستعلام عن وجه الحكمة والمصلحة في استخلاف أهل المعصية مكان أهل الطّاعة ليعلموا الحكمة في ذلك مفصّلاً بعدما علموه مجملاً من علمه وحكمته، أو تعجّب عن السّر النّاهض والحكمة التي أوجبت استخلاف من يفسد في الأرض لغرض عمارتها واصلاحها، مع أنّ الافساد والسفك على طرف الضّد من المطلوب على أنّ ما هو المقصود الاصلي من الخلق وهو العبادة إنّما يتأتّى منّا لا منهم ولذا قالوا: ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ أرادوا أنّهم معصومون عن معصيته، مداومون على طاعته، لا يستكبرون عن عبادته، ولا يستحسرون، يسبّحون اللّيل والنّهار لا يفترون، فاستكشفوا عن الحكمة العجيبة التي غلبت تلك المفاسد والغتها وترجّحت على مصلحة إستخلافهم على ما هم عليه من دوام الطاعة حتى أهملتها، وكان مقصودهم

(١) البحار: ج ٩٧ ص ١٣١ ـ ١١٤ ح ٨

(٢) البقرة: ٣١.

في ذلك هو الاستفسار والاستخبار، لا الافتخار والاستحقار.

والسفك: الصبّ والاهراق وانّ اختصّ بحسب الاطلاق في الدّم والدّمع، فيطلق فيهما كما يطلق السبك في الجواهر المذابة، والسفح في الصبّ من أعلى، والشنّ في الصبّ من فم القربة، وكذلك السنّ بالمهملة. فالجميع مشترك في جنس والخصوصيّة مستندة إلى الوضع أو الاطلاق والآتي منه يسفك بالكسر، وقُرىء يسفُك بالضّم، ويُسْفِك من أسْفَكَ ويُسَفِّك من سَفَّك ويُسْفَك على البناء للمفعول، فيكون الراجح إلى من سواء جعل موصولاً أو موصوفاً محذوفاً أي يسفك الدّماء فيهم.

والدّم أصله دمو بالتحريك من دمي يدمى كرضي يرضى، ولذا ابدلوا الواو ياء، وقيل: إنّ أصله الياء وجاء تثنيته على دميان ودموان، وعليهما فجمعه على الدّماء مخالف لنظائره.

وقال سيبويه: أصله دمي بالتّسكين لأنّه يجمع على دماء ودُمِي مثل ظَبى وظِباء وظُبى، ودَلْو ودِلاء ودُلي.

والمراد بالإفساد أن كان هيّج الحروب والفتن حيث انّ فيه فساد حال الإنسان الذي هو أشرف المواليد ويتبعه فساد الاخرين ولذا قال: ﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ﴾ [1]، فالعطف للبيان أو مطلق إحداث الفساد الذي هو ضد الصلاح فمن تعقيب العام بالخاص الذي هو اظهر افراده، وأشدّها في بابه، وأقبحها فعلاً، وأهمّها تركاً، وربما يفسّر بالشرك فيغاير السفك.

---

(١) البقرة: ٢٠٥.

والتسبيح التنزيه وأصله تبعيد الله عن السوء من سبح في الأرض إذا ذهب فيها وابعد، ومنه السباحة للقوم، وفرس سابح كثير الجري، ولذا قيل: إنّ السّبح في الأصل سرعة الذهاب في الماء، ثمّ استعير لجرى النجوم في الفلك، ولجرى الفرس، ثمّ لسرعة التّسبيح والطّاعة.

والواو في قوله: ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ﴾ للحال، والجملة حالية مقرّرة للاشكال على ما مرّ، والعامل فيها ﴿أَتَجْعَلُ﴾ كأنّه قال أتجعل فيها من يفسد فيها وهذه حالنا و ﴿بِحَمْدِكَ﴾ في موضع الحال أي متلبّسين بحمدك على ما ألهمتنا من معرفتك ووفّقتنا لتسبيحك، أو بحمدك بمعنى والحمد لك. نظير ﴿مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾[1] اي والنعمة له، ولعلّ مرجعه إلى الأوّل، والمراد تدارك ما أوهمه اسناد التّسبيح إلى أنفسهم وتنجيز الشكر على التوفيق للعبادة، أو نسبّحه لما هو عليه من المحامد ذاتاً وفعلاً، والمراد كونه محموداً أو نسبّحه بالتكلّم بالحمد له، فانّ النّطق بالحمد لله تسبيح له كما قيل في قوله: ﴿والملائكةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ والتّسبيحات الأربع يطلق عليها التسبيح، وإن كان بعضها تحميد او تهليلاً وتكبيراً وعلى هذا فيكون بياناً للتّسبيح متعلقاً به.

وهذا كلّه مع إرادة التنزيه من التسبيح، و يمكن ان يُرادَ به الصلاة ورفع الصوت والتكلّم كما قيل، اي نصلّي لك كما في قوله: ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ﴾[2] أي من المصلّين او نرفع أصواتنا بذكرك، ومنه قول جرير[3]:

---

(١) القلم: ٢.

(٢) الصافات: ١٤٣.

(٣) جرير بن عطيّة بن حذيفة اليربوعي الشاعر المتوفى (١١٠) هـ

قبح الاله وجوه تَغلب كلّما سَبَح الحجيج وكبّروا إهلالا

أو نتكلّم بحمدك ونتطق به لكن في تفسير الامام عليه السلام: نتزّهك عمّا لا يليق بك من الصّفات ونقدّس لك نطهّر أرضك ممّن يعصيك[١].

وهو من قدس في الأرض اذا ذهب فيها وأبعد، ومنه القدس بالسكون وبالضّم للطّهر فإنّ الطّاهر بعيد عن الاقذار، والمطهّر مبعده عنها، والمراد به ما مرّ في كلام الإمام عليه السلام.

وقيل: نتزّهك عمّا لا يليق بك من صفات النقص ولا نضيف إليك القبائح، فاللام زائدة اي نقدسك، وقيل: نصلّي لأجلك، وقيل: نطهّر أنفسنا من الخطايا والمعاصي، كأنّهم قابلوا الفساد المفسّر بالشرك على ما مرّ بالتسبيح كما قابلوا سفك الدّماء الذي هو أعظم قبائح الافعال بتطهير النفس عن الذنوب الذي هو اساس محامد الخصال، أو أنّهم جعلوا سفك الدّماء نهاية الافساد بمعناه العام وقابلوه بالتقديس الذي قيل إنّه ابلغ في التنزيه من التسبيح، حيث إنّ النظر في التّسبيح إلى أنّ العارف أنّى إستطاع في التنزيه على حسب معرفته وفي التّقديس إلى أنّ الذّات الكاملة الّتي لا يمكن في الوجود والتّصور ممّا يدانيها في شيء من الكمالِ لها الطّهارة عن كلّ سوء أطلق عليه لفظ دالّ أم لم يطلق، فقد لوحظ في الأوّل العارف وفي الثّاني المعروف.

ويمكن أن يكون الفعلان اشارة إلى ركني الكمال من صفات الجمال والجلال فانّ التسبيح بالحمد إشارة إلى تمجيده بمحامده الكثيرة الذّاتية والعقليّة في المراتب

(١) تفسير البرهان: ج ١ ص ٧٣ عن تفسير الإمام عليه السلام.

الاربع المشار إليها في الدّعاء بقوله : والحمد لله كُلَّما حمد الله شيء وكما يحبّ الله أن يحمد، وكما هو أهله، وكما ينبغي لكرمِ وجهه وعزّ جلاله[١] إلخ على ما مرّت إليه الاشارة في تفسير الحمد، والتقديس اشارة إلى تنزيهه عمّا لا يليق به من صفات الإمكان والاكوان.

ولا يخفىٰ انّ قضيّة الإطلاق هو الحمل على ما مرّ وغيره يمكن حمل اللّفظ عليه، فلا وجه لتخصيص البعض بالحمل عليه، وفي اضافة هذه الأفعال إلى أنفسهم وتمدحهم بها وصدقهم في تنزيهه وتقديسه واضافة الافساد والسفك إلى المجعول فيها على وجه يشعر بالذّم. والحوالة في الجواب عن مقالهم إجمالاً إلى علمه وتفصيلاً إلى علم المستخلف دون أن يقول إنّي أفعل ما أشاء لانتفاء الحسن والقبح وانتساب الكلّ إلى وجوه من الدّلالة على ما هو المختار من العدل والاختيار،وفساد القول بالاجبار والاضطرار، والمناقضة بمسألة الدّاعي والعلم مدفوعة بما مرّ مراراً، وأمّا إخبار الملائكة عن الإفساد والسفك فلعلّه مستند إلى مطالعة اللّوح المحفوظ أو الألواح الجزئيّة السّماوية حيث إنّه قد جرى القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة، وذلك لا يوجب سقوط سؤالهم راساً مع علمهم بجواز البداء او كون السؤال للاستفسار عن وجه الحكمة على ما مرّ، أو إلى إخبار الله سبحانه حيث إنّه أعلمهم أنّه اذا كان في الأرض خلق عظيم أفسدوا فيها وسفكوا الدّماء أو أخبرهم به بالخصوص لما يُروى عن ابن مسعود وغيره أنّه تعالى لمّا قال للملائكة إنّي جاعل في الأرض خليفة قالوا: ربّنا ويكون الخليفة؟، قالوا تكون له ذرّية يفسدون في

---

(١) بحار الأنوار: ج ٨٦ ص ٤٤ ح ٥٤.

الأرض ويتحاسدون ويقتل بعضهم بعضاً فعند ذلك قالوا : ربّنا أتجعل فيها، أو أنّهم علموا أنّ العصمة من خواص نوعهم لا نوع آخر وأن اتّصف بها منه أفراد كثيرة أو أنّهم قاسوا أحد الثقلين بالآخر لما رأوا من حال الجن الذين كانوا قبل آدم في الأرض كما يحكى عن ابن عباس والكليني قيل ويؤيّده ما في تفسير الامام عليه السلام : فقالوا ربّنا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدّماء كما فعلت الجنّ بنوا الجان الذين قد طردناهم عن هذه الأرض [1] آه وهو كما ترى اذ غايته التنظير واين هو من القياس الذي لم يجعل طريقاً لاحد من الخلق إلى معرفة شيء سيّما مع ما تضمّن القدح والتّعييب وغيره بل من المشهور المستفيض انّ أوّل من قاس ابليس فكيف استعملته الملائكة قبله.

وأمّا ما يحكى عن تفسير العيّاشي عن الصادق عليه السلام قال: وما علم الملائكة بقولهم أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدّماء لولا أنّهم قد كانوا رأوا من يفسد فيها ويسفك الدّماء[2] فالظّاهر أنّ المراد أنّهم راوا ذلك مكتوباً في الألواح السّماوية، أو أنّهم علموا ذلك ولو بطرق أخر مِنْ رأى بمعنى علم، أو أنّهم رأوا ذلك رأي العين بناءً على تجرّدهم وإحاطتهم بالازمنة وما فيها، بلا فرق بين الماضي والحال والاستقبال، أو لأنّ معنى الخلافة هو النيابة عن الله تعالى في الحكم والقضاء وانّما يكون الاحتياج إليه عند التنازع والتظالم، فالاخبار عن وجود الخليفة كانّه إخبار عن وقوع الشرّ والفساد بطريق الالتزام، أو أنّه لمّا خلق الله النّار خافت الملائكة

(١) تفسير البرهان: ج ١ ص ٧٣.
(٢) البرهان ج ١ ص ٧٤ عن العياشي.

خوفاً شديداً فقالوا: ربّنا وسيّدنا لمن خلقت هذه النار؟ قال: لمن عصاني من خلقي ولم يكن يومئذ لله خلق إلّا الملائكة. فلمّا قال: إنّي جاعل في الأرض خليفة عرفوا أنّ المعصية منهم، أو لأنّهم علموا أنّ المجعول خليفة يكون له ثلاث قوى عليها مدار أمره: شهويّة وغضبيّة تؤديان به إلى الفساد وسفك الدّماء، وعقليّة تدعوه إلى المعرفة والطاعة واستخدام الأوليين بعد تسخيرهما وتعليمهما ما علّمها الله تعالى في مقاصدها، لكن قضيّة التركيب هو التغالب والتقاهر فكلّ منها بين قاهر غالب أو مقهور مغلوب، ولذا نظروا إليها كما هي مردّدة بين الحالين وقالوا: ما الحكمة في استخلافه، وهو باعتبار تينك القوتين لا تقتضي الحكمة ايجاده فضلاً عن استخلافه وامّا باعتبار القوّة العقليّة ففي استخلافنا ما يترتّب عليه تلك المقاصد سليمة عن معارضة تلك المفاسد، ولذا قال الله سبحانه في جوابهم ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾[1] من أنّ الملائكة وان منحوا بالجنبة الرّوحانيّة ولوازمها من الاشراقات واللّذات العقليّة إلّا أنّه ليس لهم جنبة جسمانيّة ولا إستعدادات كليّة لدرجات متفاضلة، ولا إحاطة فطريّة او كسبيّة لادراك النشآت المختلفة. وأمّا الانسان فانّه محيط بجميع المراتب المختلفة محتو على ما في العوالم المترتّبة سائر في الاطوار المتباينة من الجماديّة والنباتيّة والحيوانيّة والملكيّة مستفيداً بصورته التركيبيّة التي استعدّت بها للمنح الالهيّة والفيوض الربانيّة لما تقصر عنه الاحاد كالاحاطة بالجزئيّات واستنباط الصناعات واستخراج منافع الكاينات من القوّة إلى الفعل وقوّة التّصرف فيها بالتّسخير والتّدبير والتدمير وله التّرقي عن جميع تلك المراتب بان

(١) البقرة: ٣٠.

يتحقّق له في مرتبة الجمعيّة الكليّة والجامعيّة الربانيّة والكـليّة الالهـيّة بـحيث لا يشغله شأن عن شأن ولا يحجبه ناسوت عن ملكوت فيتجاوز حـينئذ عـن/أفـق الملائكة، فهو النسخة الجامعة لحقائق الملك والملكوت، والمظهر الكلّي لحـضرة الرحموت، والمعجون المركب من القبضات المأخوذة من عالم الملكوت في صقع النّاسوت .

قال مولانا أمير المؤمنين عليه السلام: «**إنّ الله تعالى ركّب في الملائكة عـقلاً بـلا شهوة وركّب في البهائم شهوة بلا عقل وركّب في بني آدم كلتيهما فمن غاب عقله شهوته فهو خيرٌ من الملائكة ومن غلبت شهوته عقله فهو شرّ من البهائم**»[1].

وفي تفسير الامام عليه السلام :إنّي أعلم من الصلاح الكائن فيمن أجعله بدلاً منكم ما لا تعلمون ،وأعلم ايضاً أنّ فيكم من هو كافر في باطنه لا تعلمونه وهو ابليس لعنه الله[2].

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

بسط في المقام للاشارة إلى عصمة الملائكة عليهم السلام دفعاً لبعض الأوهام

إعلم أنّ المشهور الذي عليه الجمهور هو عصمة الملائكة من صغائر الذّنوب وكبائرها بلا فرق بين الملائكة الأرضيّة والسّماوية، بل ادّعى كثير من الفرقة المحقّة عليه الإجماع ووافقهم عليه أكثر المخالفين، واستدلوا عليه بأنّ المعصية في الحقيقة

(١) بحار الأنوار: ج ٦٠ ص ٢٩٩ ـعن علل الشرائع ج ١ ص ٥.
(٢) تفسير البرهان: ج ١ ص ٧٢ عن تفسير الامام عليه السلام.

عبارة عن مخالفة القوّة السافلة للقوّة العالية فيما لها أن يفعل الغرض الاعلى عند تخالف الاغراض والدّواعي، ومع بساطة القوّة وفقد التركيب من الأجزاء المختلفة لا يتصوّر التّنازع والتّمانع، وبالاجماع القطعي من الفرقة المحقّة عليه ولذا لم ينسبوا الخلاف إلّا إلى الحشوية، وبظاهر الآيات الكثيرة كقوله: ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾[1] ﴿بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ، لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾[2] إلى قوله: ﴿وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾[3] ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾[4] ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾[5] ﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾[6] وغيرها من الآيات التي لا تخفى وجوه الدّلالة فيها بملاحظة الاطلاق والعموم على ما هو المطلوب بل في هذه الآية ايضاً دلالة عليه ايضاً حيث إنّهم طعنوا باليسير من المعصية ولو كانوا من العصاة لما حس منهم ذلك الطعن، سيّما عند من لا تخفى عليه خافية هذا مضافاً إلى جملة من الاخبار الدّالة على عصمتهم ودوام طاعتهم كما في الخطبة العلويّة المرويّة في النّهج وفيها انشائهم على صور مختلفات، واقدار متفاوتات، جعلهم الله فيما هنالك أهل الامانة على وحيه، وحملهم إلى المرسلين ودائع أمره ونهيه، وعصمهم من ريب

---

(١) التحريم: ٦.
(٢) الانبياء: ٢٧.
(٣) الانبياء: ٢٨.
(٤) النحل: ٥٠.
(٥) الانبياء: ١٩.
(٦) الانبياء: ٢٠.

الشبهات، فما منهم زائغ عن سبيل مرضاته[١].

وفي تفسير فرات معنعناً عن الحسن بن علي عليه السلام في خبر طويل وفيه أنّه سبحانه جعل في كلّ سماء ساكناً من الملائكة خلقهم معصومين من نور من بحور عذبة وهو بحر الرّحمة وجعل طعامهم التّسبيح والتهليل والتّقديس، الخبر[٢].

وفي «العيون» عن الرضا عليه السلام: إنّ الملائكة معصومون محفوظون من الكفر والقبائح بألطاف الله تعالى قال الله فيهم ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾[٣] وقال عزّ وجلّ ﴿وَلَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِندَهُ - يعني الملائكة - لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾[٤] الآية [٥] ولا يخفى انّ استدلاله بظاهر الآيتين ممّا يؤكّد دلالتهما على ذلك إلى غير ذلك من الاخبار الكثيرة وقال الامام عليه السلام في تفسيره ردّاً على العامة فيما ذكروه من قصّة هاروت وماروت ما لفظه: معاذ الله من ذلك أنّ ملائكة الله تعالى معصومون عن الخطأ محفوظون من الكفر والقبائح بالطاف الله تعالى فقال الله عزّ وجلّ فيهم ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ﴾[٦]،الآية [٧] إلى آخر ما يأتي الاشارة اليه في تلك القصّة وغيرها.

واحتجّت الحشوية مضافاً إلى ما يأتي من توهّم أنّ ابليس كان منهم وقد كفر

(١) نهج البلاغة: خ ٩٠ - المعروفة بخطبة الاشباح.

(٢) البحار: ج ٥٧ ص ٩٢ عن تفسير الفرات.

(٣) التحريم: ٦.

(٤) الانبياء: ١٩.

(٥) البحار: ج ٥٩ ص ٢٧٢.

(٦) التحريم: ٦.

(٧) بحار الأنوار: ج ٥٩ ص ٣٢١.

ومن قصّة هاروت وماروت على ما اشتهر بهذه الآية حيث اشتملت على وجوه من الدّلالة، حتّى انهاها بعضهم إلى ثمانية عشرة خصلة ذميمة كانت كامنة فيهم، وقد ظهرت بالاختيار الذي هو الاخبار عن خلق الخلفاء والاخسيار وذلك لا يستمّ إعترضوا على الله الحكيم في فعله، وذلك من اعظم الذنوب، وطعنوا في بني آدم بالافساد وسفك الدّماء وهي الغيبة الّتي هي من الكبائر، وتمدحوا بخلوّ أنفسهم عنهما، وباشتغالهم بالتحميد والتقديس، بل وبانحصار ذلك بهم، حتّى كأنّهم نفوا كون غيرهم كذلك وهو يشبه العجب والغيبة اللذين هما من المهلكات والكبائر، مع ما يظهر منه من التزكية وسوء الظّن، والتّفحص عن معائب الغير، وحسدهم على فضيلته وصلاحيّته للخلافة، وحرصهم عليها، واضافتهم العبادة إلى أنفسهم لا إلى حول ربّهم وقوّته وتوفيقه وعصمته، واعتمادهم على القياس والاستنباط، والقول بغير علم سيّما في القدح على الغير، وفي الاعتراض على الحكيم وذلك لأنّ علمهم بذلك لو كان مستنداً إلى الوحي لم يكن لاعادة ذلك الكلام فائدة مع انّ قوله: ﴿أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَـٰؤُلَاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾[1] يدلّ على أنّهم كانوا كاذبين فيما قالوا وأنّ قوله: ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾[2] يدلّ على أنّهم ما كانوا عالمين بذلك قبل هذه الواقعة، وأنّهم كانوا شاكين في كونه تعالى عالماً بكلّ المعلومات، وإنّ قولهم: ﴿سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا﴾[3] يشبه الاعتذار ولولا تقدم الذنب لما اشتغلوا بالعذر،هذا مضافاً

(١) البقرة: ٣١.

(٢) البقرة: ٣٣.

(٣) البقرة: ٣٢.

إلى الاخبار الكثيرة الدّالة على ذلك من طرق الفريقين في تفسير الآية.

ففي العلل عن احدهما عليهما السلام أنّه سئل عن ابتداء الطّواف فقال: انّ الله تبارك وتعالى لمّاأراد خلق آدم قال للملائكة إنّي جاعل في الأرض خليفة فقال ملكان من الملائكة: أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدّماء فوقعت الحجب فيما بينهما وبين الله عزّوجل وكان الله تبارك وتعالى نوره ظاهراً للملائكة فلمّا وقعت الحجب بينه وبينهما علما أنّه سخط قولهما فقالا للملائكة: ما حيلتنا وما وجه توبتنا فقالوا ما نعرف لكما من التوبة إلاّ أنّ تلوذا بالعرش قال فلاذا بالعرش حتّى انزل الله عزّوجلّ توبتهما، ورفعت الحجب فيما بينه وبينهما وأحبّ الله تبارك وتعالى أن يُعبد بتلك العبادة فخلق الله البيت في الأرض وجعل على العباد الطّواف حوله وخلق البيت المعمور في السّماء يدخله كلّ يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه إلى يوم القيامة[1].

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

وفيه بالاسناد عن عليّ بن الحسين عليهما السلام في سبب كون الطّواف سبعة أشواط قال: لانّ الله تبارك وتعالى قال للملائكة إنّي جاعل في الأرض خليفة فردوا على الله تبارك وتعالى وقالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء، قال الله إنّي أعلم ما لا تعلمون: وكان لا يحجبهم عن نوره فحجبهم عن نوره سبعة آلاف عام فلاذوا بالعرش سبعة آلاف سنة فرحمهم وتاب عليهم وجعل لهم البيت المعمور الّذي في السّماء الرابعة فجعله مثابة وأمناً ووضع البيت الحرام تحت البيت المعمور فجعله مثابة للنّاس وأمناً فصار الطّواف سبعة اشواط واجباً على العباد لكلّ الف سنة شوطاً

(١) بحار الأنوار: ج ١١ص ١١٠ عن العلل.

واحداً[١] فيه، وفي العيون في علل محمّد بن سنان قال: كتب الرضا ﷺ إليه علّة الطّواف بالبيت أنّ الله تبارك وتعالى قال للملائكة إنّي جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيه ويسفك الدّماء فردّوا على الله تبارك وتعالى هذا الجواب فعلموا أنّهم اذنبوا فندموا فلاذوا بالعرش واستغفروا، الخبر قريباً ممّا مرّ وفي «الكافي» عن ابي جعفر ﷺ في خبر طويل قال ﷺ: أمّا بدؤ هذا البيت فانّ الله تبارك وتعالى قال للملائكة إنّي جاعل في الأرض خليفة فردّت الملائكة على الله تعالى فقالت: أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدّماء فاعرض عنها فرأت أنّ ذلك من سخطه فلاذت بعرشه فامر الله تعالى ملكاً من الملائكة أن يجعل له بيتاً في السّماء السّادسة يسمّى الضّراح بازاء عرشه[٢].

الخبر وفيه عنه ﷺ انّهم لمّا ردّوا عليه بقولهم: أتجعل فيها..الخ قال الله تبارك وتعالى: انّي أعلم ما لا تعلمون فغضب عليهم ثمّ سألوه التّوبة فامرهم أن يطوفوا بالضّراح وهو البيت المعمور ومكثوا يطوفون سبع سنين يستغفرون الله ﷻ ممّا قالوا ثمّ تاب الله عليهم من بعد ذلك ورضى عنهم، فهذا كان أصل الطواف ثمّ جعل الله البيت الحرام حذو الضراح توبة لمن اذنب من بني آدم وطهورا لهم[٣].

وفي المجمع عن الصادق ﷺ: انّ الملائكة سألت الله تعالى أن يجعل الخليفة منهم وقالوا نحن نقدّسك ونطيعك ولا نعصيك كغيرنا قال فلمّا اجيبوا بما ذكر في القرآن علموا أنّهم تجاوزوا ما لهم فلاذوا بالعرش استغفاراً فأمر الله تعالى آدم

---

(١) بحار الأنوار: ج ١١ ص ١١٠ ـ ١١١ عن العلل ص ١٤١.

(٢) بحار الأنوار ج ١١ص ١١٠ عن العلل والعيون.

(٣) البحار: ج٩٩ ص ٢٠٥.

بعد هبوطه أن يبني له في الأرض بيتاً يلوذ به المخطئون كما لاذ بالعرش الملائكة المقرّبون فقال الله للملائكة إنّي أعرف بالمصلحة منكم وهو معنى قوله: ﴿أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾.[١]

وروت العامة عن ابن عباس انّه قال سبحانه للملائكة الذين كانوا جنداً لابليس في محاربة بني الجان إنّي جاعل في الأرض خليفة فقالت الملائكة مجيبين له سبحانه: أتجعل فيها من يفسد فيها ثمّ علموا غضب الله عليهم فقالوا: ﴿سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا﴾[٢].

وفي بعض رواياتهم أنّهم لما قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها أرسل الله عليهم ناراً فاحرقتهم.

بل يمكن الاستدلال أيضاً بما في «الاكمال» وغيره عن النّبي ﷺ: إنّ الله تبارك وتعالى ملكاً يقال له دردائيل كان له ستّة عشر ألف جناح ما بين الجناح إلى الجناح هواء والهواء كما بين السّماء والأرض فجعل يوماً يقول في نفسه أفوق ربّنا جلّ جلاله شيء فعلم الله تبارك وتعالى ما قال فزاده اجنحة مثلها فصار له اثنان وثلاثون ألف جناح ثمّ أوحى الله ﷻ إليه أن طر فطار مقدار خمسمائة عام فلم ينل رأسه قائمة من قوائم العرش فلمّا علم الله ﷻ اتعابه اوحى إليه أيّها الملك عُدْ إلى مكانك فانا عظيم فوق كلّ عظيم وليس فوقي شيء ولا اوصف بمكان فسلبه الله أجنحته ومقامه من صفوف الملائكة فلما ولد الحسين عليه السلام هبط جبرئيل عليه السلام في

(١) البحار: ج ٩٩ ص ٢٠٦.

(٢) البقرة: ٣٢.

ألف قبيل من الملائكة لتهنئة النّبي صلى الله عليه وآله فمرّ بدردائيل فقال له سل النّبي صلى الله عليه وآله بحقّ مولوده أن يشفع لي عند ربّه فدعا له النّبي صلى الله عليه وآله بحقّ الحسين فاستجاب الله دعائه وردّ عليه اجنحته وردّه إلى مكانه(١).

وفي البصائر عن أبي عبدالله عليه السلام: قال إنّ الله تعالى عرض ولاية امير المؤمنين عليه السلام فقبلها الملائكة واباها ملك يقال له فطرس فكسر الله جناحه فلمّا ولد الحسين بن عليّ عليهما السلام بعث الله جبرئيل في سبعين الف ملك إلى محمّد صلى الله عليه وآله يهنّيهم بولادته فمرّ بفطرس فقال له فطرس يا جبرئيل إلى أين تذهب قال بعثني الله تعالى الى محمّد صلى الله عليه وآله اهنّيهم بمولود ولد في هذه الليلة فقال له فطرس احملني معك وسل محمّداً يدعو لي فقال له جبرئيل اركب جناحي فركب جناحه فاتى محمّداً فدخل عليه وهنّاه فقال له يا رسول الله أن فطرس بيني وبينه أخوة سألني أن أسألك أن تدعو الله له أن يرد عليه جناحه فقال رسول الله صلى الله عليه وآله لفطرس أتقبل؟ قال نعم فعرض عليه رسول الله صلى الله عليه وآله ولاية أمير المؤمنين عليه السلام فقبلها فقال رسول الله شأنك بالمهد فتمسح به وتمرغ فيه قال فمضى فطرس إلى مهد الحسين بن علي عليهما السلام ورسول الله صلى الله عليه وآله يدعو له قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله: فنظرت إلى ريشه وأنّه ليطلع ويجري منه الدّم ويطول حتّى لحق جناحه الاخر وعرج مع جبرئيل إلى السّماء وصار إلى موضعه (٢).

والجواب أمّا عن قصّة ابليس والملائكة فسيأتي، وامّا عن الآية فبالمنع من

---

(١) البحار: ج ٤٣ ص ٣٤٩.

(٢) البحار: ج ٢٦ ص ٣٣١.

دلالتها على المقصود بشيء من الوجوه المتقدّمة، ضرورة انّ سؤالهم لم يكن للإنكار ولا لتنبيه الله ﷻ على شيء لا يعلمه ولا للاعتراض عليه في فعله، بل إنّما المقصود من ذلك أمور منها ما مرّت اليه الاشارة من السّؤال عن وجه الحكمة فانّ إبداء الاشكال طلباً للجواب غير محذور فكانّهم قالوا ربّنا أنت الحكيم الذي لا تفعل السفه البتّة وتمكين الظّلم من الظلم والفساد قبيح من الحكيم فضلاً عن خلقه فما الحكمة في ذلك فاجابهم الله تعالى بقول: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾[1] أي من الخيرات الكثيرة التي لا يتركها الحكيم لأجل الشرور القليلة.

ومنها: أنّ ذلك مسألة منهم ان يجعل الأرض أو بعضاً لهم ان كان ذلك صلاحاً نحو قول موسى : ﴿أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا﴾[2] اي لا تهلكنا فاجابهم الله ﷻ بانّي أعلم من صلاحكم وصلاح هؤلاء ما لا تعلمون وانّ الاصلح لكم السّماء ولهم الارض، وقد مرّ في الأخبار المتقدّمة أنّهم سألوه أن يجعل الخليفة منهم فاجيبوا بذلك[3].

ومنها: أنّه تعالى أخبر الملائكة بانّه سيكون من ذريّة هذا الخليفة من يعصي ويسفك الدّماء على ما يحكى عن ابن مسعود وغيره، والغرض في اعلامه ايّاهم أن يزيدهم ايماناً ويقيناً بعلمه بالغيب، أو ليعلموا أنّ آدم انّما خلق للأرض لا للجنّة فقالت الملائكة أتجعل فيها من يفعل كذا وكذا على وجه التعرف لما فيه من الحكمة ولعلّه يرجع إلى الأوّل إلاّ أنّه يقتضي أن يكون حذف في أوّل الكلام ويكون التقدير

(١) البقرة: ٣٠.
(٢) الاعراف: ١٥٥.
(٣) البحار ج ٩٩ ص ٢٠٦.

إنّي جاعل في الأرض خليفة وإنّي عالم بأنّه سيكون في ذرّيته من يفسد فيها ويسفك الدّماء فحذف اختصاراً للقرينة.

ومنها ما قيل ايضاً في تأويلها وإن لم يخلو من ضعف مثل أنّ سؤالهم كان على وجه المبالغة في اعظام الله تعالى حيث أنّ العبد المخلص لشدّة حبّه لمولاه يكره أن يكون له عبد يعصيه وإنّ هذا الاستفهام خارج مخرج الايجاب كقول جرير: «ألستم خير من ركب المطايا» اي أنتم كذلك، وإلّا لم يكن مدحاً فكأنّهم قالوا: إنّك تفعل ذلك ونحن مع هذا نسبّح بحمدك لانا نعلم في الجملة أنّك لا تفعل إلّا الحكمة والصواب فقال تعالى: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾ من الاحاطة بظاهرهم وباطنهم وما يؤول اليه امرهم وأمّا أنتم فانّما علمتم ظاهرهم وهو الفساد والقتل أو من الاحاطة والعلم بجميع افراد هذا النّوع حيث أنّ فيهم من هو المقصود الاعظم من خلق الملائكة وسائر العالم، وأمّا أنتم فانّما نظرتم إلى بعض الافراد الموجودة بالتّبعيّة لمصالح أخر. وأمّا القدح فيهم بالغيبة فالامر فيه واضح ضرورة أنّ المقصود صدور الفعل من بعضهم ومثله لا يُعدّ غيبة سيّما بالنّسبة إلى من لم يوجد بعد سلمنا لكنّه غيبة للفساق وهي جايزة، هذا مضافاً إلى عدم تسليم حرمة ذكر مثله لعلّام الغيوب لا سيّما من الملائكة الذين جملة منهم موكّلون بتفتيش اعمال الخلائق واثباتها في الصّحف والشهادة عليها مع أنّ ايراد السؤال يوجب التّعرض لمحلّ الاشكال وأمّا التّمدح فلعلّه لاظهار النّعمة وشكرها ولتتمّة تقرير الشبهة، وأمّا العجب وهو سوء ظن بهم، وأمّا سوء الظّن فقد مرّ الكلام في مستند أخبارهم، وأمّا التزكية والفحص والحسد والحرص وغير ذلك ممّا مرّ فتطرق المنع إلى استفادتها

من الآية واضح، وقد مرّ أنّ في قوله نسبّح بحمدك دلالة على تحميدهم له بالتوفيق على ذلك مضافاً إلى ما فيه من اظهار الاختيار وتنزيهه عن الاجبار وقوله: «ان كنتم صادقين» أي في زعمكم الاحقيّة بالخلافة وقوله: «ألم أقل لكم» لظهور فضيلة آدم بعد الإعلام به مجملاً، والاعتذار غير ظاهر وعلى فرضه فلا يستلزم الذّنب، بل لعلّه اظهار للنّعمة واقراراً على أنفسهم بالعجز والعبوديّة فان كان ولابّد فاستناده إلى ترك الأوّلى اولى جمعاً بينه وبين ما دلّ على العصمة وردّاً للمتشابه إلى الايات المحكمة، وأمّا الاخبار ففيها مع التضمّن عن ضعف سند الاكثر أنّها قاصرة الدلالة لانّ اطلاق الاحتجاب والتوبة والاستغفار لا دلالة في شيء منها على صدور المعصية وارتكاب الخطيئة سيّما في شأن المقرّبين الذين يتحرّجون ويردأون على أنفسهم باقلّ من ذلك، إذ حسنات الابرار سيّئات المقرّبين مع أنّهم ربما يجبرون بمثل ذلك ما يستشعرون من انفسهم من القصور دون التقصير، وسيأتي الاشارة إلى جميع ذلك، على أنّه قد ورد أنّهم ظنّوا الاحتجاب كما في «العلل» عن الصادق عليه السلام قال: انّ الله عزّ وجلّ لما قال للملائكة ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ ضجت الملائكة من ذلك وقالوا ياربّ ان كنت لابّد جاعلاً في أرضك خليفة فاجعله منّا من يعمل في بطاعتك فردّ عليهم إنّي أعلم ما لا تعلمون فظنّت الملائكة أنّ ذلك سخط من الله عزّ وجلّ عليهم فلاذوا بالعرش يطوفون به فامر الله عزّ وجلّ له ببيت من مرمر سقفه ياقوتة حمراء واساطينه الزبرجد يدخله كلّ يوم سبعون ألف ملك لا يدخلونه بعد ذلك إلى يوم الوقت المعلوم (١)، الخبر.

(١) البحار: ج ٩٩ ص ٣٢.

إلّا أنّ ظاهرة صدق ظنهم فلا يبعد حمله على العلم سيّما بعد ملاحظة الاخبار المتقدّمة وعصمتهم عن الخطأ في الاعتقاد لكن الخطب في ذلك كلّه سهل بعد قيام الاجماع لو لم ندّع الضرورة على عصمتهم وتظافر الآيات والاخبار على ذلك فلابدّ من تأويل هذه الاخبار على فرض صحّتها وتماميّة دلالتها أو طرحها، كما أنّه المتعيّن ايضاً في الاخبار بل الآيات الدّالة على الطّعن في الانبياء وتخطئتهم ونفي العصمة عنهم سيّما مع مخالفة الاخبار المتقدمة للآيات الدّالة على عصمتهم وبراءة ساحتهم عن اقتراف الذّنوب والمعاصي على ما مرّت الإشارة إليها.

وقد استفاض عنهم وجوب العرض على كتاب الله سبحانه، فقالوا إنّ ما وافق الكتاب فخذوه وما خالف الكتاب فذروه فدعوه فاضربوه على الحائط[1].

فان قلت أنّ الاخبار الدّالة على نفي عصمتهم ايضاً توافق ظاهر الكتاب كهذه الآية والمتضمّنة لقصّة الملكين وابليس وغير ذلك، قلت قد سمعت أنّه لا ظهور في الآية أصلاً وانّه من الآيات المتشابهة التي يجب ردّها إلى المحكمات ولو بقرينة الاجماع وغيره على عدم ابقائها على ظواهرها.

ومن هنا يظهر الجواب عمّا يمكن ايراده في المقام من أن قضيّة تخصيص العام بالخاصّ حمل الآيات الدّالة على العصمة على غير مورد هذه الآية الخاصّة بحسب المورد والزّمان والمعصية وغيرها من الخصوصيّات اذ فيه انّ التخصيص بعد احراز حجّية الخاص وظهور دلالته وهو في المقام أوّل الكلام.

وتوهّم اعتضاد دلالتها بظواهر الاخبار المتقدّمة المتضمّنة لتفسيرها سيّما مع

---

(١) البحار: ج ٢ص ١٦٥.

تكرّرها في أصول الإماميّة واشتمالها على الإبناء عن بدو بناء البيت حسبما هو المشهور بين الطائفة المحقة، مدفوع بانّ المحكمات حاكمة عليها فلا ينفعها الاعتضاد بالاخبار التي سبيلها سبيل الاخبار الواردة في تفسير الايات المتضمّنة للخبر والتشبيه وغيرها ممّا يلزم فيه رفع اليد عن الظواهر كما في المقام ولو للاجماع وغيره، فان قلت إنّ الاجماع ممنوع في المقام فانّ المحكي منه غير معلوم الحجّية سيّما في مثل المسألة التي هي من فروع الاصول دون الفروع التي يجري فيها دليل الانسداد وغيره والمحقق منه غير معلوم التحقق لو لم نقل إنّ المحقّق انتفاؤه فانّ هذه الاخبار المتعلّقة بهذه القصّة أو المتضمّنة لتوبة دردائيل واخويه قد تعرض لنقلها العصابة من دون اشارة إلى ردّها أو طرحها أو التأويل فيها بما لا ينافي العصمة على أنّ الشيخ أبا جعفر الطوسي رحمه الله قد اختار في تبيانه كون ابليس مع تمرّده وعصيانه من جملة الملائكة واستدلّ على ذلك بما يأتي وأيضاً يظهر ممّا يحكى عن محمّد بن بحر الشيّباني الدّهني وهو من أجلّة الاماميّة في كلامه المحكى في «العلل» وغيره في تفضيل الانبياء على الملائكة اتّفاق جميع المفسّرين من الأمّة على كون ابليس وهاروت وماروت من الملائكة ولم يحكِ الخلاف في ذلك عن أحد من الاماميّة بل العامة ايضاً إلّا عن الحسن البصري ونسبه إلى الشّذوذ عن أقوال سائر المفسّرين ولعلّه يستفاد من كلامه دعوى الاجماع على نفي العصمة فكيف يمكن دعوى الاجماع عليها قلت لم نرد بالاجماع مجرّد الاتّفاق الذي يقدح فيه امثال هذه الاقوال الشّاذة بل المراد به ما هو الحجّة عند الامامية لكونه كاشفاً عن قول المعصوم ورضاه وهو محقق في المقام بحيث لا

يصغى معه إلى امثال هذه الاخبار والاقوال الشاذة التي لم تكن معروفة ولا مذكورة عند الامامية ولذا ادّعى المفيد الاجماع على عدم كون ابليس من الملائكة، ولعمري أنّه من الوضوح بمكان يمكن دعوى ضرورة المذهب عليه على ما ستعرف بل ولعلّه كذلك بالنّسبة إلى الملكين ولذا قال ايضاً الصّدوق بعد حكاية كلام الذّهني في «العلل» ما لفظه إنّما اردت أن تكونَ هذه الحكايةُ في هذا الكتاب وليس قولي في ابليس؛ أنّه كان من الملائكة، بل كان من الجنّ، إلّا أنّه كان يعبدالله بين الملائكة وهاروت وماروت ملكان، وليس قولي فيهما قول أهل الحشو بل كانا عندي معصومين إلى آخر ما ذكره رحمه الله[1].

عصمة الملائكة وحقيقتها

وبالجملة لا ينبغي الإشكال في أصل العصمة وعدم صدور المعصية بعد قيام الإجماع وإنّما الكلام في انّهم قادرون على الشرور والمعاصي أولا فالمحكي عن جمهور الفلاسفة وكثير من الجبريّة أنّهم خيرات محض لا قدرة لهم على شيء من ذلك بل الظاهر منهم أنّ أفعالهم كالأفعال الطّبيعية الصّادرة عن فاعلها من دون كلفة ومشقّة، بل قد يحكى عنهم: أنّهم جعلوها نفس الطّبايع الّتي تصدر عنها الأفعال من دون شعور واختيار، ولقد فرغنا عن الكلام في ابطاله على ما مرّ وظاهر المتكلّمين والفقهاء بل صريح بعضهم انّهم قادرون على كلّ من الطّاعة والمعصية، إلّا أنّهم باختيارهم وارادتهم بل واستلذاذهم وميلهم يختارون الطّاعة على المعصية كما يستفاد من هذه القصّة المتضمّنة لترك الأولى ومن قوله: ﴿وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي

(١) علل الشرائع ص٢٧.

إلهٌ﴾ (١)، الظّاهر في قدرتهم على ذلك، بل هو الظّاهر ايضاً من التمدّح بالتّسبيح والتقديس في هذه الآية، ومن قوله: ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ (٢)، وقوله: ﴿وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ﴾ (٣)، إلى غير ذلك من الايات الظّاهرة في ذلك.

بل قد يستدلّ أيضاً بانّهم لو لم يكونوا قادرين على ترك الخيرات لما كانوا ممدوحين بفعلها لأنّ الملجأ إلى الشيء ومن لا يقدر على ترك الشيء لا يكون ممدوحاً بفعل الشيء.

قال الرازي: ولقد استدلّ بهذا بعض المعتزلة فقلت له: أليس أنّ الثّواب والعوض واجبان على الله تعالى، ومعنى كونه واجباً عليه أنّه لو تركه للزم من تركه إمّا الجهل وإمّا الحاجة وهما محالان، والمفضي إلى المحال محال، فيكون ذلك الترك مُحالاً من الله، وحينئذ فيكون الفعل واجباً منه، فكون الله تعالى فاعلاً للثّواب والعوض واجب وتركه محال مع انّه تعالى ممدوح على فعل ذلك، فثبت أنّ امتناع التّرك لا يقدح في حصول المدح، قال فانقطع وما قدر على الجواب (٤).

والجواب عنه واضح ضرورة ظهور الفرق بين كون الترك مستنداً إلى الاختيار، بحيث لا يختار الفعل أصلاً أبداً ولو للحكمة او العصمة، وكونه مستنداً على العجز وانتفاء القدرة وانتفاء المدح إنّما هو في الثاني دون الأوّل الّذي يثبت معه

---

(١) الانبياء: ٢٩.

(٢) التحريم: ٦.

(٣) الانبياء: ٢٩.

(٤) تفسير مفاتيح الغيب ج ١ ص ١٧١.

القدرة والاختيار على مذهب العدليّة، إلا أنّ الرجل ليس منهم بل من الّذين يظنّون بالله ظنّ السّوء عليهم دائرة السّوء.

تفسير الآية ٣١

﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا﴾

شروع في بيان الجواب عن سؤال الملائكة على وجه التّفصيل بعد ما أجمل الجواب عنهم، وتمهيد للاستدلال على أفضليّة آدم عليهم بما خصّه من العلم.

والتعليم فعلٌ يترتّب عليه العلم غالباً، وهو في حقّه تعالى يكون بالتكوين وبالوحي والالهام، أو بمطلق الإعلام، وإطلاق المعلّم عليه غير سائغ لتوقيفية الأسماء، وغلبة إطلاقه فيما يكون بأدوات ولهوات، وإن أطلق عليه ما اشتقّ منه كما في المقام، وفي قوله: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ﴾[1]، ﴿عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾[2]، ﴿عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾[3].

وجه تسمية آدم

و«آدم» إمّا اسم أعجميّ بل في «الكشّاف»: وما آدم إلّا اسم أعجمي واقرب أمره أن يكون على فاعل كآزر، وعازر، وعابر، وشالخ، وفالغ، وأشباه ذلك.

وإمّا عربّي مشتّق من أديم الأرض، بمعنى وجهها لما روي من أنّه تعالى لما

(١) الانبياء: ٨٠.

(٢) الرحمن: ٢.

(٣) العلق: ٥.

أراد أن يخلقه أمر أن يقبض قبضةً من جميع الأرض سهلها وجبلها فخلق منها آدم، فلذلك ياتي بنوه أخيافاً اي مختلفين من قولهم: النّاس أخياف، ويقال لإخوة الامّ أخياف، لاختلافهم في نسب الاباء.

وفي خبر ابن سلام عن النّبي ﷺ انّه سأله عن آدم لم سمّي آدم؟ قال: لأنّه خُلِقَ من طين الأرض وأديمها، قال: فآدم خُلق من الطّين كلّه او من طين واحد؟ قال: بل من الطّين كلّه، ولو خلق من طين واحد لما عرف الناس بعضُهم بعضاً، وكانوا على صورة واحدة قال: فلهم في الدّنيا مثل؟ قال: التّراب فيه أبيض، وفيه اخضر، وفيه أشقر وفيه اغبر، وفيه احمر، وفيه أزرق وفيه عذبٌ وفيه ملح وفيه خشن وفيه لين وفيه أصهب فلذلك صار النّاس فيهم لينٌ وفيهم خشن، وفيهم أبيض، وفيهم اصفر، واحمر وأصهب وأسود على ألوان التّراب[1].

وفي «الاختصاص» عن الصادق عليه السلام انّه خلق آدم من صفحة الطّين[2].

أو بمعنى باطنها من الأدَمَة بالتحريك لباطن الجلد، وباطن الأرض كما في «القاموس»، أو خصوص الأرض الرّابعة كما قال الصّدوق في «العلل» بعد قول الصادق عليه السلام: إنّما سمّي آدم آدم لأنّه خلق من أديم الأرض: إنّ اسم ارض الرّابعة أديم وخلق آدم منها فلذلك قيل: خلق من اديم الأرض[3].

وان قيل إنّه لم يوجد له أثر في كتب اللّغة ولعلّه وصل إليه بذلك خبر، لكن في «قصص الأنبياء» بعد نقل خبر يأتي ذكره ما لفظه: وقيل: أديم الأرض أدنى

(١) علل الشرايع ص١٦١ وعنه البحار ج١١ ص١٠١.
(٢) البحار ج١١ ص١٠٢ عن الاختصاص.
(٣) علل الشرايع ج١ ص١٤.

الأرض الرّابعة إلى اعتدال، لأنّه خلق وسط بين الملائكة والبهائم، وستسمع ما فيه من الاشارة.

وفي «الاحتجاج» عن أبي بصير قال: سأل طاووس اليماني أبا جعفر عليه السلام لم سمّي آدم آدم؟ قال: لأنّه رفعت طينته من أديم الارض السّفلى(١).

وهذا الخبر يحتمل كلاً من الوجوه الثلاثة وغيرها.

أو من الأدمة بمعنى الألفة والاتّفاق يقال: أدَم الله بينهما اي أصلح وألّف وكذلك آدم الله بينهما فعل وأفعل بمعنى، ومنه الخبر: فانّه أحرى أن يؤدم بينكما(٢) يعني أن يكون بينكما المحبّة والاتّفاق ولعلّه الأنسب بما في «العلل» قال: اتى أميرالمؤمنين عليه السلام يهوديّ فقال: لم سمّي آدم آدم؟ قال عليه السلام: لأنّه خلق من أديم الأرض، وذلك انّ الله تبارك وتعالى بعث جبرئيل وأمره أن يأتيه من أديم الأرض أربع طينات: طينة بيضاء، وطينة حمراء، وطينة غبراء، وطينة سوداء، وذلك من سهلها وحزنها ثمّ أمره أن ياتيه بأربع مياه: ماء عذب، وماء ملح وماء مرّ وماء منتن، ثمّ أمره أن يفرغ الماء في الطّين وآدمه الله بيده فلم يفضل شيء من الطّين يحتاج إلىٰ الماء ولا من الماء شيء يحتاج إلى الطّين وجعل الماء العذب في حلقه، وجعل الماء المالح في عينيه، وجعل الماء المرّ في اذنيه، وجعل الماء المنتن في انفه(٣). الخبر.

---

(١) الاحتجاج ص ١٧٩ وعنه البحار ج ١١ ص ١٠٠.

(٢) في لسان العرب ج ١٢ ص ٨: في الحديث عن النبيّ صلى الله عليه (وآله) وسلم أنه قال للمغيرة بن شعبة وخطب امرأة: لو نظرت إليها فإنّه أحرى أن يؤدم بينكما قال الكسائي: يودم بينكما يعني ان تكون بينهما المحبة والاتفاق.

(٣) علل الشرايع ص ٢ ح ١.

وصدره وان وافق الأخبار المتقدّمة إلّا أن قوله: ادمه الله يؤمي إلى ما سمعت، وكذا قوله في الخبر الآتي عن تفسير فرات فخلقه من اديم الأرض لأنّه لمّا عجن بالماء استأدم[1]. وان كان محتملاً لغيره من الوجوه، بل صدره ظاهر فيما تقدّم، ولعلّ فيه اشارة إلى سببين للتسمية.

وربما يقال بكونه مشتقّاً من الأدمة بالفتح بمعنى الأُسوة وهي القدوة لانّه يقتدي به ذرّيته أو الملائكة ويعرف به افراد هذا النوع، قال في «القاموس»: وهو آدم اهله وادمتهم ويحرّك وأدامهم: أسوتهم الّذي به يعرفون، وقد آدَمَهم كنصر صار كذلك انتهى.

أو من الأُدمة بالضّم بمعنى السمرة لأنّهﷺ كان أسمر اللّون على ما قيل، وأورد عليه بانّه لا يناسب ما ورد من براعة جماله وانّ يوسفﷺ كان جماله على الثلث منه.

وفيه ضعف واضح فإنّ الادمة لا ينافي البراعة في الحسن، أو بمعنى القرابة والوسيلة يجعلها في ذرّيته بالتّوالد إلى غير ذلك ممّا لا يأبى عنه اللّغة والاستعمال وان كان ظاهر النّصوص هو ما سمعت.

وامّا المناقشة في أصل الاشتقاق نظراً إلى اختصاصه بلغات العرب، ثمّ في عربيّته وقد روى من أنّهﷺ كان يتكلّم بالسرّيانيّة مضافاً إلى وضوح حدوث اللّغات العربيّة.

---

(١) تفسير فرات: ٦٥ وعنه البحار ج ٥٧ ص ٩٤.

فمدفوعة بالمنع من الاختصاص وقد روى انّه ﷺ كان يتكلّم بكلّ لسان وإن كان الغالب هو البعض، وحدوث اللّغة العربيّة بعد اسماعيل غير مسلّم، وقد روى انّ الكتب السّماوية كلّها باللّغة العربيّة وان وقعت في الاسماع بلغاتٍ اخر، والظّاهر انّ التّسمية بآدم كانت من الله سبحانه.

وبالجملة لا ينبغي التأمّل في عربيّته سيّما بعد ما سمعت من الأخبار ولذا قال الجواليقي(١): اسماء الأنبياء كلّها أعجميّة إلّا اربعة: آدم، وصالح، وشعيب، ومحمد ﷺ.

بل في الخبر: أوّل من تكلّم بالعربيّة آدم ﷺ(٢).

وأمّا ما رواه في المعاني والخصال عن النّبي ﷺ: انّ أربعة من الأنبياء سريانيّون آدم وشيث وادريس ونوح(٣) فمحمول على غلبة تلك اللّغة على لسانه، والّا فقد ورد انّ الله تعالى انزل عليه الف الف لسان لا يفهم فيه اهل لسان من أهل لسان حرفاً واحداً بغير تعليم(٤).

بل في «الاختصاص» مثل ما سمعت عن «المعاني» و«الخصال» ثمّ قال

---

(١) هو ابو محمد اسماعيل بن ابي منصور موهوب بن احمد البغدادي، كان بعد ابيه امام اهل الادب بالعراق، توفى سنة «٥٣٩» هـ.

(٢) قال السيوطي: عن ابن العباس: أوّل من تكلّم بالعربيّة المحضة هو اسماعيل ﷺ واراد به عربيّة قريش التي نزل بها القرآن، واما عربيّة قحطان وحمير فكانت قبل اسماعيل ـ المزهر للسيوطي ج ١ ص ٢٧.

(٣) الخصال: ج ٢ ص ٥٢٤.

(٤) بحار الانوار ج ١١ ص ٢٥٧ ح ٣.

وكان لسان آدم العربيّة وهو لسان أهل الجنّة فلمّا عصى ربّه أبدله بالجنّة ونعيمها الأرض والحرث وبلسان العربية السّريانية[١].

إلى غير ذلك ممّا تأتي إلى بعضها الاشارة.

ومن جميع ما مرّ قد ظهر ضعف ما ذكره الزّمخشري من القطع بعجمته، وان استدلّ عليه غيره بما لا يخلو من ضعف واضح، ثمّ إنّهم صرّحوا بانّ أصله بهمزتين، لانّه أفعل لكنّهم لينّوا الثانية، واذا حركّت جعلت واواً فيجمع على أوادم، لأنّه ليس لها أصل في الياء معروف فجعلت الغالب عليها.

وفي «المجمع» انّه ان اخذ من أديم الأرض صُرف بالتنكير، أو من ادمه اللّون والصّفة فاذا سمّيت به في هذا الوجه ثم نكرته لم تصرف[٢] والوجه واضح.

ثمّ انّه ﷺ يكنّى أبا البشر، وروى أبا محمّد ايضاً ففي «البحار» عن نوادر الراوندي بالاسناد عن جعفر بن محمد عن آبائه ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: أهل الجنّة ليست لهم كنى إلّا آدم ﷺ فانّه يكنّى بأبي محمد توقيراً وتعظيماً[٣].

والمراد بالاسم ما يدلّ على الشيء في مرتبة الذّات والكينونة أو في مرتبة الفعل والطّبيعة والخواص، او في مرتبة الألفاظ الموضوعة المؤلّفة من الحروف، ولذا ينقسم إلى اقسام ثلاثة بل اربعة حسبما مرّت إليها الاشارة في تفسير البسملة.

«والكلّ» لفظ يدلّ على الاستيعاب والاحاطة بالأجزاء، ويوكّد به مثل أجمعون إلّا أنّه يبدأ في الذّكر بكلّ كما في قوله: ﴿فَسَجَدَ الْمَلآئِكَةُ كُلُّهُمْ

---

(١) بحار الانوار ج ١١ ص٥٦ عن الاختصاص.

(٢) مجمع البيان ج ١ ص٧٦.

(٣) بحار الأنوار ج ٢١ ص ١٠٧ عن نوار الراوندي ص٩.

أَجْمَعُونَ﴾[١]، لأنّ الكلّ قد يلي العوامل، وأجمعون لا يكون إلّا تـابعاً والتأكـيد بالاستيعاب إمّا باعتبار أنواع الإسم حسبما سمعت، أو افـراد كـلّ نـوع، والأولى إعتبار العموم من الجهتين، سيّما مع تأكيد الجمع المحلّى، أو أنّ المراد بـالأسماء مسمّياتها بتقدير المضاف اليه، فتشمل جميع الأكوان، وأفعالها، وخواصّها واثارها، واصول العلوم والصناعات، وانواع المـدركات مـن المـعقولات والمـحسوسات، وغيرها ممّا علّمها الله تعالى آدم تعليماً إلهاميّاً مترتباً على كمال الإستعداد الحاصل من التعليم التكويني، فانّه جعل وجوده وكينونته نسخةً مـختصرة مشـتملة عـلى كليّات ما في العوالم الملكوتيّة والنّاسوتيّة، ولذا ورد انّه قد اخذ من جميع القبضات المأخوذة من السموات والأرضين.

ففي «الكافي» عن الصّادق عليه السلام قال: إنّ الله عزّ وجلّ لما اراد ان يخلق آدم عليه السلام بعث جبرئيل في أوّل ساعة من يوم الجمعة، فقبض بيمينه قبضة، فـبلغت قـبضته مـن السماء السّابعة إلى السّماء الدنيا، واخذ من كلّ سماء تربةً، وقبض قبضةً اخرى من الأرض السابعة العليا إلى الأرض السابعة القصوى، فأمـر الله عزّ وجلّ كـلمته فأمسك القبضة الأولى بيمينه، والقبضة الاخرى بشماله، ففلق الطّـين فـلقتين، فـذرا مـن الأرض ذرواً ومن السموات ذرواً، فـقال للّـذي بـيمينه: مـنك الرّسـل والأنـبياء والأوصياء والصّديقون والمؤمنون والسعداء ومن أريد كرامته، فوجب لهم ما قـال كما قال، وقال للّذي بشماله: منك الجبّارون والمشركون والكافرون والطّواغـيت ومن اريد هوانه وشقوته، فوجب لهم ما قـال كـما قـال ثـمّ انّ الطّـينتين خُـلِقَتا

---

(١) الحجر: ٣٠.

جميعاً[١]، الخبر على ما يأتي.

فانّ المراد بيوم الجمعة يوم إجتمع فيه خلق العالم، وتمّ فيه مراتب الوجود الكليّة من العلويّة والسّفليّة على ما أشير إليه في الأخبار المتضمّنة لبيان خلق السموات والارض في ستّة ايّام.

وأمّا ما يقال فى بيان تفصيل القبضات الّتي يستفاد من بعض الأخبار كونها عشرا من انّها في المؤمن قبضة من محدّد الجهات خلق منها قلبه وقبضة من الكرسي خلق منها صدره، وقبضة من فلك زحل خلق منها عقله، وقبضة من فلك المشتري خلق منها علمه، وقبضة من فلك المريخ خلق منها وهمه، وقبضة من فلك الشمس خلق منها وجوده، الثّاني، وقبضة من فلك الزّهرة خلق منها خياله، وقبضة من فلك عطارد خلق منها فكره، وقبضة من فلك القمر خلق منها حياته، وقبضة من أرض الدّنيا خلق منها جسده، وفي الكافر قبضة من الحوت الّذي على البحر تحت الأرضين فخلق منها قلبه، وقبضة من الثور فخلق منها صدره، وقبضة من الأرض السّابعة القصوى أرض الشقاوة فخلق منها دماغه، وقبضة من الأرض السادسة خلق منها علمه، وهي ارض الالحاد وقبضة من الأرض الخامسة أرض الطغيان خلق منها وهمه، وقبضة من الأرض الرابعة أرض الشهرة خلق منها وجوده الثّاني، وقبضة من الأرض الثالثة أرض الطبع خلق منها خياله، وقبضة من الأرض الثّانية أرض العادة خلق منها فكره، وقبضة من الأرض الاولى أرض النفوس خلق منها جسده، وقبضة من سماء الدنيا خلق منها حياته.

---

(١) بحار الانوار: ج ٦٤ ص ٨٧ عن الكافي ج ٢ ص ٥.

فهو مبنيّ على مقدّمات واصول لا يخلو بعضها عن ضرب من الحدس والتخمين على ما أشرنا إليه سابقاً.

لكن القدر المعلوم من ملاحظة أخبار الباب كقول الصادق عليه السلام: انّ الصّورة الانسانيّة هي مجموع صور العالمين وهي المختصر من العلوم في اللّوح المحفوظ[1] وقول العالم عليه السلام: خلق الله عالمين فعالم علوي وعالم سفلي وركّب العالمين جميعاً في ابن آدم[2] والشعر المنسوب إلى مولانا أميرالمؤمنين عليه السلام:

أتزعم انك جرم صغير وفيك انطوى العالم الاكبر

إلى غير ذلك ممّا مرّت إليه الاشارة في تفسير الفاتحة[3].

هو انّ الانسان جامع بجمعيّته الكونيّة لجميع النشأت الكليّة، محتوٍ على روحانيات العوالم الملكيّة والملكوتيّة، مطرح لاشعّة نجوم الدّراري العلوية وقوى الاجسام السّفليّة، ولذا إستعدّ بكينونتها لادراك ما فيها والتخلق باخلاقها.

قال مولانا أميرالمؤمنين في الخطبة المذكورة في النّهج: ثمّ جمع سبحانه من حَزنِ الأرض وسهلها، وعذبها وسبخها تربةً سنّها بالماء حتّى خلصت، ولاطها بالبلّة حتّى لزبت، فجبل منها صورةً ذات أحناء ووصول، واعضاء وفصول، أجمدها حتّى إستمسكت، وأصلدها حتّى صلصلت، لوقت معدود وأجل معلوم، ثمّ نفخ فيها من روحه، فمثلت إنساناً ذا اذهان يجيلها، وفكر يتصرّف بها، وجوارح يختدمها، وأدوات يقلّبها، ومعرفة يفرق بها بين الحقّ والباطل، والاذواق والمشامّ

(١) شرح الاسماء الحسنى ج ١ ص ١٢.

(٢) الاختصاص ص ١٤٢.

(٣) تفسير الصراط المستقيم ج ٣ ص ٤١٢.

والألوان والاجناس، معجوناً بطينته الألوان المختلفة، والاشباه المؤتلفة، والاضداد المتعادية، والاخلاط المتباينة، من الحرّ والبرد، والبلة والجمود، والمسائة والسرور، الخطبة [١].

وفي تفسير فرات عن مولانا أميرالمؤمنين عليه السلام: انّه سبحانه لمّا خلق السموات والأرض واللّيل والنّهار والنجوم والفلك وجعل الأرضين على ظهر حوت أثقلها فاضطربت فاثبتها بالجبال فلمّا استكمل خلق ما في السموات والأرض يومئذ خالية ليس فيها أحد قال للملائكة: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾، فبعث الله جبرئيل عليه السلام فاخذ من أديم الأرض قبضةً، فعجنة بالماء العذب والمالح، وركّب فيه الطبايع، قبل أن ينفخ فيه الروح، فخلقه من أديم الأرض فلذلك سمّي آدم، لأنّه لمّا عجن بالماء إستادم فطرحه في الجبل، كالجبل العظيم، وكان ابليس يومئذ خازناً على السّماء الخامسة، يدخل في منخر آدم ثمّ يخرج من دبره، ثمّ يضرب بيده على بطنه فيقول لايّ أمر خلقت؟ لإن جعلت فوقي لا أطعتك، وان جعلت أسفل منّي لا أعينك، فمكث في الجنّة ألف سنة ما بين خلقه إلى أن ينفخ فيه الروح، فخلقه من ماء وطين، ونور وظلمة، وريح ونور من نور الله تعالى، فامّا النور فتورثه الايمان، وامّا الظلمة فتورثه الكفر والضّلالة، وأمّا الطّين فيورثه الرعدة والضّعف والاقشعرار عند اصابة الماء، فينبعث به على اربع

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة الاولى.

طبايع: على الدّم، والبلغم، والمرار، والرّيح[١]، الخبر.

إلى غير ذلك ممّا يستفاد منه كونه مخلوقاً من الطّبايع السّفلية والأرواح العلوية الفلكيّة والنّاطقة القدسيّة والكليّة الالهيّة حسبما تسمع الكلام فيها عند تفسير قوله تعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾[٢].

الأسماء الّتي علّمها الله سبحانه آدم

وهذا التّعليم تعليم تكوينيّ للاسماء الّتي هي كليّات العوالم وجزئيّاتها، وهي مظاهر للأسماء الالهيّة الّتي هي النعوت الكماليّة والصّفات الجماليّة والجلاليّة باعتبار غلبة ظهور الصّفة الّتي اشتمل عليها ذلك الاسم فيه، وهي الّتي تسمّى كليّاتها بالمهيّات والحقايق، وجزئيّاتها بالهويات عند قوم، وتسمّى عند آخرين بالفيض الّذي ينقسم عندهم إلى الفيض الأقدس والفيض المقدّس، وبالأوّل يحصل إمكانات الأعيان وإستعداداتها بالمشيّة الامكانيّة، وبالثّاني يحصل تلك الأعيان في عالم الاكوان، مع لوازمها وتوابعها وآثارها وارتباطاتها بالمشيّة الكونيّة، ولهذا كلّما كانت أفراد هذا النّوع أكمل كان مظهريّتها للاسماء الالهيّة أظهر، ونبيّنا محمّد وآله الطاهرين صلّى الله عليهم أجمعين أفضل الموجودات واكمل البريّات.

ولذا ورد في الأخبار الكثيرة أنّهم أسماء الله الحسنى الّتي لا يقبل الله من احد إلّا بولايتهم ومعرفتهم وكرامتهم لأنّ الله تعالى جعلهم أبوابه وحجّابه ودلائل معرفته

---

(١) تفسير فرات ص ٦٥ وعنه البحار ج ٥٧ ص ٩٤.

(٢) الحجر: آية ٢٩.

ووسائل فيضه وكرامته، فهم الأعراف الّذين لا يعرف الله تعالى إلّا بسبيل معرفتهم، وهم الأسماء الّذين علّمهم الله تعالى آدم وشرّفه بهم، واكرمه باسجاد الملائكة تعظيماً لهؤلاء الأنوار، وتكريماً لآدم وعبوديّته لله سبحانه.

ففي «الاكمال» وغيره عن الصادق عليه السلام قال الله تبارك وتعالى علّم آدم اسماء حجج الله كلّها ثمّ عرضهم وهم أرواح على الملائكة فقال أنبئوني باسماء هؤلاء إن كنتم صادقين انكم أحقّ بالخلافة في الأرض لتسبيحكم وتقديسكم من آدم ﴿قَالُواْ سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ قال الله تبارك وتعالى: ﴿يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ فَلَمَّا أَنبَأَهُمْ بِأَسْمَآئِهِمْ﴾ وقفوا على عظيم منزلتهم عند الله تعالى ذكره، فعلموا أنهم أحقّ بأن يكونوا خلفاء الله في ارضه وحججه على بريّته ثمّ غيّبهم عن أبصارهم واستعبدهم بولايتهم ومحبّتهم وقال لهم ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ﴾[1]، الاية.

وفي تفسير الامام عليه السلام: وعلّم آدم الاسماء، كلّها أسماء انبياء الله واسماء محمّد وعليّ وفاطمة والحسن والحسين والطّيّبين عن آلهما واسماء خيار شيعتهم وعتاة أعدائهم[2].

وفيه عن سيّد الشهداء قال: إنّ الله تعالى لمّا خلق آدم وسوّاه وعلّمه اسماء كلّ شيء وعرضهم على الملائكة جعل محمّداً وعليّاً وفاطمة والحسن

(١) بحار الانوار ج ٢٦ ص ٢٨٣ ح ٣٨ عن اكمال الدين.
(٢) تفسير البرهان ج ١ ص ٧٣ عن تفسير الإمام عليه السلام.

والحسين ﷺ اشباحاً خمسة في ظهر آدم[١]، إلى آخر مايأتي في الامر بالسجود له.
وفي «المجمع» عن الصادق ﷺ أنّه سأل عن هذه الآية فقال: الأرضين والجبال والشعاب والاودية ثمّ نظر إلى بساط تحته فقال وهذا البساط ممّا علّمه الله[٢].

ورواه العيّاشي في تفسيره وفيه انّه سئل الصّادق ﷺ عن الأسماء في قوله: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ ما هي؟ فقال ﷺ: أسماء الأودية والنبات والشّجر والجبال من الأرض[٣].

وفيه عن داود بن سرحان العطار قال: كنت عند أبي عبدالله ﷺ فدعا بالخوان فتغذّينا، ثمّ جاؤا بالطّست والدست شويه[٤] فقلت: جعلت فداك وعلم آدم الاسماء كلّها الطست والدست شويه منه؟ فقال: الفجاج والأودية وأهوى بيده كذا وكذا[٥].

وفي تفسير القمي قال: اسماء الجبال والبحار والاودية والنّبات والحيوان.

وقد ظهر لك ممّا لوّحنا إليه الجمع بين اخبار الباب، بل بينها وبين ما قيل: من أنّ المراد بالاسماء هي الاسماء الالهيّة أو الحقائق الكونيّة الّتي هي لها مظاهر كليّة، وذلك لأنّه قد تواتر عنهم انّه تعالى خلق أوّل ما خلق أنوار محمد وآل محمّد وارواحهم ﷺ، ثمّ خلق من أشعّة انوارهم سائر الحقائق الكليّة من المجرّد والمادّية العلويّة والسّفلية، على حسب درجاتها ومراتبها وقربها من ينبوع الرّحمة الكلّية

---

(١) بحار الانوار ج ١١ ص ١٥٠ عن تفسير الامام ﷺ.
(٢) مجمع البيان ج ١ ص ٧٦.
(٣) البحار ج ١١ ص ١٤٧ عن تفسير العيّاشي.
(٤) الدست شويه: كلمة فارسيّة اي الاناء الذي يغسل فيه الايدي.
(٥) البحار ج ١١ ص ١٤٧.

وبعدها عنه، كما أشير اليه فيما مرّ نقله من كتاب «الانوار» وغيره، وقد علّمها الله تعالى آدم بأن جعل تكوينه من القبضات المأخوذة من جميع العوالم الكليّة، وجعل طينة مستعدّةً لظهور الحجج والأنبياء سيّما محمّد وآله الطّيبيّن صلوات الله عليهم أجمعين. منها في هذه النشأة الدّنيوية. فعلّمه الاسماء الكلّية والحقائق الكونيّة تعليماً تكوينيّاً، وجعلها مستعدّة لإدراك كلّ حقيقة من الحقائق بما فيه من القبضة المأخوذة من تلك النشأة والتّجلي الحاصل من ذلك الاسم، فكان انموذجاً وخلاصةً مأخوذة من جميع العوالم، فخلق في عالم النّاسوت بعد خلق جميع اجزائه الكونيّة، لأنّ ما هو متقدّم في الخلقة الملكوتيّة متأخّر في الظّهور النّاسوتي فيتعاكس التقدّم الدّهري والزّماني، فلمّا دارت الأدوار وتمّت الاكوار ظهر الانسان، محيطاً على جميع الشؤون والنّشآت، مجمعاً لجميع الاقتضاءات والاستعدادات، قابلاً للتّرقيات من جميع الجهات، فهو ثمرة شجرة الوجود، والقابل لاشراق أشعّة انوار الشّهود، فكما أنّ الثمرة تعبر على اجزاء الشجرة كلّها حتّى تظهر على أعلى الشجرة بعد تمامها، كذلك عبّر آدم على جميع أجزاء شجرة الوجود حتّي ظهر في هذه النشأة الدّانية السافلة في كسوة الناسوت.

وأمّا الملائكة فكلّ منهم له مقام معلوم لا يتعدّاه، ولا يدرك ما سواه، ولا يعبدالله سبحانه إلّا بلسان واحد، ولا يدعوه إلّا باسم واحد، وأمّا سائر الاسماء الالهيّة فمحجوبة عنهم لا يدركونها أصلاً نعم ربما كان الاسم الّذي يدعوه به واحد منهم مغايراً لما يدعوه به الآخر لكنّها متّفقة في نوع الإتّحاد بخلاف الانسان، فانّه يدعوه باسمائه الحسنى وامثاله العليا ونعمه الّتي لا تحصى المفسّرة في الأخبار

الكثيرة بالنّبي والأئمّة عليهم الصلاة والسلام.

ومن هنا يتّضح تفسير الأسماء بالانبياء والحجج وبتلك الحقائق الكلّية والاعيان الموجودة الخارجيّة الّتي عبّر عنها بالأرضين والجبال والنّبات والحيوان وغيرها ممّا هي تعيّنات لتلك الحقايق البسيطة والمركبّة.

وقريء: وعُلِّمَ آدمُ الاسماء على البناء للمفعول.

﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ﴾

عرض هؤلاء الأسماء الفعليّة الذين هم نفس الحقائق الكونيّة المشتملة على ذوات العقول الذين هم الأصول لها ولو باعتبار الشرف وسبق الخلقة ووساطة الفيض تكويناً وتشريعاً على النّحو المقرّر، أو مسمّيات الأسماء اللّفظيّة المدلول عليها ضمناً باعتبار حذف المضاف إليه في قوله: «وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء» لدلالة المضاف عليه، وتعويض اللّام عنه كما في قوله: ﴿وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْباً﴾[1]. فينتظم حينئذٍ قوله: ﴿عَرَضَهُمْ﴾ وقوله: ﴿بِأَسْمَاءِ هَؤُلاءِ﴾ ولم يجعل المحذوف مضافاً اي مسمّيات الأسماء لينتظم تعليق الإنباء على الأسماء فيما ذكر بعد التعليم وعلى الوجهين فالمراد اشباح المخلوقات وحقايقها فرداً فرداً في عالم الملكوت. فانّ السؤال عن أسماء المعروضات، فلا يكون المعروض نفس الاسماء سواء أريد بها الألفاظ او الاثار واللّوازم والفوائد.

وتذكير الضّمير إمّا لأنّ لكلّ منها عقلاً وشعوراً في عالمه، ولذا نسب إليهم

---

(١) مريم: ٤.

التّسبيح وذكّرهم في قوله: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَـٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾[١]. وإمّا لتّغليب ما اشتمل عليه من العقلاء لما مرّ كما في قوله: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ أَرْبَعٍ﴾[٢]. وإمّا لكون الضّمير للنّبي والائمّة الطّاهرين صلّى الله عليهم أجمعين.

ولذا قال الامام عليه السلام في تفسيره: عَرَض محمّداً وعليّاً والائمّة عليهم السلام على الملائكة اي عرض اشباحهم وهم أنوار في الأظلّة[٣].

وفي الخبر المتقدّم: علّم آدم أسماء حجج الله كلّها ثمّ عرضهم وهم أرواح على الملائكة[٤].

وقراءة أُبي[٥] «ثم عرضها»، وعن ابن مسعود: ثمّ عرضهنّ، ويظهر الوجه فيهما ما مرّ.

والعرض مصدر من قولهم: عرضت المتاع على البيع، وعرضت الجند عليه، وعرضت البعير على الحوض، وإن كان هذا من المقلوب، وأصله في اللّغة النّاحية من نواحي الشيء، ومنه العرض بالفتح خلاف الطّول، وبالكسر يقابل به المال، فإنّه

---

(١) الاسراء: ٤٤.

(٢) النور: ٤٥.

(٣) تفسير البرهان ج١ ص٧٣ عن تفسير الامام عليه السلام.

(٤) البحار ج٢٦ ص٢٨٣ عن اكمال الدين.

(٥) هو أُبيّ بن كعب ابو المنذر الانصارى سيّد القراء، توفي سنة (١٩) هـ العِبَر للذهبي ج ١ ص ٢٣.

ناحيته الّتي يصونها عن المكروه، ثمّ أطلِق على الإظهار الّذي يعرف به جهة الشيء وناحيته، ثمّ على مجرّد الإظهار.

نعم قد يقال: إنّه يختصّ بالمحسوسات بالعين يقال: عرضت الجند، عرض العين إذا أمررتهم عليك ونظرتَ ما حالهم، كما عن الجوهري، وهذا ممّا يؤيّد كون المعروض نفس المسمّيات لا الأسماء الّتي هي المسموعات او ما في حكمها، والمعنى أظهرهم على الملائكة بكشف الحجب عن الأرواح واراءة الاشباح وهم فى أصقاع الملكوت وسرادقات الجبروت متوجّهين إلى الحيّ الّذي لا يموت فقال الله سبحانه لملائكته تعجيزاً وتبكيتاً لهم، وتنبيهاً على قصورهم عن أمر الخلافة او تكليفاً مطلقاً أو مشروطاً:

﴿أَنبِئُونِي﴾ أخبروني على وجه الإحاطة العلميّة الّتي لا تتأتّى إلّا بالاحاطة الكونيّة أو أنّ المراد مجرّد الإخبار، فإنّ الإنباء إخبار فيه إعلام ولذا يجري مجرى كلّ منهما﴿بِأَسْمَاءِ هَٰؤُلَاءِ﴾ الحجج الّذين لولاهم لم يخلقكم الله تعالى، ولا أرضاً ولا سماءً، ولا شيئاً من الأكوان المجرّدة والمادية، وذلك لأنّهم هم العلل الغائيّة والمقاصد الاصليّة من خلق العالم وآدم، وهم المختصوّن بالخلافة الكليّة والوسائط الأوّليّة للفيوض الالهيّة أو باسماء الله الّتي بما خلقت هذه الاشباح، فانّها بتمامها كانت محجوبة عن الملائكة إلّا نوعاً واحداً لكلّ صنف منهم او بخواص تلك المسمّيات وآثارها ووجوه استنباط منافعها وافعالها وغير ذلك ممّا يتوقّف عمارة الأرض والانتفاع بما فيها عليها ﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ في زعمكم أنكم أحقّاً بالخلافة من ذرّيّته لعصمتكم أو اشتغالكم بالتّسبيح والتّقديس على ما يستفاد من

خبر «الاكمال» المتقدّم[1].

أو أنّ جميعكم مطيعون منقادون وليس فيكم من يعصي الله وان لم يكن منكم لشمول الخطاب للجميع، ولذا قال الامام ﷺ في تفسير: ﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ أنّ جميعكم تسبّحون وتقدّسون، وان ترككم هنا أصلح من ايراد من بعدكم، اي فكما لم تعرفوا غيبَ مَن في خلالكم فالحريّ أن لا تعرفوا الغيب الّذي لم يكن كما لا تعرفون اسماء أشخاص ترونها.

أو في زعمكم انّه لن يخلق الله تعالى خلقاً إلّا وانتم اعلم منه وافضل في سائر انواع العلوم فقيل: إن كنتم صادقين في هذا الظنّ فاخبروا.

او انّ المراد. إن كنتم صادقين فيما تخبرون به من اسمائهم فأخبروا بها ومعناه هو التّعليق بالعلم على أحد الوجهين اللّذين تأتي إليهما الاشارة.

أو في أنّ خلقهم واستخلافهم مع أنّ من شأنهم الإفساد والقتل لا يليق بالحكيم وعلى هذا فقولهم: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ﴾ وإن كان انشاءً إلّا أنّ التّصديق لم يتعلّق به من هذه الجهة، بل باعتبار ما يلزم مدلوله من الإخبار.

ثمّ الأمر في قوله: ﴿أَنبِئُونِي﴾ يحتمل كونه توطينا امتحانياً محضاً بمعنى انّه لم يتعلّق الغرض بطلب فعل المأمور به أصلاً ولو على وجه الاشتراط، فالأمر وان كان أمراً في الصّورة إلّا أنّ المراد به هو البعث على التّصديق والاذعان بحكمته تعالى وعلمه بالغيوب او بفضل آدم عليهم على ما يأتي على حدّ سائر الأوامر الامتحانيّة الّتي ليس هناك في الحقيقة طلب اصلاً.

---

(١) تقدّم عن البحار ج ٢٦ ص ٢٨٣ عن الاكمال.

ويقرب من ذلك ما قيل: من كونه للتبكيت تنبيهاً على عجزهم عن اقامة رسم الخلافة، فإنّ التّصرف والتّدبير والقضاء بالقسط متوقّف على تحقّق المعرفة والوقوف على مراتب الاستعدادات وقدر الحقوق.

ويحتمل كونه أمراً حقيقيّاً مشروطاً بصدقهم أي بعلمهم على ما مرّ ويأتي أو بغيره ممّا لم يتحقّق بعد كي يتنجز الأمر بالنّسبة إليهم، او حقيقيّاً مطلقاً في الحقيقة وإن كان مشروطاً في الظّاهر، وذلك لتّحقق الشّرط الّذي علّق عليه الأمر وهو صدقهم فيما أخبروا عنه من عبادتهم، او كون ذرّيّة آدم ممّن يفسد فيها ويسفك الدّماء، والامتثال على هذا الوجه وان لم يكن مقدوراً لهم بالذّات لجهلهم بتلك الاسماء إلّا انّهم مقدور لهم بواسطة رجوعهم إلى آدم وتعليمهم منه، ولذا أمر الله تعالى آدم بتعليمهم إزاحة للعلّة وتنبيهاً على فضل آدم عليهم وعدم استغنائهم عنه في عبوديّتهم وطاعتهم لله سبحانه وهذا الوجه وإن لم أجد من تعرّض له من المفسّرين إلّا أنّه لا بأس به بعد المحافظة على استقامة الكلام واحراز الفائدة.

نعم قال شيخنا الطّبرسي بعد تأويل الاشتراط بالصدق إلى ارادة العلم بالخبر على ما مرّ والاشارة إلى أنّ معنى الأمر هو التنّبيه او انّه يكون امراً مشروطاً ما لفظه: ولا يجوز أن يكون ذلك تكليفاً لأنّه لو كان تكليفاً لم يكن تبييناً لهم ان آدم يعرف اسماءَ هذه الاشياء بتعريف الله ايّاه وتخصيصه من ذلك بما لا يعرفونه فلمّا اراد تعريفهم ما خصّ به آدم من ذلك علمنا أنّه ليس بتكليف انتهى[1] كلامه زيد مقامه.

---

(١) مجمع البيان ج١ ص٧٧.

وفيه انّ ارادة تعريفهم ما خصّ به آدم من ذلك ليس مانعاً عن كونه تكليفاً لهم، بل لعلّه يؤكّده من حيث إنّهم لما أُمروا بالإنباء ولم يقدروا عليه إلّا من جهة التّعلم من آدم ثمّ أنبأهم آدم بها بامره سبحانه علموا أنّ له الفضلَ والشرفَ بالعلم وزيادة حقّ التعليم لهم فيما توقّف عليه طاعتهم وتقرّبهم إليه سبحانه، فهذا تنبيه على شرفه وفضله عليهم على وجه ابلغ كما لا يخفى.

وممّا يؤمى إلى ما ذكرنا انّ كلّاً من الاشتراط والتّوطين خلاف الظّاهر من الأمر، ومن البيّن انّ المتعيّن هو الحمل على الظّاهر الّذي هو الإطلاق إلّا أن يمنع عنه مانع، والاصل بل الظّاهر ايضاً عدمه مضافاً إلى أنّ اعتذارهم بعدم العلم دليل على عدم فهم الاشتراط من الخطاب بل كانّهم فهموا الطّلب على وجه الاطلاق فاعتذروا بعدم العلم فازاح الله عذرهم بانّ امر آدم بتعليمهم وانبائهم.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

تفسير الآية (٣٢)

﴿قَالُواْ سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا﴾

تنزيه منهم له سبحانه عن أن يكون فعله على غير وجه الحكمة او أن يعلم الغيب أحد سواه واعتذار عن الإستفسار مع الإشعار بأنّه لم يكن للإعتذار بل لمجرّد الاستخبار واعتراف بالعجز والقصور عن الاحاطة بوجوه الحكمة في أفعاله، وانّه قد ظهر له ما خفي عليهم من علم الانسان وفضله والحكمة في خلقه ومراعاة للادب حيث مجدّوه اوّلاً بالتنزيه الّذي هو ابلغ من اثبات الكمال، اذ ربّما لا يخلو عن شوب التّوهم والتشبيه، ولذا قال سبحانه: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا

﴿يَصِفُونَ﴾[1]، ثمّ نفوا العلم بجنسه المستوعب بجميع أفراده عنهم ونسبوه إليه، ثمّ أظهروا شكر نعمته بما منحهم به منه، ولذا أضافوا ﴿إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا﴾ إلى قولهم: ﴿لاَ عِلْمَ لَنَا﴾ مع الإكتفاء به في الجواب، فانّهم أرادوا أن يضيفوا إلى ذلك التعظيم له والاعتراف بانعامه عليهم بالتّعليم وان جميع ما يعلمونه إنّما يعلمونه من جهته، وانّ هذا ليس من جملة ذلك، ثمّ حقّقوا الإعتراف بعلمه وحكمته واكّدوه بقولهم: ﴿إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ﴾ بكلّ شيء علماً ذاتيّاً لم يعرض ولا يزول ﴿الْحَكِيمُ﴾ المصيب في كلّ فعل من أفعاله، المحكم لمبدعاته على أتمّ الوجوه وأتقنها.

ومن هنا يظهر أنّ مفهوم الحكمة زائد على مفهوم العلم، فلا تكرار، وانّ في الفعيل من المبالغة ما ليس في الفاعل، وانّ تقديم الأوّل علي الثّاني طبيعيّ.

و﴿سُبْحَانَ﴾ مصدر كغفران، أو إسم للتّسبيح يقوم مقامه، ولا يكاد يستعمل إلّا مضافاً منصوباً بفعل مضمر كمعاذ الله، وهو هنا مضاف إلى المفعول، دون الفاعل، ويضاف إلى الضّمائر الثلاثة وإلى الظّاهر، ويستعمل مقطوعاً للتعجّب، تقول العرب: سبحان من كذا إذا تعجّبوا منه، ومنه قول الأعشى[2]:

أقول لمّا جاءني فخرهُ سبحان من علقمة الفاخر

قال الجوهري: وانّما لم ينوّن لأنّه معرفة عندهم وفيه شبه التأنيث[3].

والمراد به في المقام الاشعار بتنزيهه تعالى على ما مرّ أو اظهارهم التّعجب

---

(١) الصافّات: ١٨٠.

(٢) هو عامر بن الحارث الباهلي، شاعر جاهلي وأشهر شعره «رأيته في رثاء أخيه لأمّه: المنتشر ابن وهب اوردها البغدادي برمّتها في خزانة الأدب ج ١ ص ٩.

(٣) الصحاح ج ١ ص ٣٧٢ في سبّح.

عن سؤالهم عمّا لا يعلمونه، او معناه السّرعة إليه والخفة في طاعته على ما صرّح به في «القاموس» اخذاً له من السباحة للقوم، ومنه السابحات للسفن، أو أرواح المؤمنين أو النجوم.

و«لا» لنفي الجنس تفيد بنفيه نفي جميع الافراد، والظّرف بمتعلّقه في موضع الرّفع على الخبريّة، والموصول بدل من اسم «لا» و العائد محذوف، و«أنت» فصل فلا موضع له من الاعراب، أو مبتدأ خبره «العليم الحكيم» والجملة خبر إنّ أو تأكيد للكاف كما في قولهم: مررت بك انت.

تفسير الآية (٣٣)

﴿ قالَ يا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمآئِهِمْ ﴾

أخبرهم بالحقائق الكلّية الّتي لم تزل محجوبةً عنهم، والمعارف اليقينيّة الّتي لم تتكشف لهم ممّا لديهم من العلوم الخاصّة بهم، والطرق الموصلة لهم إلى معرفته كي يعرفوا جامعيّتك بين الصفات المختلفة والأسماء المتباينة وقابليّتك للخلافة الكلّية والموهبة الربّانيّة وظهور أنوار الأنبياء والأولياء سيّما نبيّنا خاتم النّبيّين وآله الطيّبين صلّى الله عليهم أجمعين من صلبك في هذا العالم الجسماني الّذي هو مجمع التّضاد ومطرح الاشعّة.

وقُرِيء بقلب الهمزة ياءً وبحذفها، والهاء فيهما مكسورة، وهما من الشواذ، بل وكذا ما يحكى عن ابن عامر[١] من تفرّده بكسر الهاء مع الهمزة كما عن بعض

---

(١) هو عبدالله بن عامر ابو عمران الدمشقي أحد القرآء السبعة، ولي قضاء دمشق في خلافة =

العرب، وقرأ الباقون بضمّ الماء معها بناءً على أنّ الاصل في هاء الضمير أن تكون مضمومة، وانّما تكسر اذا وليها كسرة او ياء نحو بهم، وعليهم، وفي خبر أسؤلة عبدالله بن سلام[1] عن النّبيﷺ انّه قال: يا محمّد أخبرني كم خلق الله نبيّاً من بني آدم؟ قال: يا بن سلام خلق الله مائة الف نبي واربعة وعشرين ألف نبيّ، قال: صدقت يا محمّد أخبرني آدم كان نبيّاً مرسلاً؟ قال: نعم أفما قرأت في التوراة قال يا آدم أنبئهم باسمائهم، الآية قال صدقت يا محمّدﷺ[2].

الاقوال في نبوّة آدم حين تعلّم الاسماء

اقول وظاهر هذا الخبر انّهﷺ كان يومئذٍ نبيّاً مرسلاً، وهو أحد الأقوال في المسألة، وبه قالت المعتزلة نظراً إلى أنّ ما ظهر من آدم من علمه معجزة دالّة على نبوّته لكونه خارقاً للعادة، واذا ثبت كونه معجزاً ثبت كونه رسولاً في ذلك الوقت، وأُجيب بانّا لا نسلّم كونه خارقاً لأنّ حصول العلم باللّغة لمن علّمه الله وعدم حصوله لمن لا يعلّمه الله ليس بخارق للعادة والاولى أن يقال بعد تسليم ذلك انّ اظهار الخارق إنّما يكون دليلاً على النبوّة مع اقترانه بالدّعوى والتحدّي وهو غير واضح في المقام.

وثاني الأقوال كونه مرسلاً إلى حوّاء خاصة يومئذ ثمّ على ولده بعد خروجه

= الوليد بن عبدالملك، مات سنة (١١٨) هالأعلام ج ٤ ص ٢٢٨.

(١) هو عبدالله بن سلام بن الحارث الاسرايلي ابو يوسف ـ صحابي أسلم عند قدوم النبيﷺ المدينة وكان اسمه الحصين، فسمّاه النبيﷺ عبدالله مات سنة (٤٣) هـ. الأعلام ج ٤ ص ٢٢٣.

(٢) البحار ج ٥٧ ص ٢٤٢.

من الجنّة وتجددهم، وذلك لكونهم من أفراد نوعه ولأنّهم هم المحتاجون في معاشهم وعبادتهم إلى تبليغه، وامّا اشتراك حوّاء معه في الخطاب بقوله: ﴿وَلاَ تَقْرَبَا هَـٰذِهِ الشَّجَرَةَ﴾ (١) حيث يدلّ على تلقّيها الوحي لا بواسطته فلا يقدح في رسالته اليها لانّ ذلك من قبيل اشتراك النّبي مع المؤمنين في الخطابات العامة كقوله: ﴿أَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ﴾.

وفيه بعد الغضّ عمّا في الجواب من المناقشة انّه يبقى اصل القول دعوى بلا دليل، والنّبوي المتقدّم مع ضعفه معارض بأقوى منه سنداً وعدداً ودلالة على ما يأتي، واطلاق ما دلّ على نبوّته ﷺ لا ينهض حجّه على اثباتها يومئذ للانصراف.

وثالثها: القطع بأنّه ﷺ لم يكن في ذلك الوقت نبيّاً لقوله: ﴿ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ﴾ (٢) الدّال على أنّه تعالى إنّما اجتباه بعد الزّلة فقبل الزّلة لم يكن مجتبى فلم يكن رسولاً لأنّ الاجتباء والرّسالة متلازمان، فانّ الاجتباء هو التخصيص بأنواع التشريعات وكلّ من جعله الله رسولاً فقد خصّه بذلك لقوله: ﴿اللّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ (٣) ولأنّه لو كان نبيّاً في ذلك الزمان لكانت قد صدرت المعصية بعد النبوة، وذلك غير جايز فوجب أن لا يكون نبيّاً في ذلك الزمان، والملازمة بيّنة بعد القول بكون تلك الزّلة من الكبائر. ولانّه لو كان رسولاً لكان إمّا مبعوثاً إلى حوّاء وهو باطل، لأنّها عرفت التكليف لا بواسطته أو إلى غيرها من الجنّ والملائكة. ومن البيّن أنّه ما كان في السّماء أحد من الجنّ. وأمّا الملائكة فهم أفضل من البشر ولا

---

(١) البقرة: ٣٥.

(٢) طه: ١٢٢.

(٣) الانعام: ١٢٤.

يجوز جعل الأدون رسولاً إلى الأشرف.

وهذه الوجوه بمكان من الضّعف والقصور، وأمّا حكاية الإجتباء فلانّ المراد به على ما ذكره المفسّرون هو الحمل على التّوبة والتّوفيق له، كما في قوله في صاحب الحوت ﴿فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾[1] والإجتباء يكون قبل النبوّة كما في غير الانبياء وبعدها كما في قوله: ﴿وَلَكِنَّ اللّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِ مَن يَشَاء﴾[2].

وأمّا الثّاني فهو واضح الفساد بناء على ما أجمعنا عليه من عدم صدور المعصية من الانبياء قبل النبوة وبعدها.

وامّا الثالث فقد سمعت الجواب عنه مضافاً إلى أنّ البشر عندنا أفضل من الملائكة، نعم يمكن الاستدلال لهذا القول بما رواه في «الأمالي» عن الرّضا عليه السلام حيث سُئل عن زلّة آدم ومنافاتها لعصمته عليه السلام فقال عليه السلام: إنّ الله خلق آدم حجّة في ارضه وخليفة في بلاده ولم يخلقه للجنّة وكانت المعصية من آدم في الجنّة لا في الأرض لتتم مقادير أمر الله تعالى فلمّا أهبط إلى الأرض وجعل حجّة وخليفة عصم بقوله ﷻ: ﴿إِنَّ اللّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾[3].[4]

وفي العيون عنه عليه السلام في خبر يأتي في كيفيّة وسوسة ابليس وصدور الزّلة منه

---

(١) القلم: ٥٠.

(٢) آل عمران: ١٧٩.

(٣) آل عمران: ٣٣.

(٤) بحار الانوار: ج ١١ ص ٧٢.

قال ﷺ: وكان ذلك من آدم قبل النبوّة ولم يكن ذلك بذنب كبير استحقّ به دخول النّار وانّما كان من الصغائر الموهوبة الّتي تجوز على الانبياء قبل نزول الوحي عليهم فلمّا اجتباه الله وجعله نبيّاً كان معصوماً لا يذنب صغيرة ولا كبيرة قال الله ﷻ: ﴿وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ﴾ (١) وقال ﷻ: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ﴾ الآية (٢).

اقول: ويظهر من الخبرين صحّة الاستدلال بالآيتين ايضاً إلّا أنّ الظاهر ورودهما مورد التقيّة لاشتمالهما على ما علم فساده من ضرورة مذهب الاماميّة من جواز ارتكاب الذّنب قبل النبوّة، اللّهمّ إلّا أن يؤوّل بترك الأولى، أو يقال: إنّ رفع اليد عن بعض الخبر لتقيّة او غيرها لا يوجب رفع اليد عن غيره، ولذا قال الاصوليون: انّه كالعام المخصّص حجّة فيما بقي منه بعد التخصيص.

واحتمال أنّ المراد بما في الخبرين كونه حجّة في الأرض بعد التوبة فلا ينافي كونه حجّة في السّماء أو على الملائكة قبل الهبوط، مدفوع، لمخالفته لظاهر الخبرين سيّما الثّاني.

وفي تفسير الامام ﷺ قال الله ﷻ: يا آدم انبيء هؤلاء الملائكة باسمائهم اسماء الانبياء والأئمّة قال ﷺ: ﴿فَلَمَّا أَنبَأَهُمْ بِأَسْمَآئِهِمْ﴾ فعرفوها أخذ عليهم لهم العهد والميثاق بالايمان بهم والتفضيل لهم على أنفسهم قال الله تبارك وتعالى عند ذلك: ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، سرّهما ﴿وَأَعْلَمُ مَا

---

(١) طه: ١٢١ـ ١٢٢.

(٢) بحار الانوار: ج ١١ ص ٧٨ عن العيون.

تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ وما كان يعتقده ابليس من الإباء على آدم إن أمر بطاعته واهلاكه إن سلّط عليه، ومن اعتقادكم انّه لا احد ياتي بعدكم إلّا وانتم افضل منه، بل محمّد وآله الطيّبون أفضل منكم الّذين انبأكم آدم باسمائهم [١].

وفيه تفصيل واستحضار لقوله:﴿أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾ وتنبيه على انّه هو العالم بأسرار الملك والملكوت ممّا خفي عليهم من غيوب السموات والارض او ظهر لهم من أحوالهم الظّاهرة والباطنة، وقيل: ما تبدون من نسبة الإفساد والسّفك وما تكتمون من استبطانكم انكم الاحقّاء بالخلافة أو ما تبدون من الطّاعة وما تكتمون من اسرار ابليس المعصية، ولا يقدح فيه اختصاص الخطاب بالملائكة الّذين ليس منهم ابليس لانّه لما عمّهم التكليف جاز أن يذكر في جملتهم مع انّه كان يرى للملائكة انّه منهم، وكان ذلك معتقد كثير من الملائكة على ما يأتي.

قال في «المجمع»: وقد رويت روايات تدلّ عليه [٢] والاولى الحمل على العموم الشامل لجميع ما مرّ وغيره حتّى ما قيل: من انّ الله تعالى لما خلق ادم مرّت به الملائكة قبل أن ينفخ فيه الرّوح ولم تكن رأت مثله فقالوا لن يخلق الله تعالى خلقاً إلّا كنّا اكرم منه وافضل.

وروى العيّاشي عن الصادق عليه السلام قال: لمّا أن خلق الله آدم أمر الملائكة أن يسجدوا له فقالت الملائكة في أنفسها: ما كنّا نظّن انّ الله تعالى خلق خلقاً اكرم عليه منّا فنحن جيرانه، ونحن أقرب خلقه إليه فقال الله الم أقل لكم إنّي أعلم ما

(١) تفسير البرهان: ج ١ ص٧٣.

(٢) مجمع البيان ج١ ص٨٢.

تبدون وما تكتمون فيما أبدوا من أمر بني الجان وكتموا ما في أنفسهم فلاذت الملائكة الّذين قالوا ما قالوا بالعرش[١].

وفي خبر آخر عنه عليه السلام انّ الملائكة منّوا على الله بعبادتهم ايّاه فأعرض عنهم وانّهم قالوا في سجودهم في أنفسهم ما كنّا نظّن أن يخلق الله خلقاً اكرم عليه منّا نحن خُزّان الله وجيرانه وأقرب الخلق إليه فلمّا رفعوا رؤوسهم قال الله: وأعلم ما تبدون من ردّكم عليّ وما كنتم تكتمون من ظنكم انّي لا اخلق خلقاً اكرم عليّ منكم فلما علمت الملائكة انّها وقعت في خطيئة لاذوا بالعرش وانّما كانت عصابة من الملائكة ولم تكن جميعهم[٢].

أسئلة وأجوبة

ثمّ انّه ربما يورد في المقام وجوه من السؤال منها: أنّ آدم على نبيّنا وآله وعليه السلام انّما علّم الاسماء بتعليم الله سبحانه. والملائكة ايضاً كانوا قائلين لذلك، ولذلك أنبأهم آدم بما جهلوه من تلك الأسماء. فهلّا علّمهم الله تعالى اوّلاً ثمّ امرهم بتعليم آدم عليه السلام. والرّد إلى حكمته البالغة وان خفيت المصلحة علينا مشترك بينه وبين ما أخبرهم به اولا من خلق آدم واختصاصه بالخلافة فلم يظهر من هذا التّفصيل مصلحة اخرى غير الرّد إلى الحكمة الّذي يقتضيه الايمان بالغيب.

وتوهّم ان الملائكة لم يكونوا مستعدّين لأخذ تلك العلوم بلا واسطة بل إنّما

---

(١) البحار: ج ١١ ص ١٤٨ عن تفسير العياشي.

(٢) بحار الأنوار: ج ٩٩ ص ٢٠٥ ح ١٩.

علموها بواسطة آدم عليه السلام وهو المراد بالفضيلة مدفوع بأنّ الملائكة هم الرسل إلى الانبياء وهم الملقيات ذكراً عذراً أو نذراً فهم الوسائط في العلوم الالهية الواصلة إلى البشر.

والجواب انّه قد مرّت الاشارة إلى أنّ هذا التعليم كان تكوينيّاً مُختصاً بآدم دون الملائكة الّذين ليس في طبيعتهم وجبلّتهم خلط وتركيب بل هم وحدانيّة الصّفة فردانيّة القوّة لا يفعل كلّ صنف منهم إلّا فعلاً واحداً وما منهم إلّا لهم مقام معلوم، فأنّى لهم الاحاطة بجميع العوالم والعلوم، فإنّ مثالهم مثال القوى البسيطة كالحواس حيث انّ البصر لا يزاحم السمع في مدركاته وهي الأصوات ولا السمع البصر في المرئيّات ولا هما يزاحمان الشّم ولا الذّوق ولا شيء منهما يزاحم شيئاً من الأوّلين وأمّا آدم فكان صفوة العالم وقد خلقه الله تعالى من اجزاء مختلفة وقوى متباينة حتّى استعدّ بذلك لادراك انواع المدركات من المحسوسات والمعقولات والتمّييز بينها والحكم عليها بما يليق بها والتوسط في الفيوض الواصلة إليها والعبور عنها جميعاً إلى مركزه الاصلي وعالمه الكلّي فصلح بذلك لتحمّل اعباء الخلافة في جميع النشآت والعوالم فجعله الله مستودعاً لأنوار علمه وحكمته ومعرفته وأودِعَ فيه انوار النّبي محمد واهل بيته الطّاهرين وغيرهم من الانبياء والمرسلين صلى الله عليهم أجمعين، ولذا كان آدم مخصوصاً بمعرفة الاسماء كلّها والملائكة لا علم لهم إلّا بما علّمهم ربّهم من خصوصيّات جهات كينوناتهم، ثمّ ان الله سبحانه قد نبّه على ما اراد التنبيه عليه من شرف آدم وفضله عليهم بان علّمه اوّلاً بلا واسطة احد منهم ثمّ أمرهم بالرّجوع إليه في اقتباس العلوم واقتناصَ المعارف فله الفضل عليهم من

حيث التقدّم في المعرفة وتعليمه لهم وكون علمه الّذي هو أشرف الفيوض الالهيّة والمنح الرّبانيّة مفاضاً عليهم بلا واسطة اصلاً وعلومهم متأخّرا مع الواسطة، فنبّه بذلك على عدم تاهّلهم لأخذ تلك العلوم إلّا بواسطته ﷺ، ثمّ انّه يمكن أن يكون المراد هو التّنبيه على تفرّده بعلم الغيوب واحاطته بجهات المصالح والحكم وذلك انّه امرهم بالاخبار عن الاسماء الّتي لا يعرفونها كي يعترفوا بالعجز ويقرّوا بقصورهم عن نيل معرفتها فينبّههم على انّهم اذا لم يعرفوا ذلك ولم يعلموا باطن ما شاهدوا فهم من أن يعلموا باطن ما غاب عنهم أبعد، ومن أن يحيطوا علماً بمصالح جعل الخليقة واسرار الخليقة أعجز.

وعلى هذا فمعظم المقصود هو التنبيه على تفرّده بعلم المصالح، وانّه يجب على كافّة العبيد الاذعان والتسليم لأمره، وان استفيد منه ايضاً ولو على جهة الاستتباع شرافة آدم وفضله عليهم.

ومنها: انّه تعالى كيف أمر الملائكة أن يخبروا بما لا يعلمون مع انّ من شرايط التكليف القدرة على الامتثال ومن البيّن انتفاؤها في المقام.

فان قلت: إنّ الممتنع هو التكليف المنجّز لاستحالة الطلب حينئذ وقبح التكليف بما لا يطاق، وأمّا المشروط فلا بأس به مالم يتنجّز التكليف، وانّما القدرة شرط التّنجيز، وهو في المقام مشروط بكونهم صادقين فيما ادّعوه، وحيث لم يتحقّق الشرط لم يتحقّق المشروط.

قلت: لم يظهر وجه لارتباط الأمر بالإنباء بهذا الشرط الّذي هو صدقهم، وما المراد بهذا الصدق المنتفي في حقّهم؟ وما الّذي ادّعت الملائكة حتّى خوطبوا بهذا

الخطاب؟

والجواب انّ الشرط هو علمهم بما سُئلوا عنه فالمراد بالصدق صدقهم فيما إدّعوه من العلم بالصّراحة او بالالتزام حسبما مرّ أو صدقهم في الخبر الّذي كـلّفوا بالاخبار عنه وذلك بعلمهم بالصدق، ولا يكون إلّا بالعلم بالمخبر عنه فكانّه قـال لهم: أخبروا بذلك إن علمتموه ومتى رجعوا إلى نفوسهم فلم يـعلموا فـلا تكـليف عليهم، وهذا كما يقول القائل لغيره: أخبرني بذلك ان كنت تعلمه، أو ان كنت تعلم انّك صادق فيما تخبر به عنه، وبالجملة فالامر مشروط بالعلم المنتفي في حقّهم فلا تكليف، وبهذا قد ظهر المراد بالصدق وارتباط الأمر بالانباء به.

وأمّا فائدة الأمر حينئذ على وجه الإشتراط مع عـلمه سبحانه بـانّهم لا يتمكّنون من ذلك لفقد علمهم به فالوجه فيها هو أن يكشف باقرارهم على أنفسهم بالجهل واعترافهم بعدم تمكنهم من الاخبار بالأسماء ما أراد الله سبحانه بيانه مـن استئاره بعلم الغيب وانفراده بالاطّلاع على وجوه المصالح في الدّين.

وقد أجاب السيّد المرتضى ﷺ عن اصل الاشكال بوجه اخر وهو انّ الأمر وان كان أمراً بصورته وظاهره إلّا أنّه ليس بامر في الحقيقة بل المراد بـه التـقرير والتنبيه على مكان الحجّة قال: وتلخيصه انّ الله تعالى لمّا قـال للـملائكة ﴿إِنِّـي جاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قالُواْ أَتَجْعَلُ فِيها مَن يُفْسِدُ فِيها وَيَسْفِكُ الدِّماء وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ فقال لهم: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ ما لاَ تَعْلَمُونَ﴾ أي انّي مطلع من مصالحكم وما هو انفع لكم في دينكم على ما لا تطلّعون عليه، ثمّ اراد التنبيه على أنّه لا يمتنع ان يكون غير الملائكة مع انّها تسبّح وتقدّس وتطيع ولا تعصي أولى

بالاستخلاف في الأرض، وان كان في ذرّيته من يفسد فيها ويسفك الدّماء. فعلّم آدم عليه السلام اسماء جميع الاجناس أو اكثرها وقيل: اسماء النّبي محمّد والأئمّة من ولده صلى الله عليهم أجمعين وفيه احاديث مرويّة. ثمّ قال للملائكة: ﴿أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَـٰؤُلَاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ مقرّرا لهم ومنبّهاً على ما ذكرناه ودالاً على اختصاص آدم بما لم يخصّوا به. فلمّا أجابوه بالاعتراف والتسليم إليه علم الغيب الّذي لا يعلمونه فقال تعالى لهم: ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ منبّهاً على أنّه تعالى هو المنفرد بعلم المصالح في الدّين، وانّ الواجب على كلّ مكلّف أن يسلّم لأمره. ويعلم أنّه لا يختار لعباده إلّا ما هو الاصلح لهم في دينهم علموا وجه ذلك ام جهلوه. قال: وعلى هذا الجواب يكون قوله: ﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ محمولاً على كونهم صادقين في العلم بوجه المصلحة في نصب الخليفة أو في ظنّهم أنّهم يقومون بما يقوم به هذا الخليفة ويكلون له فلولا أنّ الأمر على ما ذكرناه وأنّ القول لا يقتضي التكليف لم يكن لقوله تعالى بعد اعترافهم واقرارهم: ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ معنى لانّ التكليف الاوّل لا يتغيّر عن حاله بان يخبرهم آدم عليه السلام بالأسماء ولا يكون قوله: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ إلى آخر الاية إلّا مطابقاً لما ذكرناه من المعنى دون معنى التكليف فكأنّه قال اذا كنتم لا تعلمون هذه الاسماء فانتم عن علم الغيب أعجز وبأن تسلّموا الأمر لمن يعلمه ويدبّر امركم بحسبه اولى[1].

---

(١) الأمالي للسيّد المرتضى: ج ٢ ص ٦٩ ـ ٧٠.

أقول: ومرجعه إلى كون الأمر امتحانياً محضاً غير مشتمل على التكليف اصلاً ولو في صورة الاشتراط، والفرق واضح بينه وبين الامر المشروط ولو مع علم الآمر والمأمور بانتفاء الشرط وذلك لأن مطلوبيّة الفعل ومحبوبيّته حاصل في الامر المشروط على فرض حصول الشرط، وان كان عالماً بانتفاءه بخلاف الأمر التوطيني الّذي هو بمجرّد الامتحان او غيره من المصالح الخارجة الّتي لا تعلّق لها بالمأمور به، بل المقصود حاصل بنفس الأمر.

فان قلت: إنّه لا سبيل في المقام إلى شيء من الوجهين لعلم كلّ من الآمر والمأمور بانتفاء الشرط بالنّسبة إلى جميع المكلّفين في جميع أزمنة الامتثال فيلغوا الأشتراط وينتفي فائدة الامتحان والابتلاء على أنّ السيّد ﷺ وان جوّز الوجهين في المقام إلّا أنّ مذهبه في الاصول على خلاف ذلك فانّه قد صرّح بانّ الشروط إنّما يحسن فيمن لا يعلم العواقب ولا طريق له إلى علمها، فأمّا العالم بالعواقب وباحوال المكلّف فلا يجوز أن يأمره بشرط إلى اخر ما ذكره رحمه الله فكيف التوفيق.

قلت: التّحقيق على ما قرّر في محلّه هو جواز الأمر المشروط مع علم الآمر والمأمور بانتفاء الشرط اذا كان هناك فائدة للتّعليق، ولا وجه للقول بعدم الجواز حينئذ، اذ قصارى ما يستدلّ به لذلك بعد وضوح عدم كونه تكليفاً بالمحال لقضيّة الاشتراط وانتفاء الموضوع أنّ فعله عبث قبيح فيستحيل صدوره من الحكيم، اذ المفروض اتّحاد الاحوال وعدم حصول القدرة على الشرط وعلم المأمور بذلك فلا يتأتّى منه التّوطين والعزم على الفعل مضافاً إلى أنّ الامر المشروط لابدّ فيه من اعتبار الطّلب وتعلّقه بالفعل ولو معلّقاً على الشرط وهو محال على الحكيم العالم

بالحال، ضرورة انّ طلب المحال محال والجواب:

أنّ مدار الجواز على حصول الفائدة الّتي بها يخرج الفعل عن العبث، ومن البيّن انّ الفائدة غير منحصرة في التوطين، بل ربما يكون المقصود اقرار المخاطب بالعجز والقصور كما في المقام، وهو غرض صحيح يتعلّق به أُمور مقصودة، ومن هنا يتّجه ان يقال إنّه وان نُسِب إلى أصحابنا القول بعدم جواز التعليق من العالم بالنسبة إلى العالم إلّا أنّ كلامهم مقصور على ما انتفت فيه الفائدة كما ينادي به دليلهم، وامّا مع تحقّقها فمذهبهم فيه هو الجواز، فالنّزاع معهم صغروي في وجود الفائدة وعدمها لا كبروي في الجواز على فرضها، وعليه ينزل كلام السيّد أيضاً في المسألة الأصوليّة فيرتفع التنافي بين الكلامين على أنّ كلامه في المقام لبيان الجواب عن الاشكال ولو على مذاق غيره، وقد ظهر ممّا قرّرناه جواز تعلّق الأمر على كلّ من الوجهين بلا فرق بين تعلّق القصد على وجه التّعليق وعدمه، بل قد سمعت فيما مرّ انّه يحتمل أن يكون الأمر مطلقاً بسبب تحقّق الشّرط وهو صدقهم فيما نسبوه إلى ذرّيّة آدم أو اضافوه إلى أنفسهم على ما مرّت الاشارة اليها.

ونزيد في المقام وجهاً ثالثاً وهو: أن يكون الشرط صدقهم في الخبر اي علمهم بما يخبرون عنه على ما حقّقناه سابقاً فيكون الحاصل تنجز التكليف بالاخبار بشرط القدرة الّتي اليها مرجع العلم ايضاً، ومن البيّن انّه مقدور لهم بواسطة التعلّم من آدم والرّجوع إليه، ولذا أمر سبحانه آدم بتعليمهم تحقيقاً للاستطاعة وازاحة للعلّة وابانة للفضيلة، وهذا جواب اخر عن اصل الاشكال والله أعلم بحقيقة الحال.

ومنها ما أورده السيّد ﷺ قال: ولم نجد احداً ممّن تكلّم في تفسير القرآن ولا في متشابهه ومشكله تعرّض له وهو من مهم ما يسأل عنه، وذلك أن يقال من اين علمت الملائكة لما خبّرها آدمﷺ بتلك الاسماء صحة قوله ومطابقة الاسماء للمسمّيات، وهي لم تكن عالمة بذلك من قبل، اذ لو كانت الملائكة عالمة بالأسماء لأخبرت بالأسماء ولم تعترف بفقد العلم، والكلام يقتضي انّهم لما أنبأهم آدم بالأسماء علموا صحّتها ومطابقتها للمسمّيات ولولا ذلك لم يكن لقوله: ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ معنى ولا كانوا مستفيدين بذلك نبوته وتميزه واختصاصه بما ليس لهم اذ كلّ ذلك إنّما يتمّ مع العلم دون غيره ثمّ اجاب عنه: بأنّه غير ممتنع من أن تكون الملائكة في الأوّل غير عارفين بتلك الأسماء فلمّا أنبأهم آدمﷺ بها فعل الله تعالى لهم في الحال العلم الضّروري بصحّتها ومطابقتها للمسمّيات إمّا عن طريق أو ابتداء بلا طريق، فعلموا بذلك تميزه واختصاصه وليس لأحد أن يقول: انّ ذلك يؤدّي إلى أنّهم علموا نبوّته اضطراراً، وفي هذا منافاة طريقة التكليف وذلك انّه ليس في علمهم بصحّة ما أخبر به ضرورة ممّا يقتضي العلم بالنّبوة ضرورة، بل بعده درجات ومراتب لابدّ من الاستدلال عليها، ويجري هذا مجرى ان يخبر أحدنا نبي، بما فعل على سبيل التفصيل على وجه يخرق العادة، وهو وان كان عالماً بصدق خبره ضرورة لابدّ له من الاستدلال فيما بعد على نبوّته، لأنّ علمه بصدق خبره ليس هو العلم بنبوّته لكنّه طريق يوصل إليها على ترتيب.

ووجه آخر وهو انّه لا يمتنع أن تكون للملائكة لغات مختلفة فكلّ قبيل منهم

يعرف اسماء الأجناس في لغة دون لغة غيره، الّا انّه يكون احاطة عالم واحد لأسماء الأجناس في جميع لغاتهم خارقة للعادة. فلمّا اراد الله تعالى التنبيه على نبوّة آدم عليه السلام علّمه جميع تلك الأسماء فلمّا أخبرهم بها علم كلّ فريق مطابقة ما خبر به من الأسماء لِلُغَتِهِ، وهذا لا يحتاج فيه إلى الرّجوع إلى غيره وعلم مطابقة ذلك لباقي اللّغات لخبر كلّ قبيل اذا كانوا كثيرة وخبروا بشيء يجري هذا المجرى علم بخبرهم، فاذا أخبر كلّ قبيل صاحبه علم من ذلك في لغة غيره ما علمه في لغته.

وهذا الجواب يقتضي أن يكون قوله انبئوني بأسماء هؤلاء اي ليخبرني كلّ قبيل منكم بجميع هذه الأسماء.

وهذان الجوابان جميعاً مبنيّان على أنّ آدم عليه السلام لم يتقدّم لهم العلم بنبوّته وانّ اخباره بالأسماء كان افتتاح معجزاته، لأنّه لو كان نبيّاً قبل ذلك وكانوا قد علموا تقدّم ظهور معجزات على يده لم يحتج إلى هذين الجوابين لأنّهم يعلمون اذا كانت الحال هذه مطابقة الأسماء للمسمّيات بعد أن يعلموا ذلك بقوله الّذي قد امنوا به فيه غير الصّدق[1].

اقول ولعلّ الأولى من جميع ذلك هو العلم بصدقه بتصديق الله سبحانه له فيما أخبر به حيث قرّر ذلك بقوله: ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾.

ومنها أنّه ما الفائدة في سبق الاعلام بخلق أدم وتسميته خليفة؟

والجواب انّه نوع إبتلاء للملائكة وتمهيد لتمييز ابليس من جملتهم، ليتبين

---

(١) أمالي السيّد المرتضى ج٢ ص ٧٥ ـ ٧٦.

بذلك من يقصد الطاعة كالملائكة ممّن يُضمر العداوة له والمخالفة لأمره سبحانه، كإبليس على ما يأتي تمام الكلام فيه نقلاً عن الصدوق[١].

مضافاً إلى ما فيه من إظهار شرف آدم والتّمهيد لبيان فضله على الملائكة، حيث إنّه تعالى نوّه باسمه وبشّر ملائكته بخلافته قبل أن يخلقه بسبعمائة عام على ما رواه الصّدوق في «الاكمال» وفيه أيضاً صيانة للملائكة عن اعتراض الشبهة عليهم في وقت استخلاف آدم والحجج من ذرّيته عليهم.

وأمّا ما يقال من انّ الغرض تعليم عباده المشاورة في أُمورهم قبل أن يُقدموا عليها فهو بمكان من الوهن والسقوط، وكأنّهم أرادوا أن يستأنسوا بمثله لما وقع من الثّاني من الشورى في أمر الخلافة وهو كما ترى.

بقي الكلام في امور يستفاد من الآيات المتقدّمة ينبغي التنبيه عليها في فصول:

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

فضل الانبياء على الملائكة

الفصل الأوّل: يستفاد من هذه الآيات وغيرها تفضيل الأنبياء على الملائكة وقد طال التشاجر في هذه المسألة بين المسلمين، فالّذي عليه الإماميّة هو أنّ الأنبياء والائمّة عليهم السلام أفضل من جميع الملائكة العلويّة والسّفلية، ووافقهم عليه اكثر الاشاعرة واصحاب الحديث، وربما يقال إنّ الخلاف في فضلهم على الملائكة العلويّة، وأمّا السّفلية فالانبياء أفضل منهم بالاتّفاق كما أنّ عامة البشر من المؤمنين

(١) إكمال الدين: ج ١ ص ١١.

أيضاً أفضل من عامة الملائكة عندهم، والمحكي عن المعتزلة والفلاسفة وبعض الاشاعرة تفضيل الملائكة. ثمّ انّهم ربما عنونوا البحث بتفضيل البشر على الملائكة أو العكس، وليس المراد بتفضيل كلّ فرد من احدهما على جميع افراد الاخر، ولا التّطبيق بين افراد النوعين بتفضيل كلّ فرد على ما يقابله، بل المراد تفضيل الانبياء والائمّة على الملائكة او تفضيل المعصومين من البشر، فيدخل فاطمة عليها السلام وسائر الأوصياء أيضاً على جميع الملائكة، وان كانوا كلّهم معصومين من الصّغائر والكبائر على ما أشرنا إليه، او تفضيل الجنس ولو باعتبار النوع الاشرف على الجنس، فلا ينافي ذلك تفضيل بعض الملائكة او كلّهم على بعض المؤمنين بل على الفسّاق والكفّار، ثمّ المراد بالأفضل الاكثر ثواباً والارفع درجة، والأقرب إلى الله تعالى منزلة الاكمل باعتبار العلم والعمل وسائر الكمالات.

اذا عرفت هذا فاعلم أنّ الحقّ ما ذهب إليه الاماميّة لوجوه، الاوّل: الاجماع القطعي الكاشف عن قول الإمام عليه السلام ورضاه حيث انّ الطّائفة المحقّة كانوا قديماً وحديثاً متّفقين على تفضيل الأنبياء والأئمّة عليهم السلام على الملائكة من دون نكير منهم في ذلك، حتّى انّهم كانوا معروفين بهذا المذهب يعرفه منهم المخالفون لهم في المذهب كما يعرفون منهم القول بحليّة المتعة، ووجوب المسح على الرّجلين ونفي العول والتّعصيب، فلا يبعد دعوى ضرورة المذهب عليه بل هو كذلك.

ولذا قال شيخنا الصدوق في «العقائد»: اعتقادنا في الأنبياء والحجج والرّسل عليهم السلام أنّهم أفضل من الملائكة[1] وقال المفيد: اتّفقت الاماميّة على أنّ انبياء

(١) البحار ج ٥٧ ص ٢٨٦.

الله ورسله من البشر أفضل من الملائكة ووافقهم على ذلك اصحاب الحديث واجمعت المعتزلة على خلاف ذلك، وزعم الجمهور منهم انّ الملائكة أفضل من الانبياء والرسل وقال نفر منهم سوى من ذكرناه بالوقف في تفضيل أحد الفريقين على الاخر[1] إلى آخر ما ذكره رحمه الله.

وقال السيّد المرتضى رحمه الله : المعتمد في القطع على أنّ الأنبياء أفضل من الملائكة على اجماع الشيعة الاماميّة على ذلك لأنّهم لا يختلفون في هذا بل يزيدون عليه ويذهبون إلى أنّ الأئمة افضل من الملائكة اجمعين واجماعهم حجّة لأنّ المعصوم في جملتهم وقد بيّنا في مواضع من كتبنا كيفيّة الاستدلال بهذه الطّريقة ورتّبناه وأجبنا عن كلّ سؤال يسأل عنه فيها وبيّنا كيف الطريق مع غيبة الامام إلى العلم بمذاهبه واقواله وشرحنا ذلك فلا معنى للتشاغل به ههنا[2].

وممّن ادّعى عليه اتّفاق الاماميّة العلّامة الحلّيّ في «انوار الملكوت»[3] والعلامة المجلسي في مواضع من البحار والرازي[4] والدّواني وغيرهم من علماء الفريقين فلا ينبغي التّامل في تحقّق الاجماع عليه.

الثّاني: الآيات الكثيرة الدّالة عليه بظواهرها الّتي هي الحجّة حتّى في غير الفروع العلميّة الّذي لا يجري فيه دليل الإنسداد على بعض الوجوه، وذلك لما حقّقناه في المقدّمات من حجّية ظواهر الكتاب وهي كثيرة.

---

(١) البحار ج٥٧ ص٢٨٥ عن عقائد الصدوق.

(٢) البحار: ج ٥٧ ص ٢٨٧ - عن الغُرَرْ والدرر للسيّد المرتضى ج٢ ص٣٣٣.

(٣) البحار ج٥٧ ص٢٨٦ عن انوار الملكوت.

(٤) مفاتيح الغيب للرازى ج٢ ص٢١٥.

منها: قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾، القصّة بتمامها الدّالة عليه بوجوه من الدّلالة حيث انّه سبحانه جعل آدم خليفة له، والمراد منه خلافة الولاية في التبليغ او في التكوين، او في وجوب الطاعة والانقياد كما يومي إليه قصّة داود وهرون وغيرهما، ومن البيّن أنّ أعظم الناس منصباً عند الملِك من كان قائماً مقامه، في كلّ من التبليغ والولاية والتصرف ووجوب الطّاعة حتّى سمّاه خليفة له، ثمّ أنّه تعالى نبّه على فضله وشرفه بتعليمه الأسماء وتخصيصه بعلمها دونهم، وجعله معلّماً للملائكة فكان عنده من العلوم الفاضلة ما لم يكن عندهم وقد قال الله سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجاتٍ﴾[1]،و﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[2]. ثمّ انّه تعالى أمرهم بالسجود لآدم تكريماً وتعظيماً له، ومن البيّن انّ السجود نهاية التّواضع وتكليف الأشرف الأفضل بنهاية التّواضع للأدون مستقبح عقلاً.

فان قلت: إنّ قضيّة خلافته كونه أشرف من كلّ من في الأرض، وأين هذا من الّدلالة على فضله على جميع الملائكة حتّى من في السموات؟

وأمّا علمه بالاسماء فهو وان كان عالماً بها وهم لم يعلموها لكن لعلّهم كانوا عالمين بعلوم اخرى لم يكن آدم عالماً بها.

وامّا الامر بالسجود فلعلّ آدم قبلةً لهم في عبادتهم له سبحانه على أنّ الحكمة قد تقتضي تواضع الأشرف للشريف لبعض المصالح الّتي من جملتها

---

(١) المجادلة: ١١.

(٢) الزمر: ٩.

الإمتحان وكسر سورة العجب والأنانيّة، واظهار نهاية الطّاعة وغيرها.

قلت: قضية عموم الجمع المحلّى شمول الملائكة للجميع وظاهر اطلاق الخلافة كونها بالنّسبة اليهم جميعاً، ولو بمعونة ما مرّت إليه الاشارة وتأتي الأخبار الدّالة عليه من أنّ المقصود من خلق آدم ظهور أنوار محمّد، وآله الطيّبين الّذين لهم الخلافة الكليّة على جميع ملائكة الأرضين والسموات والحجب والسّرادقات وحملة العرش وغيرهم، وامّا التشكيك في أعلميّته باحتمال انّ لهم علوماً آخر فغريب جدّا فكيف يندفع المحقّق بالمحتمل بل لعلّه كالرّد عليه سبحانه حيث انّه سبحانه وتعالى جعل تعليمه لادم وجعله معلّماً لهم في معرفة الأسماء الالهيّة الّتي هي أشرف العلوم دليلاً على فضله عليهم، وتنبيهاً لهم على وجوب رجوعهم إليه، وتحقيقاً لحسن ما اختاره من ايثاره عليهم.

واغرب من الجميع أنّ الرازي بعد ما أجاب عن الحجّة بما سمعت فساده قال: والّذي يحقّق هذا أنا توافقنا أنّ محمّداً ﷺ أفضل من آدم عليه السلام مع أنّ محمداً ﷺ لم يكن عالماً بهذه اللّغات باسرها، وأيضاً فانّ ابليس كان عالماً بان قرب الشجرة ممّا يوجب خروج آدم عن الجنّة وآدم لم يكن كذلك، ولم يلزم منه كون ابليس أفضل من آدم، والهدهد قال لسليمان ﴿أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ﴾ [1]، ولم يلزم ان يكون افضل من سليمان [2].

وهو على ما ترى من الضعف والقصور، ولكن من لم يجعل الله له نوراً فماله

---

(١) النمل: ٢٢.

(٢) مفاتيح الغيب للرازي: ج ٢ ص ٢٣٥.

من نور، وأمّا احتمال كون السجود له على وجه القبلة والجهة او مجرّد الامتحان من دون التكريم والتعظيم اصلاً فيدفعه انّه لو كان كذلك لم يجز أنفة ابليس من ذلك بل قوله: ﴿أَرَأَيْتَكَ هَـٰذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ﴾ (١) وقوله: ﴿أَنَاْ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾ (٢) وغير ذلك من مساق ما ورد في بيان هذه القصّة يدلّ على أنّ امتناع ابليس عن السجود انّما هو لاعتقاد التّفضيل به والتكرمة له. فلو لم يكن الأمر على ذلك لوجب على الله إعلامه بانّه ما أمره بالسجود على وجه تعظيمه له ولا تفضيله عليه، بل على الوجه الأخر الّذي لا حظّ للتفضيل فيه. وقضيّة اللّطف عدم جواز إغفاله مع كونه سبب معصية ابليس وضلالته.

هذا مضافاً إلى الاخبار الكثيرة الدّالة على كونه على وجه التعظيم والتكريم لآدم حسبما تأتي إلى جملة منها الاشارة، ثمّ انّه بعد ما ثبت تفضيل آدم على جميع الملائكة بمقتضى ما تضمّنته هذه القصّة يثبت أيضاً تفضيل سائر الانبياء والمرسلين والأئمّة الطّاهرين صلّى الله عليهم أجمعين عليهم أيضاً لإطلاق الخليفة عليهم على بعض الوجوه ولأفضليّة بعضهم كأولي العزم وغيرهم ايضاً على آدم، ولعدم القول بالفصل بين آدم وغيره من الانبياء.

ولذا قال السيّد ﷺ في الغرر والدّرر انّه كلّ من قال إنّ آدمﷺ افضل من الملائكة ذهب إلى أنّ جميع الانبياء افضل من جميع الملائكة ولا أحد من الأمّة فصّل بين الأمرين (٣).

(١) الاسراء: ٦٢.

(٢) الاعراف: ١٢.

(٣) الغرر والدرر: ج ٢ ص ٣٣٣.

قلت وأمّا الأئمة عليهم السلام فاصحابنا مجمعون على تفضيلهم على كثير من الانبياء، بل الحقّ المستفاد من الاخبار وغيرها انّهم أفضل من جميع الانبياء سوى نبيّنا صلى الله عليه وآله.

ومنها قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ (١). والمراد بال ابراهيم وآل عمران إمّا الانبياء منهم او المعصومون أو غيرهم بناءً على اجرائه على إطلاقه او عمومه. والثالث باطل بالاجماع لأنّ فيهم الفسّاق والكفّار، فيتعيّن أحد الأوّلين والعالم يطلق على ما سوى الله تعالى والجمع المحلى باللّام يفيد العموم، فدلّت الآية على أفضليّة هؤلاء المذكورين على جميع العالمين وفيهم الملائكة وغيرهم، وتخصيص العالمين على فرضه في قوله خطاباً لبني اسرائيل وانّي فضّلتكم على العالمين مع شموله لنبيّنا وآله وسائر اولي العزم صلى الله عليهم اجمعين، وفي قوله خطاباً لمريم واصطفاك على نساء العالمين مع شمولها لفاطمة عليها السلام ليس دليلاً على التزامه في المقام ايضاً بعد فقد الدّليل عليه مع انّه قد يفسّر العالمين فيهما على عالمي ذلك العصر والزّمان فيندفع الاشكال عنهما وإن كان هذا أيضاً بنوع من التّخصيص، وامّا آية الاصطفاء فهي على عمومها للأصل، سلّمنا لكنّ الملائكة كانوا موجودين في اعصاره هؤلاء الانبياء وفي زمان نزول الآية.

ومنها قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ (٢). وقضيّة العموم

---

(١) آل عمران: ٣٣.

(٢) الانبياء: ١٠٧.

كونه ﷺ رحمةً لجميع ما سوى الله من الملائكة، وهو كذلك حسبما دلّت عليه الأخبار الصّحيحة، وقضت به ضرورة المذهب من أنّه ﷺ واوصياؤه المعصومين هم الوسايط الكليّة لوصول الفيوض الالهيّة إلى أهل العالم، بل كينونات الملائكة إنّما كانت من أشعّة انوارهم، فوجوده ﷺ مظهر الرّحمة وتمام النعمة ومساق الاية كما ترى على حدّ ما ورد من في القدسيّات: «لولاك لما خلقت الافلاك»[1]. واما ما يقال من ان كونه رحمةً لهم لا يستلزم كونه أفضل منهم كما في قوله: ﴿فَانظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَةِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾[2]، وانّه لا يمتنع ان يكون هو صلّى الله عليه واله رحمة لهم من وجه، وهم يكونون رحمة له من وجه.

ففيه انّ ظاهر الآية وساطته للرّحمة الكليّة، بل كونه نفس الرّحمة الالهيّة حسبما قرّرناه في تفسير البسملة وكون الأمطار من آثارها غير قادح بعد ظهور انّ لها مظاهر وآثار، وكونه ﷺ رحمة لهم ولغيرهم معلوم من الآية وغيرها وأمّا عكسه فغير واضح.

ومنها قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ إلى قوله: ﴿وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾[3]، بناء على كون الظرف صفة للكثير لا صلة له، ولو بمعونة الأخبار المفسّرة لها بأنّ المراد تفضيل بني آدم على سائر الخلق بلا فرق بين تفسير السائر بالباقي او بالجميع.

ومنها قوله تعالى: ﴿وَنُوحاً هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ

(١) بحار الانوار: ج ١٥ ص ٢٨.

(٢) الروم: ٥٠.

(٣) الاسراء: ٧٠.

وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطاً وَكُلاً فضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ﴾[1].

والتّقريب فيه على ما مرّ، والتّخصيص بعالمي أعصارهم غير قادح في الدّلالة، ودعوى الظّهور أو الانصراف إلى العالمين من نوع البشر دون سائر الانواع ممنوعة جدّاً سيّما في العمومات الّتي من اقويها دلالة الجمع المحلّى.

الثالث: الاخبار الكثيرة الّتي لا يبعد دعوى تواترها الدّالة على المطلوب ففي «العيون» و«العلل» و«الاكمال» عن الرضا عن آبائه عن امير المؤمنين عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله ما خلق الله عزّ وجلّ خلقاً افضل منّي ولا اكرم عليه منّي قال عليّ عليه السلام فقلت يا رسول الله فأنت افضل أو جبرئيل؟ فقال صلى الله عليه وآله يا عليّ انّ الله تبارك وتعالى فضّل أنبيائه المرسلين على ملائكته المقرّبين، وفضّلني على جميع النّبيّين والمرسلين والفضل بعدي لك يا عليّ وللائمّة من بعدك، وانّ الملائكة لخدّامنا وخدّام محبيّنا الّذين يحملون العرش ومن حوله يسبّحون بحمد ربّهم ويستغفرون للّذين امنوا بولايتنا، يا علي لولا نحن ما خلق الله آدم ولا حوّاء ولا الجنّة ولا النّار ولا السّماء ولا الارض، فكيف لا نكون افضل من الملائكة وقد سبقناهم إلى معرفة ربّنا وتسبيحه وتهليله وتقديسه لأنّ أوّل ما خلق الله عزّ وجلّ خلق أرواحنا فأنطقنا بتوحيده وتحميده ثمّ خلق الملائكة فلمّا شاهدوا ما أنعم الله به علينا واوجبه لنا من فرض الطاعة قلنا: الحمد لله لتعلم الملائكة ما يحق لله تعالى ذكره علينا من الحمد

---

(١) الانعام: ٨٤ـ٨٦.

على نعمه، فقالت الملائكة: الحمد لله، فبنا اهتدوا إلى معرفة توحيد الله وتسبيحه وتحميده وتهليله وتمجيده، ثمّ انّ الله تبارك وتعالى خلق آدم فأودعنا صلبه وأمر الملائكة بالسجود له تعظيماً لنا واكراماً، وكان سجودهم لله ﷻ عبوديّة ولادم اكراماً وطاعة لكوننا في صلبه فكيف لا نكون افضل من الملائكة وقد سجدوا لادم كلّهم اجمعون، وانّه لما عرج بي إلى السّماء أذنّ جبرئيل مثنى مثنى واقام مثنى مثنى، ثمّ قال لي: تقدّم يا محمد، فقلت له: يا جبرئيل أتقدّم عليك؟ فقال: نعم لأنّ الله تبارك فضّل انبيائه على ملائكتِهِ اجمعين، وفضّلك خاصّة، فتقدّمت وصلّيت بهم ولا فخر[1]، الخبر بطوله.

وفي «الاكمال» بالاسناد عن الرّضا عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: انا سيّد من خلق الله، وانا خير من جبرئيل واسرافيل وحملة العرش وجميع الملائكة المقرّبين وانبياء الله المرسلين[2].

وفي ارشاد القلوب للدّيلمي عن أبي ذرّ الغفاري قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول افتخر اسرافيل على جبرائيل فقال انا خير منك لأنّي صاحب الثمانية حملة العرش، وانا صاحب النفخة في الصّور وانا أقرب الملائكة إلى الله تعالى، قال جبرئيل: انا خير منك لأنّي أمين الله على وحيه وانا رسوله إلى الانبياء والمرسلين وأنا صاحب الخسوف والقذوف وما أهلك أمّة من الامم إلّا على يديّ فاختصما إلى الله تعالى فأوحى الله إليهما اسكتا فوعزّتي وجلالي لقد خلقت من هو خير منكما

(١) بحار الأنوار: ج ١١ ص ١٣٩ عن العيون ص ١٤٥.

(٢) اكمال الدين: ص ١٥١ وعنه البحار ج ٢٦ ص ٣٤٢.

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

قالا يا ربّ او تخلق خيراً منّا ونحن خلقنا من نور؟ قال الله تعالى: نعم واوحى إلى حجب القدرة انكشفي فانكشفت فاذا على ساق العرش الايمن مكتوب لا اله إلا الله محمّد وعليّ وفاطمة والحسن والحسين خير خلق الله فقال جبرئيل: يا ربّ فانّي أسألك بحقّهم إلّا جعلتني خادمهم قال الله تعالى قد جعلت فجبرائيل من اهل البيت وانّه لخادمنا[1].

وفي البصائر وتفسير القمي عن الصّادق عليه السلام: انّه ما من احدٍ من الملائكة إلّا ويتقرّب كلّ يوم إلى الله تعالى بولايتنا أهل البيت[2]. الخبر.

وروى عن الصّفار والكليني عن ابي جعفر عليه السلام قال والله انّ في السّماء لسبعين صنفاً من الملائكة لو إجتمع أهل الأرض كلّهم على أن يحصوا عدد صنف منهم ما احصوهم وانّهم ليدينون بولايتنا[3].

وفي البحار نقلاً عن كتاب تفضيل أمير المؤمنين عليه السلام بالاسناد عن ابن عباس قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لمّا أسري بي إلى السّماء ما مررت بملاء من الملائكة الّا سألتني عن عليّ بن ابي طالب حتّى ظننت انّ اسم علي بن ابي طالب في السموات أشهر من اسمي، فلمّا بلغت السّماء الّرابعة ونظرت إلى ملك الموت قال لي: يا محمد ما خلق الله خلقاً إلّا وانا اقبض روحه إلّا انت وعليّ، فانّ الله جلّ جلاله يقبض ارواحكما بقدرته وجزت تحت العرش فاذا أنا بعليّ بن ابي طالب عليه السلام واقفاً تحت العرش، فقلت: يا عليّ سبقتني؟ فقال جبرئيل: من هذا الّذي تكلّمه يا

---

(١) ارشاد القلوب: ص ٢١٤ وعنه البحار ج ٢٦ ص ٣٤٤.

(٢) البصائر: ص ٢١ وتفسير القمي ص ٥٨٣.

(٣) بصائر الدرجات: ص ٢٠.

محمّد؟ فقلت هذا عليّ بن ابي طالب عليه السلام فقال: يا محمّد ليس هذا عليّ بن ابي طالب، ولكنّه ملك من الملائكة خلقه الله تعالى على صورة عليّ بن ابي طالب عليه السلام، فنحن الملائكة المقرّبون كلّما اشتقنا إلى وجه عليّ بن ابي طالب زرنا هذا الملك لكرامة عليّ بن ابي طالب عليه السلام على الله سبحانه[١].

وفيه عنه صلى الله عليه وآله عليّ أفضل خلق الله غيري[٢]. الخبر.

وفيه انّه نظر النبي صلى الله عليه وآله إلى عليّ بن ابي طالب عليه السلام فقال: خير الاوّلين والاخرين من أهل السمٰوات والارضين هذا سيّد الصّديقين وسيّد الوصيّين[٣]. الخبر

وفي القصص بالاسناد عن النبي صلى الله عليه وآله قال: لمّا خلق الله آدم ونفخ فيه من روحه التفت آدم يمنة العرش فاذا خمسة اشباح فقال يا ربّ: هل خلقت قبلي من البشر احداً؟ قال: لا قال: فمن هؤلاء الذين أرى اسمائهم؟ فقال: هؤلاء خمسة من ولدك لولاهم ما خلقتك، ولا خلقت الجنّة ولا النّار، ولا العرش ولا الكرسي، ولا السّماء ولا الارض، ولا الملائكة ولا الجنّ ولا الانس، هؤلاء خمسة من شققت لهم اسماً من أسمائي فأنا المحمود وهذا محمّد، وانا الأعلى وهذا عليّ، وانا الفاطر وهذه فاطمة وانا ذو الاحسان، وهذا الحسن، وانا المحسن وهذا الحسين، آليت بعزّتي انّه لا ياتيني أحد وفي قلبه مثقال حبّة من خردل من بغض أحدهم إلّا ادخلته ناري، يا آدم هؤلاء صفوتي من خلقي بهم أنجي من أنجي، وبهم أُهلك من

(١) بحار الأنوار: ج ٥٧ ص ٣٠٣.
(٢) البحار ج٥٧ ص٣٠٢.
(٣) البحار: ج ٥٧ ص ٣٠٢.

اهلك[1].

وفي البحار نقلاً عن كتاب تفضيل الأئمّة على الانبياء للحسن بن سليمان قال ذكر السيّد حسن بن كبش في كتابه باسناده مرفوعاً إلى عدّة من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله منهم جابر بن عبدالله الانصاري وأبو سعيد الخدري وعبدالصّمد بن امية وعمرو بن أبي سلمة وغيرهم، قالوا: لما فتح النبي صلى الله عليه وآله مكّة أرسل رسله إلى كسرى وقيصر، يدعوهما إلى الاسلام أو الجزية والّا آذنا بالحرب، وكتب ايضاً إلى نصارى نجران بمثل ذلك.

فلمّا اتتهم رسله صلى الله عليه وآله فزعوا إلى بيعتهم[2] العظمى وكان قد حضرهم ابو حارثة اسقفهم الاوّل، وقد بلغ يومئذ مائة وعشرين سنة وكان يؤمن بالنّبي والمسيح عليه السلام ويكتم ذلك عن كفرة قومه، فقام على عصاه وخطبهم ووعظهم والجائهم بعد مشاجرات كثيرة إلى احضار الجامعة الكبرى الّتي ورثها شيث ففتح طرفها.

إلى أن قال: ثمّ أمرهم أبو حارثة أن يصيروا إلى صحيفة شيث الكبرى الّتي انتهى ميراثها إلى ادريس على نبيّنا وآله السلام وكان كتابتها بالقلم السّرياني القديم، وهو الّذي كتب به من بعد نوح عليه السلام ملوك الهياطلة المتماردة فافتضّ القوم الصّحيفة فافضوا منها إلى هذا الرّسم، قالوا: أجتمع إلى ادريس عليه السلام قومه وصحابته

---

(١) البحار: ج ٢٧ ص ٥ ح ١٠ - عن القصص في ذيل الصفحة: هذا يعارض الروايات التي تدلّ على أنّ الله خلق قبل أبينا آدم أيضاً آدم، وحمله على أوّل آدم خلق الله في الارض بعيد، والحديث كما ترى من ضروريات العامّة.

(٢) البيعة: معبد النصارى واليهود.

وهم يومئذ في بيت عبادته من أرض كوفان فخبرهم بما إقتصّ عليهم قال: إنّ بني ابيكم آدم عليه السلام لصلبه وبني بنيه وذرّيته اجتمعوا فيما بينهم وقالوا اي الخلق عندكم اكرم على الله تعالى وارفع لديه مكاناً واقرب منه منزلة فقال بعضهم: أبوكم آدم خلقه الله عزّ وجلّ بيده وأسجد له ملائكته وجعله الخليفة في ارضه وسخّر له جميع خلقه، وقال آخرون بل الملائكة الّذين لم يعصوا الله عزّ وجلّ، وقال بعضهم: لا بل الامين جبرئيل فانطلقوا إلى آدم عليه السلام، فذكروا الّذي له قالوا واختلفوا فيه، فقال: يا بنيّ انّي اخبركم باكرم الخلق عند الله عزّ وجلّ جميعاً ثمّ قال: إنّه والله ما عدا أن نفخ فيَّ الروحُ حتّى استويت جالساً، فبرق لي العرش العظيم فنظرت فاذا فيه: لا اله إلّا الله محمّد خيرة الله عزّ وجلّ ثمّ ذكر عدّة اسماء مقرونة بمحمّد صلى الله عليه وآله.

قال آدم: ثمّ لم أر في السّماء موضع أديم او قال: صفيح منها إلّا وفيه مكتوب: لا اله إلّا الله، وما من موضع مكتوب فيه لا اله إلّا الله إلّا وفيه مكتوب خلقا لا خطأً محمّد رسول الله، وما من موضع فيه مكتوب محمّد رسول الله إلّا وفيه مكتوب: عليّ خيرة الله، الحسن صفوة الله، والحسين امين الله عزّ وجلّ، وذكر الائمّة من اهل بيته عليهم السلام واحداً بعد واحد إلى القائم بامر الله عجّل الله فرجه.

قال آدم: فمحمّد صلى الله عليه وآله ومن خُطّ من أسماء اهل بيته اكرم الخلائق على الله قال فلمّا انتهى القوم إلى آخر ما في صحيفة ادريس قرؤا صحيفة ابراهيم عليه السلام وفيها معنى ما تقدّم بعينه وانفضّوا[١].

وفي القصص بالاسناد عن الصادق عليه السلام قال: اجتمع ولد آدم عليه السلام في بيت

---

(١) بحار الأنوار: ج ٢٦ ص ٣١٠ ـ ٣١٥.

فتشاجروا فقال بعضهم: خير خلق الله ابونا آدم فقال بعضهم: الملائكة المقرّبون فقال بعضهم: حملة العرش اذ دخل عليهم هبة الله فقال بعضهم: لقد جاءكم من يفرّج عنكم فسلّم ثمّ جلس فقال: في ايّ شيء كنتم؟ قالوا كنّا نتفكّر في خير خلق الله فاخبروه فقال اصبروا قليلاً حتّى ارجع اليكم، فاتى اباه فقال يا أبت إنّي دخلت على اخوتي وهم يتشاجرون في خير خلق الله فسألوني فلم يكن عندي ما أخبرهم، فقلت: اصبروا حتّى ارجع اليكم فقال آدم على نبيّنا وآله السلام: يا بنيّ وقفت بين يدي الله ﷻ فنظرت إلى سطر على وجه العرش مكتوب: بسم الله الرحمن الرحيم محمّد وآل محمّد خير من برأه الله[1].

وفي جامع الاخبار بالاسناد عن جابر بن عبدالله الانصاري قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: إنّ الله خلقني وخلق عليّاً وفاطمة والحسن والحسين والائمّة ﷺ من نور فعصر ذلك النور عصرة فخرج منه شيعتنا فسبحّنا فسبّحوا، وقدّسنا فقدّسوا، وهلّلنا فهلّلوا، ومجّدنا فمجّدوا، ووحّدنا فوحّدوا ثم خلق الله السموات والأرضين وخلق الملائكة فمكثت الملائكة مائة عام لا تعرف تسبيحاً ولا تقديساً ولا تمجيداً، فسبحّنا وسبحّت شيعتنا فسبّحت الملائكة لتسبيحنا، وقدّسنا فقدّست شيعتنا فقدّست الملائكة لتقديسنا، ومجّدنا فمجّدت شيعتنا فمجّدت الملائكة لتمجيدنا، ووحّدنا فوحّدت شيعتنا فوحّدت الملائكة لتوحيدنا، وكانت الملائكة لا تعرف تسبيحاً ولا تقديساً من قبل تسبيحنا وتسبيح شيعتنا، فنحن الموحّدون حين لا موحّد غيرنا وحقيق على الله تعالى كما اختصّنا واختصّ

---

(١) بحار الأنوار: ج ٢٦ ص ٢٨٢ ح ٣٧.

شيعتنا أن ينزلنا أعلى علنيين، إنّ الله سبحانه وتعالى إصطفانا واصطفى شيعتنا من قبل أن تكون أجساماً، فدعانا وأجبنا، فغفر لنا ولشيعتنا من قبل أن نستغفر الله تعالى(١).

وفيه دلالة على تفضيل شيعتهم على الملائكة من حيث سبق الخلقة ووساطة التعليم، وغير ذلك.

وعن كتاب المُختَصَرَ للحسن بن سليمان بالاسناد عن أمير المؤمنين قال: قال رسول الله ﷺ: يا علي أنا سيّد الانبياء، وانت سيّد الأوصياء، وأنا وانت من شجرة واحدة، ولولانا لم يخلق الله الجنّة ولا النّار، ولا الانبياء ولا الملائكة، قال: قلت: يا رسول الله فنحن أفضل أم الملائكة؟ فقال: يا عليّ نحن أفضل، ونحن خير خليقة الله على بسيط الارض وخيرة الله على ملائكته المقرّبين، وكيف لا نكون خيراً منهم وقد سبقناهم إلى معرفة الله وتوحيده، فبنا عرفوا الله، وبنا عبدوا الله، وبنا اهتدوا السّبيل إلى معرفة الله(٢).

وفيه عن المفضّل قال: قلت لمولانا الصادق عليه السلام ما كنتم قبل أن يخلق الله السماوات والأرض؟ قال: كنّا أنوارا نسبّح الله تعالى ونقدّسه حتّى خلق الله الملائكة فقال لهم الله عزّ وجلّ: سبّحوا، فقالت اي ربّنا لا علم لنا، فقال لنا: سبّحوا فسبّحنا، فسبحَت الملائكة بتسبيحنا ألا إنّا خُلقِنا أنواراً وخلقت شيعتنا من شعاع ذلك النّور، فلذلك سمّيت شيعة، فاذا كان يوم القيمة التحقت السفلى بالعليا، ثمّ

---

(١) جامع الأخبار: ص ٩ وعنه البحار ج ٢٦ ص ٢٤٢ ـ ٢٤٤.

(٢) بحار الأنوار: ج ٢٦ ص ٣٤٩ ـ ٣٥٠.

قرَّبَ ما بين اصبعيه[١].

وفي الاحتجاج عن موسى بن جعفر عن آبائه عليهم السلام انّ يهودياً سأل أمير المؤمنين عن معجزة النّبي صلى الله عليه وآله في مقابلة معجزات الأنبياء فقال: هذا آدم أسجد الله له ملائكته فهل فعل بمحمد شيئاً من هذا؟ فقال عليّ عليه السلام لقد كان ذلك، ولكن اسجد الله لادم ملائكته فان سجودهم لم يكن سجود طاعة، انّهم عبدوا آدم من دون الله عز وجل، ولكن اعترافاً لادم بالفضيلة، ورحمةً من الله له ومحمّد صلى الله عليه وآله أُعطِي ما هو افضل من هذا إنّ الله جلّ وعلا صلّى عليه في جبروته والملائكة بأجمعها، وتعبّد المؤمنون بالصلوة عليه، فهذه زيادة له يا يهودي[٢].

وفي تفسير العيّاشي وغيره عن هشام بن سالم عن الصادق عليه السلام قال لمّا أسري برسول الله صلى الله عليه وآله حضرت الصلوة فأذّن واقام جبرئيل فقال يا محمّد تقدّم فقال رسول الله صلى الله عليه وآله تقدّم يا جبرئيل فقال له إنّا لا نتقدّم الآدميّين مذ أمرنا بالسجود لادم[٣].

وفي العلل عن ابن عباس قال: دخلت عائشة على رسول الله صلى الله عليه وآله وهو يقبّل فاطمة، فقالت له: اتحبها يا رسول الله؟ قال: أما والله لو علمتِ حبّي لها لازددت لها حبّاً إنّه لما عُرِجَ بي إلى السماء الرابعة أذّن جبرئيل وأقام ميكائيل ثمّ قيل لي: أُدنُ يا محمّد فقلتُ أتقدّم وأنت بحضرتي يا جبرئيل؟ قال: نعم انّ الله عز وجل فضّل أنبيائه المرسلين على ملائكته المقرّبين، وفضّلك أنت خاصّة، فدنوت فصلّيت بأهل السماء الرابعة ثمّ التفتُ عن يميني فإذا أنا بابراهيم عليه السلام في روضة من رياض الجنّة

(١) بحار الانوار: ج ٢٦ ص ٣٥٠.
(٢) البحار: ج ١٠ ص ٢٩.
(٣) البحار: ج ١٨ ص ٤٠٤ عن تفسير العياشي.

وقد اكتنفها جماعة من الملائكة[١]، الخبر.

الرابع: انّ عبادة البشر أشقّ وأصعب فوجب أن يكون افضل، امّا الصغرى فلانّ للبشر شواغل عن الطاعات العلميّة والعمليّة، من الشهوات النفسانيّة، والدّواعي الجسمانيّة، والقوى البهيميّة والسبعيّة الدّاعية إلى ثوران الشّهوة والغضب، والاشتغال بالامور الحسيّة والعوارض الجسميّة، وغير ذلك من الحاجات والخيالات الشّاغلة والموانع الدّاخلة والخارجة، سيّما مع تعاضد الهوى ووسوسة الشيطان بجنوده في صدورهم، وخفاء الحقّ وقلّة أهله، وشيوع الباطل وكثرة جنده، مضافاً إلى ما يقاسون من الأمراض البدنيّة والاعراض النفسانيّة والعاهات الجسمانيّة.

والملائكة ليس لهم شيء من ذلك فلا يعارض دواعي طاعاتهم شيء من الإرادات المضادّة والموانع الطّارية بل عباداتهم كالأقوات الممدّة لأرواحهم يلتذّون بها، وأمّا الكبرى فلانّ ايثار رضا الله تعالى مع صعوبته ومشقّته على النفس دليل على كمال العبوديّة والإنقياد ألا ترى أنّ الشّيخ الّذي له ميل إلى النّساء إذا إمتنع عن النساء فليست فضيلة كفضيلة من يمتنع عنهنّ مع شدّة الشبق والشهوة الهائجة.

هذا مضافاً إلى النبوي المشتهر أفضل العبادات أحمزها[٢] أي اشقّها على النفس.

وتوهّم أنّ للملائكة ايضاً شهوة داعية إلى المعصية، وهي حبّ الرّياسة كما

---

(١) علل الشرايع: ص ٧٢ وعنه البحار ج ١٨ ص ٣٥٠ ح ٦١.

(٢) البحار: ج ٧٠ ص ١٩١ وص ٢٣٧.

يؤمي إليه مقالتهم في أمر الخلافة وامتحانهم بالسجود، بل وقوله: ﴿لَنْ يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْداً لِلّهِ وَلاَ الْمَلآئِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ﴾ (١).

مدفوع بعد الغضّ عمّا فيه بأنّهم إنّما يطلبون الرياسة الحقّة الّتي توجب مزيد القرب، والكرامة، وأين هذا من طلب الرياسات الباطلة الّتي هي من مقتضيات النفس الامّارة وجنود الجهل.

وعلى فرض التسليم فللبشر مضافاً إلى ذلك أنواع كثيرة اخرى من الشهوات، ومن البيّن أنّ المبتلى بأنواع كثيرة منها تكون الطاعة عليه أشقّ من المبتلى بشهوة واحدة.

وامّا ما يقال في دفع هذه الحجّة من أنّ العبادة مع كثرة البواعث والشواغل إنّما تكون أشقّ وأفضل من الأُخرى إذا استويا في المقدار وباقي الصفات، وعبادة الملائكة أكثر وأدوم، فإنّهم يسبّحون اللّيل والنّهار ولا يفترون، والاخلاص الّذي به القوام والنظام واليقين الّذي هو الاساس والتّقوى الّذي هو الثمرة فيهم أقوى وأقوم، لأنّ طريقهم العيان لا البيان.

وايضاً ينتقض ذلك بما أنّا نرى الواحد من الصّوفية يتحمّل في طريق المجاهدة من المشاقّ والمتاعب ما نقطع بأنه ﷺ لم يتحمّل مثلها، مع أنا نعلم أنّ محمّداً ﷺ افضل من الكلّ، وما ذاك إلّا أنّ كثرة الثّواب تترتّب على كثرة الإخلاص، فربما يكون الفعل أسهل على فاعله ويكون الثواب اكثر لكثرة اخلاصه.

ففيه أنّ مبنى الإستدلال إنّما هو على التفاضل من حيث تحمّل كثرة المشقّة

---

(١) النساء: ١٧٢.

والألم في الطّاعة والانقياد، وقضيّة تفضيل الأنبياء وهو المطلوب، وأمّا معارضة سائر الصّفات الموجبة للتعكيس فلم يظهر دليل عليها، ومجرّد الجواز لا يدلّ على الوقوع، ودعوى أنّ الاخلاص واليقين والتقوى فيهم أشدّ وأقوى في حيّز المنع كيف وهو أوّل الكلام، بل التّحقيق أنّ ظهور هذه الصفات في الأنبياء أقوى منه في غيرهم حتّى الملائكة، لأن أخشى الخلق أعلمهم بالله ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾[1] وقد نصّت الاية وغيرها على كون أدم أعلم وانّه هو المستأهل للخلافة العلميّة ومنصب التعليم، فاذا اقترنه العمل من جميع الجهات كما هو مقتضى العصمة فقد تمّت له الفضيلة بشطريها، وأذعنت له الرياسة الكبرى بقرنيها، وامّا دوام العبادة وعدم الفتور فلا تظنّن إختصاصه بالملائكة ضرورة انّ أرواح الانبياء سبقهم في عالم الأنوار والأرواح بالاجابة، وعبدوه قبل خلقة الملائكة وكانوا مستمرّين على عبادتهم إلى أن أمروا بالظّهور في هذا العالم الجسماني لمصالح قضت بها العناية الكليّة والمصلحة الرّبانيّة، فصحبوا أهل هذا العالم بابدان ارواحها معلّقة بالملكوت الاعلى فكانّهم وهم في جلابيب من أبدانهم العنصريّة قد نضّوها وتجرّدوا عنها إلى عالم القدس وحضرة الأنس، وأمّا اذا فارقوا هذا العالم فلا تظنّن انّهم إذا ماتوا فاتوا، بل هم أحياء عند ربّهم يرزقون، باستنشاق نفحات قدسه واستضاءة تجلّيات وجهه.

وبالجملة فالظّاهر سلامة الدّليل المذكور عن وصمة الاشكال سيّما بعد ما أشير اليه في الخبر المروي في «العلل» عن عبدالله بن سنان قال: سألت ابا عبدالله

(١) فاطر: ٢٨.

جعفر بن محمّد الصّادقعليه السلام فقلت، الملائكة افضل أم بنوا آدم؟ فقال: قال أميرالمؤمنين عليّ بن ابي طالبعليه السلام، انّ الله عزّ وجلّ ركّب في الملائكة عقلاً بلا شهوة، وركّب في البهائم شهوة بلا عقل، وركّب في بني آدم كلتيهما. فمن غلب عقله شهوته فهو خير من الملائكة، ومن غلب شهوته عقلَه فهو شرّ من البهائم(١).

وفي المروي في تفسير الامام والاحتجاج عن أبي محمّد العسكريعليه السلام في خبر طويل يذكر فيه أمر العقبة انّ المنافقين قالوا لرسول الله صلى الله عليه وآله: أخبرنا عن عليّ اهو أفضل ام ملائكة الله المقرّبون؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: وهل شرّفت ملائكة الله إلّا بحبّها لمحمّد وعليّ، وقبولها لولايتهما أنّه لا أحد من محبّي عليّعليه السلام وقد نظف قلبه من قذر الغشّ والدّغل والغلّ ونجاسة الذّنوب إلّا لكان أطهر وأفضل من الملائكة. وهل أمر الله الملائكة بالسّجود لآدم إلّا لما كانوا قد وضعوه في نفوسهم انّه لا يصير في الدّنيا خلق بعدهم اذا رُفعوا عنها إلّا وهم يعنون انفسهم أفضل منهم في الدّين فضلاً، وأعلم بالله وبدينه علماً. فأراد الله تعالى أن يعرّفهم انّهم قد أخطأوا في ظنونهم واعتقاداتهم، فخلق آدم وعلّمه الأسماء كلّها ثمّ عرضها عليهم فعجزوا عن معرفتها، فأمر آدم أن ينبئهم بها وعرّفهم فضله في العلم عليهم.

ثمّ أخرج من صلب آدم ذرّيةً منهم الانبياء والرسل والخيار من عباد الله، أفضلهم محمّد ثمّ آل محمّد صلّى الله عليهم أجمعين، ومن الخيار الفاضلين منهم أصحاب محمّد وخيار أمّة محمّدصلى الله عليه وآله، وعرّف الملائكة بذلك انّهم افضل من الملائكة اذا احتملوا ما حملوه من الأثقال وقاسوا ما هم فيه من تعرّض أعوان

(١) بحار الأنوار ج ٦٠ ص ٢٩٩ عن العلل ج ١ ص ٤.

الشياطين ومجاهدة النفوس، واحتمال أذى ثقل العيال والاجتهاد في طلب الحلال، ومعاناة مخاطرة الخوف من الأعداء، من لصوص مخوّفين، ومن سلاطين جَوَرة قاهرين، وصعوبة المسالك في المضايق والمخاوف والاجزاع والجبال والتلال لتحصيل أقوات الانفس والعيال من الطّيب الحلال، عرّفهم الله ﷻ أنّ خيار المؤمنين يحتملون هذه البلايا.

ويتخلّصون منها، ويتحاربون الشياطين ويهزمونهم[1] ويجاهدون أنفسهم بدفعها عن شهواتها ويغلبونها مع ما ركّبت فيهم من شهوة الفحولة، وحبّ اللباس والطّعام والعزّ والريّاسة والفخر والخيلاء، ومقاساة العناء والبلاء من ابليس لعنه الله وعفاريته وخواطرهم وأعوانهم واستهوائهم ودفع ما يكيدونه من ألم الصّبر على سماع الطّعن من أعداء الله وسماع الملاهي والشتم لأولياء الله، ومع ما يقاسونه في اسفارهم لطلب أقواتهم، والهرب من أعداء دينهم، والطلب لمن يأملون[2] معاملته من مخالفيهم في دينهم.

قال الله ﷻ: يا ملائكتي: وانتم من جميع ذلك بمعزل لا شهوات الفحولة تزعجكم، ولا شهوة الطّعام تخفركم، ولا الخوف من اعداء دينكم ودنياكم ينخب[3] في قلوبكم، ولا لإبليس في ملكوت سمواتي وارضي سبيل على إغواء ملائكتي الّذين قد عصمتهم منهم: يا ملائكتي فمن أطاعني منهم وسلم دينه من هذه الآفات

---

(١) في النسخة المخطوطة: ويحزمونهم (بالحاء المهملة) ولعلّه (لو لم يكن مصحّفاً) من حزم الفوس: شدّ حزامه ـ والحزام: ما يشدّ به وسط الدابّة.

(٢) في البحار: او الطلب لما يأملون معاملته.

(٣) النخب: النزع، ورجل نخب (بكسر الخاء): جبان.

والنكبات فقد احتمل في جنب محبّتي ما لم تحتملوا واكتسب من القربات إليّ ما لم تكتسبوا. فلما عرّف الله ملائكته فضلَ خيار أمّة محمدﷺ وشيعة عليّ عليه السلام، وخلفائهﷺ عليهم، واحتمالهم في جنب محبّة ربّهم ما لا تحتمله الملائكة أبان انّ بني آدم الخيار المتّقين بالفضل عليهم فلذلك.

ثمّ قال فاسجدوا لآدم لما كان مشتملاً على انوار هذه الخلايق الافضلين، ولم يكن سجودهم لادم، إنّما كان آدم قبلةً لهم يسجدون نحوه لله عزّ وجلّ، وكان بذلك معظماً له مبجّلاً، ولا ينبغي لاحد أن يسجد لأحد من دون الله تعالى يخضع له خضوعة لله ويعظّمه بالسجود له، كتعظيمه لله، ولو أمرت أحداً أن يسجد هكذا لغير الله لأمرت ضعفاء شيعتنا وسائر المكلّفين من شيعتنا أن يسجدوا لمن توسط في علوم علي وصّي رسول الله ومحّضَ وداد خير خلق الله عليٍّ بعدِ محمّد رسول الله واحتمل المكاره والبلايا في التصريح باظهار حقوق الله فلم ينكر عليَّ حقّاً ارقبه عليه وقد كان جهله او اغفله[1]. الخبر

وهو كما ترى صريح في تقرير الحجّة المذكورة بأتمّ بيان وأحسنه، بل فيه دلالة ظاهرة على تفضيل الفاضلين من شيعتهم على الملائكة، ويظهر ذلك ايضاً من بعض الاخبار المتقدّمة الدّالة على أنّ الملائكة لخدامهم وخدّام محبيهم، ومن العلوي المروي عن «العلل»[2] من فضل بني آدم على الملائكة معلّلاً بما مرّ.

بل عن صحيفة الرضا بالاسناد عنه عليه السلام عن آبائه عليهم السلام عن النّبيﷺ قال: مثل

---

(١) بحار الأنوار: ج ١١ ص ١٣٦ ـ ١٣٨ عن تفسير الامام عليه السلام والاحتجاج.

(٢) البحار: ج ٦٠ ص ٢٩٩ عن العلل ج ١ ص ٤.

المؤمن عندالله كمثل ملك مقرّب، وإنّ المؤمن عندالله ﷻ أعظم من الملك، وليس شيء أحبّ إلى الله من مؤمن تائب او مؤمنة تائبة (١).

وعنه بالاسناد قال: قال رسول الله ﷺ: إنّ المؤمن ليعرف في السّماء كما يعرف الرجل أهلَه وولَده، وانّه اكرم عند الله ﷻ من ملك مقرّب (٢). إلى غير ذلك ممّا يستفاد منه فضل المؤمن على الملائكة، أو الملك المقرّب، وان لم اجد في ذلك كلاماً محرّرا لأحد من الاصحاب، نعم قال المجلسي ﵀: لا خلاف بين الاماميّة في أنّ الانبياء والأئمة ﷺ أفضل من جميع الملائكة، والأخبار في ذلك مستفيضة، وامّا سائر المؤمنين ففي فضل كلّهم أو بعضهم على جميع الملائكة او بعضهم فلا يظهر من الآيات والاخبار ظهوراً بيّنا يمكن الحكم بأحد الجانبين، فنحن فيه من المتوقفين (٣).

وفيه أنّه لا ينبغي التأمّل في فضل بعض المؤمنين على كثير من الملائكة، لو لم نقل كلّهم بعد دلالة الاخبار المتقدّمة، مع انّه قد رَوِيَ عن الصادق ﷺ انّه قال: إنّ في الملائكة من باقة بقل خير منه (٤)، ولا في فضل بعض الملائكة كحملة العرش والعالين وروح القدس وغيرهم على كثير من المؤمنين لو لم تقطع بفضلهم على غير المعصومين ﷺ وإنّما الكلام في المتوسّطين عن الفريقين، وردّ العلم في ذلك إلى أهله اوفق بالاحتياط وأقرب إلى النّجاة.

---

(١) صحيفة الامام الرضا ﷺ: ح ٢٧ وعنه البحار ج ٦٠ ص ٢٩٩ ح ٦.

(٢) الصحيفة: ح ٣٦ و عنه البحار ج ٦٠ ص ٢٩٩ ح ٧.

(٣) بحار الأنوار: ج ٥٧ ص ٢٨٥.

(٤) البحار: ج ٥٧ ص ٣١٣.

بقي الكلام في انّ المستفاد من الوجه المتقدّم بل وبعض الاخبار المتقدّمة خصوصاً المروي عن[1] العسكريﷺ انّه ليس للملائكة شهوة الحيوان، ولا ميل إلى أنواع اللّذات الدّنيوية، ولذا استشكل بعضهم بأنّه اذا كان الله تعالى قد خلقهم على هذا المنوال فما لهم من الفضل في أنفسهم حتّى يفضّلوا غيرهم من صلحاء المؤمنين، قال في الأنوار النعمانيّة: وهذا المعنى قد اشكل على جماعة من الاصحاب حتّى أنّ شيخنا المعاصر أدام الله ايّامه يعني به المجلسي عطر الله مرقده ذهب إلى أنّ الملائكة لهم نوع من الميل إلى اللّذات الحسيّة. لكنّهم يجاهدون أنفسهم ويمنعونها عن الارادات البشريّة، حتّى يكون لهم جزيل من الثواب، ويستحقّوا محامد الثّناء والتّفضيل قال ﷺ: والجواب التحقيقي عند هذا القاصر غير هذا، وحاصله: أنّ الله سبحانه قد أقدر الملائكة على أنواع العبادات كما أقدر البشر عليها، وإن كان قوّة الملائكة على العبادات أشدّ واكثر، والبشر مع قدرتهم على اكثر أنواع العبادات من الواجبات والسنن قد فتروا عنها واقبلوا على تركها، وأمّا الملائكة فقد أقبلوا على فعلها والإتيان بما وصلت إليه قدرتهم، ومع هذا قد صارت العبادات مستلذّة عندهم، كاستلذاذ الاكل والشرب عندنا فهم يأتون بكلّ ما يقدرون عليه من أنواع العبادات على وجه الاستلذاذ، ونحن إنّما نأتي ببعض ما نقدر على وجه التكليف والمشقّة والخوف من العقاب، فهم فُضّلونا بإتيانهم بأفعال يمكنهم تركها فلم يتركوها، ومن ثمّ قد وقع من بعضهم الترك حتّى عُوقب عليه، فاحترقت اجنحته وسقط عن مقامه كما وقع للملك الّذي وقع من السماء في زمن ادريس على

---

(١) البحار ج ١١ ص١٣٦ تقدّم ذكره.

نبيّنا وآله وعليه السلام حتّى لجأ إلى ادريس، فدعى له فرجع إلى مقامه وكما وقع للملك الّذي فتر عن العبادة في عصر النّبيﷺ فسقط أيضاً من عالم الملكوت ولجأ إلى الحسين عليه السلام فتمسّح به ورجع ببركة الحسين عليه السلام إلى مقامه، وأمّا الانبياء والأئمّة عليهم السلام فهم قد فعلوا أفعال الملائكة مع اتّصافهم بالقوى الحيوانيّة فهم أفضل من الملائكة كما إنعقد عليه إجماعنا، ومن ثَمّ كان العامل منا بما يطيق من انواع العبادات أفضل من الملائكة كما ذهب إليه بعض الأصحاب ودلّت عليه بعض الاخبار[1].

أقول: وهذا الكلام لا باس به غير انّ نسبة ترك العبادة واستحقاق العقوبة إلى الملائكة الّذين قامت ضرورة المذهب على عصمتهم، ليس ممّا ينبغي، وأمثال تلك الأخبار على فرض صحّتها لها وجه آخر سنشير اليه في قصّة هاروت وماروت انشاء الله تعالى.

مركز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

نقض وابرام على دفع حجج مفضّلي الملائكة على الأنبياء عليهم السلام

استدلّوا بوجوه من المنقول والمعقول نستقصي الكلام بذكرها والجواب عنها وان كنّا في غُنية عن ذلك كلّه، بعد دلالة الاجماع بل ضرورة المذهب فضلاً عمّا سمعت من الآيات والأخبار على ما مرّت الإشارة إليه من تفضيل الانبياء والائمة عليهم السلام عليهم.

(١) الانوار النعمانية: ج ١ ص ٢١٤ ـ ٢١٥.

أمّا الوجوه النقليّة فمنها قوله تعالى: ﴿لَنْ يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْداً لِّلَّهِ وَلاَ الْمَلآئِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ﴾ (١) حيث إنّ ظاهر العطف في امثال المقام الترّقي من الأدنى إلى الأعلى سيّما مع تخصيص الملائكة بالمقرّبين منهم لكونهم افضل كما يقال أفضل كما يقال: هذا العالم لا يستنكف من خدمته الوزير ولا الملك المقتدر، وهذا الحجر لا يقدر على حمله العشرة ولا المائة اولو القوّة إذ من البيّن انّه لا يقال: في الأوّل ولا الجُندي، ولا في الثاني ولا الواحد، فضلاً من أن يوصفا بالحاجة والضّعف او يوصف بهما الاوّلان.

والجواب انّ الكلام إنّما سيق لردّ مقالة النصارى في المسيح حيث إدّعوا فيه مع النّبوة البنوة بل الالوهيّة والترّفع عن العبوديّة، ثمّ استطرد الكلام في ردّ من زعم انّ الملائكة بنات الله كما قال: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثاً﴾ (٢) وقال: ﴿أَمِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُم بِالْبَنِينَ﴾ (٣) وتقديم الاوّل لسبق الخطاب مع أهل الكتاب في أمره في الآيات المتقدّمة.

وقد يجاب أيضاً بانّ الواو لمطلق الجمع، فتدلّ على أنّ المسيح لا يستنكف والملائكة لا يستنكفون، وامّا الترّقي والتّفضيل فغير مستفاد اصلاً كما في قوله: ﴿وَلاَ الْهَدْيَ وَلاَ الْقَلآئِدَ وَلا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ﴾ (٤) وقوله: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِن

---

(١) النساء: ١٧٢.

(٢) الزخرف: ١٩.

(٣) الزخرف: ١٦.

(٤) المائدة: ٢.

بَحِيرَةٍ وَلا سَآئِبَةٍ وَلا وَصِيلَةٍ﴾[1]. وكذا قولك: ما أعانني على هذا الامر زيد ولا عمرو، وما اقترضت من زيد ولا من عمرو.

نعم ربما يستفاد التّرقي إذا علم كون المعطوف أقوى في المعنى المراد، وأمّا اذا لم يُعلم ذلك فإثباته بمجرّد العطف لا يخلو عن دور.

وبانّ النّصارى إنّما توهّموا فيه البنوة بل الألوهيّة لكونه روح الله ولد من غير اب، ولما ظهر فيه من صفات الرّوحانيّين من إخبار بما يأكلون وما يدّخرون، وإحياء الموتى، وابراء الاكمه والأبرص والأعمى، ولا يبعد أن يكون الملائكة المقرّبون الموكّلون بتلك الشؤون أرفع في هذا المعنى وأقدر على تلك الشؤون والمعنى لا يترفع عيسى عن العبوديّة ولا من هو فوقه في هذا المعنى، وهم الملائكة الّذين لا أب ولا أمّ ويقدرون على ما لا يقدر عليه عيسى، واين هذا من سائر الكمالات العلميّة والعمليّة الموجبة لمزيد القرب وكثرة الثواب.

وبانّه يجوز أن يكون الخطاب متوجّهاً إلى قوم إعتقدوا أنّ الملائكة أفضل من الأنبياء فاخرج الكلام على حسب اعتقادهم، كما يقول أحد منّا: لن يستنكف أبي أن يفعل كذا ولا أبوك، وان كان القائل يعتقد أنّ اباه أفضل، وإنّما أخرج الكلام على حسب إعتقاد المخاطب وهو ضعيف.

وبانّه مع تقارب المراتب وتداني الدّرجات يحسن أن يؤخّر ذكر الافضل الّذي ليس بينه وبين غيره فضل تفاوت كما يقال: لن يستنكف من خدمتي هذا الخادم ولا هذا الخادم، ولا ذلك وان كان بينهم ضرب من التّفاضل من بعض

(١) المائدة: ١٠٣.

الجهات الّذي لم يساق الكلام للتنبيه عليها.

وبانّه إنّما اخّر ذكر الملائكة عن ذكر المسيح لأنّ جميع الملائكة اكثر ثواباً لا محالة من المسيح منفرداً وهذا لا يدلّ على تفضيل كلّ منهم على المسيح، وهو كما ترى.

وأمّا ما يجاب به أيضاً من تسليم فضل الملائكة على المسيح وان كان نبيّنا ﷺ مفضّلاً عليهم كلّهم نظراً إلى أنّ المقصود اثبات القضيّة الجزئيّة فضعيف جدّاً.

ومنها قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَالْمَلآئِكَةُ وَهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ (١) حيث خصّهم بالذكر بعد التّعميم الشامل للانبياء وغيرهم، ووصفهم بالاستكانة والتّواضع ودوام الامتثال والخوف وترك المخالفة على وجه الاطلاق، وفيه اشارة إلى أنّ غيرهم ليس كذلك، وانّ اسباب التكبر والتّعظم حاصلة لهم.

على انّه يستفاد منه الاحتجاج بعدم استكبارهم على أنّ غيرهم وجب أن لا يستكبر، ولو كان البشر أفضل منهم لما تمّ هذا الاحتجاج ألا ترى أنّ السلطان إذا اراد أن يقرّر على رعيّته وجوب طاعتهم له يقول: الملوك لا يستكبرون عن طاعتي ولا يحسن منه ان يحتج عليهم بطاعة الضّعفاء والمساكين له.

والجواب أنّ الآية إنّما تدلّ على الفضيلة لا الأفضليّة، وفائدة التخصيص بعد التعميم التنبيه على حالهم تمهيداً لِردّ من زعم من مشركي مكّة انّهم بنات الله، ولذا

---

(١) النحل: ٤٩.

قال بعد هذه الاية بفصل قليل: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ﴾ (١)، الايات.

على أنّه قد يقال: لا نزاع في انّ الملائكة أشدّ قوّة وقدرة من البشر، ولو في زعم المخاطبين واعتقادهم، فكانّه يقول إنّ الملائكة مع شدّة قوّتهم وطول أعمارهم لا يتركون العبوديّة لحظة واحدة فالبشر مع ضعفهم وعروض الفتور والهرم والمرض بالنّسبة اليهم أولى بأن لا يتركوا العبادة، وهذا القدر كافٍ في صحّة الاستدلال، وأين هذا من الدّلالة على الافضليّة بمعنى كثرة الثواب والاقربيّة؟

ثمّ انّه يحتمل في الآية أن يكون ﴿مِن دَآبَّةٍ﴾ بياناً للموصولة ﴿وَالْمَلاَئِكَةُ﴾ عطفاً عليها لظهور الدّبيب في حركة الاجسام، فيكون المراد إستيعاب المادّيات والمجرّدات بناءً على القول بتجرّد الملائكة ولذا استدلّ بها عليه على ما يأتي.

ومنها قوله تعالى: ﴿وَلَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِندَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ (٢).

والتقريب قريب ممّا مرّ من جهة التخصيص بعد التعميم للتشريف والتكريم والتوصيف بدوام التّسبيح ونفي الاستكبار والاستحسار والفتور، على أنّ المراد بالعنديّة عنديّة القرب والشرف لا عنديّة المكان والجهة.

والجواب ظاهر بعدما سمعت، والعنديّة حاصلة للمؤمنين ايضاً: ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ (٣)، وفي القدسيات: أنا عند المنكسرة قلوبهم (٤).

---

(١) النحل: ٥٧.

(٢) الانبياء: ١٩ ـ ٢٠.

(٣) القمر: ٥٥.

ومنها: قوله تعالى: ﴿جَاعِلِ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً﴾ [٥]. حيث إنّ ظاهره ولو بمعونة غيره من الآيات والأخبار كونهم رسلاً إلى الأنبياء، والرسول أفضل من المرسل إليه، سلّمنا كونهم رسلاً إلى الملائكة، لكنّ الرسول الّذي كلّ امته رسل معصومون أفضل ممّن ليس كذلك، وهو يتمّ على الوجه الاول ايضاً.

والجواب انّ الرسالة قد تكون على وجه الحكومة والولاية على النفس والمال وغيرهما وهذا يدلّ على الفضيلة، وقد تكون على وجه الإخبار والإعلام ومجرّد التبليغ، ولا دلالة فيه على الأفضليّة كما يرسل السّلطان إلى وزيره واحداً من غلمانه لإعلامه ببعض مقاصده، ولو مع اطّلاع الوزير قبل ذلك بما أخبره به لاقامة بعض الرسوم ودفع لجاج الخصوم، فمجرّد الوساطة في التبليغ لا يدلّ على الافضليّة.

ومنها قوله تعالى: ﴿قُل لَّا أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَآئِنُ اللّهِ وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ﴾ [٦]. فلو لم يكن حال الملائكة افضل من حال النّبي لم يحسن منه مثل هذا الكلام.

والجواب أنّ الغرض من سوق الكلام إنّما هو نفي ما لم يكن عليه لا التّفضيل لذلك على ما هو عليه، ولذا عطف عليه في الآية الاخرى ﴿وَلاَ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ اللّهُ خَيْرًا﴾ [٧] وهذه منزلة خسيسة ينبغي تنزيه النّبي

(٤) في البحار: ج ٧٣ ص ١٥٧: قيل لرسول الله ﷺ: اين الله؟ فقال ﷺ: عند المنكسرة قلوبهم.

(٥) فاطر: ١.

(٦) الانعام: ٥٠.

(٧) هود: ٣١.

عنها على انّه انّما قال ذلك حين استعجلته قريش العذاب الّذي اُوعدوا به بقوله: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ﴾ (١)، والمعنى انّي لست بملك موكّل بالعذاب حتّى انزله عليكم باذن الله كما كان ذلك بجبرئيل وغيره من الملائكة، او انّهم سألوه الامور العظيمة اقتراحاً كصعود السماء واسقاطها كسفاً وتفجير العيون من الأرض وغيرها فاجاب بانّي بشر عليّ إقامةُ الحجّة والهداية على الطّريقة السّوية، ولست بملك موكّل بهذه الامور كما حكى عنهم في قوله: ﴿وَقَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الأَرْضِ يَنبُوعاً أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الأَنْهَارَ خِلالَهَا تَفْجِيرًا أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاء كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفاً أَوْ تَأْتِيَ بِاللّهِ وَالْمَلآئِكَةِ قَبِيلاً أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاء وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَاباً نَّقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إَلاَّ بَشَرًا رَّسُولاً﴾ (٢).

ومنها قوله تعالى في بني آدم: ﴿وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾ (٣)، بناءً على أنّ المكلّفين من مخلوقاته سبحانه أفضل من غيرهم، وجملة المكلّفين اربعة انواع: الملائكة، وبنو آدم، والجنّ، والشياطين، ولا ريب انّ بني آدم افضل من الاخيرين، فلو كانوا افضل من الاول ايضاً لكانوا افضل من جميع ما خلقه فلا يستقيم التّفضيل على الاكثر المشعر بعدم التفضيل على القليل سيّما في مقام الامتنان بالتّشريف والتكريم.

---

(١) الانعام: ٤٩.

(٢) الإسراء: ٩٠ ـ ٩٣.

(٣) الاسراء: ٧٠.

والجواب انّك قد سمعت أنّ الاية دليل لنا لا علينا، ولو بمعونة الأخبار المفسّرة لها حسبما مرّ شطر منها. ولعلّ المعنى على ما قيل إنّا فضّلناهم على من خلقناه وهم كثير من دون أن يريد التّبعيض فيجري مجرى قوله: ﴿وَلاَ تَشْتَرُواْ بِآيَاتِي ثَمَناً قَلِيلاً﴾ (١)، اي كلّ ثمن اخذ عنها فهو قليل من دون ان يريد التّخصيص بان يمنع عن الثمن القليل خاصّة ومثله قول الشاعر:

من اناس ليس من اخلاقهم عاجل الفحش ولا سوء الجزع

وانّما اراد نفي الفحش والجزع على إطلاقهما وان وصفهما على صورة التقييد، مع أنّه يمكن أن يكون المراد هو التّفضيل في وجوه الكرامة المذكورة في الاية من رزق الطّيبات وحملهم في البرّ والبحر وأين هذا من الافضليّة بالاقربيّة واكثريّة الثّواب. سلّمنا لكنّه لا حجيّة في دليل الخطاب في مثل المقام على ما قرّر في الأصول من عدم حجيّة مفهوم العدد واللّقب ونحوهما. سلّمنا لكنّه باعتبار مقابلة المجموع بالمجموع.

ومنها قوله تعالى: ﴿مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَـذِهِ الشَّجَرَةِ إِلاَّ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ﴾ (٢)، اي إلّا كراهة أن تكونا ملكَين فرغّبهما في التناول من الشجرة في منزلة الملائكة حتّى دلّاهما بغرور، وذاقا منها فبدت لهما سوآتهما. ومن البيّن أنّ التّغرير إنّما يحصل بالتّرغيب على منزلة هي فوق منزلته حتّى يحمله ذلك

(١) المائدة: ٤٤.

(٢) الاعراف: ٢٠.

على مخالفة الله ومعصيته طمعاً في الإرتقاء إلى منزلة الملائكة، وهو دليل على فضلهم عليهما.

والجواب انّه من المحتمل قويّاً أن يكون المراد اختصاص النّهي بهذين الفريقين اعني الملائكة والخالدين فكان غرض ابليس ايقاع الشبهة لهما بأنّه إنّما تعلّق النّهي بهما وانّ عدم الاكل مختصّ بمَن كان ملكاً او مخلّدا فيها، وهذا كما تقول لواحد من فقراء السادات: ما حرّم الله عليك أخذ الخمس إلّا أن تكون غنيّاً او من غير بني هاشم اي بكونك كذا وكذا، وهذا كما ترى لا يدلّ على كونهما أفضل منه، سلّمنا أنّ الصّورة الملكيّة والخلود كانا مرغوبين لهما لكنّه لا يدلّ على زيادة الفضل وكثرة الثواب والقرب بحصول شيء منهما، ولعلّه إنّما رغّبهما في أن يكونا مساويين لهم في التجرّد والانسلاخ عن عوارض التركيب وان اختصا عنهم بمزيد الاجر والثواب كما أنّه رغّبهما في الخلود الّذي لا يقتضي مزيّة في الثواب، وانّما هو نفع عاجل، بل من البيّن انّ كلّاً من الخلود والملكيّة ينافي زيادة الإستحقاق ورفع الدّرجة.

وامّا ما يجاب عنه ايضاً من أنّ هذا قول ابليس فلا يكون حجّة، وآدم وان اعتقد صحّة ذلك إلّا أنّه لم يكن نبيّاً في ذلك الوقت، وايضاً لعلّه كان مخطئا في ذلك الاعتقاد لجواز الزلّة على الانبياء، سلّمنا كونه حجّة لكن آدمﷺ لم يكن قبل الزلّة نبيّاً فلم يلزم من فضل الملك عليه حينئذ فضله عليه بعد نبوّته، فلا يتم شيء منهما على الاصول المقرّرة عندنا كما لا يخفى، ولعلّه إنّما ذكره من ذكره منّا على وجه الفرض والتّقدير، كما أنّه يمكن أن يقال: سلّمنا دلالتها على فضله على آدم لكنّها لا

تدلّ على فضله على أُولي العزم الذين هم افضل من آدم، وايضاً لا تدلّ على فضل الملك على نبيّنا وآله الطّاهرين صلّى الله عليهم اجمعين الّذين هم افضل من جميع الانبياء والمرسلين.

ومنها قوله تعالى حكاية عن النسوة على وجه التقرير في تفاوت الدّرجة لا النّفي ﴿مَا هَـٰذَا بَشَرًا إِنْ هَـٰذَا إِلاَّ مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ [۱] بناءً على أنّه ليس المراد وقوع التشبيه في الصورة بل في السيرة حيث انّه شبّهه بالملك الكريم، والملك إنّما يكون كريماً بسيرته المرضيّة الّتي هي نفي دواعي البشريّة من الشهوة والغضب والحرص على طلب المشتهى واثبات اضدادها من العصمة وغضّ البصر وقمع موادّ الشهوات والميل إلى المحرّمات، فدلّ على أنّ جنس الملك أفضل من جنس البشر حتّى بالنّسبة إلى نوع الانبياء كما هو قضيّة المورد.

والجواب أنّ هؤلاء النسوة اوّل ما رأين من يوسف إنّما هو حسن الصورة وكمال الجمال بحيث لم يرين مثله أحداً من الرجال ولذا نفين عنه البشريّة وظهر لهن عذر امرأة العزيز في شدّة عشقها له وعند ذلك قالت ﴿فَذَٰلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ﴾ [۲] ولذا قيل إنّه كالصّريح في أنّ المراد إنّما هو حسن الصّورة لا كمال السّيرة، سلّمنا انّ المراد هو التشبيه في الاعراض عن المشتهيات إلّا انّه قد ظهر ممّا مرّ انّ قليل الاعراض من البشر يوجب كثير الثواب وكثير الاعراض من الملك يوجب قليل الثواب لمعارضة القوى المتضادّة في البشر دون الملك.

---

(۱) يوسف: ۳۱.

(۲) يوسف: ۳۲.

ومنها قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ كِرَاماً كَاتِبِينَ﴾ (١)، الشامل بعمومه لجميع المكلّفين حتّى الانبياء والمرسلين فيدلّ على أفضليّة الملائكة لحفظهم وكتابتهم المقصودة للشهادة لهم وعليهم بأعمالهم.

وضعفه واضح فانّ شيئاً من الحفظ والشهادة غير مستلزم للافضليّة او المفضوليّة، ولذا يصحّ استنادهما إلى الله وإلى رسوله وإلى مَنْ دون المكلّف من الجمادات والنّباتات وسائر اجزاء العالم، ولذا ورد انّه خير حافظاً وانّه تعالى يستشهد على الأمم برسولها وعلى الرّسل بنبيّنا وآله صلّى الله عليهم وانّه يستشهد على ابن آدم بالساعات والشهور والبقاع والأرضين وغيرها.

ومنها قوله: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُواْ الْعِلْمِ﴾ (٢)، وقوله: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾ (٣)، فانّ أولي العلم في الاولى يشمل الرسل والتقدّم الذكري فيهما سيّما بملاحظة الابتداء به سبحانه ووقوعه في كلام الحكيم على الاطلاق يدلّ على التقدّم بحسب الرتبة والشرف.

ويضعّف بانّ الواو لمطلق الجمع واستفادة الاشرفيّة من مجرّد التّرتيب ضعيفة جدّاً سيّما بعد ما سمعت من الآيات والصّحاح الصّراح ويؤيّده تقديم الكتب على الرسل في المقام.

ومنها قوله تعالى: ﴿علّمه شديد القوى﴾ (٤)، فانّه يدلّ على أنّ جبرئيل وهو

---

(١) الانفطار: ١١.

(٢) آل عمران: ١٨.

(٣) البقرة: ٢٨٥.

(٤) النجم: ٥.

واحد من الملائكة علّم محمّداًﷺ وهو خاتم النّبيين وأفضل المرسلين ولا ريب أنّ المعلّم أفضل من المتعلّم واذا ثبت فضله عليه ثبت فضله على الجميع، وايضاً وصفه في الآية بشدّة القوى وغيرها من الأوصاف المذكورة في الآيات التّالية.

وقد يقرّر اعلميّة جبرئيل بانّ العلوم قسمان: احدهما العلم بـالمبدء الحـقّ وصفاته واسمائه وهما مشتركان في معرفته، والاخر العلم بأفعاله واحوال مخلوقاته من الذّرة إلى الذّرة، ولاشكّ أنّ جبرئيلﷺ أعرف بها لأنّـه اطـول عـمراً واكـثر مشاهدة لها فكان علمه بها اكثر واتمّ هذا في العلوم الكونيّة وامّا العلوم الشرعيّة الّتي لا يتوصل إليها إلّا بالوحي فهي لم تحصل لمحمّدﷺ ولا لاحد مـن الانـبياء إلّا بواسطة جبرئيل الّذي هو أمين الوحي ولذا كان واسطة بينه تـعالى وبـين جـميع الانبياء فكان عالماً بجميع الشّرائع والأحكام مع علمه بشرايع الملائكة ايـضاً ولم يحصل هذه العلوم لواحد من الانبياء، وقد قال سـبحانه:﴿هَـلْ يَسْـتَوِي الَّـذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[1].

والجواب أنّ الأعلميّة ممنوعة جدّاً كيف وقد تواتـرت الأخـبار بأنّ النّـبي والأئمّة صلّى الله عليهم كانوا معلّمين لجبرئيل وغيره من الملائكة المقرّبين، وانّ الملائكة لخدّامهم وخدّام محبيّهم، وانّ جبرئيل اذا أتى النّبيﷺ كان يقعد بين يديه قعدة العبد، وكان لا يدخل حتّى يستأذنه وانّه ما شرّفت الملائكة إلّا بحبّها لمحمّد وعليﷺ وقبولها لولايتهما، وانّ الملائكة إنّما خلقوا بعد شيعتهم وسـبحّوا بـعد تسبيحهم معلّما منهم والا فقد مكثوا مائة عام لا يعرفون تسبيحاً ولا تهليلاً إلى غير

(١) الزمر: ٩.

ذلك ممّا مرّت إليه الإشارة في الاخبار المتقدّمة.

وأمّا الآية فالمراد بها التعليم الظّاهري في هذا العالم اقامة لرسم التبليغ ووظيفة الرسالة حسبما نشير اليه في تفسيرها، مع أنّ فيها وجهاً آخر وهو نسبة التّعليم إليه سبحانه كما يظهر من تفسير القمي وغيره هذا مضافاً إلى ما دلّت عليه الآية من كون آدم معلّماً لهم بامر الله تعالى ارشاده وانّه علّمهم الاسماء كلّها بعد ما لم يعلموها، وأمّا التقسيم المقرّر لبيان أعلميّة جبرئيل ففيه وجوه من الاختلال، وذلك للمنع عن الاشتراك في قدر المعرفة وان سلّمناه في أصلها، وذلك لأنّ المعرفة على حسب الاستعداد والرّتبة والقرب والعبوديّة وقد سمعت تأخّر رتبة جبرئيل عنهم بل عن بعض شيعتهم كالعالين والكروبيّين وغيرهم، وامّا العلم بالأمور الكونيّة فالاعلم بها من أشهدهم الله تعالى وجعلهم الأشهاد والأعضاد في تكوينها، وامّا الاحكام الشرعيّة فقد ورد في كثير من الأخبار تفويضها إليهم كما أشير إليه في قوله تعالى: ﴿هَذا عَطاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسابٍ﴾ (١) بحسب التأويل (٢) وتذكر في ذلك كلّه قوله: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ﴾ (٣)، وقوله: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ (٤).

ومنها ما رواه في «الكافي» عن الصادق عليه السلام قال: قال الله عزّ وجلّ يابن آدم اذكرني

---

(١) ص: ٣٩.

(٢) راجع تفسير الصافي: ج ٤ ص ٣٠١ ط دار المرتضى بمشهد.

(٣) طه: ١١٤.

(٤) القيامة: ١٧.

في ملأ اذكرك في ملأ خير من ملأك (١).

وفيه مرفوعاً قال: قال الله ﷻ لعيسى على نبيّنا وآله وعليه السلام يا عيسى اذكرني في نفسك اذكرك في نفسي، واذكرني في ملأك اذكرك في ملأٍ خير من ملأِ الادميّين (٢).

وفي بعض الأخبار: بملأٍ(٣) من الملائكة خير من ملأِ الآدميّين.

والجواب ان خيرية ملأ نوع من الملائكة من ملأ كثير من افراد البشر باعتبار قربهم او ملأ جنس الملائكة من جنس بني آدم باعتبار عصمتهم لا ينافي افضليّة الانبياء والاوصياء عليهم، سيّما مع ما قيل من اشتمال ملائهم على أرواح النّبيين والمرسلين.

ثمّ انّه قد يحكى اتّفاق الفلاسفة على انّ الارواح السّماوية المسماة عندهم بالملائكة أفضل من الارواح النّاطقة البشريّة واستدلّوا عليه ببساطتها وبرائتها من شوب التركيب ولوازم الكثرة الدّاعية إلى الاختلال والفساد، وأمّا البشر فهو مركّب من النفس والبدن، والنفس مركّبة من القوى الكثيرة والبدن مركّب من العناصر المتضادّة، ومن البيّن أنّ البسيط أشرف من المركب، والملائكة وان لم نقل ببساطتها المطلقة نظراً إلى أنّ كلّ ممكن زوج تركيبي وانّها مركّبة من وجود ومهيّة لكنّها أبسط بالاضافة إلى الانسان من وجوه كثيرة أوجبت شرافتها. ولذا كان البسيط على الاطلاق وهو مبدأ الكلّ اعلى من الكلّ.

---

(١) الكافي: ج ٢ ص ٤٩٨.
(٢) الكافي: ج ٢ ص ٥٠٢.
(٣) البحار ج ٦٠ ص ٣٠٠.

وبانّ الروحانيّات لها كمالات فعليّة حاضرة ولذا قال مولانا أميرالمؤمنين عليه السلام وقد سئل عن الملأ الاعلى صور عارية عن المواد خالية عن القوّة والاستعداد تجلّى لها ربّها فأشرقت، وطالعها فتلألأت، وألقى في هويّتها مثاله فأظهر عـنها أفـعالَه وخلق الانسان ذا نفس ناطقة، إن زكاها بالعلم والعمل فقد شابهت جواهر اوائـل عللها، وإذا اعتدل مزاجها وفارقت الاضداد فقد شارك بها السّبع الشداد[1].

وأمّا البشر فكمالاتهم واستعداداتهم بالقوّة لا بالفعل، ولا يخفى أنّ ما بالفعل التّام أشرف ممّا بالقوّة مع أنّ في الخبر وجوهاً اخر من الدّلالة أيضاً كالتّجرد وقبول التجلّيات الاوليّة وتوسطها بالاشراق على ما دونها والمظهريّة الكلّية وكون النفوس الانسانيّة بعد التزكية التامّة مشابهة لها، مع دلالة التّشبيه على قوّة المشبّه به وكون تلك الجواهر هي العلل الاوليّة لها وغير ذلك ممّا يستفاد منه.

وبانّ الروحانيّات أشرف من الجسمانيّات في العلم والعمل فتكون أشـرف مطلقاً امّا شرفهم في العلم فلإحاطتها على المغيّبات وعلى الأمور المستقبلة والعلوم الكليّة والكمالات الفعليّة، وامّا في العمل فلأنّهم مواظبون على العبوديّة المحضة لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون، يسـبّحون اللـيل والنـهار لا يـفترون، لا يلحقهم نوم العيون ولا يلهيهم سهو العقول، طعامهم التّسبيح، وشرابهم التـقديس، متجرّدون عن العلائق البدنيّة غير محجوبين بشيء من القوى الحيوانيّة، وامّا الثّاني فواضح ضرورة رجوع اسباب الشرف والفضل إلى أحد الأمرين.

وبانّ الروحانيات نورانيّات علوية لطيفة فعالة منها العقول الكلّية والنـفوس

(١) بحار الأنوار: ج ٤٠ ص ١٦٥.

الفلكيّة والجسمانيّات ظلمانيات سفلية كثيفة منفعلة مشتملة على الحجب الظلمانيّة والغواسق الهيولانيّة.

وبانّ التقسيم العقلي دلّ على ذلك فانّ الموجود الحيّ أشرف من الميّت ثمّ الحيُّ امّا خيرٌ محض، او شرير محض، او خيّر من وجه شرير من وجه. فالاوّل هو الملك والثّاني هو الشيطان والثالث هو الانسان.

وبانّ النفوس النّاطقة وقواها واستعداداتها كلّها فايضة من المبادي العالية الّتي هي المتصرفة فيها المفضية عليها.

إلى غير ذلك من الوجوه الضعيفة المبنية على اصولهم الفاسدة المخالفة للشريعة المصطفويّة على صادعها وآله آلاف الثناء والتحيّة من اثبات العقول المجرّدة والنفوس الفلكيّة واستناد الحوادث إلى التشكلات والانظار الفلكيّة وغيرها ممّا تقوّله الفلاسفة وارباب الهياكل وغيرهم.

هذا مضافاً إلى انكارهم الاصول الشرعيّة الحقّة المستفادة من الشريعة من تقدّم خلق الارواح على الابدان وانّ ارواح النّبي والائمّة عليهم السلام متقدّمة في الخلقة على غيرهم، وانّ جميع من سواهم من المجرّدات والماديات والعلويّات والسفليّات وارواح الانبياء والملائكة والسماوات والارضين والكواكب والجنّة وجميع ما في العوالم الكونيّة كلّها مخلوقة من أشعّة انوارهم كائنة من رشحات قطرات بحارهم. فاذا احرزت هذه الاصول واتقنت ما أشرنا إليه في تضاعيف المباحث السابقة ظهر لك الجواب عن هذه الوجوه وغيرها ممّا اوردوه في المقام، فلا داعي إلى اطناب الكلام في الجواب عنها بوجوه النّقض والابرام.

دلالة الآيات الى المذهب الحق

اعلم أنّ هذه الايات تدلّ بوجوه من الاشارة على حقّية مذهب الإماميّة القائلين بوجوب النصّ والعصمة والأعلميّة وعدم خلوّ العصر عن الحجّة وغيرها من الأصول الحقّة، وذلك من وجوه.

احدها: انّ الحكمة في الخليفة أبلغ من الحكمة في الخليقة، وذلك أنّه لما تعلّقت المشيّة الالهيّة والحكمة الربانيّة بعمارة الأرض وايجاد من يعبده ويوحّده فيها بدأ بالخليفة قبل الخليقة تقديماً للأهم على ما هو الأعم، وذلك لأنّ وجود الخليفة عندنا ليس على وجه التبعية المحضة والغيريّة الصّرفة كما توهمّه من خالفنا في الإمامة حيث جوّزوا مساواته لسائر افراد الرعيّة في قلّة العلم والفضيلة، وعدم لزوم العصمة، بل الخليفة عندنا هو المقصود بالذّات ولابدّ أن يكون وجوده أشرف من وجود رعيّته والاهتمام بخلقه اكثر من الاهتمام بخلق غيره فيكون هو الواسطة في إيصال الفيوض الالهيّة إلى رعيّته، لا لقصور في فيضه أو عجز منه في ايصاله إلى خلقه، او لحاجة به إلي من ينوبه عنه فيه، بل لقصور عامّة الخلق عن قبول فيضه وتلقّي امره، فالخليفة في العالم كالقلب في البدن، وكما انّ القلب أوّل الاعضاء خلقة وهو معدن الحرارة الغريزيّة، فيتكوّن فيه الأرواح الحيوانيّة الّتي هي الأصل للارواح الطبيعيّة والنّاطقة وغيرهما، ثمّ يسري منها إلى الكبد والدّماغ وسائر الاعضاء والجوارح بواسطة العروق والشرائين، كذلك الخليفة اوّل الخلق خلقة في عالم الملكوت او الناسوت، وهو الواسطة في ايصال الفيوض الالهيّة إلى

سائر الخليقة بتوسّط نوابهم وأمنائهم وحملة علومهم واحكامهم.

ولذا قال الصادق عليه السلام: إنّ الحجّة قبل الخلق ومع الخلق وبعد الخلق [١].

وانّه ما كانت الأرض الّا ولله منها عالم وانّه لو لم يكن في الأرض إلّا اثنان لكان أحدهما الحجّة [٢] ولو ذهب أحدهما بقي الحجّة، وانّه ما ترك الله الأرض منذ قبض الله آدم إلّا وفيها امام يهتدى به إلى الله وهو حجّة الله على عباده [٣].

وفي العلوي المستفيض: اللّهم بلى لا تخلو الارض من قائم لله بحجحه امّا ظاهراً مشهوراً، او خائفاً مغموراً لئلّا تبطل حجج الله وبيناته وكم ذا وأين اولئك؟ أولئك والله الاقلّون عدداً، والاعظمون قدراً، بهم يحفظ الله حججه وبيّناته، حتّى يودّعوها نظرائهم، ويزرعوها في قلوب اشباههم، هجم بهم العلم على حقيقة البصيرة، وباشروا روح اليقين، واستلانوا ما استوعره المترفون، وانسوا بما استوحش منه الجاهلون، وصحبوا الدّنيا بأبدان ارواحها معلّقة بالمحلّ الاعلى، يا كميل اولئك خلفاءُ الله في ارضه، والدّعاة إلى دينه [٤]، آه.

والاخبار في هذا المعنى كثيرة مذكورة في كتب الفريقين، ثمّ انّه يستفاد منه تعظيم أمر الخلافة حيث نوّه بذكر الخليفة قبل خلقه وأرشد الملائكة إلى كسب العلوم والمعارف منه وأوجب عليهم السجود له، ثمّ لمّا امتنع ابليس عن السجود له أخرجه من فسيح ملكوت قربه، وطرده عن باب رحمته، واوجب له الذّل والصغار

(١) الكافي ج ١ ص١٧٧ ح ٤ باب الحجة لا تقوم إلا بالامام.

(٢) الكافي: ج ١ ص ١٨٠.

(٣) الكافي: ج ١ ص ١٧٩ ح ٨.

(٤) البحار: ج ٢٣ ص ٤٦.

والخلود في دار البوار، ولعنه في جميع كتبه وعلى ألسنة جميع انبيائه واوليـائه، وذلك لمخالفته في امر الخلافة الّذي هو الكاشف الاخير عن توحيده سبحانه. فانّ انكار خلافة الانبياء واوصيائهم بمنزلة جحود ربوبيّته سبحانه في الكفر والالحاد على ما تظافرت به الاخبار.

الخلافة من الله سبحانه

ثانيها: انّ الخلافة لابدّ أن تكون بتعيين الله سبحانه ونصّه ونصبه، فأنّه منصب جليل، وله خطب عظيم، والقلوب مجبولة على حبّ انفسها، واختيار الخير لهـا، وحيث أنّ الخلق لا يحيطون علماً على جميع الحِكم والمصالح، ولا يطلعون على جميع الاسباب والمقتضيات والموانع، فلذا جعل تعيين الخليفة إلى نـفسه تـعالى وقال: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ﴾ فاحتجّ به على عامة خلقه انّه ليس لهم سـبيل إلى اخـتيار الخليفة، كما لم يكن للملائكة إليه سبيل مع عصمتهم وقدمتهم وصفائهم ووفـائهم ودوام عـبادتهم وخـلوّ فـطرتهم عـن مـقتضيات الدّواعـي الشـهويّة والغـضبيّة والانحرافات البشريّة، واذا كان حال الملائكة ذلك على ما يستفاد من الاية فـما ظنك بعامّة البشر، الّذين هم معادن القصور والتقصير مع ما ترى فيهم من خفاء الحقّ وغلبة الباطل، واستيلاء الجهّال، ودولة أهل الضّلال، ثمّ لا يخلو امـرهم امّـا أن يكونوا مريدين في زعمهم لاختيار الباطل ومتابعة الهوى والأيتمام بأئمّة الضلال، فالله سبحانه أعزّ واجلّ من أن يدعهم وأهوائهم ولو اتّبع الحقّ أهوائـهم لفسـدت السموات والأرض ومن فيهنّ، وإمّا أن يكونوا مريدين لاختيار من يقوم بالحقّ فيهم

ويقيم كلمة الصدق فيما بينهم. فأنّى لهم السبيل إلى معرفة من هو كذلك، وكيف اطمئنّوا انّه لم يقع اختيارهم على من هو الافسد في الدّين والدّنيا، وإليه اشير بما في «الأحتجاج» عن سعد بن عبدالله القمي قال: سألت القائم عليه السلام في حجر أبيه عليه السلام فقلت: أخبرني يا مولاي عن العلّة الّتي تمنع القوم من اختيار امام لأنفسهم قال عليه السلام: مصلح او مفسد؟ قلت: مصلح قال: هل يجوز أن تقع خيرتهم على المفسد بعد أن لا يعلم أحد ما يخطر ببال غيره من صلاح لو فساد؟ قلت: بلى قال: فهي العلّة ايّدتها لك ببرهان يقبل ذلك عقلك. قلت: نعم قال: أخبرني عن الرّسل الّذين إصطفاهم الله وأنزل عليهم الكتب وايّدهم بالوحي والعصمة اذ هم أعلام الأُمم وأهدى إلى ثبت الاختيار، ومنهم موسى وعيسى عليهما السلام هل يجوز مع وفور عقلهما وكمال علمهما إذاً همّا بالاختيار أن تقع خيرتهما على المنافق، وهما يظنّان انّه مؤمن قلت: لا قال: فهذا موسى كليم الله مع وفور عقله وكمال علمه ونزول الوحي عليه إختار من اعيان قومه ووجوه عسكره لميقات ربّه سبعين رجلاً ممّن لم يشكّ في ايمانهم واخلاصهم فوقعت خيرته على المنافقين قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلاً لِّمِيقَاتِنَا﴾ [1]. فلما وجدنا اختيار من قد اصطفاه الله للنبوّة واقعاً على الافسد دون الاصلح وهو يظنّ انّه الاصلح دون الافسد. علمنا انّه لا اختيار لمن لا يعلم ما تخفي الصدور وما تكنّ الضمائر وتنصرف عليه السرائر. وان لا خطر لاختيار المهاجرين والانصار بعد وقوع خيرة الانبياء على ذوي الفساد لما

(١) الاعراف: ١٥٥.

ارادوا أهل الصّلاح[١].

اقول ولعلّ اختيار عيسى عليه السلام اشارة إلى ما اختاره من الحواريّين الاثني عشر حيث ضلّ كثير منهم واضلّوا قومه حتّى أنّ واحداً منهم وهو يهودا الاسكر يوطى دلّ الكفّار على أخذه وصلبه لجعل يسير وعدوه به على ما وقع التلويح عليه في اخبارنا والتّصريح به في انجيلهم، ويدلّ على ذلك ايضاً من طرق العامّة والخاصة اخبار كثيرة نورد شطرا منها في تفسير قوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاء وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾[٢].

ثمّ انّ المدار في التكاليف على الامتحان والابتلاء بما لا يعرف حقيقته ويستحقر ظاهره، ولما كان ابليس في الملائكة ولم يكن منهم وكانت الملائكة تظنّ أنّه منهم بل من خيارهم وأراد الله تعالى أن يظهر نفاق المنافق واخلاص المخلص ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ﴾[٣] فامرهم بالسجود لآدم فاظهرت الملائكة الانقياد والطّاعة واظهر ابليس الاستكبار والمعصية، ولم تزل سنّة الله جارية في بني آدم بمثل هذا الامتحان في الايمان ببعث الانبياء ونصب الاوصياء، ففيهما ضلّ من ضلّ وهلك من هلك، وأمّا الاقرار به سبحانه فلعلك ترى الامم كلّها متّفقةً على ذلك، فالخلافة الّتي هي الولاية العامّة من قبله سبحانه لابدّ أن تكون جارية مستمرّة في بني آدم بتعيينه سبحانه إلى انقراض العالم، إقامة للنظم الاتمّ وهداية للعباد إلى ما هو احسن وأقوم.

---

(١) الاحتجاج: ص ٢٥٩ و ٢٦٠ وعنه البحار ج ٢٣ ص ٦٨ ـ ٦٩.

(٢) القصص: ٦٨.

(٣) الانفال: ٤٢.

ثمّ انك قد سمعت انّ المراد بالجعل في قوله: ﴿إِنِّي جاعِلٌ﴾ هو الجعل التكويني فينزل هذا الكلام منه سبحانه منزلة قوله: ﴿إِنِّي خالِقٌ بَشَرا مِن طِينٍ﴾ (١).
فمن ادّعى انّ له أن يختار الخليفة فكأنّه قد ادّعى انّ له أن يخلق بشراً من طين، ولما بطل أحد المعنيين بطل الأخر، اذ هما في حيّز واحد بل قد يقال إنّه يستفاد من الآية انّ طريق معرفة الخليفة هو السماع بالاشارة والنصّ، وذلك لأنّ الخلافة الموعودة ان كانت خصوص خلافة آدم فتحقّق النّص والاشارة واضح بالنّسبة إليه، وان كانت هي الخلافة الثّابتة لجميع الحجج من الانبياء والأوصياء، فظاهر الآية أنّه عرضها عليهم، وعلّمهم أسمائها، فصحّ انّ الطريق هو الاشارة والنّص من جهة السّمع والتّوقيف.

ثمّ إنّه يستفاد من الآية بعد ملاحظة إعتراض الملائكة والجواب عنهم أنّه لا يصحّ نَصْبُ الخليفة وجعلها إلّا لمن كان عالماً بغيب السماواتِ والأرض، وبما تُبديها النفوس وتكتمها، وبأسرار الخليفة واستعداداتهم وما يؤول اليه أمرهم، وبهذا تمّت حجّته سبحانه على الملائكة، وهي حجّة على غيرهم ايضاً إن ارادوا تعيين الخليفة ونصبه من غير دليل ونصّ عليه بالخصوص من الله تعالى او حججه الّذين هم خزنة الوحي والتّنزيل.

ثالثها: أنّ الأعلم هو الأحقّ الأليق بالخلافة، وذلك لأنّ الملائكة قد عرّضوا أنفسهم لهذا المطلب الجليل واستدعوه منه سبحانه، وظنّوا انّهم أحقّ به من آدم فأبان الله سبحانه عن قصورهم وعدم استحقاقهم لهذه الدّرجة وتفضيل آدم عليهم

(١) ص: ٧١.

بأن علّم آدم الاسماء كلّها ثمّ عرضها عليهم، فعجزوا عن أخرهم عن معرفتها، حتّى أنبأهم بها آدم بأمره سبحانه فاستحقّ بذلك الرّياسةَ العظمى والخلافة الكبرى، ولو ساغت الخلافة للمفضول مع وجود الأفضل لم تتمّ الحجّة على الملائكة، ولما كان مساغ لقوله: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾ [1] وقوله: ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ [2] فقد دلّت الآية على أنّه لا يجوز خلافة المفضول مع وجود الأفضل.

وهذه قضيّة كليّة كبرويّة، وأمّا الصغرى الّتي يثبت معها مذهب الاماميّة فهي أنّ علياً عليه السلام كان أفضلَ الصّحابة وأعلمَهم، وقد اشار إليه سبحانه في قوله: ﴿وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ [3]، ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾ [4]، ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [5]، وغيرها من الآيات المفسّرة بذلك من طرق الفريقين بل الاخبار النبويّة وغيرها به متواترة فمن طريق العامة [6].

عن موفق بن أحمد بالاسناد عن سلمان رضي الله عنه عن النّبي صلى الله عليه وآله أنه قال أعلمُ أمّتي من بعدي عليّ بن أبي طالب [7].

(١) البقره: ٣٠.

(٢) البقرة: ٣٣.

(٣) الرعد: ٤٣.

(٤) يس: ١٢.

(٥) الزمر: ٩.

(٦) هو موفّق بن احمد الخوارزمي المعروف بأخطب خوارزم المتوفى (٤٦٨) هـ.

(٧) المناقب للخوارزمي: ص ٤٩ ط تبريز.

وفي خبر آخر عنه صلى الله عليه وآله: أقضى أمّتي علّي بن أبي طالب[١].

وعن كتاب فضائل الصّحابة للسمعاني[٢] بالاسناد عن ابن عباس قال: قال رسول الله (ص) علي اقضى أُمّتي فمن احبني فليُحبّه فان العبد لا ينال ولايتي إلّا بحبّ عليّ عليه السلام[٣].

وعنه بالاسناد عن عمر بن الخطّاب انّه قال: علّي اقضانا[٤].

وروى ابن أبي الحديد في «شرح النّهج» عن أبي نعيم الحافظ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أخصمك يا علي بالنّبوة فلا نبوّة بعدي وتُخصم بسبع لا يجاحد فيها أحد من قريش أنت أوّلهم ايماناً وأوفاهم بعهد الله وأقومهم بأمر الله وأقسمهم بالسّوية وأعدلهم في الرعيّة وأبصرهم بالقضيّة وأعظمهم عندالله مزيّة[٥].

وروى الفقيه ابن المغازلي الشّافعي في مناقبه بالاسناد عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أتاني جبرئيل بدرنوك من الجنّة فجلست عليه، فلمّا صرت بين يدي ربّي كلّمني وناجاني فما عُلّمت شيئاً إلّا علّمته عليّاً فهو باب مدينة علمي، ثمّ دعاه إليه فقال: يا عليّ سلمك سلمي وحربك حربي وأنت العلم فيما بيني وبين أمّتي بعدي[٦].

---

(١) المناقب: ص ٤٨ ط تبريز.

(٢) هو ابوالمظفر منصور بن محمد السمعاني النيسابوري المتوفى (٤٨٩) هـ.

(٣) الطبقات الكبرى: ج ٢ ص ٣٣٦ ط مصر.

(٤) الطبقات الكبرى: ج ٢ ص ٣٣٦ ط مصر.

(٥) حلية الاولياء لابي نعيم: ج ١ ص ٦٥ ط السعادة بمصر.

(٦) احقاق الحق: ج ٤ ص ٢٥٨ عن المناقب لابن المغازلي.

وعن موفق بن أحمد بالإسناد عن النبي ﷺ: قال: من أراد أن ينظر إلى آدم في علمه، وإلى نوح في فهمه، وإلى يحيى في زهده، وإلى موسى بن عمران في بطشه، فلينظر إلى عليّ بن أبي طالب[١].

وعنه بالاسناد عن الحارث الأعور صاحب راية عليّ بن أبي طالب عليه السلام قال: بلغنا انّ النبي ﷺ كان في جمع من اصحابه فقال ﷺ: أريكم آدم في علمه، ونوحاً في فهمه، وأبراهيم في حكمته؟ فلم يكن بأسرع من أن طلع عليٌّ فقال أبوبكر يا رسول الله أقِسْت رجلاً بثلاثة من الرّسل بخّ بخّ بهذا الّرجل مَنْ هو يا رسول الله؟ قال النبي ﷺ: أو لا تعرفه؟ قال: الله ورسوله أعلم قال ﷺ: أبو الحسن عليّ بن أبي طالب عليه السلام قال أبوبكر: بخّ بخّ لك يا أبا الحسن وأين مثلك يا أبا الحسن[٢].

وعن عمر أنّه قال: العلم ستّة اسداس لعليّ من ذلك خمسة اسداس وللنّاس سدس ولقد شاركنا في السدس، حتّى لهو أعلم به منّا[٣].

وعنه عن ابن المغازلي الشّافعي عن النّبي ﷺ انه قال: قُسّمت الحكمة على عشرة أجزاء فاعطي عليٌّ تسعة والناس جزءًا واحداً[٤].

إلى غير ذلك من الأخبار الكثيرة المرويّة من طرق العامة فضلاً عن المأثورة من طرق الخاصّة وقد تواتر من طرق الفريقين عن النّبي ﷺ انه قال: أنا مدينة العلم وعليّ بابها[٥].

---

(١) الاحقاق: ج ١٥ ص ٦٢٠ - عن المناقب للحيدر آبادي ص ٤٩.

(٢) أرجح المطالب للأمرتسري: ص ٤٥٤ ط لاهور.

(٣) بحار الأنوار: ج ٤٠ ص ١٤٧ عن الاربعين للخطيب.

(٤) الاحقاق ج ٥ عن المناقب لابن المغازلي ص ٥١٧ وحليه الاولياء ج ١ ص ٦٤.

(٥) شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد: ج ٢ ص ٢٧٦.

وفي أخبار كثيرة: انا مدينة الحكمة وعليّ بابها فمن أراد الحكمة فليأتها من بابها[١].

وانّ اقضاكم عليّ[٢].

ومن البيّن أنّ القضاء يحتاج إلى سائر العلوم.

ثمّ إنّه قد قال عليه السلام: سلوني قبل أن تفقدوني، ولم يجسر أحد أن يقول ذلك غيره[٣].

روى موفّق بن احمد بالاسناد عن سعيد بن المسيّب قال ما كان في أصحاب النبي صلى الله عليه وآله أحد يقول: سلوني غير عليّ بن أبي طالب عليه السلام[٤].

وعنه عن الحموّيني العاميين بالاسناد عن ابي سعيد البختري قال: رأيت عليّاً كرم الله وجهه وقد صعد المنبر بالكوفة وعليه مدرعة كانت لرسول الله صلى الله عليه وآله متجلّداً[٥] بسيف رسول الله صلى الله عليه وآله متعمّماً بعمامة رسول الله وفي اصبعه خاتم رسول الله صلى الله عليه وآله فقعد على المنبر فكشف عن بطنه وقال: سلوني قبل أن تفقدوني، فانّما بين الجوانح منّي علم جمّ هذا سَفطُ العلم، هذا لعاب رسول الله هذا ما زقّني رسول

(١) امالي الطوسي: ص ٣٠٨.
(٢) بحار الانوار: ج ٤٠ ص ١٥٠.
(٣) المناقب لاخطب خوارزم: ص ٥٤ ط تبريز.
(٤) المناقب لاخطب خوارزم: ص ٥٤ ط تبريز.
(٥) في المصدر: متقلّداً.

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

الله ﷺ زقّاً من غير وحي أوحي إليّ. فوالله لو ثنيت لي وسادة فجلست عليها لأفتيت لأهل التوراة بتوراتهم، ولأهل الانجيل بانجيلهم حتّى ينطق الله التوراة والانجيل فيقولان: صدق عليّ قد افتاكم بما انزل فينا وانتم تتلون الكتاب افلا تعقلون [١].

وروى الصدوق في أماليه ما يقرب منه وفيه سلوني فإنّ عندي علم الأوّلين والاخرين.

وقال ابن ابي الحديد في شرح النّهج أجمع الناس كلّهم على انّه لم يقل أحد من الصّحابة ولا أحد من العلماء: سلوني غير عليّ بن أبي طالب عليه السلام [٢].

ثمّ انّه عليه السلام قد ادّعى على ما تواتر عنه من طرق الفريقين انّه أعلم الأمّة وانّه عالم بجميع ما كان وما يكون إلى يوم القيمة وانّ في صدره لعلماً جمّاً لا يصيب حمله وهو عليه السلام صادق في دعواه.

بل قد تواترت الاخبار رجوع ابي بكر وعمر وعثمان فضلاً عن غيرهم إليه عليه السلام في العلوم والقضايا والاحكام بعد ظهور عجزهم وانقطاعهم حتّى قال عمر أزيد من سبعين مرّة لولا عليّ لهلك عمر [٣].

وعن مسند أحمد بن حنبل بالاسناد عن يحيى بن سعيد بن المسيّب كان عمر يتعوّذ بالله عن معضلة ليس لها أبوالحسن [٤].

(١) المناقب للخوارزمي: ص ٥٥ ط تبريز والحمويني في فرائد السمطين.
(٢) شرح النهج: ج ٢ ص ١٧٥ ط مصر.
(٣) ملحقات الاحقاق: ج ٨ ص ١٨٢ ـ ١٩٢.
(٤) ملحقات الاحقاق: ج ٨ ص ١٩٣ ـ ٢٠٠.

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

وروى موفّق بن أحمد انّ عمر أمر برجم حامل فزجره عليّ عليه السلام فقال عمر: عجزت النّساء أن يلدن مثل عليّ بن أبي طالب لولا عليّ لهلك عمر[١].

ورووا عنه انّه قال: اللّهم لا تُبقني لمعضلة ليس لها أبوالحسن[٢].

وفي خبر آخر عليّ بن ابي طالب عليه السلام وانّه قال: اعوذ بالله من معضلة لا عليّ لها[٣].

روى الحكم بن مروان: انّ عمر نزلت به نازلة فقام لها وقعد ارتجّ وتفطّر فقال لمن عنده معاشر الحاضرين: ما تقولون في هذا الامر؟ فقالوا يا أميرالمؤمنين أنت المفزع والأمر بيدك، فغضب وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً﴾[٤] ثمّ قال: اما والله إنّي وايّاكم لنعلم أين نجدها والخبير بها قالوا: كانّك أردت ابن أبي طالب عليه السلام؟ قال: وأنّى يُعدل به عنه، وهل طفحت حرّة بمثله؟ قالوا: فلو دعوت به يا أميرالمؤمنين قال: هيهات إنّ هناك شمخاً من هاشم واثرة عن علم، ولحمة من رسول الله صلى الله عليه وآله يُؤتى ولا يأتي فامضوا بنا إليه فاقصدوا نحوه وافضوا إليه، فألفوه في حائط له، عليه تُبّان[٥] وهو يتركل على مسحاة ويقرأ: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾[٦] إلى آخر السّورة، ودموعه تهمى على خدّيه، فادهش

(١) المناقب للخوارزمي: ص ٤٨ ط تبريز.

(٢) المناقب للخوارزمي: ص ٥٨ ط تبريز.

(٣) الفصول المهمّة لابن الصباغ المالكي ص١٧.

(٤) الاحزاب: ٧٠.

(٥) التُبّان: سروال قصير الى ما فوق الركبة.

(٦) القيامة: ٣٦.

النّاس لبكائه فبكوا ثمّ سكت. فسكتوا فسأله عمر عن تلك الواقعة فأصدر جوابها فقال عمر: أما والله لقد ارادك الحقّ ولكن أبى قومك. فقال: يا ابا حفص اخفض عليك من هنا ومن هنا ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كانَ مِيقاتاً﴾ (١) فوضع عمر إحدى يديه على الأخرى وطرق إلى الأرض كانّما ينظر في رماد (٢).

وقال إبن أبي الحديد: وأمّا عمر فقد عرف كلُّ أحد رجوعَه إليه يعني عليّاً عليه السلام في كثير من المسائل الّتي اشكلت عليه وعلى غيره من الصّحابة، وقوله غير مرّة لولا عليّ لهلك عمر، وقوله: لا بقيت لمعضلة ليس لها أبو حسنٍ. وقوله: لا يفتين أحد في المسجد وعليّ حاضر.

إلى غير ذلك من الاخبار الكثيرة المتواترة من طرق الفريقين الّتي قد أفردوها بالتّصنيف. بل حكاية أفضليّته عليه السلام مسلّمة عند كثير من العامّة أيضاً وحكاها الرازي في «أربعينه» عن اكثر متأخّري المعتزلة وحكى عن الشيعة الاستدلال لها بوجوه أنهاها إلى عشرين قال في جملة ما ذكره:

الحجّة الثالثة أنّ عليّاً أعلم الصحابة، والأعلم أفضل. إنّما قلنا: إنّ عليّاً أعلم للاجمال والتفصيل. أمّا الإجمال فهو انّه لا نزاع أنّ عليّاً كان في اصل الخلقة في غاية الذّكاء والفطنة والاستعداد للعلم، وكان محمّد صلى الله عليه وآله أفضل الفضلاء وأعلم العلماء. وكان عليّ عليه السلام في غاية الحرص في طلب العلم، وكان محمّد صلى الله عليه وآله في غاية الحرص في تربية عليّ عليه السلام، وارشاده إلى اكتساب الفضائل. ثمّ ان عليّاً عليه السلام كان من

---

(١) النبأ: ١٧.

(٢) في البحار: ج ٤٠ ص١٢٢ ـ ١٤٣ مع تفاوت يسير في العبارات، وفي آخرها: فوضع عمر إحدى يديه على الآخر وخرج مربد اللون.

أوّل صغره في حجر محمّد صلى الله عليه وآله وفي كبره صار خَتَناً له، ويدخل عليه في كلّ الأوقات، ومن المعلوم أنّ التّلميذ إذا كان في غاية الذكاء والحرص على التعلّم، وكان الاستاذ في غاية الفضل والحرص على التعليم ثمّ اتّفق لمثل هذا التّلميذ أن اتّصل بخدمة هذا الاستاذ في زمان الصّغر كان ذلك الإتّصال بخدمته حاصلاً في كلّ الأوقات، فانّه يبلغ ذلك التّلميذ في العلم مبلغاً عظيماً، وهذا بيان اجمالي في أنّ علياً كان أعلم الصحابة. أمّا أبوبكر فانّه وإن اتّصل بخدمته صلى الله عليه وآله في زمان الكبر ولكن ما كان يصل إلى خدمته في اليوم واللّيلة إلّا زماناً يسيراً. أمّا عليّ عليه السلام فانّه إتّصل بخدمته عليه السلام في زمان صغره، وقد قيل: العلم في الصغر كالنّقش في الحجر، والعلم في الكبر كالنقش في المدر، فثبت بما ذكرناه أنّ علياً كان أعلم من أبي بكر، ويكفي في ذلك قوله: «أنا مدينة العلم وعليّ بابها»[1] وقال عليّ عليه السلام: علّمني ألف باب ينفتح من كلّ باب ألف باب[2].

وأمّا التفصيل فيدلّ عليه وجوه:

الأوّل: اكثر المفسّرين سلّموا انّ قوله تعالى: ﴿وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾[3] نزل في حقّ عليّ عليه السلام وتخصيصه بزيادة الفهم يدلّ على اختصاصه بمزيد العلم[4].

الثّاني: قوله صلى الله عليه وآله: أقضاكم عليّ عليه السلام[5] والقضاء يحتاج إلى جميع أنواع

---

(١) شرح النهج: ج ٢ ص ٢٧٦.

(٢) بحار الأنوار: ج ٤٠ ص ١٢٨.

(٣) الحاقة: ١٢.

(٤) بحار الأنوار: ج ٣٥ ص ٣٢٦.

(٥) الإستيعاب ج ٣ ص ٣٨ هامش الاصابة.

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

العلوم، فلمّا رجّحه علي الكلّ في القضاء لزم أرجحيّته عليهم في كلّ العلوم، وأمّا سائر الصّحابة فقد رجّح كلّ واحد منهم على غيره في علم واحد كقوله ﷺ: أفرضكم زيد وأقرأكم أبيّ[1].

الثّالث: دعوى انّ عمر أمر برجم امرأة ولدت لستّة أشهر فنبهّه عليّ عليه السلام بقوله تعالى: ﴿وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾[2] مع قوله: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾[3]. على أنّ أقلّ مدّة الحمل ستّة أشهر فقال عمر: لولا عليّ لهلك عمر[4].

وروى أنّ إمرأة أقرّت بالزّنا وكانت حاملاً فأمر عمر برجمها فقال عليّ عليه السلام إن كان لك سلطان عليها فما سلطانك على ما في بطنها فترك عمر رجمها فقال: لولا عليّ لهلك عمر[5].

فان قيل: لعلّ عمر أمر برجمها من غير تفحّص عن حالها فظنّت أنّها ليست بحامل فلمّا نبّهه عليّ عليه السلام ترك رجمها.

قلت: هذا يقتضي انّ عمر ما كان يحتاط في سفك الدّماء وهذا أشرّ من الأوّل.

ورووا أيضاً انّ عمر قال يوماً على المنبر ألا لا تغالوا في مهور نسائكم فمن

---

(١) غاية النهاية: ج ١ ص ٣١.

(٢) الاحقاف: ١٥.

(٣) البقره: ٢٣٣.

(٤) الاستيعاب المطبوع بذيل الاصابة: ج ٣ ص ٣٩ ط مصر.

(٥) مطالب السؤل: ص ١٣ ط طهران.

غالى في مهر امرأته جعلته في بيت المال فقامت عجوز فقالت يا عمر اتمنع منّا ما جعل الله لنا قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا﴾ [1]. فقال عمر كلّكم افقه من عمر حتّى المخدّرات في البيوت [2].

فهذه الوقايع وقعت لغير عليّ عليه السلام ولم يتّفق مثلها لعليّ عليه السلام.

الرّابع: نقل عن عليّ عليه السلام انّه قال: والله لو كسرت لي الوسادة ثمّ جلست عليها لقضيت بين أهل التوّراة بتوراتهم وبين أهل الانجيل بانجيلهم وبين أهل الزّبور بزبورهم وبين أهل الفرقان بفرقانهم والله ما من آية نزلت في بحر ولا في برّ ولا في سهل ولا في جبل ولا في سماء ولا في أرض ولا في ليل ولا في نهار إلا وانا أعلم فيمن نزلت وايّ شيء نزلت [3].

طعن أبو هاشم [4] في هذا فقال: التوراة منسوخة فكيف يجوز الحكم بها؟ والجواب عن وجوه:

الأوّل: لعلّ المراد شرح كمال علمه بتلك الأحكام المنسوخة على التفصيل بالاحكام النّاسخة لها الواردة في القرآن.

الثّاني: لعلّ المراد لو أنّ قضاة اليهود والنّصارى تمكنّوا من الحكم والقضاء على وفق أديانهم بعد بذل الجهد أو كان المراد انّه لو جاز للمسلم ذلك لكان هو

---

(١) النساء: ٢٠.

(٢) تفسير ابن كثير: ج ١ ص ٤٧٨.

(٣) احقاق الحق: ج ٧ ص ٥٨٩ ـ ٥٩١. وج ١٤ ص ٣١٢ ـ ٣١٤.

(٤) هو ابو هاشم عبدالسلام بن محمد الجبائي المعتزلي المتوفى ببغداد سنة (٣٢١) هـ.

قادراً عليه.

الثالث: لعلّ المراد أن يستخرج من التوراة والانجيل نصوصاً دالّة على نبوّة محمّدﷺ وكان ذلك قويّاً في التمسّك بها.

الرابع: من تفحّص عن أحوال العلوم علم أنّ أعظمها علم الأصول وقد جاء في خطب أميرالمؤمنين عليّ‌ؑ من أسرار التوحيد والعدل والنبوّة والقضاء والقدر وأحوال المعاد ما لم يأت في كلام سائر الصّحابة.

وأيضاً فجميع فرق المتكلّمين ينتهي اخر نسبتهم في هذا العلم إليه‌ؑ، أمّا المعتزلة فانّهم ينسبون أنفسهم اليه، وأمّا الأشعرية فكلّهم ينسبون إلى الأشعري[1]، وهو كان تلميذاً لأبي علي الجبّائي[2] المعتزلي، وهو منتسب إلى عليّ‌ؑ، وأمّا الشّيعة فانتسابهم إليه ظاهر.

وأمّا الخوارج فهم مع غاية بُعدهم عنه كلّهم ينتسبون إلى اكابرهم، واولئك الاكابر كانوا كلّهم تلامذة عليّ‌ؑ.

فثبت أنّ جمهور المتكلّمين من فرق الإسلام كلّهم تلامذة عليّ‌ؑ، وأفضل فرق الأمّة الأصوليون، وكان هذا منصباً عظيماً في الفضل.

ومنها علم التفسير وابن عباس رئيس المفسّرين وهو كان تلميذ عليّ‌ؑ.

ومنها علم الفقه وكان فيه في الدّرجة العالية، ولهذا قال‌ﷺ: اقضاكم عليّ[3].

(١) هو ابو الحسن علي بن اسماعيل الاشعري المتوفى «٣٢٤» هـ.
(٢) هو ابو علي محمد بن عبدالوهاب بن سلام الجبائي المتوفى «٣٠٣» هـ.
(٣) الاستيعاب هامش الاصابة ج ٣ ص ٣٨ وشرح النهج ج ٢ ص ٢٣٥.

وقال عليه السلام: لو كسرت لي الوسادة وجلست عليها لحكمت بين أهل التوراة بتوراتهم[١]، الخبر.

ومنها علم الفصاحة ومعلوم أن أحداً من الفصحاء الّذين بعده لم يدركوا درجته ولا القليل من درجته.

ومنها علم النّحو ومعلوم انّه انّما ظهر منه وهو الّذي ارشد أبا الاسود[٢] الدّؤلي إليه.

ومنها علم تصفية الباطن ومعلوم انّ نسب جميع الصوفيّة ينتهي إليه كما ذكر أنّ رئيسهم ابا يزيد[٣] البسطامي كان سقّاء بباب جعفر الصّادق عليه السلام. وانّ معروف[٤] الكرخي الّذي هو أحد رؤسائهم كان بوّاب عليّ بن موسى عليه السلام.

ومنها علم الشجاعة وممارسة المصلحة ومعلوم انّ نسبة هذا العلم ينتهي إليه، فثبت بما ذكرناه انّه عليه السلام كان أستاذ العالمين بعد محمّد صلى الله عليه وآله في جميع الخصال المرضيّة والمقامات الشريفة، واذا ثبت انّه كان أعلم الخلق بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وجب أن يكون أفضل لقوله تعالى: ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[٥]، وقوله تعالى: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾[٦].

---

(١) ينابيع المودة: ص ٧٠ وص ٢٢٠ ط اسلامبول.

(٢) جواهر الفقه للقاضي ابن البراج ص ١١، شرح أصول الكافي للمازندراني ج ٢ ص ٢٩٨.

(٣) هو ابو يزيد طيفور بن عيسى الصوفي البسطا ي المتوفى سنة «٢٦١» هـ.

(٤) هو ابو محفوظ المعروف بمعروف الكرخي توفي ببغداد سنة «٢٠٠» هـ.

(٥) الزمر: ٩.

(٦) المجادلة: ١١.

وبالجملة معلوم بالعقل والنقل كتاباً وسنّة واجماعاً عدم مساواة العالِم وغيره، وانّ العالِم يُقدَّم في كلّ شيء، ويدلّ عليه تفضيل آدم على الملائكة بعلم أسماء الأشياء، وترجيح ملكيّة طالوت على غيره ممّن له شرف وفخر بأنّه من أولاد النّبي وأولاد الملوك، مع أنّه كان دبّاغاً فانّ الله تعالى اخبر بأنّه الأحقّ لأنّه زاده ﴿بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾ [١] اي القوّة والشّجاعة ثمّ ساق الكلام في الوجوه الدّالة على أفضليّة مولانا أميرالمؤمنين وانهاها إلى عشرين ثمّ ساق الكلام في الجواب عنها بزعمه وزعم اصحابه إلى أن قال:

وأمّا الحجّة الثالثة وهي أنّ علياً عليه السلام كان أعلم، قلنا لم لا يجوز أن حصلت هذه الكثرة بعد ابي بكر وذلك لأنّه عاش بعده زماناً طويلاً فلعلّه حصّلها في هذه المدّة فلم قلتم انّه في زمان حياة ابي بكر كان أعلم منه هذا كلامه.

وهذا الجواب كما ترى بمكان من الضّعف والقصور، وذلك لأنّه مقتضى ما ذكره من الأدلّة فضلاً عمّا لم يذكره أنّه عليه السلام كان أعلم الصحابة بعد النّبي صلى الله عليه وآله، بل وفي زمان حياته ايضاً. كما يدلّ عليه ما ذكره من الدّليل الاجمالي بل وكثير من ادلّته التفصليّة كنزول قوله: ﴿وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾ [٢] في حقّه، والنّبوي: أقضاكم عليّ [٣]، والآخر: انا مدينة العلم وعليّ بابها [٤]، وما رواه عنه عليه السلام من قوله: علّمني رسول الله ألف باب [٥]، آه وغير ذلك ممّا ينادي بافضليّته على كلّ الأمّة ولو في

---

(١) البقرة: ٢٤٧.

(٢) الحاقة: ١٢.

(٣) الاستيعاب: ج ٣ ص ٣٨.

(٤) الجامع الصغير للسيوطي: ج ١ ص ٣٧٤.

(٥) البحار: ج ٤٠ باب ٩٣.

زمان النّبي.

ثمّ على فرض تسليم تحصيل تلك العلوم بعد أبي بكر فلا شكّ انّه ﷺ كان في زمن عمر وعثمان أفضل منهما كما يؤمى إليه ما حكاه من وقائع عمر وخطائه واقراره على نفسه بالجهل وقوله: لولا عليّ لهلك عمر[١] في مواقع كثيرة فكيف يقدّمان عليه باعتقاده. ولعمري إنّ صدور مثل هذا الجواب بعد ما مرّ عنه من بيان الأعلميّة من أطرف الغرائب، ولولا أنّه كان معلوماً منه بقاؤه على عماه وانحرافه عن الحقّ وايمانه بالجبت والطاغوت لكان يقوي الظّن بأنّ مثل هذا الكلام لا يصدر إلّا عن مُحقّ تلبّس بلباس أهل الباطل خوفاً وتقيّة، ثمّ قرّر الحقّ على وجهه من غير أن يأتي عنه بجواب مشبع تشييداً للحق واهله وتزييفاً للباطل وحزبه. ولكنّهم ﴿جَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْماً وَعُلُوّاً﴾[٢] وهو أنّه سبحانه قد أجرى الحقّ على ألسنتهم واقلامهم حجّة عليهم وردعاً لغيرهم من متابعتهم بعد أن هداهم الله سبحانه فاستحبّوا العمى على الهدى، فجرت على منهاجهم اتباعهم اولئك الّذين لعنهم الله فأضلّهم وأعمى أبصارهم.

رابعها: انّه لابدّ من عصمة الخليفة وطهارته عن لوث المعاصي وبراءته عن إقتراف الذّنوب لما قيل: من أنّه يستدلّ بالخليفة على المستخلف كما جرت به العادة في العامّة والخاصة لقضاء العرف بانّه متى استخلف ملك خليفة فان كان

---

(١) مطالب السؤل: ص١٣ ط طهران.

(٢) النمل: ١٤.

الخليفة ظالماً أُستدلّ بظلمه على ظلم مستخلفه، واذا كان عادلاً أُستدلّ بعدله على عدل مستخلفه، سيّما مع علم المستخلف واطّلاعه بما يصدر عن خليفته من الأفعال والاثار وعلمه بعواقب اموره وقدرته عليه في جميع الأحوال.

ومن هنا يظهر انّ خلافة الله سبحانه توجب العصمة فلا يكون الخليفة إلّا معصوماً سيّما مع جعله عَلَماً بين الناس وأمرهم بالاقتداء والتأسّي به في جميع الأفعال والأقوال، فاذا صدر عنه بعض المعاصي ولو خطأً فإمّا أن تكون الخلافة الكلّية الّتي جعلها الله له باقية بالنّسبة إلى تلك المعصية ايضاً أو لا، فعلى الأوّل يلزم الأمر بالمنكر ونقض الغرض والإغراء على المعاصي، وغير ذلك من المفاسد المخالفة للطفه سبحانه، وعلى الثّاني يلزم انتفاء الخلافة له بالنسبة إلى ذلك من دون إعلام وبيان من الآمر الحكيم وفيه مع مخالفته للّطف انّه إغراء بالجهل وتأخير للبيان عن وقت الحاجة مع طريان الاحتمال في كلّ واحد من الأقوال والافعال الموجب للقدح في اطلاق وجوب الطّاعة فيكون إطلاق الأمر باطاعته جارياً مجرى العمومات المخصّصة بالمجملات في عدم الحجيّة رأساً.

ثمّ انّ هذا الوجه وان لم يستفد من الآية على وجه الإلزام والحجيّة إلّا أنّه يستفاد منها على وجه الإشارة على بعض الوجوه المقرّرة في الآية باعتبار معنى الخلافة وغيرها لكنّه لا بأس به بعد استفادته من تسميته هدى في قوله: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِنِّي هُدىً﴾ [1] على أحد الوجوه، ومن قوله: ﴿لاَ يَنَالُ عَهْدِي

(١) البقرة: ٣٨.

﴿الظَّالِمِينَ﴾[١] على ما يأتي، ومن القواطع العقليّة الّتي ستسمع الكلام في بعضها انشاء الله.

خامسها: ما ذكره الصّدوق بعد الاشارة إلى بعض ما مرّ من أنّ في قوله ﷻ: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[٢] حجّة قوية على غيبة الامام عليه السلام، وذلك انّه ﷻ لما قال: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ أوجب بهذا اللفظ معنى، وهو أن يعتقدوا طاعته، فاعتقد عدو الله ابليس بهذه الكلمة نفاقاً وأضمره حتّى صار به منافقاً، وذلك انّه أضمر أن يخالفه متى أستعبد بالطاعة له، فكان نفاقه انكر النّفاق، لأنّه نفاق بظهر الغيب، ولهذا صار أخزى المنافقين كلّهم، ولمّا عرّف الله ﷻ لملائكته ذلك أضمروا الطاعة له، واشتاقوا إليه، وأضمروا نقيض ما أضمره الشيطان، فصار لهم من الرتبة عشرة اضعاف ما استحقّ عدوّ الله من الخزي والخسارة، والطاعة والموالاة بظهر الغيب ابلغ في الثواب والمدح لأنّه أبعد من الشبهة والمغالطة.

ولذا روي عن الصادق عليه السلام: من دعا لأخيه بظهر الغيب وكّل الله به ملكاً يقول: ولك مثلاه[٣].

وانّ الله تبارك وتعالى اكّد دينه بالايمان بالغيب، فقال: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾[٤] الآية، فالايمان بالغيب أعظم مثوبة لصاحبه، لأنّه خِلْو من كلّ

---

(١) البقرة: ١٢٤.

(٢) البقرة: ٣٠.

(٣) الاختصاص: ص ٨٤.

(٤) البقرة: ٢.

عيب وريب، لأنّ بيعة الخليفة وقتَ المشاهدة قد يتوهّم على المبايع أنّه انّما يطيع رغبة في خير أو مال أو رهبة من قتل او غير ذلك، ممّا هو عادات أبناء الدنيا في طاعة ملوكهم، وايمان الغيب مأمون من ذلك كلّه، ومحروس من معايبه بأصله.

ويدلّ على ذلك قول الله ﷻ ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا﴾[1]. فلما حصل للتَعَبُّدِ ما حصل من الايمان لم يُحرم الله ﷻ ذلك لملائكته. فقد جاء في الخبر انّ الله سبحانه قال هذه المقالة للملائكة قبل خلق آدم بسبعمائة عام، وكان يحصل في هذه المدّة الطاعة لملائكة الله على قدرها.

ولو انكر منكر هذا الخبر والوقت والأعوام لم يجد بدّاً من القول بالغيبة ولو ساعة واحدة، والساعة الواحدة لا تتعرّى من حكمة مّا. وما حصل من الحكمة في الساعة حصل في الساعتين حكمتان، وفي الساعات حِكَمٌ وما زاد في الوقت إلّا زاد في المثوبة، وما زاد في المثوبة إلّا كشف الله عن الرحمة، ودل على الجلالة فصح الخبر ان فيه تابيد الحكمة وتبليغ الحجّة.

ثمّ انّ الغيبة قبل الوجود أبلغ الغيبات كلّها، وذلك انّ الملائكة ما شهدوا قبل ذلك خليفة قطّ، وامّا نحن فقد شاهدنا خلفاء كثيرين غير واحد، وقد نطق به القرآن، وتواترت به الأخبار حتّى صارت كالمشاهدة، والملائكة لم يعهدوا واحداً منهم فكانت تلك الغيبة ابلغ، وايضاً انّها كانت غيبة من الله ﷻ لملائكته، وهذه الغيبة الّتي للامام عليه السلام هي من اعداء الله. فاذا كان في الغيبة الّتي هي من الله ﷻ عبادة

---

(١) المؤمن: ٨٤.

لملائكته، فما الظّن بالغيبة الّتي هي من أعداء الله، وفي غيبة الامام صلوات الله عليه عبادة ملخصة لم تكن في تلك الغيبة، وذلك أنّ الامام الغايب صلوات الله عليه مقموع مقهور مزاحَم في حقّه قد غُلب قهراً وجرى على شيعته قسراً من أعداء الله ما جرى من سفك الدّماء ونهب الاموال، وإبطال الاحكام، والجور على الايتام، وتبديل الصّدقات، وغير ذلك ممّا لا خفاء به، ومن اعتقد موالاته شاركه في اجره وجهاده، وتبرّأ من أعدائه وكان له في براءة مواليه من اعدائه اجر، وفي ولاية أوليائه اجر يَربو على أجر ملائكة الله عزّ وجلّ على الايمان بالامام المغيب في العدم، وإنّما قصّ الله نبأه قبل وجوده (توقيراً) وتعظيماً ليستعدّ له الملائكة ويتشمّروا لطاعته.

وإنّما مثال ذلك تقديم الملك فيما بيننا بكتاب أو رسول إلى أوليائه أنّه قادم عليهم حتّى يتهيّأوا لاستقباله وارتياد الهدايا له ما يقطع به، ومعه عذرهم في تقصير إن قصّروا في خدمته، كذلك بدأ الله عزّ وجلّ بذكر نبأه إبانةً عن جلالته ورتبته، وكذلك قضيته في السلف والخلف ما قبض الله خليفة إلّا عرّف خلقه الخليفة الّذي يتلوه، وتصديق ذلك قوله عزّ وجلّ ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾ [1] الآية، فالّذي على بيّنة من ربّه محمّد صلى الله عليه وآله، والشاهد الّذي يتلوه عليّ بن ابي طالب أميرالمؤمنين صلوات الله عليه، ويدلّ عليه قوله عزّ وجلّ: ﴿وَمِن قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَاماً وَرَحْمَةً﴾ [2]، والكلمة من كتاب موسى المحاذية لهذا المعنى حذو النعل بالنعل

---

(١) هود: ١٧.

(٢) هود: ١٧.

والقذّة بالقذّة قوله: ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَى لأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلاَ تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ (١)، واستعبد الله ﷻ الملائكة بالسجود لادم تعظيماً له لما غيّبه عن أبصارهم، وذلك انّه ﷻ إنّما أمرهم بالسجود لآدم لِما أودع صلبه من ارواح حجج الله تعالى ذكره، فكان ذلك السجود لله ﷻ عبوديّة ولادم طاعة، ولما في صلبه تعظيماً، فأبى ابليس أن يسجد لادم حسداً له، إذ جعل صلبه مستودعَ أرواح حجج الله دون صلبه، فكفر بحسده وتأبيّه، وفسق عن امر ربّه، وطُرد عن جواره، ولعن وسُمّي رجيماً لأجل انكاره للغيبة لأنّه احتجّ في امتناعه من السجود لادم بان قال: ﴿أَنَاْ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾ (٢) فجحد ما غيّب عن بصره، ولم يوقع التصديق به، واحتجّ بالظاهر الّذي شاهده وهو جسد آدمعليه السلام، وانكر أن يكون يعلم لما في صلبه وجوداً، ولم يؤمن بان آدمعليه السلام إنّما جعل قبلةً للملائكة وأمر بالسجود له لتعظيم ما في صلبه.

فمثل من آمن بالقائم صلوات الله عليه في غيبته مثل الملائكة الّذين اطاعوا الله ﷻ في السجود لآدم ومثل من انكر القائم صلوات الله عليه في غيبته مثل ابليس في امتناعه عن السجود لآدم كذلك.

روى عن الصادق جعفر بن محمّد صلوات الله عليهما.

وعنهعليه السلام قال: انّ الله تبارك وتعالى علّم آدمعليه السلام، اسماءَ حجج الله كلّها ثمّ

(١) الاعراف: ١٤٢.

(٢) الاعراف: ١٢.

عرضهم ـ وهم ارواح ـ على الملائكة فقال: ﴿أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَـٰؤُلَاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ بانكم أحقّ بالخلافة في الأرض لتسبيحكم وتقديسكم من آدم عليه السلام ﴿قَالُواْ سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ قال الله تبارك وتعالى ﴿يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ فَلَمَّا أَنبَأَهُمْ بِأَسْمَآئِهِمْ﴾ وقفوا على عظيم منزلتهم عند الله تعالى ذكره فعلموا أنّهم أحقّ بأن يكونوا خلفاء الله في ارضه وحججه على بريّته، ثمّ غيّبهم عن أبصارهم واستعبدهم بولايتهم ومحبّتهم وقال لهم: ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾[1].

وهذا استعباد الله عزّ وجلّ للملائكة بالغيبة، والآية أوّلها في قصّة الخليفة، واذا كان اخرها مثلها كان للكلام وفي النظم حجّة، ومنه يوجد وجه الاجماع لأمّة محمّد صلى الله عليه وآله أوّلهم وآخرهم، وذلك انّه سبحانه إذا علّم آدم الاسماء كلّها على ما قاله المخالفون، فلا محالة انّ اسماء الأئمّة صلوات الله عليهم داخلة في تلك الجملة، فصار ما قلناه في ذلك باجماع الأمّة، ومن أصحّ الدّليل عليه انّه لا محالة لمّا دلّ الملائكة على السجود لآدم فانّه حصل لهم عبادة، ولمّا حصل لهم عبادة أوجب باب الحكمة ان يحصل لهم ما هو في حيّزه، سواء كان في وقت او في غير وقت، فانّ الأوقات ما تغيّر الحكمة ولا تبدل الحجّة، اوّلها كاخرها واخرها كأوّلها، لا يجوز في حكمة الله ان يُحرمهم معنى من معاني المثوبة، ولا أن يبخل بفضل من فضائل الأئمّة لأنّهم كلّهم شرع واحد، دليل ذلك أنّ الرسل متى آمن مؤمن بواحد منهم او بجماعة وانكر واحداً منهم لم يقبل منه ايمانه، كذلك القضيّة في الأئمّة صلوات الله عليهم اوّلهم

(١) كمال الدين: ص ٩ ـ ١٠.

واخرهم واحد.

قال الصادقعليه السلام: المنكر لآخرنا كالمنكر لأوّلنا، وقد قال صلوات الله عليه: من انكر واحداً من الاحياء فقد أنكر الاموات[1].

فصحّ أن قوله جل جلاله: ﴿عَلَّمَ آدَمَ الأَسْماءَ كُلَّها﴾ اراد به اسماء الائمّة صلوات الله عليهم وللاسماء معان كثيرة ليس أحد معانيها بأولى من الآخر، والاسماء اوصاف، وليس أحد الاوصاف بأولى من الاخر، فمعنى الأسماء انّه سبحانه علّم آدمعليه السلام اوصاف الائمّة كلّها أوّلها وأخرها، ومن اوصافهم العلم والحلم والتقوى والفتوة والشجاعة والعصمة والسخاء والوفاء، وقد نطق بمثله كتاب الله جل جلاله في أسماء الانبياءعليهم السلام كقوله جل جلاله: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقاً نبِيّاً﴾[2]، و﴿اذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولاً نَبِيّاً وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِ مَرْضِيّاً﴾[3]. ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقاً نَّبِياً وَرَفَعْنَاهُ مَكَاناً عَلِيّاً﴾[4]، ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصاً وَكَانَ رَسُولاً نَبِيّاً﴾[5]، الآيات فوصف الرسلعليهم السلام، وحمدهم بما كان فيهم من الشيم المرضيّة والاخلاق الزكية، وكان ذلك اوصافهم وأسماؤهم كذلك علّم الله جل جلاله آدم الأسماء كلّها.

(١) كمال الدين: ج ٢ ص ٢٢٨.
(٢) مريم: ٤١.
(٣) مريم: ٥٤ ـ ٥٥.
(٤) مريم: ٥٦ ـ ٥٧.
(٥) مريم: ٥١.

والحكمة في ذلك أنّه لا وصول إلى الأسماء ووجوه الاستعبادات الّا من طريق السماع، والعقل غير متوجّه إلى ذلك، لأنّه لو أبصر عاقل شخصاً من بعيد او قريب لما توصّل إلى استخراج اسمه، ولا سبيل إليه إلّا من طريق السّماع، فجعل الله ﷻ العمدة في باب الخليفة السّماع، ولمّا كان كذلك أبطل به باب الاختيار، اذ الاختيار من طريق الآراء، وقضية الخليفة موضوعة على الأسماء والأسماء موضوعة على السّماع، فصّح به، ومعه مذهبنا من أنّ الامامة لا تكون إلّا بالنّص والاشارة، فأمّا باب الاشارة فمضمر في قوله ﷻ:﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ﴾، فباب العرض مبنيّ على الشخص والاشارة، وباب الاسم مبنيّ على السمع، فصح معنى الاشارة والنصّ جميعاً، وللعرض الذي قال الله تعالى ثمّ عرضهم على الملائكة معنيان: احدهما عرض اشخاصهم وهيئاتهم كما روينا في أخبار أخذ الميثاق والذّر، والوجه الاخر أن يكون ﷻ عرضهم على الملائكة من طريق الصفة والنّسبة، كما يقوله قوم من مخالفينا فمن كلا المعنيين يحصل استعباد الله ﷻ الملائكة بالايمان بالغيبة [1] انتهى كلامه زيد مقامه.

الثالث: انّه يستفاد من قوله سبحانه: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ انّ واضع اللّغات هو الله سبحانه كما استدلّ به عليه وذلك لأنّ المراد بالاسماء امّا بالالفاظ الّدالة على المسمّيات، أو الأشياء الّدالة مطلقاً أو البعض من احدهما او كليهما، والاخيران مدفوعان بظهور الجمع المحلّى في العموم، سيّما مع تأكيده بلفظ الكلّ الصّريح في افادة العموم، مضافاً إلى عدم القول بالفصل بين البعض والكلّ، وعلى

(١) كمال الدين: ج ١ ص ١١ ـ ١٦.

الأولين يثبت المطلوب، والمراد بتعليمها على ما هو ظاهر اللفظ إلقاؤها على المتعلّم مبيّنا له معانيها، كما هو ظاهر تعليم الاسم على صفة الاسميّة، ولا يصدق ذلك الّا مع سبق وضعها لمعانيها، فإمّا أن يكون صادراً منه سبحانه وهو المطلوب، او من الخلق الّذين كانوا قبل آدم، وهو منفي بالاصل.

وتوهّم أنّ المراد بالاسماء ما يقابل الأفعال والحروف مدفوع، مع الغضّ عن عدم القول بالفصل كما صرّح به جماعة، وعن توقّف الافادة والاستفادة منها على معرفة معانيها ايضاً على ما قيل: بانّه اصطلاح خاصّ حادث لا يحمل عموم الخطابات الشرعيّة عليه، بل المراد به إمّا المعنى اللغوي، وهو مطلق العلامة الشامل للافعال والحروف ايضاً لكونها علامات على معانيها، او المعنى العرفي العام وهو مطلق اللفظ الموضوع على ما قيل.

فان قلت: إنّ المراد بالاسماء الصفات والعلامات، مثل كون الفرس صالحاً للرّكوب، والثور للحرث والجمل للحمل، اذ كلّ ما يميز الشيء فهو اسم، وحينئذ يمكن أن يكون تعريفها بخلق علم ضروري من غير توسّط الالفاظ، وأمّا تخصيص الاسم بخصوص الالفاظ فإنّما هو إصطلاح طارٍ، سلّمنا لكّن المراد بالتعليم الإلهام وبعث العزم والإقدار على الوضع بخلق الأدوات والمشاعر والإرادات والعلوم المحتاج اليها، وانّما نسب التعليم إليه سبحانه لأنّه الهادي إليه، فهو تعليم تكويني الهامي كما في قوله: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ﴾ (١) اي الهمناه.

قلت: تخصيصه بالصفات ممّا لا وجه له بعد دلالة اللفظ على العموم وفقد

---

(١) الانبياء: ٨٠.

المخصّص، مع أنّ الصفات متشابهة، ولا يكاد يحصل التّمييز التّام بمجرّدها، مع أنّ التعبير عنها أيضاً لا يكون إلّا بالاسماء اللفظيّة.

واحتمال كون تعريفها بخلق علم ضروري مع مخالفته للظّاهر مدفوع بأنّ المعلوم حينئذ إمّا الّذوات أو ما يدلّ عليها من صور الصفات او الالفاظ او كلّ منها والأوّل مدفوع بظاهر قوله: باسماء هؤلاء وقوله: باسمائهم والثاني تخصيص من غير مخصّص، والاخيران يثبت معهما المطلوب وارتسام صور الالفاظ عن الذّهن وان لم يتوقّف على الالفاظ الفعلية المسموعيّة لكنّه دليل على سبق الوضع.

وامّا حمل التعليم على بعث العزم والإقدار على التعليم فمخالف للظاهر الذي هو الحجّة، مضافاً إلى مخالفته للاخبار المفسّرة للآية على ما مرّ كما أنّ الظاهر أيضاً هو الدّافع لاحتمال ما يقال من أنّه كشف عليه ما يحدثه ذرّيته من اللّغات المختلفة والأوضاع الطارية من دون أن يكون هناك لفظ أو صوت أو وضع سابق.

وامّا ما يقال من أنّ الاية لا تشمل اللّغة العربيّة لما اشتهر من انتسابها إلى يَعرب بن قحطان ولذا قيل: إنّه اوّل من تكلّم بالعربيّة[1] أو إلى اسمعيل الذّبيح على نبيّنا وآله وعليه السلام[2] ولذا قيل: إنّ العرب من ولده.

ففيه أنّه مع فرض تحقّق الشهرة على أحد الوجهين لا عبرة بها أصلاً، بل هو من المشهور الّذي لا أصل له، ولذا قيل إنّ الحميريين والعمالقة وجُرهم وقوم ثمود وعاد كلّهم كانوا من العرب، وقد كانوا قبل اسمعيل بمدّة متطاوله.

---

(١) البحار: ج ٥١ ص ٢٩٠.

(٢) المزهّر للسيوطي: ص٢٨ ـ ومجمع البيان ج ١ ص٧٦.

وروى شيخنا الطبرسي في المجمع عن الصادق عليه السلام قال: كان هود وصالح وشعيب واسمعيل ونبيّنا يتكلّمون بالعربيّة[1].

بل قد ورد في الأخبار أيضاً انّ اوّل من تكلّم بالعربيّة آدم عليه السلام.

وفي العلل عن الصادق عليه السلام عن ابيه عليه السلام قال: ما أنزل الله تبارك وتعالى كتاباً ولا وحياً إلّا بالعربيّة، فكان يقع في مسامع الأنبياء بألسنة قومهم، وكان يقع في مسامع نبيّنا صلى الله عليه وآله بالعربيّة، فاذا كلّم به قومه كلّمهم بالعربيّة فيقع في مسامعهم بلسانهم، وكان أحد لا يخاطب رسول الله صلى الله عليه وآله بايّ لسان خاطبه إلّا وقع في مسامعه بالعربيّة، كلّ ذلك يترجم جبرئيل عنه صلى الله عليه وآله[2].

وفيه دلالة واضحة على سبق الوضع بل وكونه منه تعالى وفي «العيون» و«الاحتجاج» عن الرّضا عليه السلام في خبر عمران الصّابي انّه قال: واعلم أنّ الابداع والمشيّة والارادة معناها واحد واسماؤها ثلاثة، وكان أوّل ابداعه وارادته ومشيّته الحروف الّتي جعلها أصلاً لكلّ شيء، ودليلاً على كلّ مدرك، وفاصلاً لكلّ مشكل، وبتلك الحروف تفريق كلّ شيء من إسم حق أو باطل، او فعل أو مفعول، او معنى او غير معنى، وعليها اجتمعت الامور كلّها، ولم يجعل للحروف في ابداعه لها معنى غير انفسها يتناها، والنّور في هذا الموضع اوّل فعل الله تعالى الّذي هو نور السموات والأرض، والحروف هو المفعول بذلك الفعل، وهو الحروف الّتي عليها الكلام، والعبارات كلّها من الله عزّ وجلّ علّمها خلقه، وهي ثلاثة وثلاثون حرفاً، فمنها ثمانية

(١) بحار الأنوار: ج ١٠ ص ٨٠ وج ١١ ص ٣٦.

(٢) علل الشرايع: ص ٥٣ وعنه البحار ج ١٦ ص ١٣٤.

وعشرون حرفاً تدلّ على لغات العربيّة، ومن الثمانية وعشرين اثنان وعشرون تدلّ على لغات العبرانيّة والسّريانية[١]، الخبر بطوله.

فصرّح أوّلاً بأنّ الحروف كلّها من إبداعه، بل ذكر انّه أوّل ابداعه، ثمّ قال: إنّ العبارات كلّها من الله ﷻ علّمها خلقه، وهو ظاهر في المطلوب، بناءً على أنّ المقصود منها هي الكلمات المؤلّفة من الحروف المعبّرة بها عن المقاصد، ولذا عبّر عنها بالعبارات، هذا مضافاً إلى الأخبار الكثيرة المتقدّمة في تفسير الآية الدّالة على أنّ المراد بالأسماء اسماء الجبال والبحار والاودية والنبات والحيوان والبساط وغيرها بل في بعضها انّه علّمه اسماء كلّ شيء.

وفي حديث الشفاعة: فيأتون آدمعليه السلام فيقولون انت أب الناس، خلقك الله بيده وأسجد لك ملائكته وعلّمك أسماء كلّ شيء[٢].

وفي القصص عن أبي جعفرعليه السلام: انّ آدم لما هبط عليه ملك الموت قال: قال أشهد أن لا اله إلّا الله إلى قوله: واسجد لي ملائكته، وعلّمني الأسماء كلّها.[٣] الخبر

قيل ويشهد له ما اشتهر من أنّ الله تعالى أنزل على آدمعليه السلام حروف المعجم في احدى وعشرين صحيفة وهو اوّل كتاب انزل إلى الدّنيا وفيه ألف لغة وانّه تعالى علّمه جميع تلك اللّغات[٤].

وما ذكره المفسّرون من أنّه علّمه اسم كلّ شيء حتّى القصعة والقصيعة بجميع

---

(١) عيون الاخبار: ص٨٧ - ١٠٠ وعنه البحار ج ١٠ ص ٣١٤.

(٢) بحار الأنوار: ج ٨ ص ٤٥.

(٣) البحار: ج ١١ ص ٢٦٥.

(٤) سيأتي عن سعد السعود ص ٣٧.

اللّغات الّتي تكلّم بها ولده.

ولعلّ السبب في اختلاف ذريّته فيها بعد علمه عليه السلام باللّغات كلّها انّه عليه السلام علّم كلّ واحد من ولده لغة واحدة ثمّ بقيت تلك اللّغة في اعقابه او انّه علّم ولده باللّغات فكانوا يتكلّمون بها مدّة حياته حين كانوا مجتمعين فلمّا قبض تفرّقوا في نواحي الأرض وتكلّم كلّ منهم بلغة اختارها من بين اللّغات على حسب الطبع والميل والاقليم كما لا يخفى المناسبة بين اللّغات واهلها، على أنّ التكلّم بلغة واحدة اسهل من التكلّم بلغات مختلفة، فغلبت على اولاده تلك اللّغة حتّى اذا انقرض القرن الأوّل منهم نسوا سائر اللغات، فصار كلّ فريق منهم يتكلّم باللسان الغالب على ابيه.

وعن السّيد في سعد السعود قال: وجدت في صحف ادريس النّبي عليه السلام عند ذكر احوال آدم ما هذا لفظة: حتّى اذا كان الثلث الأخير من اللّيل ليلة الجمعة لسبع وعشرين خلت من شهر رمضان انزل الله عليه كتاباً بالسّريانيّة وقطع الحروف في احدى وعشرين ورقة وهو أوّل كتاب أنزل الله في الدّنيا أنزل الله عليه الألسن كلّها فكان فيه الف الف لسان لا يفهم فيه أهل لسان عن أهل لسان حرفاً واحداً بغير تعليم فيه دلائل الله وفروضه واحكامه وشرايعه وسننه وحدوده[1].

وفي محاضرة الأوائل عن مزهّر اللّغة للسيوطي: انّ اللسان الأوّل الّذي نزل به آدم من الجنّة عربيّ إلى أن بَعُدَ وطال العهد حُرّف وصار سريانيّاً، وهو منسوب إلى أرض سورى[2] وهي ارض الجزيرة كان بها نوح عليه السلام وقومه قبل الغرق، وكان

(١) سعد السعود للسيد ابن طاووس ص٣٧.

(٢) سورى كطوبى: موضع بالعراق وهو من بلد السريانيّين كما في القاموس.

يشاكل اللسان العربي، إلّا أنّه محرّف، وكان لسان جميع من في سفينة نوح ﷺ، إلّا رجلاً واحداً يقال له جُرهم، فكان لسانه لسان العربي الأوّل، فلمّا خرجوا من السفينة تزوج إرم بن سام بعض بناته فمنهم انتشر اللسان العربي الاول في ولده: عوص أبي عاد، وعبيل وجاثر أبي ثمود وجديس وسمّيت عاد بإسم جرهم لانه كان جدهم من الأم، وبقي اللّسان السّرياني في ولد ارفخشذ بن سام، إلى أن وصل إلى يشجب بن قحطان من ذرّيته، وكان باليمن، فنزل هناك بنو اسماعيل فتعلّم منهم بنو قحطان اللسان العربي.

وقال ابن دحيه: العرب اقسام الأول عاربة وعرباء، وهم الخلّص من العرب وهم تسع قبائل، من ولد إرم بن سام بن نوح ﷺ، وهي عاد وثمود وعميم وعبيل، وطسيم، وجديس، وعمليق ووبار، وجرهم الّتي نشأ اسمعيل فيهم وتزوج منهم حين نزلوا عليه بمكّة شرفها الله تعالى ظاعنين من اليمن إلى الشام.

والقسم الثّاني من العرب المتعرّبة وهم الّذين ليسوا بخلّص وهم بنو قحطان.

والقسم الثالث المستعربة وهم الّذين ليسوا بخلّص أيضاً، وهم بنو اسمعيل، وهم ولد معدّ بن عدنان بن أُدد.

ثمّ حكى عن إبن دريد[1] في «الجمهرة»: انّ العرب العاربة سبع قبائل: عاد، وثمود، وعمليق، وطسيم، وجديس، وأميم وجاسم، وقد انقرض اكثرهم إلّا بقايا متفرّقين في القبائل[2].

(١) ابن دريد: محمد بن الحسن البصري الاديب اللغوي المتوفى (٣٢١) هـ.

(٢) المزهر: ج١ ص ٣٠ـ ٣١.

وعن السيوطي: انّه لا خلاف بين الأمّة انّ لسان عاد وثمود ونوح وصالح وشعيب ومدين عربّي.

ثمّ انّه قد يستدلّ على ذلك ايضاً بقوله تعالى: ﴿وَاخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ﴾ [١]،﴿عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [٢]،و﴿عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ [٣]،و﴿إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاء سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم﴾ [٤]،و﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾ [٥]،﴿تِبْيَاناً لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ [٦].

وبعدم امكان ذلك للقوى البشريّة فانّ هذا الابداع البديع الغير المسبوق إلى مثال مع غاية الاتقان والإحكام، وعدم اشتماله على تناقض ونقصان، واحاطته على جميع المعاني والبيانات على أحسن وجه وابلغ نظام وعلى فنون لا تحصى عجائبها ولا يحيطها علم أحد ولو بمرور الدّهور والأعوام، خارج عن طور أفعال البشر بحيث يقطع المتأمّل فيها وفي وضعها بحيث تصلح لبيانات المقاصد الغير المتناهية والعلوم الّتي لم يحط الأفكار، ولم يصل إليها الأنظار، إنّ الله سبحانه هو الّذي وضعها ورتّبها وبيّنها، وعلّمها خلقه، ومنّ بها عليهم كما يستفاد من الأخبار

---

(١) الروم: ٢٢.

(٢) العلق: ٥.

(٣) الرحمن: ٤.

(٤) النجم: ٢٣.

(٥) الانعام: ٣٨.

(٦) النحل: ٨٩.

المفسّرة للايات المتقدّمة بل ومنها أيضاً.

وبأنّها لو لم تكن توقيفيّة لكانت إصطلاحيّاً والتّالي باطل لافتقار تعريف الاصطلاح إلى مثله فامّا أن يرجع في تعريف كلّ منها إلى الاخر لزم الدور اولا فالتّسلسل.

وبأنّها لو كانت اصطلاحيّة لجاز تغيير ذلك الاصطلاح الاوّل وتبديله، فيجوز أن يراد بالصّلاة وغيرها من الموضوعات المستنبطة في هذا الزمان غير ما يراد منها في الزمن الشارع فيرتفع الوثوق عن الاخبار الشرعيّة ويسقط الاستدلال بها رأساً.

وبقوله سبحانه: ﴿قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [1]، وغيرها من الايات المتناولة بعمومها ما نحن فيه، خرج منه ما علم بالدّليل إستناده إلى العباد من افعالهم وصنايعهم واعمالهم بحمل الخلق فيها على خلق الأسباب والالات الظّاهرة والقوى الباطنة والالهامات والارشادات وامثال ذلك ممّا قام الدّليل الشّرعي والعقلي والوجداني على اخراجه من ظاهر ذلك العموم، وبقي الباقي مقهوراً تحت سلطنة الواحد القهّار.

وفي الكلّ نظر لضعف الاستدلال بالآيات بما ستسمعها عند التّعرض لتفسيرها تقريباً وردّا، وضعف الثاني بأنّه يمكن أن يكون البشر قد وضعوها وعيّنوها بقوّة إلهيّة والهامات ربّانيّة بعد تعليمه سبحانه أصول الكلمات، وهي الحروف الّتي عليها المدار في جميع اللّغات.

كما روى أبوذر عن النّبيﷺ إنّ الكتاب الّذي انزل الله على آدم هو كتاب

---

(١) الرعد: ١٦.

المعجم وهو ا ب ث، الخبر على مامرّ في تفسير آلم.

وليس ذلك ببدع منهم بعد تلقين العلوم وإفاضة القوى كما أنّهم قد استنبطوا فنون العلوم وخواص الأجسام والصنايع الغريبة والآثار العجيبة بافكارهم وقواهم المفاضة لهم من الله سبحانه بعد إعطاء الاصول وافاضة القوى والتمكين من الأسباب.

والثالث: بجواز أن يكون الإفهام في بدو الاصطلاح بالاشارة والترديد بالقرائن وغيرهما كما يتعلّم الاطفال اللّغات في مبادي شعورهم وادراكاتهم بالنظر إلى استعمال المستعملين.

وتوهّم الفرق بأنّ الاطفال إنّما يتعلّمون اللّغات لكون التخاطب بلغة مستقرّة معروفة بينهم فيتجاوبون فيما بينهم بما يعرفون والاستعمالات المتكررة موجبة لحصول العلم للاطفال، وامّا صاحب الاصطلاح فلا يعرف غيره خطابه ولا جوابه ولا مراده وليس معه إلّا الاشارة وهي لا تنهض باسرار العبادة اللّهم إلّا أن يكون ذلك من القادر على خلق علم ضروري فيمن يخاطبه بحيث يعرف به معنى خطابه من عبادته وهو المطلوب.

مدفوع بأن إمكان التفهيم ولو بالاشارة في المدد الطويلة حاصل بعد اعطاء الأصول وافاضة الفهم والشعور فكيف يحصل القطع بالعدم ومجرّد الاستبعاد غير مثبت للمراد.

والرّابع: بانّ الجواز ليس دليلاً على الوقوع ومع الشك يحكم باتّحاد العرف عرفاً وشرعاً ولو لاعتبار الاصول العلمية مضافاً إلى مسيس الحاجة وتوفّر

الدّواعي إلى حفظ اللّغات والمعاني العرفيّة سيّما ما له ارتباط باستنباط الاحكام الشرعيّة.

وامّا ما يقال من أنّ المراد الجواز العقلي ثمّ بعد وقوع اصطلاح اخر إمّا ان يراعى الشرع الاول خاصّة وهو مع كونه ترجيح من غير مرجّح تضييع للاخرين او الثاني فيلزم تضييع الأوّلين مع عدم كونه مرسلاً بلسان قومه او كليهما ويرتفع الامان ويختلّ الاحكام، فضعيف جدّاً.

والخامس: بأنّ المراد بالخلق هو التقدير أو جعل الامكان فالعموم بحاله ولو في افعال العباد لأنّها مخلوقة له خلق تقدير لا تكوين كما في الخبر. وكذا لو أريد به خلق الاسباب والآلات والمقتضيات ولعلّ هو الاظهر من ملاحظة مساق الآية سيّما مع سلامتها عن التّخصيص وامّا ارادة الخلق التكويني الفعلي فبعيدة عن السياق والاصل عدم التخصيص ودعوى كونه حقيقة في هذا خاصّة دون ما مرّ غير مسموعة وعموم الاشتراك اولى من المجا سلمنا الحمل على الاخير لكن القطع حاصل بخروج افعال العباد الّتي يمكن كون الوضع منها فيكون كالمخصّص بالمجمل للشكّ في مصاديقها والتمسك بالاصل في مثله لا يخلو من تأمّل فتأمل جيّداً. فانّه يمكن دعوى صحّة الدّلالة بظهور المعنى الاخير الموجب للحمل عليه ولو للانصراف او لكونه من جملة المدلول ثمّ البناء في تخصيص مثله بالحكم على خروج ما يقطع بخروجه، وامّا المشكوك فالبناء على دخوله تحت حكم العام للقطع بالشمول والشك في الاخراج وليس هناك لفظ مجمل كي يلحق بالمخصّص بالمجمل ودعوى انصراف مثل هذا العموم الشمولي من الاوضاع الشّخصيّة غ ير

مسموعة فيتمّ الاستدلال بها كالآية المتقدّمة الّتي قد سمعت التقريب فيها ولو بمعونة الاخبار المتقدّمة الظّاهرة في استناد الوضع إليه سبحانه فلا يرد ان غاية ما تدلّ عليه بعد تسليم دلالتها انّ الوضع غير ناش من ذرّية ابينا آدم.

وامّا إستناده اليه سبحانه او الى خلق آخر كبني الجان وغيرهم فغير واضح سيّما بعد ما ورد في الاخبار من انّه كان في الأرض خلق اخر قبل ابينا آدم.

بل في الخبر: انّ الله تعالى خلق الف الف عالم والف الف آدم وانتم في آخر تلك العوالم واولئك الآدميّين[1].

إذ فيه ان الظّاهر منها ولو بمعونة الاخبار المتقدّمة وملاحظة شرافة علم الأسماء حتّى فَضَّلَ الله به آدم على غيره من الملائكة إنّما هو استنادَهُ إليه سبحانه مضافاً إلى أنّه لو كان متداولاً بين خلق سابق على آدم في الأرض أو في السّماء لتسامع بها بعض الملائكة ان لم يعرفها كلّهم مع أنّ قضيّة الاصل هو تأخّر الحادث الّذي هو الوضع من زمن وجود الخلق السابق إلاّ أنّه حينئذ بالنّسبة إلى تعيين الواضع مثبت فلا تغفل.

نعم يمكن أن يقال إنّ الفريقين مجمعون على عدم استناده إلى خلق آخر بل هم بين من يقول باستناده إلى الله تعالى ومن يقول باستناده إلى أبي البشر وذرّيته فالقول باستناده إلى خلق آخر من بني الجان او غيرهم خرق لهذا الاجماع. ولا بأس به على فرض تحقّقه.

ثمّ انّ في المسألة اقوالاً أُخر كالقول باصطلاحيّة جميع اللّغات وانّ الواضع

---

(١) بحار الأنوار: ج ٥٤ ص ٣٢١.

فيها هو البشر كما عن جماعة من المتكلّمين والتفصيل بان ما يحتاج إليه في التفهيم والتّفهم بان هذا موضوع لذلك يكون بتوقيف الله سبحانه والباقي من البشر باصطلاح منهم وتوقف العلامة وبعض الأصوليّين وتمام الكلام في ادلّة الاقوال موكول إلى الأصول، وكذا الكلام في أنّه ليس للنّزاع ثمرة علميّة وانّ محلّه هو الحقيقة اللّغوية الاصليّة لا مطلق الحقيقة ضرورة انّ الواضع في الاعلام الشخصيّة والحقائق العرفيّة العامة والخاصة منقولة كانت او مرتجلة هو البشر، ولذا قيل إنّه يلزم من ذلك تخصيص العموم في قوله: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾، بالحقائق اللّغوية او بالحقائق المبتدئة فانّ تعليم الأسماء لا يستلزم تعليم جميع معانيها بل يصدق بتعليم البعض ايضاً.

بقي الكلام في أنّ الاختلاف في المقام مبني على ما هو المشهور بين العلماء الاعلام من أنّ دلالة اللّفظ على المعنى بواسطة الوضع له، وامّا على القول الاخر المحكى عن عباد[1] بن سليمان الصّيمري وجمع من المعتزلة واهل التكسير من أنّ دلالته طبيعيّة ناشية عن ذات اللّفظ من دون توسّط الوضع والنزاع ساقط من اصله، إلّا أنّ هذا القول في أصله بمحلّ من السقوط ضرورة انّه لو كانت الدّلالة ذاتيّة لامتنع اختلافها باختلاف الامم والاصقاع والازمان، مع انا نرى اللفظ الواحد حقيقة في معنى عند قوم او في زمان وفي معنى آخر عند غيرهم، او في زمان اخر بسبب طروّ الوضع وغلبة الاستعمال وايضاً كان يلزم ان يحصل العلم بالمعاني بملاحظة الالفاظ في جميع اللّغات ولم يعهد حصوله لاحد ولو ممّن يدّعي ذلك

---

(١) هو ابو سهل عباد بن سلمان البصري المعتزلي. سير اعلام النبلاء ج ١٠ ص ٥٥٢.

فضلاً عن العامة وايضاً نرى الاعلام الشّخصيّة والحقائق العرفيّة الّتي نعلم بالضرورة استناد الدّلالة فيها إلى الوضع غير دالّة على تلك المعاني قبل حدوث الوضع ولو كانت ذاتيّة لم يؤثر الوضع فيها شيئاً ولم ينفك عنها الاثر الطّبيعي هذا مضافاً إلى دوران الدلالة مع الاعتقاد بالوضع عدماً ووجوداً علماً وظنّاً ووهماً وشكّاً وضرورة الوضع للنقيضين والضدين وغير ذلك ممّا لا داعي للتعرض له بعد ظهور التوقيف في جميع الاعصار والامصار بالنسبة إلى جميع اللغات على طرق اثبات الوضع سيّما مع ضعف تمسّك المدّعين للدّلالة الذاتيّة من انّها لو انتفت لزم الترجيح او التّرجحّ من غير مرجّح وفيه ما لا يخفى.

التناسب بين اللفظ والمعنى

ولذا قيل: إنّ مراد القائلين بها دعوى التناسب الذّاتي بين اللفظ والمعنى، وإنّ ذلك التناسب هو علّة الوضع، أو المرجّح لخصوص الطرفين باعتبار ملاحظة الصفات الّتي للحروف من الهمس والجهر والشدّة والرخاوة وغيرها من الصفات الّتي عنت بضبطها أئمّةُ الاشتقاق والتصريف، مضافاً إلى ما لها من المنسوبات والطبائع الّتي ذكرها علماء الجفر والأعداد والحروف والأوفاق من إثبات الطبائع والخواص الغريبة للحروف باعتبار تمزيجاتها وتركيباتها ونسبتها إلى خصوص الكواكب والأزمنة والعناصر والمواليد والجهات والأفعال والاخلاق وغيرها، ولذا قالوا: إنّ قضيّة تلك الخواصّ أن العالِم بها إذا اراد تعيين شيء مركّب منها لمعنى أن لا يهمل التناسب بينهما قضاءً لحقّ الحكمة فوضع القَصْم بالقاف للكسر بسهولة لما

بين الفاء الّتي هي حرف مهموس رخوٌ وبينه من المناسبة، والقَصْم بالقاف للكسر بشدّة لمناسبة للقاف الّتي هي حرف جهر وشدّة وقلقلة، ووضع الفَعَلان بالتحريك لما يقتضي التقلّب والحركة كالطيران والجولان والغليان، وهو ايضاً كما ترى لانتفاء المناسبة الجزئيّة في كثير من المقامات، ولذا وضعوا للضّدين والمتخالفين ونحوهما.

نعم ذكر الشيخ أحمد الأحسائي: أنّ هذا الحمل صلح منهم بغير رضى الخصمين، ثمّ ذكر انّ الأصحّ ما ذهب إليه أهل المناسبة لما قرّره هو في معنى دلالة اللفظ حيث قال: كلّ اسم فله مادّة مخصوصة بينها وبين ما تراد له مناسبةٌ نوعيّة بينه وبين ما يراد له مناسبةٌ شخصيّة، فاذا أراد وضع لفظ بأزاء معنى اخذ له من الحروف ما يناسبه وجعلها مادّة لاسم ذلك المعنى وركّب تلك الحروف على هيئة من التركيب في الحركات والسكنات والتقديم والتأخير تناسب ذلك المعنى كذلك، وتلك الهيئة هي صورة ذلك الاسم فوضعه بازاء ذلك المعنى فكان الاسم بتلك المادّة المخصوصة والهيئة المخصوصة دالاً للسامع العالِم بالوضع على مسمّاه كما انك إذا اومأتَ إلى زيد بأن يأتي اليك أومأتَ اليه بهيئة الإقبال بأن تقبض أصابعك في الجملة مشيراً بها اليك فيضمّ بالمادة وهي حركة اليد والصورة وهي الاشارة له بيدك اليك كالجاذب له إرادة الإقبال، ولو أردت إنصرافه أومأتَ بيدك إليه بهيئة الدفع فيفهم بالحركة والهيئة إرادة الإنصراف، لأنّ هذه الهيئة في المادّة المخصوصة تدلّ المشار اليه على ما يراد منه، فكذلك الإسم بالمادة والهيئة المخصوصتين يدلّ السّامع على معناه، فحقيقة الدّلالة إرشاد اللفظ بمناسبة مادّته وصورته لفهم

المخاطب إلى المعنى الموضوع له كما مثّلنا في الاشارة.

ثمّ قال: فان قلت: لو كان ذلك كذلك لم يجهل أحد شيئاً من المعاني والواقع خلافه.

قلت: انّما احتيج للعلم بالوضع هنا لشدّة خفاء المناسبة لأنّها مناسبات حرفية من عالم الغيب على ما حقّق في محلّه.

فان قلت: اذا كانت مناسبات حرفيّة من عالَم الغيب فما الفائدة في ملاحظتها واعتبارها اذا لم يطلع عليها جميع المخاطبين؟

قلت: الفائدة شيئان: أحدهما إقتضاء حكمة الحكيم ان لا يخصّص شيئاً بشيء بغير مناسبة يقتضي التخصيص مع قدرته على ذلك، وثانيهما: أنّ ذلك أسكَن لقلب المخاطب لو تنبّه في بعض الأحوال لبعض المناسبات، كما ذكر في الفرق بين الفَصْم والقَصْم، وفي زنة فَعَلان محركاً وفي دلالة الوضع للأصوات بما يناسبها كما قيل في صوت الغراب غاق، وفي صوت شفتي الناقة عند شربها شبب. إذ لو وُضِع غاق لصوت شفتي الناقة عند الشرب وشبب لصوت الغراب ثمّ تنبه المخاطب للمناسبة لنفرت نفسه من ذلك لما بين اللفظ وبين معناه من المنافرة.

وذكر في موضع اخر: أنّ المناسبة لا يزيد منها خصوص المناسبة الشخصيّة، بل قد تكون مناسبة نوعيّة كمناسبة الإنسان لزيد وعمرو، أو جنسيّة كمناسبة الحيوان لزيد والفرس، بل لا نريد منها إلّا مطلق الصلوح الذّاتي للمسمّى في المادة والهيئة. إلّا انّه يعبّر في صلوح هيئة اللفظ لهيئة المعنى مشخصيّة الارتباط بينهما.

ثمّ أطنب الكلام في بيان المناسبة بين موادّ الحروف وهيئات الترتيب

والإعراب وبين الأجسام والأشكال الخارجة، وفي دعوى المناسبة حتّى في الاعلام الشخصيّة وفي الالفاظ المشتركة حتّى الموضوعة للضّدين والنقيضين كالقرء والجون، وعسعس، وفي دعوى المناسبة بين الالفاظ والأزمنة وبين الاعلام المشتركة ومعانيها إلى غير ذلك ممّا لا يعود إلى حاصل ولعلك. لو تدبّرت كلامه بتمامه عرفتَ انّه كان قد دعاه إلى ذلك ملاحظة بعض المناسبات الجزئيّة الّتي هي كالنكات الاتّفاقية بعد الوقوع بالنسبة إلى بعض الالفاظ، مع التخلف في الاكثر.

ومن الغريب إستدلاله في مواضع من كلامه بأسماء الأصوات الّتي ذكروا انّها حكاية صوت مسموع من الحيوان وغيره كغاق، فانّه حكاية صوت الغراب، وطق حكاية صوت وقع الحجارة بعضها على بعض، او انّها ممّا يخاطب به ما لا يعقل كقولهم في دعاء الضأن: حاحا وفي دعاء المعز: عاعا غير مهموزين. فانّ القسم الاول من هذه الأسماء مجرّد حكاية صوت شبيه بالواقع والثاني بمنزلة النعيق، ولذا إستشكلوا صدق حدّ الكلمة عليها، وان لم يكن الاشكال في محلّه.

وبالجملة إبداء أمثال تلك المناسبات الجزئيّة بين بعض الالفاظ ومعانيها لا موقع لها بالنسبة إلى تلك اللغات المتّسعة الكثيرة في الألسنة المختلفة المنتشرة بين أهل العالم لإفهام المعاني الدّقيقة والنكات الخفيّة، مع انّه يُستفاد من تضاعيف كلامه الطويل الّذي لم نتعرّض لحكايته أنّ مراده مجرّد إعمال المناسبات في الوضع لا

انكار أصله، ويؤيّده تصريحه في موضع آخر بأنّ الواضع هو الله سبحانه وان كان ينافيه ما ذكره اوّلاً من ردّ كلام المؤوّلين، وتصحيح مقال اصحاب المناسبة، وما ذكره من تعريف الدلالة لكنّه رحمه الله أدرى بفحوى ما أفاد وإنّي مقرّ على نفسي بالقصور عن نيل المراد والله يهدي من يشاء إلى سبيل الرّشاد.

تفسير الآية ٣٤

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾

تذكير لنعمة رابعة عامّة عليهم لما فيها من تشريف أبيهم وتكريمه بجعله مسجوداً للملائكة النورانيّين الّذين هم عباد مُكْرَمون كما أنّ قوله:

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ﴾، تذكيره لنعمة ثالثة حسب ما مرّ. وإن توهّم بعضهم أنّ هذه رابعة للثلاثة الّتي تضمّنتها هي من تخصيص آدم بالخلافة ثمّ بالعلم ثمّ بلوغه فيه إلى أن عجزت الملائكة عن نيله، فانّه لا يخلو عن تكلّف، ولكن الخطب سهل.

والوجوه المتقدّمة في متعلّق الظرف جارية في المقام، ولكن في «تفسير الامام عليه السلام»: قال الله تعالى: كأنّ خلق الله لكم ما في الأرض جميعاً اذ قلنا للملائكة اسجدوا لادم أيْ في ذلك الوقت خلق لكم[1].

وقد بيّنا سابقاً أنّ الظرف هو الزمان الممتدّ قبل خلق آدم وإن كان كلّ من

---

(١) بحار الأنوار ج ١١ ص ١٤٩ عن التفسير المنسوب الى الامام عليه السلام.

خَلْقِ ما في الأرض والقول في طرف منه، فإنّ الأمر بالسجود كان قبل خلقه على وجه التعليق كما يستفاد من قوله:﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُ سَاجِدِينَ﴾ (١).

وقوله: لهم إمّا بالإلهام إلى كلّ منهم، أو بالخطاب العامّ الشامل لجميعهم ولو بخلق الأصوات، أو بالتبليغ إليهم بتوسّط بعضهم، او بواسطة أنوار محمّد وآله الطّيبين صلّى الله عليهم أجمعين كما وقع التلويح إليه في بعض الأخبار.

وقت الامر بالسجود

والاية وان كانت ظاهرةً في كون الأمر بالسجود بعد وجود آدم ونفخ الروّح فيه سيّما بملاحظة فسجدوا الظاهر في اتّصال الفعل بالامر إلّا أنّ المستفاد من قوله تعالى في سورة الحجر: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُ سَاجِدِينَ﴾ (٢)، وقوع الأمر مقترناً بالبشارة بالخلق وقد مرّ مرسلاً في عبارة الصدوق: انّ الله سبحانه قال هذه المقالة للملائكة قبل خلق آدم بسبعمائة عام (٣).

وفي تفسير القمي وغيره في تفسير قوله:﴿فَقَعُواْ لَهُ سَاجِدِينَ﴾ انّه كان ذلك

---

(١) الحجر: ٢٩.

(٢) الحجر: ٢٩.

(٣) كمال الدين: ج ١ ص ١١.

تقدّمه من الله في آدم قبل أن يخلقه واحتجاجاً منه عليهم[١].

لكنّه لا منافاة بينهما لاحتمال التعدّد تنبيها على مزيد الاهتمام والتأكيد، بل كانّه المتعيّن وبه يجمع بين ما مرّ وبين ما في الأعراف: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾[٢]. نعم سيأتي في تفسير قوله: ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ﴾[٣]، عن النّبيﷺ من طرق العامة: أنّهُ لما اقترفَ الخطيئة ونظر الى اشباح النبي والأئمّة حول العرش وأخبره الله تعالى انّهم من ذرّيته، قالﷺ: فسجد آدم شكراً لله أن جعل ذلك في ذريّته، فعوضه الله عن ذلك السجود أن أسجَدَ له ملائكته.

وظاهره كما ترى كون الإسجاد بعد الإقتراف، ولعلّه مخالف لظاهر الكتاب وصريح الاخبار.

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

في معنى السجود

والسجود في اللّغة هو الخضوع والتذلّل، وكلّ شيء ذلّ فقد سجد، وسجد البعير خفض رأسه عند ركوبه، ومنه قوله: «وقلن له أسْجِد لليلىٰ فأسجَداً»، يعني البعير أي طأطأ لها لتركبه من قولهم: أسْجَد الرجلُ إذا طأطأ رأسه وانحنى، قال حميد بن ثور يصف نساء.

فضول أزمتها أسْجَدَتْ سجود النصارى لأحبارها

(١) بحار الأنوار: ج ١١ ص ١٠٤ عن تفسير علي بن ابراهيم.

(٢) الاعراف: ١١.

(٣) البقرة: ٣٧.

يقول: لمّا إرتحلن ولَوَيْن فضول أزمّة أجمالهنّ على معاصمهنّ أسجدت لهنّ.

وبالجملة فالظاهر إطلاقه لغةً على كلّ من الخضوع والانحناء وتطأطأ الرّأس، وأصل الاصل في معناه هو الاوّل، واطلاقه على الأخيرين باعتبار تحقّقه فيهما كما يطلق على غيرهما من الأفعال الصّادرة عن خضوع، او الموضوعة لها بحسب العادة، ومنها وضع الجبهة على الأرض أو ما أنبت ممّا لا يؤكل ولا يلبس، فانّ الظاهر عدم ثبوت الحقيقة الشرعيّة أو المتشرّعة فيه بل هو باق على معناه اللغوي وإن اعتبر للشارع في صحّته جزءً للصّلوة أموراً خارجة عن مسمّاها لغةً كما اشار إليه بعض مشايخنا معترضاً به على من قبله، لكنّه لا يخلو عن تأمّل نظراً إلى تبادر الهيئة الخاصّة منه عرفاً بحيث لا ينبغي معه التّامل في صيرورته حقيقة فيها عند الشارع او المتشرعة، وتمام الكلام في مقام آخر.

وممّا مرّ يظهر النظر فيما قاله الرازي: من أنّ السجود في عرف المتشرّعة عبارة عن وضع الجبهة على الأرض، فوجب أن يكون في اصل اللغة كذلك لأنّ الاصل عدم التغيير(١).

اذ فيه انّ اللغة ثابتة لتنصيص وغيره، وأمّا ما يأتي في خبر «القصص» فعلى فرض صحّته محمول على بيان النوع والكيفيّة فتأمّل.

واللام في قوله: «لآدم» متعلّق بأسجدوا أي إخضعوا له طاعة لله سبحانه، أو أنّه بمعنى «إلى» والمتعلّق محذوف اي أسجدوا مقبلين إلى آدم على حدّ قول

(١) مفاتيح الغيب للرازي: ج٢ ص٢١٣.

حسّان[١]:

ما كنت احسب هذا الأمر منصرفاً من هاشم ثمّ منها عن أبي الحسن
أليس اوّل من صلّي لقبلتكم وأعرف النّاس بالقرآن والسنن

لكنّه بعيد لتظافر الأخبار على كون السجود لآدم تكريماً له وان كان ربما يتحقّق معه ايضاً، وأبعد منه ما قيل من إحتمال كونه للتّوقيت أو بمعنى بعد كما احتمل الوجهان في قوله: ﴿أَقِمِ الصَّلاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ﴾[٢]، بل ينبغي القطع بعدمه، فانّ تعلّق السجود بآدم ليس على وجه مجرّد التّوقيت بخلقه والتوجه إليه، بل كان تكريماً له وتعظيماً للأنوار المستودعة في صلبه المخصوصة بمقام الخلافة الكلّية والفيوض الربانيّة، ولذا كان تعظيمهم تعظيم الله تعالى شأنه كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ﴾[٣].

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

فلسفة سجود الملائكة لآدم

وروى الصدوق وغيره عن مولانا أميرالمؤمنين عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: انّ الله فضّل أنبيائه المرسلين على ملائكته المقرّبين وفضّلني على جميع النبيّين والمرسلين والفضل بعدي لك يا علي وللائمّة من بعدك. وساق الخبر على ما مرّ إلى أن قال: ثمّ إنّ الله تبارك وتعالى خلق آدم فأودعنا صلبهُ وأمر الملائكة

(١) حسّان بن ثابت الانصاري الشاعر توفّي سنة (٥٤) هـ عن مائة وعشرين سنة مناصفة في الجاهلية والإسلام ـ شذرات الذهب ج١ ص٦٠.
(٢) الاسراء: ٧٨.
(٣) الفتح: ١٠.

بالسجود له تعظيماً لنا واكراماً وكان السجود لله ﷻ عبوديّة ولادم اكراماً وطاعة لكوننا في صلبه[١].

وفي «القصص» بالاسناد عن أبي بصير قال: قلت لابي عبدالله عليه السلام سجدت الملائكة لآدم ووضعوا جباههم على الارض؟ قال: نعم تكرمة من الله سبحانه[٢].

وفي «الاحتجاج» في جواب مسائل الزنديق عن الصادق عليه السلام انّه سئل: أيصلح السجود لغير الله تعالى؟ قال: لا، قال: فكيف أمر الله بالسجود لادم؟ فقال: إنّ من سجد بأمر الله فقد سجد لله فكان سجوده لله اذ كان عن أمر الله[٣].

وعن «الاحتجاج» والتفسير في خبر مرّ صدره إلى أن قال عليه السلام: فلذلك قال الله: فاسجدوا لآدم لمّا كان مشتملاً على أنوار هذه الخلايق الأفضلين ولم يكن سجودهم لآدم انّما كان آدم قبلةً لهم يسجدون نحوه لله ﷻ وكان بذلك معظّماً له مبجلاً[٤].

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

وفي «تحف العقول» عن أبي الحسن الثالث عليه السلام قال: إنّ السجود من الملائكة لآدم لم يكن لآدم وانّما كان ذلك طاعة لله ومحبّة منهم لآدم[٥].

وفي «الاحتجاج» عن الكاظم عليه السلام عن آبائه عليهم السلام: انّ يهوديّاً سئل أميرالمؤمنين عليه السلام عن معجزة النّبي صلى الله عليه وآله في مقابلة معجزات الأنبياء عليهم السلام فقال: هذا

---

(١) بحار الانوار ج ١١ ص ١٣٩ ـ ١٤٠ عن العيون ص ١٤٥.

(٢) البحار: ج ١١ ص ١٣٩.

(٣) الاحتجاج: ص ٣١.

(٤) البحار: ج ١١ ص ١٣٨ عن تفسير الإمام عليه السلام.

(٥) تحف العقول: ص ٤٧٨.

آدم عليه السلام أسجد الله له ملائكته فهل فعل بمحمّد شيئاً من هذا؟ فقال عليّ عليه السلام: لقد كان ذلك، ولكن اسجد الله لآدم ملائكته، وسجودهم لم يكن سجود طاعة وأنّهم عبدوا آدم من دون الله، ولكن اعترافاً لآدم بالفضيلة ورحمة من الله له، ومحمّد صلى الله عليه وآله أُعطي ما هو أفضل من هذا انّ الله جلّ وعلا صلّى عليه في جبروته والملائكة بأجمعها[1]، الخبر.

وفي تفسير الامام عليه السلام قال: ولمّا اُمتحِن الحسين عليه السلام ومن معه بالعسكر الّذي قتلوه وحملوا رأسه، قال لعسكره: أنتم في حلّ من بيعتي فالحقوا بعشائركم ومواليكم، وقال لأهل بيته: قد جعلتكم في حلّ من مفارقتي فانكم لا تطيقونهم لتضاعف أعدادهم وقواهم، وما المقصود غيري فدَعُوني والقوم فانّ الله عزّ وجلّ يُعينني ولا يُخلّيني من حُسن نظره كعاداته في اسلافنا الطيّبين، فامّا عسكره ففارقوه، وامّا أهله الأدنون من أقربائه فأبوا وقالوا: لا نفارقك ويحزننا ما يحزنك، ويصيبنا ما يصيبك، وإنّا أقرب ما نكون إلى الله اذا كنّا معك، فقال لهم: فإن كنتم قد وطّنتم أنفسكم على ما وطّنت نفسي عليه، فاعلموا أنّ الله إنّما يهب المنازل الشريفة لعباده باحتمال المكاره، وانّ الله وان كان خصّني مع من مضى من اهلي الّذين أنا آخرهم بقاءً في الدنيا من الكرامات بما يسهل عليّ معها احتمال المكروهات، فانّ لكم شطر ذلك من كرامات الله تعالى، واعلموا أنّ الدنيا حلوها ومرّها حلُم، والانتباه في الاخرة، والفائز من فاز فيها، والشقي من شقي فيها، اَوَلا أحدّثكم باوّل أمرنا وأمركم معاشر أوليائنا ومحبيّنا والمتعصّبين لنا ليسهل عليكم إحتمال ما أنتم له

(١) الاحتجاج: ص ١١١.

مَقْرُون معرّضون؟ قالوا: بلى يا بن رسول الله ﷺ، قال: إنّ الله تعالى لمّا خلق آدم وسوّاه وعلّمه أسماء كلّ شيء، وعرضهم على الملائكة جعل محمّداً وعليّاً وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام اشباحاً خمسةً في ظهر آدم، وكانت أنوارهم تضيء في الآفاق من السموات والحجب والجنان والكرسي والعرش، فامر الله الملائكة بالسّجدة لآدم تعظيماً له، إنّه قد فضّله بأن جعله وعاءً لتلك الأشباح الّتي قد عمّ انوارها في الآفاق، فسجدوا إلّا ابليس أبى أن يتواضع لجلال عظمة الله، وأن يتواضع لأنوارنا أهل البيت عليهم السلام وقد تواضعت لها الملائكة كلّها، فاستكبر وترفّع وكان بإبائه ذلك وتكبّره من الكافرين.

ثمّ قال: قال عليّ بن الحسين صلوات الله عليهما: حدّثني أبي عن أبيه عن رسول الله ﷺ انّه قال: يا عبادالله إنّ آدم لمّا رأى النورّ ساطعاً من صلبه إذ كان الله قد نقل أشباحنا من ذُروة العرش إلى ظهره، رأى النّور ولم يتبين الأشباح، فقال يا ربّ ما هذه الأنوار؟ قال الله ﷻ: أنوار أشباح نقلتهم من أشرف بقاع عرشي إلى ظهرك، ولذا أمرت الملائكة بالسجود لك إذ كنتَ وعاءً لتلك الاشباح فقال يا ربّ لو بيّنتها لي؟ فقال الله تعالى: أنظر يا آدم إلى ذروة العرش، فنظر آدم عليه السلام ووقع نور أشباحنا من ظهر آدم على ذروة العرش، فانطبع فيه صور أنوار أشباحنا كما ينطبع وجه الانسان في المرآة الصّافية، فراى أشباحنا، فقال: ما هذه الأشباح يا ربّ؟ فقال الله: يا آدم هذه الأشباح أفضل خلائقي وبريّاتي: هذا محمّد وأنا الحميد المحمود في أفعالي، شققت له إسماً من اسمي، وهذا عليّ وأنا العليّ العظيم شققت له اسماً من إسمي، وهذه فاطمة وأنا فاطر السموات والأرضين، فاطم أعدائي عن

رحمتي يوم فصل قضائي، وفاطم أوليائي عمّا يعتريهم ويشينهم، فشققت لها إسماً من اسمي، وهذا الحسن وهذا الحسين، وانا المحسن المجمل شققت لهما اسماً من اسمي، هؤلاء خيار خليقتي وكرام بريّتي، بهم آخذ، وبهم أُعطي، وبهم أُعاقب وبهم أُثيب فتوسّل إليّ بهم يا آدم، وإذا دهتك داهية فاجعلهم إليّ شفعائك، فانّي آليت على نفسي قسماً حتماً[1] لا أخيّب بهم آمِلاً ولا أردّ بهم سائلاً. فلذلك حين زلّت منه الخطيئة ودعاالله ﷻ بهم فتاب عليه وغفر له[2].

وقد ظهر من جميع ما مرّ ان سجود آدم كان تكريماً له وتعظيماً للأنوار المستودعة في صلبه، وعبوديّة له سبحانه حيث كان ذلك امتثالاً لأمره، ولو لم يكن هناك أمر لم يكن لاحد من الملائكة ولا غيرهم احياءً وامواتاً إلّا بصدور الأمر الخاص بالنسبة إليه.

ويدلّ عليه مضافاً إلى ما مرّ ما رواه الصفار في البصائر بالاسناد عن الصّادق عليه السلام قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله يوماً قاعداً في اصحابه اذ مرّ به بعير فجاء حتّى ضرب بجرانه[3] الأرض ورَغا[4] فقال رجل: يا رسول الله أسْجَدَ لك هذا البعير فنحن احقّ أن نفعل، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: لا بل أسجدوا لله ثمّ قال: لو أمرت احداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأةَ أن تسجد لزوجها[5].

(١) في البحار: حقاً.
(٢) بحار الانوار: ج ١١ ص ١٤٩ ـ ١٥١ عن تفسير الامام عليه السلام.
(٣) الجِران بكسر الجيم وتخفيف الرّاء: مقدّم عنق البعير أو الفرس.
(٤) رغا: أي صَوَّتَ.
(٥) البحار: ج ٢٧ ص ٢٦٥ عن البصائر ص١٠٢.

وفي خبر آخر بعد قوله: بل اسجدوا لله قال ﷺ انّ هذا الجمل يشكو أربابه ثمّ ذكر قصّة الجمل الخبر.

وفي الخرائج: إنّ اعرابيّاً جاء إلى النّبي ﷺ فقال هل من آية فيما تدعوا إليه؟ فقال: نعم إيت هذه الشجرة فقل لها: يدعوكِ رسول الله ﷺ قال: فمالت عن يمينها وشمالها وبين يديها فقطعت عروقها، ثمّ جاءت تخدّ الارض حتّى وقفت بين يدي رسول الله ﷺ قال: فمرها فلترجع إلى منبتها، فقال الأعرابي: إئذن لي أن أسجد لك، فقال ﷺ: لو أمرت أحداً أن يسجد لاحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها، قال: فائذن لي أن أقبّل بين يديك فأذن له[1].

وفيه وفي «المناقب» عن انس أنّ النّبي ﷺ دخل حائطاً للانصار وفيه غنم فسجدت له، فقال أبوبكر: نحن أحقّ لك بالسجود من هذا الغنم، فقال ﷺ: انّه لا ينبغي أن يسجد أحد لاحد، ولو جاز ذلك لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها[2].

وقد مرّ في خبر العسكري انّه لا ينبغي لاحد أن يسجد لاحد من دون الله يخضع له كخضوعه لله ويعظمه بالسجود كتعظيمه لله تعالى ولو أمرت أحداً أن يسجد هكذا لغير الله لأمرت ضعفاء شيعتنا وسائر المكلفين من متبعينا أن يسجدوا لمن توسط في علوم عليّ وصيّ رسول الله ومحض وداد خير خلق الله عليّ بعد محمّد رسول الله ﷺ[3].

وفي «الاحتجاج» عن تفسير الامام عليه السلام في خبر احتجاج النّبي ﷺ على أهل

---

(١) الخرايج: ص ١٨٥ وعنه البحار ج ١٧ ص ٣٧٧.

(٢) مناقب آل ابي طالب: ج ١ ص ٨٦.

(٣) تفسير البرهان: ج ١ ص ٨١ عن تفسير الامام عليه السلام.

الأديان قال: ثمّ أقبل يعني رسول الله ﷺ على مشركي العرب وقال: وأنتم فلم عبدتم الأصنام من دون الله؟ فقالوا: نتقرّب بذلك إلى الله تعالى فقال لهم: أهي سامعة مطيعة لربّها عابدة له حتّى تتقرّبوا بتعظيمها إلى الله تعالى؟ قالوا: لا قال: فأنتم الذي نحتّموها بايديكم؟ قالوا: نعم، قال: فَلأَنْ تعبدكم هي لو كان يجوز منها العبادة أحرى من أن تعبدوها، اذا لم يكن امركم بتعظيمها مَنْ هو العارف بمصالحكم وعواقبكم والحكيم فيما يكلفكم، قال: فلما قال رسول الله ﷺ هذا اختلفوا، فقال بعضهم: انّ الله قد حلّ في هياكل رجال كانوا على هذه الصّورة فصوّرنا هذه الصور نعظّمها لتعظيمنا تلك الصّور الّتي حلّ فيها ربنا.

وقال آخرون منهم: إنّ هذه صور أقوام سلفوا كانوا مطيعين لله قبلنا فمثّلنا صورهم وعبدناهم تعظيماً لله.

وقال آخرون: إنّ الله لما خلق آدم وأمر الملائكة بالسجود لله كنا نحن أحقّ بالسجود لآدم من الملائكة ففاتنا ذلك، فصوّرنا صورته فسجدنا لها تقرّباً إلى الله كما تقرّبت الملائكة بالسجود لادم إلى الله، وكما أمِرتم بالسجود بزعمكم إلى جهة مكّة ففعلتم ثمّ نصبتم في غير ذلك البلد بأيديكم محاريب سجدتم إليها وقصدتم الكعبة لا محاريبكم، وقصدكم في الكعبة إلى الله تعالى لا إليها.

فقال رسول الله ﷺ: أخطاتم الطريقَ وضللتم امّا انتم ـ وهو ﷺ يخاطب الّذين قالوا: إنّ الله يحلّ في هياكل رجال كانوا على هذه الصور الّتي حل فيها ربنا ـ فقد وصفتم ربكم بصفة المخلوقات! أو يحلّ ربكم في شيء حتّى يحيط به ذلك الشيء؟ فايّ فرق بينه وبين سائر ما يحلّ فيه من لونه وطعمه ورائحته ولينه

وخشونته وثقله وخفته، ولم صار هذا المحلول فيه مُحدثاً وذلك قديماً دون أن يكون ذلك محدثاً وهذا قديماً ؟!

وكيف يحتاج إلى المحالّ من لم يزل قبل المحال، وهو ﷻ كان لم يزل، واذا وصفتموه بصفة المحدثات في الحلول فقد لزمكم أن تصفوه بالزوال.

إلى أن قال: ثمّ اقبل ﷺ على الفريق الثّاني فقال: أخبرونا عنكم اذا عبدتم صُوَرَ من كان يعبدالله فسجدتم لها وصلّيتم فوضعتم الوجوه الكريمة على التراب بالسجود لها فما الّذي ابقيتم لربّ العالمين ؟!

أما علمتم أنّ من حقّ مَنْ يجب تعظيمه وعبادته أن لا يساوي به عبده؟ أرايتم ملكاً عظيماً اذا سَوَّيتموه بعبده في التعظيم والخشوع والخضوع أفيكون في ذلك وضع من الكبير كما يكون زيادة في تعظيم الصغير؟ فقالوا: نعم.

قال: افلا تعلمون أنكم من حيث تعظّمون الله بتعظيم صور عباده المطيعين تزرون على ربّ العالمين ؟! قال: فسكت القوم بعد أن قالوا: سننظر في أمرنا.

ثمّ قال رسول الله للفريق الثالث: لقد ضربتم لنا مثلاً وشبّهتمونا بانفسكم ولا سواء، ذلك أنّا عبادالله مخلوقون مربوبون نأتمرُ له فيما أمرنا، وننزجر فيما زجرنا، ونعبده من حيث يريد منا، فاذا أمرنا بوجه من الوجوه أطعناه، ولم نتعدّ إلى غيره ممّا لم يأمرنا ولم ياذن لنا، لأنّا لا ندري لعلّه أراد منا الأوّل فهو يكره الثاني، وقد نهانا أن نتقدّم بين يديه فلمّا أمرنا بالتّوجه إلى الكعبة أطعناه ثمّ أمرنا بعبادته بالتّوجه نحوها في سائر البلدان الّتي نكون بها فأطعناه، فلم نخرج في شيء من ذلك من إتّباع أمره، والله ﷻ حيث أمر بالسجود لادم لم يأمر بالسجود لصورته الّتي

هي غيره فليس لكم أن تقيسوا ذلك عليه لانكم لا تدرون لعلّهُ يكره ما تفعلون اذ لم يأمركم به.

ثمّ قال لهم رسول الله صلى الله عليه وآله أرايتم لو أذن لكم رجل دخول داره يوماً بعينه الكم أن تدخلوها بعد ذلك بغير امره، او لكم أن تدخلوا داراً أخرى مثلها بغير امره؟ أو وهب لكم رجل ثوباً من ثيابه او عبداً من عبيده او دابّة من دوابه الكم أن تأخذوا ذلك؟ قالوا: نعم، قال: فإن لم تأخذوه ألكم أخذ آخر مثله؟ قالوا لا لأنّه لم يأذن لنا في الثاني كما اذن في الأوّل، قال صلى الله عليه وآله: فاخبروني آلله تعالى اولى بان لا يُتَقدَّمَ على ملكه بغير أمره أو بعض المملوكين؟ قالوا بل الله أولى بان لا يتصرّف في ملكه بغير اذنه، قال: فلم فعلتم ومتى امركم أن تسجدوا لهذه الصّور؟ قال: فقال القوم سننظر في امرنا ثمّ سكتوا[1]، الخبر.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الوجوه المحتملة في «خلق الله آدم على صورته»

اقول: ولعلّ من مثل هذه الأوهام الّتي سمعتها من المشركين سرى الوهم والزيغ إلى قلوب المشبّهين فأوّلوا النبوي المشهور بين الفريقين «أنّ الله تعالى خلق آدم على صورته»[2].

على ما يوافق مرامَهم ويطابق كلامهم، بل قد تمسّك بظاهره فِرَق من أصحاب الاخدود كالحلوليّة والاتّحادية والقائلين بوحدة الوجود مع انّ المروي من

---

(١) الاحتجاج: ص ٢٦ ـ ٢٨.

(٢) عوالي اللالي: ج ١ ص ٥٣ رقم الحديث ٧٨.

طرق الفريقين في تتمّة الخبر ما يسقط معه الاستدلال على مثل هذه الاوهام.

ففي «التوحيد» و«الاحتجاج» و«العيون» عن الحسين بن خالد قال: قلت: للرّضاعليه السلام: يابن رسول الله انّ النّاس يروون أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: إنّ الله خلق آدم على صورته فقال: قاتلهم الله لقد حذفوا أوّل الحديث إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله مرّ برجلين يتسابّان، فسمع أحدهما يقول لصاحبه: قبحَ الله وجهك ووجه من شبيهك فقال عليه السلام: يا عبدالله لا تقل هذا لاخيك، فانّ الله عزّوجل خلق آدم على صورته[1].

وروته العامّة عن الزهري عن الحسن[2]، مع أنّه قد يقال إنّ في الخبر وجوهاً أخر أيضاً مثل ما قيل: من انّ الضمير راجع إلى آدم عليه السلام دون الله تعالى فيكون المعنى انّه خلقه على الصورة الّتي قبض عليها، فانّ حاله لم يتغيّر في الصورة بلا زيادة ولا نقصان، او إلى الله سبحانه ويكون المعنى انّه خلقه على الصورة الّتي إختارها وأجتباها، لأنّ الشيء قد يضاف على هذا الوجه إلى مختاره ومصطفاه أو انّ المراد بالصورة الصفة من كونه سميعاً بصيراً متكلّماً قابلاً للاتّصاف بصفاته الجماليّة والجلاليّة، او انّ المعنى أنّه سبحانه أنشأه على هذه الصورة الّتي شوهد عليها على سبيل الابتداع والاختراع وانّه لم ينقل إليها من صورة اخرى كما جرت العادة في البشر من كونه نطفة وعلقة ومضغة وغيرها من الاطوار الطّارئة عليه خلقا من بعد خلق، او انّه خلق آدم وخلق صورته لينتفي بذلك الشك في أنّ تأليفه من فعل غيره لأنّ التأليف من جنس مقدور البشر وانّ خلق الجواهر هو الذي يتفرد

(١) الاحتجاج ص ٤١٠.

(٢) البحار ج ٤ ص ١٤ عن تنزيه الانبياء للسيّد المرتضى.

القديم تعالى بالقدرة عليه فكأنه عليه السلام اخبر عن هذه الفائدة الجليلة وهو ان جوهر آدم وتأليفه كلّها من فعله سبحانه، إلى غير ذلك من الوجوه الّتي لا ينبغي حمل الخبر عليها بعد استفاضة الاخبار من طرق الفريقين على خروجه على سبب خاص مذكور كما سمعت.

نعم قد روى الصدوق رحمه الله بالاسناد إلى محمّد بن مسلم قال سألت ابا جعفر عليه السلام عمّا يروون انّ الله تعالى خلق آدم على صورته فقال عليه السلام: هي صورة محدثة مخلوقة إصطفاها الله واختارها على سائر الصفة المختلفة فاضافها إلى نفسه كما أضاف الكعبة إلى نفسه وقال: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾[1]. وفيه دلالة على تشريف هذه الصورة[2].

وربما يقال: إنّه قد روى إنّ ملائكة التصوير اذا أرادوا تصوير النطفة ذكراً او انثى فيقولون: يا ربّ على أيّ صورة نصوّره. فان كان ذكراً قال سبحانه: أحضروا صُوَر آبائه إلى آدم وصوّروه مثل واحدة منها، وإن كان انثى قال أحضروا صُوَر أُمّهاتِها إلى حوّاء وصوّروها على مثل صورة واحدة منها، ومِنْ ثمّ قال عليه السلام: لا ينبغي لاحد أن يطعن في نَسَبِ ولده لأجل انّه لا يشبهه في الصورة فلعلّه إنّما صُوّر مثل واحد من آبائه وهذا في غير أبينا آدم، وامّا هو فليس فيه آباء ولا أمّهات حتّى يصوّر مثل واحدة منها بل خلق على تلك الصورة الّتي خلق عليها. فقد تحصّل من جميع ما مرّ وجوه ثمانية في الخبر.

---

(١) الحجر: ٢٩ وص: ٧٢.

(٢) بحار الأنوار: ج ٤ ص ١٣ ح ١٥ عن التوحيد للصدوق.

واعلم أنّه قد استفيد من تضاعيف الأخبار المتقدّمة وغيرها أنّ السجود من العبادات المختصة به سبحانه لا ينبغي إشراك غيره معه فيه. فما يفعله بعض الزائرين للنّبي ﷺ او الائمّة المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين ينبغي منعهم والانكار عليهم، لأنّ الله تعالى يحبّ أن يُعبد من حيث شاء وأراد وأمر، ولم يرد الأمر بهذا النحو من التعظيم لغيره سبحانه ولو للانبياء والأولياء.

واما ما يتخيّل من انّ السجود لهم عليهم السلام على أبوابهم وأعقابهم زيادة في تعظيم الله وعبادته، باعتبار انّ وقوعه منه إليه إنّما هو لقدره وشرفه ورتبته عند الله تعالى، فالسجود له حينئذ زيادة في تعظيم الله وتعظيم شعائره ففيه انّه استحسان وهمي لا ينبغي الإعتماد عليه في الامور التوقيفيّة الشرعيّة، وقد استدلّ بمثله المشركون وأجاب عنهم النّبي ﷺ بما لا مزيد عليه في خبر الاحتجاج والتفسير مضافاً إلى ورود النّهي عنه في غير واحد من الأخبار الّتي مرّ شطر منها بل وعليه يحمل النهى في الصحيح المروي في العلل عن ابي جعفر عليه السلام قال صلّ بين خلال القبور، ولا تتّخذ شيئاً منها قبلةً فإنّ رسول الله ﷺ نهى عن ذلك وقال: لا تتخذوا قبري قبلة ولا مسجداً فانّ الله عزّ وجلّ لعن الّذين اتّخذوا قبور أنبيائهم مساجد[1].

ثمّ انّ ظاهر الجمع المحلى في المقام كون المأمورين جميع الملائكة العلويّة والسفليّة حتّى جبرئيل وميكائيل وغيرهما من المقرّبين، ويؤيّده قوله في موضع آخر ﴿فَسَجَدَ الْمَلآئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾[2] بل في فضائل الشيعة للصّدوق عن

---

(١) الفقيه: ج ١ ص ١٢٤.

(٢) سورة ص: ٧٣.

النّبي ﷺ في قوله ﴿أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعالِينَ﴾ [١] انا وعليّ وفاطمة والحسن والحسين كنّا في سرادق العرش نسبّح الله وتسبّح الملائكة بتسبيحنا قبل أن خلق الله آدم بالفي عام، فلمّا خلق الله ﷻ آدم أمر الملائكة أن يسجدوا له، ولم يأمرنا بالسجود، فسجدت الملائكة كلّهم إلّا ابليس فانّه أبى أن يسجد، فقال الله تبارك وتعالى: ﴿أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعالِينَ﴾ اي من هؤلاء الخمس المكتوب أسماؤهم في سرادق العرش[٢].

فان فيه زيادة تأكيد في ارادة جميع الافراد وفي خبر المعراج المرويّ في التفسير والاحتجاج: انّ النّبي ﷺ قال لجبرئيل: تقدّم يا جبرئيل فقال له: إنّا لا نتقدّم على الآدميّين منذ أمرنا بالسجود لادم ﷷ[٣].

إلى غير ذلك من ظواهر الاخبار الكثيرة الّتي هي الحجّة، ومع ذلك كلّه فلا ينبغي الإصغاء إلى ما ينسب إلى الحكماء من حمل الملائكة في الآية على القوى الجسمانيّة البشريّة المطيعة للنفس الناطقة نظراً إلى أنّه يستحيل أن تكون الأرواح السماوية منقادة للنفوس الناطقة، إذ هو كما ترى مبنيّ على ما إسْتَحْسَنوه بالأوهام الضعيفة والخيالات الواهية.

ثمّ انّ المشهور كسر التاء في قوله ﴿لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا﴾، وعن أبي جعفر[٤]

---

(١) ص: ٧٥.

(٢) بحار الأنوار: ج ١١ ص ١٤٢ ح ٩ عن فضائل الشيعه.

(٣) علل الشرايع: ص ١٤ وعنه البحار ج ٢٦ ص ٣٣٨ ح ٣.

(٤) المراد به ابو جعفر القاري يزيد بن القعقاع أحد القراء العشرة كان من التابعين وإمام اهل المدينة في القراءة توفي سنة (١٣٢) هـ.

وحده ضمّها حيث وقع، إمّا لاتباع ضمّة الجيم، أو لنقل ضمّة الهمزه إليها كأنّها لم تسقط، وهما ضعيفان كأصل القراءة ﴿فَسَجَدُوا﴾ جميعاً لآدم انقياداً لامره سبحانه بمطلق الخضوع والتذلّل، أو بالإنحناء ووضع الجبهة كما ربما يظهر من بعض الأخبار المتقدّمة، سيّما خبر «القصص» او على اختلاف أنحاء تذلّلاتهم الّتي لا يُمثل واحد منها بالاخر لاختلاف درجاتهم وطبقاتهم ولذا قالوا: ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾ [1]، وكان سجودهم في الأرض على ظهر الكوفة كما في تفسير العياشي عن مولانا أميرالمؤمنين عليه السلام قال: اوّل بقعة عُبِدَ الله عليها ظهر الكوفة لما أمر الله الملائكة أن يسجدوا لآدم سجدوا على ظهر الكوفة [2].

﴿إِلَّا إِبْلِيسَ﴾ المُبلس اي الآيس من رحمته سبحانه، ولذا سمّي به، والّا فكان مسمّى بالحارث ويكنّى أبا مرّة كما في المعتبرة ففي «المعاني» عن الرضا عليه السلام: كان اسمه الحارث سمّي إبليس لأنّه ابلس من رحمة الله [3].

وفي «البحار» عن كتاب «غور الأمور» عن النّبي صلى الله عليه وآله انّ اسمه الحارث وكنيته أبو مرّة، وانّما سمّاه الله ابليس لانّه ابلس من الخير كلّه يوم آدم عليه السلام [4].

وفي «العيون» و«العلل» بالإسناد انّه سأل الشامي أميرالمؤمنين عليه السلام عن اسم ابليس ما كان في السّماء؟ فقال: كان إسمه الحارث [5].

---

(١) الصافات: ١٦٤.

(٢) تفسير العيّاشي: ج ١ ص ٣٤ وعنه البحار ج ٥ ص ٤٠.

(٣) معاني الاخبار: ص ١٣٧.

(٤) بحار الأنوار: ج ٦٠ ص ٢٢٦.

(٥) العيون: ص ١٣٤ والعلل ج ٢ ص ٢٨١.

وعن ابن عباس كان اسم ابليس حين كان مع الملائكة عزازيل ثمّ صار ابليس[١]. ويقال: إنّ اسمه كان نابل فلمّا سخط الله عليه سمّي شيطاناً. وعن بعضهم انّه كان كنيته ابليس اباكدوس.

ثمّ انّه قد ظهر ممّا مرّ أنّ إبليس عربيّ مشتق من الإبلاس، قال في الصحاح: أبلَسَ من رحمة الله أي يئس، ومنه سمّي إبليس. وكان اسمه عزازيل. والإبلاس ايضاً الانكسار والحزن يقال: أبلس فلان إذا سكت غمّاً.

قال الراجز[٢]:

يا صاح هل تعرفُ رَسْماً مُكرَساً قال نعم أعرفه وأبلسا

وجعله الفيروزآبادي والراغب وغيرهما أحد الوجهين، والوجه الآخر الّذي قد يقال بتعيّنه كونه أعجميّاً سبيله سبيل إنجيل في كونه مُعَرَّباً غير مشتق، واستدلّوا بأنّه لا ينصرف في المعرفة للتعريف والعجمة.

وأجيب بأنّه إنّما لم يُصرف استثقالاً له من حيث انّه اسم لا نظير له في اسماء العرب فشبّهته العرب بأسماء العجم الّتي لا تنصرف كإسحق وأيّوب وادريس، ونحوها ممّا لا تنصرف مع اشتقاقها من أسحقه الله اسحاقاً وآب ويؤوب، ومن الدّرس.

قال شيخنا الطبرسي وغلطوا في جميع ذلك لأنّ هذه الالفاظ معربّة وافقت الالفاظ العربيّة، وكان أبوبكر السراج[٣] يمثّل ذلك على وجه التبعيد بمن زعم أنّ

---

(١) مجمع البيان: ج ١ ص ٨٣.

(٢) هو العجّاج عبدالله بن رؤبة الشاعر المتوفي سنة (٩٠).

(٣) هو محمد بن جعفر بن احمد بن الحسين ابوبكر السراج المتوفى سنة (٥٠٠).

الطير ولد الحوت.

قال رحمه الله: وغلطوا أيضاً في أنّه لا نظير له في اسماء العرب لأنّهم يقولون: إزميل للشفْرة، وإعزيض للطّلع، وإحريض لصبغ احمر، ويقال هو العصفر، وسيف إصليت ما من كثير الماء، وثوب إضريح مُشبَع الصبغ، وقالوا: هو من الصفرة خاصّة، ومثل هذا كثير[1].

وفي المصباح: أنّه لو كان عربياً لانصرف كما تنصرف نظائره نحو: إجفيل وإخريط.

أقول: ولو تمّ ما ذكروه لتعيّن حمل الأخبار على الإشتقاق المعنوي، والخَطْب سهل بعد القطع بعدم انصرافه، واستفادة الإبلاس من لفظه.

ثمّ إنّ الاستثناء منقطع لما ستعرف من عدم كونه من الملائكة، أو متّصل باعتبار كونه جنيّا واحداً في ألوف من الملائكة مغمورا بهم معدوداً في عدادهم، حتّى ظنّ بعض الملائكة أنّه منهم فغلّبوا عليه في الخطاب حين خوطبوا وفي حكاية القصّة لنا او في الثاني خاصّة، وامّا الخطاب التكليفي فلعلّه قد وقع على نحو آخر من دون لفظ وأصوات ولا عبارات وكلمات وانّما ألهمهم ذلك بإلهامات غيبيّة وطرق قطعيّة.

ثمّ انّ ظاهر الآية بل الآيات والاخبار المشتملة لذكر القصّة كون المتمرّد العاصي هو إبليس خاصّة لكن في النهج في خطبة يذكر فيها خلقة آدمعليه السلام إلى أن قال: فسجدوا إلّا ابليس وقبيله اعترتهم الحميّة، وغلبت عليهم الشقوة، وتعزّزوا

---

(١) مجمع البيان: ج١ ص٨١.

بخلقة النّار، واستوهنوا خلق الصلصال فاعطاه الله النظرة استحقاقاً للسخطة واستتماماً للبلية وانجازاً للعدة فقال: انك من المنظرين[١] الخطبة.

حيث انّ الظاهر منها تعدّد المتمرّدين فانّ القبيل في الأصل الجماعة تكون من الثلاثة فصاعداً من قوم شتّى، فان كانوا من اب واحد فقبيله، ولعلّ المراد بقبيله وذرّيته الّذين رضوا بفعله، ولذا قال ﷺ: إنّما يجمع الناس السخط والرّضا[٢].

ويؤيّده قوله بعد صيغ الجمع فأعطاه الله النظرة، وربما يحتمل ايضاً أن يكون المراد به أشباهه من الجنّ في الأرض بأن يكونوا مأمورين بالسجود ايضاً وعدم ذكرهم في الآية والاخبار للإكتفاء بذكر رئيسهم، أو المراد به طائفة خلقها الله في السماء غير الملائكة، وفيهما تكلّف، والأوّل أولى وقال تعالى:﴿إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ﴾[٣] فتأمّل.

﴿أَبَى﴾: امتنع أن يتواضع لجلال عظمة الله وأن يتواضع لانوار أهل البيت وقد تواضعت له الملائكة كلّها.

﴿وَاسْتَكْبَرَ﴾ وترفّع استنكافاً عن عبوديّته سبحانه واستصغاراً لمن رفعه الله وشرفّه وخصّه دونهم بالعلم والخلافة، فلم يخضع له ولم يتخذه وسيلة إلى التقرّب إليه سبحانه، والإباء ترك الطاعة باختيار، قيل: وليس الاباء بمعنى الكراهة لأنّ العرب تتمدح بانّها تابى الضّيم ولا مدح في كراهة الضّيم وانّما المدح في الامتناع

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد: ج ١ ص٩٧ ط مصر.

(٢) بحار الانوار: ج ١١ ص ٣٧٩ وفيه: إنّما يجمع الناس الرضى والسخط.

(٣) الاعراف: ٢٧.

عنه كقوله: ﴿وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ﴾ [١].

والاستكبار طلب الكبر كالتكبر، وهو أن يرى نفسه اكبر من غيره، ويترفّع إلى منزلة لا يستحقّها.

القمي عن الصادقعليه‌السلام: الإستكبار هو اوّل معصية عُصِيَ الله بها قالعليه‌السلام فقال ابليس: يا ربّ اعفني من السجود لآدم وانا اعبدك عبادة لا يعبدكها ملك مقرّب ولا نبيّ مرسل فقال جلّ جلاله لا حاجة لي إلى عبادتك إنّما عبادتي من حيث اريد لا من حيث تريد [٢].

﴿وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ اي صار منهم كما في «القاموس» وغيره، وصرّح به بعض المفسّرين كما في قوله: ﴿فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ﴾ [٣] ويؤيّده ما في تفسير الإمامعليه‌السلام وكان بإبائه ذلك وتكبّره من الكافرين، ولعلّه المستفاد من بعض ظواهر الاخبار ايضاً.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

وروى العياشي في تفسيره عن الصادقعليه‌السلام: قال: إنّ أوّل كفر كفر بالله حيث خلق الله آدم كفر ابليس حيث ردّ على الله أمره [٤].

ويظهر منه ومن غيره من الأخبار بل ومن الآيات انّه لم يكن سبب كفره مجرّد المخالفة بل الرّد عليه سبحانه في أمره وتجهيل الحكيم في حكمته على ما يستفاد من قياسه الفاسد والاستخفاف بنبيّ الله آدمعليه‌السلام، على أنّ مرجع استكباره

(١) التوبة: ٣٢.

(٢) بحار الأنوار: ج ١١ ص ١٤١ عن تفسير القمي ص ٣٤ - ٣٥.

(٣) هود: ٤٣.

(٤) تفسير العياشي عنه البحار: ج ١١ ص ١٤٩.

إنّما هو الإستكبار من عبوديته سبحانه، وكفى به كفراً والحاداً.

او كان كافراً في علمه سبحانه قبل ذلك حيث أضمر في قلبه ترك السجود لادم والرّد عليه سبحانه لو أمره بذلك، او كان كذلك في أصل الكينونة وبدو الخلقة، وإن اظهر العبادة مدّة مديدة.

ففي «الخصال» و«تفسير الفرات» بالإسناد عن الحسن عليه السلام فيما سأله كعب الأحبار عن أميرالمؤمنين عليه السلام قال: لما أراد الله خلق آدم بعث جبرئيل فاخذ من أديم الأرض قبضةً فعجنه بالماء العذب والمالح، وركّب فيه الطبايع قبل أن ينفخ فيه الّروح، فخلقه من أديم الأرض، فطرحه كالجبل العظيم، وكان إبليس يومئذ خازناً على السماء الخامسة، يدخل في منخر آدم ثمّ يخرج من دبره ثمّ يضرب بيده على بطنه فيقول: لأيّ امر خُلقَت؟ لإن جُعِلتَ فوقي لا أطعتك، ولئن جُعلتَ أسفل منّي لا أُعينك، فمكث في الجنّة الف سنة ما بين خلقه إلى أن ينفخ فيه الروح[1].

وفي «تفسير القمي»: خلق الله آدم فبقى أربعين سنة مصوّرا وكان يمرّ به ابليس اللعين فيقول لأمر ما خلقت؟ قال العالم عليه السلام فقال ابليس لئن أمرني الله بالسجود لهذا لعصيته[2].

وفي «الاحتجاج» في أسئولة الزنديق المدعيّ للتناقض عن أميرالمؤمنين عليه السلام قال: الايمان بالقلب هو التسليم للرب، ومن سلّم الأمور لمالكها لم يستكبر عن امره، كما استكبر ابليس عن السجود لآدم، واستكبر اكثر الأُمم عن طاعة انبيائهم،

(١) بحار الأنوار: ج ٥٤ ص ٩٤ عن تفسير الفرات ص ٦٥.

(٢) تفسير القمي: ص ٢٤ وعنه البحار ج ١١ ص ١٤١.

فلم ينفعهم التّوحيد كما لم ينفع ابليس ذلك السجود الطويل فانّه سجد سجدة واحدة أربعة الآف عام، لم يُرد بها غير زخرف الدّنيا والتمكين من النظرة[١]. الخبر.

وفي الخطبة القاصعة العلويّة المذكورة في النهج: الحمد لله الّذي لبس العزّ والكبرياءَ واختارهما لنفسه دون خلقه، وجعلهما حمى وحرما على غيره، واصطفاهما لجلاله، وجعل اللّعنة على من نازعه فيهما من عباده، ثمّ اختبر بذلك ملائكة المقرّبين، ليميّز المتواضعين منهم عن المستكبرين، فقال سبحانه وهو العالِم بمضمرات القلوب، ومحجوبات الغيوب: ﴿إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِن طِينٍ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ إِلَّا إِبْلِيسَ﴾، اعترضته، الحميّة، فافتخر على آدم بخلقه، وتعصّب عليه لأصله، فعدو الله امام المتعصّبين، وسلف المستكبرين الّذي وضع أساس العصبيّة، ونازع الله رداء الجبريّة، وأدرع لباس التّعزز، وخلع قناع التذلّل، إلى قوله ﷺ: فاعتبروا بما كان من فعل الله بابليس إذ أحبط عملَه الطويل، وجهده الجهيد، وكان قد عبدالله ستّة آلاف سنة لا يُدرى آمن سني الدّنيا أم من سني الاخرة، عن كبر ساعة واحدة فمن ذا بَعْد ابليس يسلم على الله تعالى بمثل معصية؟ كلّا ما كان الله سبحانه ليدخل الجنّة بشراً بامر أخرج به منها ملكاً إنّ حكمه في أهل السّماء واهل الأرض لواحد، وما بين الله وبين أحدٍ من خلقه هوادةٌ في اباحة حِمى حرّمه على العالمين[٢]. الخطبة.

(١) بحار الأنوار: ج٢٧ ص١٧٥ عن الاحتجاج ص ١٣٠.

(٢) الخطبة: ١٩٢ من نهج البلاغة.

ابليس كان من الجنّ

ثمّ انّ ظاهر قوله: أخرج به منها ملكاً بل لعلّ صريحه كون إبليس ملكاً من الملائكة بل ظاهر قوله في صدر الخطبة: ثمّ إختبر بذلك الملائكة المقرّبين كونه من مقرّبيهم، سيّما مع ظهور تقسيمهم إلى المتواضعين والمستكبرين في ذلك، وهذا المذهب هو المحكيّ عن بعض المتكلّمين واكثر فقهاء العامّة، وحكاه في «المجمع» عن إبن عباس وإبن مسعود وقتادة، واختاره من أصحابنا شيخ الطائفة في «التبيان» قال: وهو المروي عن أبي عبدالله والظاهر في تفاسيرنا، ثمّ حكى عن القائلين بأنّه كان منهم فقيل: إنّه كان خازناً على الجنان، وقيل: كان له سلطان سماء الدنيا وسلطان الأرض، وقيل: إنّه كان يسوس ما بين السّماء والأرض[1].

وغاية ما يستدلّ لهم على ذلك وجوه.

احدها: أنّه لو لم يكن منهم لما تناوله الخطاب المتوجّه إلى الملائكة في صريح الآية، وحينئذ فلم يكن مأموراً بالسجود فلا تكليف فلا مخالفة، فيجب أن لا ينسب إليه الإباء والاستكبار ولا يستحقّ الذّم والعقاب.

ثانيها: انّ الاستثناء ظاهر او حقيقة في المتّصل، وقضيّةُ دخول المستثنى في المستثنى منه لأنّه إخراج ما لولاه لدخل في الحكم لدخوله في الموضوع، فيجب أن يكون داخلاً في عداد الملائكة لأنّ الله تعالى قد استثناه منهم في آيات كثيرة.

ثالثها: الخطبة المتقدّمة حسبما سمعت من التقريب مضافاً إلى ما أرسله في

(١) مجمع البيان: ج ١ ص ٨٢.

«التبيان» من انّه المرويّ عن الصادقعليه السلام معتضداً بما ادّعاه الشيخ من استظهاره في تفاسيرنا.

والجواب عن هذه الوجوه أنّها مع تسليم دلالتها والغضّ عمّا فيها على ما تسمع كلّها ظواهر يجب الخروج عنها بمقتضى ما دلّ على عدم كونه من الملائكة من الأدلّة القطعيّة الّتي منها الإجماع القطعي الدّال على عصمتهم عن الصغائر والكبائر، مضافاً إلى الآيات والاخبار الدّالّة عليها حسبما مرّت إليه الاشارة، ومنها الإجماع المنعقد في خصوص المقام ايضاً، فانا لا نعرف أحداً من الاماميّة ذهب إلى كونه من الملائكة عدى الشيخ الذي لا يقدح خروجه في انعقاده لكونه معلوم النسب، ولكون قوله هذا مخالفاً لما هو المقطوع من مذهب الإماميّة من ذهابهم إلى عصمة جميع الملائكة فكان قوله هذا مع شذوذه وانفراده به ومخالفته لما استقرّ عليه مذهب الاماميّة وتواترت به اخبارهم على ما تسمع مسبوقاً بالاجماع على خلافه ملحوقاً به واحتمال نسبته إلى مفسّرينا كما استظهره منهم في تبيانه موهون جدّاً سيّما مع عدم الحكاية من غيره رأساً في كتب التفسير وغيرها، بل المحكي عن شيخه وهو المفيد رحمه الله في كتاب «المقالات» انّه قال: إنّ ابليس من الجنّ خاصة، وانّه ليس من الملائكة ولا كان منها قال الله تعالى: ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ﴾[1]، وجاءت الاخبار متواترة عن ائمّة الهدى من آل محمّدعليهم السلام بذلك وهو مذهب الاماميّة[2] كلّها وكثير من المعتزلة واصحاب الحديث، ومنها الاخبار الكثيرة

---

(١) الكهف: ٥٠.

(٢) مجمع البيان: ج ١ ص ٨٢.

الّتي لا يبعد دعوى تواترها بل هي متواترة معنى كما صرّح به المفيد وغيره فلا علينا أن نتعرّض لشطر منها في المقام وان طال بها زمام الكلام.

ففي «تفسير القمي» في الصحيح عن جميل بن درّاج قال سألت أبا عبدالله عليه السلام عما ندب الله الخلق إليه أدخل فيه الضلالُ قال: نعم والكافرون دخلوا فيه، لأنّ الله تبارك وتعالى أمر الملائكة بالسّجود لآدم فدخل في أمره الملائكة وابليس، وانّ ابليس كان مع الملائكة في السّماء يعبدالله، وكانت الملائكة تظنّ أنّه منهم ولم يكن منهم، فلمّا أمر الله الملائكة بالسجود لآدم أخرج ما كان في قلب ابليس من الحسد، فعلمت الملائكة عند ذلك أنّ ابليس لم يكن منهم، فقيل له عليه السلام: فكيف وقع الامر على ابليس وإنّما أمر الله الملائكة بالسجود لآدمَ فقال: فكان ابليس منهم بالولاء، ولم يكن من جنس الملائكة، وذلك انّ الله تعالى خلق خلقاً قبل آدم، وكان ابليس فيهم حاكماً في الأرض فعتوا وأفسدوا وسفكوا الدّماء فبعث الله الملائكة فقتلوهم واسروا ابليس ورفعوه إلى السماء فكان مع الملائكة يعبدالله إلى أن خلق الله تبارك وتعالى آدم[1] اه.

اقول: قوله في صدر الخبر: أنّه كان مع الملائكة اي بالولاء كما بيّنه في ذيله، وفيه وجوه من الدّلالة على أنّه لم يكن من جنسهم، بل ويدلّ أيضاً على عصمة الملائكة ولو من الحسد.

في تفسير العياشي عن جميل بن درّاج عن ابي عبدالله عليه السلام قال سألته عن ابليس أكان من الملائكة أو هل كان يلي شيئاً من امر السّماء وكان من الجنّ؟

---

(١) بحار الأنوار، ج ٦٠، ص ٢٧٣، رقم ١٦٠ عن تفسير القمي ص ٣٢.

فقال عليه السلام: كان مع الملائكة وكانت الملائكة ترى انّه منها وكان الله يعلم انّه ليس منها فلما أمر بالسجود كان منه الّذي كان[١].

ورواه شيخنا الصدوق في كتاب النبوّة بالاسناد عنه عليه السلام وفيه عنه قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن ابليس أكان من الملائكه او كان يلي شيئاً من امر السماء؟ فقال عليه السلام لم يكن من الملائكة وكانت الملائكة ترى انه منها وكان الله يعلم انّه ليس منها ولم يكن يلي شيئاً من أمر السّماء ولا كرامة قال جميل: فاتيت الطّيار فاخبرته بما سمعت فانكر وقال: كيف لا يكون من الملائكة والله يقول للملائكة ﴿اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ﴾:فدخل عليه الطيار[٢] فسأله وانا عنده فقال له: جعلت فداك قول الله عزّ وجلّ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ﴾ في غير مكان في مخاطبة المؤمنين أيدخل في هذه المنافقون؟ قال: نعم يدخل في هذه المنافقون والضّلال وكلّ من أقرّ بالدّعوة الظّاهرة[٣].

وفي تفسير الامام عليه السلام انّه قيل له عليه السلام فعلى هذا لم يكن ابليس ايضاً ملكاً فقال لا بل كان من الجنّ أما تسمعون الله عزّ وجلّ يقول: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ﴾[٤] وهو الّذي قال الله عزّ وجلّ:﴿وَالْجَآنَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ السَّمُومِ﴾[٥]، إلى آخر ما يأتي في قصّة هاروت وماروت ممّا يدلّ على

(١) تفسير العيّاشي: ج ١ ص ٣٤ ح ١٦.

(٢) المشهور بهذا اللقب محمد بن عبدالله الكوفي من اصحاب الصادق عليه السلام.

(٣) بحار الأنوار: ج ١١ ص ١٤٨ عن العياشي.

(٤) الكهف: ٥٠.

(٥) الحجر: ٢٧.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

عصمة الملائكة وعظم شأنهم.

وروى الصدوق في «العلل» و«المجالس» عن سلمان الفارسي قال: مر ابليس بنفر يتناولون أميرالمؤمنين عليه السلام، فوقف أمامهم، فقال القوم: مَنِ الّذي وقف أمامنا؟ فقال: أنا أبو مرّة؟ فقال: يا ابا مرّة أما تسمع كلامنا؟ فقال سوئةً لكم تسبّون مولاكم عليّ بن ابي طالب؟ قالوا له: من أين علمت أنّه مولانا؟ قال: من قول: نبيّكم صلى الله عليه وآله: من كنت مولاه فعليّ مولاه، اللّهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره واخذل من خذله، فقالوا له: فأنت من مواليه وشيعته؟ فقال: ما أنا من مواليه ولا من شيعته، ولكنّي أُحبّه وما يبغضه احدٌ إلّا شاركته في المال والولد، فقالوا له: يا ابا مرّة فتقول في عليّ شيئاً؟ فقال لهم: إسمعوا منّي معاشر الناكثين والقاسطين والمارقين عبدتُ الله عزّ وجلّ في الجانّ اثنى عشر الف سنة، فلمّا أهلك الله الجان شكوت إلى الله عزّ وجلّ الوحدة فعرج بي إلى السّماء الدنّيا، فعبدت الله تعالى في السّماء الدّنيا اثنى عشر ألف سنة اخرى في جملة الملائكة فبينا نحن كذلك نسبّح الله عزّ وجلّ ونقدّسه اذ مرّ بنا نور شعشعاني، فخرّت الملائكة لذلك النور سجّداً فقالوا: سبّوح قدّوس هذا نور ملك مقرّب او نبيّ مرسل، فاذا بالنّداء من قبل الله عزّ وجلّ ما هذا نور ملك مقرّب ولا نبيّ مرسل، هذا نور طينة عليّ بن ابي طالب[1]. إلى غير ذلك من الاخبار الكثيرة الّتي يظهر منها إستقرار مذهب الأئمّة عليهم السلام على عدم كونه من الملائكة، وان كان قد سرى الوهم إلى الطيّار وغيره من ظاهر الخطاب، ولذا أجاب الإمام عليه السلام بما حاصله أنّ الخطاب يتعلّق بمن أقرّ بـالدّعوة الظـاهرة وإن لم

(١) علل الشرايع: ص١٤٣ـ ١٤٤ ح٩.

يشاركهم في الحقيقة وفي الايمان الحقيقي.

وبالتأمّل في فحاويها يظهر الجواب عن الأدلّة المتقدّمة لضعف الأوّل بأنّه لمّا نشأ معهم وطالت خلطته بهم تناوله الخطاب المتوجه اليهم مضافاً إلى ما مرّت الاشارة إليه من كون التغليب في الحكاية لا الخطاب، وانّما كان الافهام بالالهام او بخصوص خلق الكلام ويؤيّده قوله: ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾ (١).

والثّاني: بكون الاستثناء منقطعاً او مبنيّاً على التغليب في المستثنى منه ولو بمعونة الأخبار المتقدّمة وغيرها ممّا يفيد القطع بالمطلوب فلا يقدح مخالفتهما للظّاهر سيّما مع اقترانه بقوله ﴿كانَ مِنَ الْجِنِّ﴾ الّذي هو كالقرنية المتّصلة على ما ستسمع.

الثالث: بانّ اطلاق الملك عليه في الخطبة مبنيّ على كونه معهم في العبادة ومنهم بحسب الولاء وفي زعمهم على ما أشير اليه في الاخبار المتقدّمة. وأمّا ما أرسله في «التبيان» فلم نجد منه اثراً في الأخبار، وعلى فرضه يجب تأويله كما يؤوّل الضعيف العامي المرويّ في البحار عن كتاب «غور الامور» للترمذي عن النّبي ﷺ في خبر ظهور ابليس ليحيى النبي على نبيّنا وآله وعليه السلام وفيه انّه قال له يحيى عليه السلام ما بال خلقك وصورتك على ما ارى من القبح والتقليب والانكار؟ قال: يا نبيّ الله هذا بسبب أبيك آدم إنّي كنت من الملائكة المكرمين وأنّي لم ارفع رأسي من سجدة واحدة اربعمائة الف سنة وعصيت ربّي في امر سجودي لآدم ابيك فغضب الله عليّ ولعنني، فحوّلت من صورة الملائكة إلى صورة الشياطين ولم يكن في

(١) الاعراف: ١٢.

الملائكة أحسن صورة منّي فصرت ممسوخاً منكوساً مقبوحاً هائلاً كريهاً كما ترى[١]. الخبر

بكونه في جملتهم بحسب الظاهر في اجمل زيّ وأحسن صورة حتّى ظهرت منه المخالفة الكامنة ما تقلبّت صورته إلى ما اقتضته سيرته، مع أنّه لا عبرة بقوله المحكي عنه. وعلى كلّ حال فيتعيّن تأويل أمثال هذه الاخبار أو طرحها بعد إستقرار المذهب على عدم كونه منهم، بل ودلالة قواطع الادلّة عليه حسبما سمعت، بل قد يستدلّ عليه ايضاً بقوله: ﴿كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾[٢]. فانّ المراد به حيث يطلق الجنس المعروف الّذي يقابل بالإنس.

وتوهّم أن «كان» بمعنى صار كما في قوله: ﴿وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ سيّما مع نصّ الأخفش وغيره عليه، مدفوع بانّه خلاف الظّاهر فلا يصار عليه إلّا بدليل فضلاً عن قيامه، على خلافه.

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

وأمّا ما يقال من أنّ الجنّ مشتّق من الإجتنان وهو السّر ومنه الجنين والجنّة والجنون، والملائكة لمّا كانوا مستترين عن العيون صحّ إطلاق الجنّ[٣] سلّمنا لكنّ المراد به طائفة من الملائكة معروفون بهذا الإسم كما روته العامّة عن بعض اصحاب رسول الله ﷺ ورواه بعضهم عن ابن عباس قال: كان ابليس من حيّ من أحياء الملائكة يقال لهم الجنّ خلقوا من نار السموم من بين الملائكة وكان خازناً من خزّان الجنّة. قال: وخلقت الملائكة كلّهم من نور غير هذا الحيّ قال وخلقت

---

(١) بحار الأنوار: ج ٦٣ ص ٢٢٩.

(٢) الكهف: ٥٠.

(٣) مفاتيح الغيب للرازي: ج ٢ ص ٢١٣.

الجنّ الّذي ذكروا في القرآن من مارج من نار. وهو لسان النّار الّذي يكـون فـي طرفها اذا لهبت[١] وخلق الانسان من طين فأوّل من سكن الأرض الجنّ فأفسدوا فيها وسفكوا الدّماء وقتلوا بعضهم بعضاً فبعث الله ابليس في جند من الملائكة وهم هذا الحيّ الّذي يقال لهم الجنّ فقتلهم ابليس ومن معه حتّى الحقوهم بجزائر البحور واطراف الجبال فلمّا فعل ابليس ذلك اغترّ في نفسه وقال قد صنعت شيئاً لم يصنع احد قال فاطلع الله على ذلك من قلبه ولم يطلع عليه الملائكة الّذين كانوا معه.

وفي رواية اخرى عنه: انّ من الملائكة قبيلة يسمّون الجنّ وكان ابليس منها وكان يسوس ما بين السّماء والأرض[٢].

بل قد يؤيّد ايضاً بقوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَباً﴾[٣] حيث أن قريشاً قالت الملائكة بنات الله.

ففيه انّ هذا كلّه مخالف للظّاهر الّذي هو الحجّة بل كانّه ردّ على النصوص المتقدّمة المصرّحة بأنّه كان من الجنّ لا من الملائكة وانّه كان معهم والملائكة كانوا يحسبون انّه منهم ولم يكن منهم إلى أن كان منه الّذي كان وانّه كان من بني الجان، وقد سمعت انّه قد وقع السؤال في كثير منها من اشتمال الخطاب له مع عدم كونه منهم، واحتمال معارضة مثل هذه النصوص المأثورة عن أئمّة المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين بالمرويّ عن ابن عباس وغيره من طرق العامة ممّا لا يـنبغي الاصغاء اليه على أنّ ظاهر الآية تعليل تركه السجود بأنّه كان من الجنّ، ولذا فرع

(١) جامع البيان للطبري ج١ ص١٧٨.
(٢) جامع البيان للطبري؛ ج١ ص١٧٨.
(٣) الصافات: ١٥٨.

عليه بالفاء قوله: ﴿فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾ (١) ومن البيّن انّه لا يصحّ تعليل ترك السجود باختفائه عن العيون ولا بكونه خازناً عن الجنة ولا تفريع التمرّد والعصيان على شيء منهما، ولفظ الجنّ وإن جاز إطلاقه على الملك بحسب اللّغة على ما قيل، إلّا انّه صار بحسب العرف مختصّاً بالجنس المقابل للانس والملك، فلا يحمل على المعنى اللّغوي الّذي هو مجاز عرفي إلّا لدليل، ولذا قوبل به في قوله ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ﴾ (٢).

نعم روي في «تفسير الفرات» عن محمّد بن علي عن آبائه عليهم السلام قال: هبط جبرئيل عليه السلام على النّبي صلى الله عليه وآله وهو في منزل امّ سلمة، فقال يا محمّد انّ ملأً من ملائكة السّماء الرابعة يجادولون في شيء، حتّى كثر بينهم الجدال فيهم، وهم من الجنّ من قوم ابليس الّذين قال الله في كتابه: ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾ (٣) فأوحى الله تعالى إلى الملائكة قد كثر جدالكم فتراضوا بحكم من الآدميّين يحكم بينكم، قالوا: قد تراضينا بحكم من أمّة محمّد صلى الله عليه وآله، فأوحى الله إليهم بمن ترضون من أمّة محمّد صلى الله عليه وآله؟ قالوا: رضينا بعليّ بن أبي طالب عليه السلام فأهبط الله ملكاً من ملائكة السّماء الدنيا ببساط وأريكتين فهبط إلى النّبي صلى الله عليه وآله فاخبره بالّذي جاء فيه، فدعا النّبي صلى الله عليه وآله بعليّ بن أبي طالب عليه السلام وأقعده على البساط ووسّده بالأريكتين، ثمّ تفل في فيه، ثمّ قال يا علي ثبّت الله قلبك ونوّر حجّتك بين عينيك، ثمّ عرج به

---

(١) الكهف: ٥٠.

(٢) سبأ: ٤١.

(٣) الكهف: ٥٠.

إلى السّماء فلمّا نزل قال: يا محمّد إنّ الله يقرؤك السلام ويقول لك: نرفع درجات من نشاء، وفوق كلّ ذي علم عليم[١].

لكنّه قاصر عن معارضة ما سمعتَ بعد ظهور ضعف سنده ودلالته.

وأمّا الاستدلال للمختار بأنّ ابليس له نسل وذريّة لقوله: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاء مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ﴾[٢].

والملائكة لا ذرّيّة لهم، لانّه ليس فيهم أنثى لقوله: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثاً﴾[٣] والذّرية انّما تحصل بالذّكر والانثى، وانّ الملائكة رسل الله لقوله: ﴿جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلاً﴾[٤]، ورسل الله معصومون لقوله: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾[٥]، وأنّ الملائكة روحانيّون مخلوقون من الأنوار، والجانّ مخلوق من مارج من نار، وأنّ الملائكة لا يطعمون ولا يشربون، بل طعامهم التّسبيح وشرابهم التّهليل، وأمّا الجنّ فقد ورد في الأخبار: النّهي عن التمسّح بالعظم والرّوث معللاً بكونهما طعاماً لهم[٦] فلا بأس بها تأييداً لما سمعت، وإن كان بعضها لا يخلو عن قصور، ولعلّ من أمعن النظر في أخبار الباب والأصول المقرّرة بين الأصحاب يقطع بأنّ مذهب اهل البيت عليهم السلام هو ما سمعت من غير ارتياب.

---

(١) تفسير فرات: ص ٧٠ ـ ٧١ وعنه البحار ج ٣٩ ص ١٦١.

(٢) الكهف: ٥٠.

(٣) الزخرف: ١٩.

(٤) فاطر: ١.

(٥) الأنعام: ١٢٤.

(٦) بحار الأنوار: ج ٦٣ ص ٨٢.

ثمّ إنّ من جميع مامرّ يظهر النظر فيما قد يقال دلالة الآية على كون إبليس من الملائكة، وانّ من الملائكة من ليس بمعصوم، كما لا يخفى ضعف دلالتها على حصول الكفر بأفعال الجوارح مجرّدة عن الامور القلبية على ما قيل، لما ستعرف من أنّ سبب كفره هو الإستخفاف بأمر الله والّرد عليه.

ما يستفاد من الآية الكريمة

نعم تدلّ على تفضيل آدم على كلّ الملائكة، لتعلّق الخطاب عليهم جميعاً على مامرّ، وعلى حرمة الإستكبار، وأنّه قد يفضي بصاحبه إلى أن يُعدَّ من الكفّار ويستحقّ النّار، وعلى الحثّ على الإيتمار لأمر الله تعالى وترك الخوض في سرّه، وعلى بطلان القول بالجبر لنسبة السجود إلى الملائكة، والإباء والإستكبار والكفر إلى ابليس، ولولم يكن لهم قدرة واختيار لما صحّ شيء من ذلك وعلى كون صفة إفعل للوجوب، وإن كان ذلك لايخلو عن خفاء، لا لإحتمال القرينة في الخطابات الشفاهيّة، والاصل وإن كان دافعاً للمقالية إلّا أنّه لا يدفع الحاليّة إذ الشك في الحادث لا الحدوث، ولا لوروده عقيب الحظر أو توهمّه لحرمة السجود لغيره سبحانه فأفاد الإباحة وفهم الوجوب لقرينة فلا دلالة، ولا لإحتمال الاختلاف بين عرفنا وعرف الملائكة والتزام اتّحاد الوضع واللغة منظور فيه وظهور الحكاية في الموافقة ممنوع بعد إفهام المرام، وذلك لأنّه يمكن دفع ذلك كلّه بالأصل، والظهور الّذي هو الحجّة مضافاً إلى تطرّق وجوه المناقشة إليها كما يمكن دفع كثير من الإعتراضات الّتي ربما يورد عليها، بل لأنّ الذّم والتكفير على الإستكبار الّذي

لا ريب في حرمته سواء كان إستكباره على آدم أو على الله سبحانه في إمتثال أوامره الواجبة أو المندوبة، فإنّ ترك المندوب عتوّاً وعلوّاً واستكباراً عليه سبحانه حرام قطعاً، بل هو من أسباب الإرتداد والكفر، والاّ فالذّم والانكار في هذه الآية وغيرها من الآيات المشتملة على هذه القصّة غير مترتّب على مجرّد ترك الامتثال الّذي لم يعلم كونه سبباً للكفر، ولو في حقّ ابليس أو جنود الملائكة المقرّبين.

ومن هنا يتّجه أن يقال إنّ هيهنا اموراً ثلاثة: إباء للسجود، واستكبار على آدم، وإنكار لرجحان السجود المأمور به من الله تعالى، بل دعوى قبحه لإشتماله على تفضيل المفضول، ولا ريب في سببيّته للكفر لكونه تسفيهاً للحكيم وتجهيلاً للخالق العليم، وإلى هذه الأمور الثلاثة المترتّبة أشير بقوله ﴿أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ يعني باعتراضه عليه سبحانه بقوله: ﴿أَرَأَيْتَكَ هَـٰذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ﴾ [١] وقوله: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾ [٢].

ثمّ انّه ربّما يستدلّ بالآية ايضاً على صحّة القول بالموافاة، والمراد به أنّ الّذي علم الله من حاله انّه يتوفّى على الكفر هو الكافر على الحقيقة إذ العبرة بالخواتيم، وان كان بحكم الحال مؤمناً كما يحكى عن أبي الأشعري، وبناه في «المجمع» على أحد الوجوه «لِكان» قال: وامّا قوله: ﴿كَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ قيل: معناه كان كافراً في الاصل، وهذا القول يوافق مذهبنا في الموافاة، وقيل: أراد كان في علم الله من الكافرين [٣] إلى آخر ما ذكره.

---

(١) الاسراء: ٦٢.

(٢) ص: ٧٦.

(٣) مجمع البيان: ج ١ ص٨٣.

والمحكيّ عن «الملل والنحل» تفسير الموافاة بانّ الايمان هو الّذي يوافي الموت فمن أطاع الله جميع عمره، وقد علم الله انّه يأتي بما يحبط عملَه، ولو بكبيرة لم يكن مستحقّاً للوعد، ولا مؤمناً وكذلك على العكس، وقد يقرّر بأنّ الإيمان يوجب استحقاق الثواب الدائم، والكفر يوجب إستحقاق العقاب الدائم، والجمع بين الاستحقاقين محال، فاذا صدر الايمان من المكلّف ثمّ صدر عنه والعياذ بالله بعد ذلك كفر، فإمّا أن يبقى له الإستحقاقان معاً وهو محال، او يكون الطّاري مزيلاً للسابق وهو ايضاً محال، لأنّ القول بالإحباط باطل فلم يبق إلّا أن يقال إنّ هذا الفرض محال، وشرط حصول الايمان في وقت أن لا يصدر الكفر عنه قطّ، فاذا كان الخاتمة على الكفر علمنا أنّ الّذي صدر عنه اوّلاً ما كان ايماناً، وحيث انّه كان ختم ابليس على الكفر علمنا أنّه ما كان مؤمناً قطّ.

أقول: امّا ابليس فالظّاهر من كثير من الأخبار انّه لم يُرِدِ بعبادته التقربَ إلى الله سبحانه ونيل مالديه من المثوبة الاخرويّة والزلفى والكرامة وإنّما كان مقصوده نيل الحظوظ العاجلة والرّياسة الباطلة، وامّا الآية فقد سمعتَ أنّ فيها وجوهاً كثيرة، ومن البيّن انّه يضعف دلالتها على المذهب المتقدّم، بناءً على اكثر الوجوه فيها بل جميعها بعد ملاحظة أنّ ايمان إبليس كان من اوّل الامر كلا إيمان، حسبما سمعتَ على أنّ القول بالموافاة بمعنى المتقدّم مخالف لما دلّت عليه ظواهر الادلّة من الكتاب والسنّة، فان صحّة الإيمان في زمان غير مشروطة بعدم طروّ الكفر عليه، ولو بعد سنين من الأزمنة بعد كونه عند تحقّقه مستجمعاً للتّصديق بالجنان والعمل بالأركان والاقرار باللّسان، فانّ هذه الثلاثة وهي أركان الايمان بحيث إذا تحققّت

تحقّق قطعاً، وان كان ربما يصدق بتحقّق البعض ايضاً. نعم لو كان التّصديق اللّساني مقترناً بالعزم القلبي على انشاء الكفر واظهاره فيما بعد لم يبعد القول بعدم تحقّق الإيمان رأساً، ولعلّ الأولى تنزيل القول بالموافاة على ذلك، سيّما ما نسبه في «المجمع» إلى مذهبنا الظّاهر في نسبته إلى الاماميّة المشعرة بدعوى الاجماع عليه، إلا أنّ مساق كلماتهم يأبى عن ذلك، بل الظاهر منها أنّه مع خلوص ايمانه واقترانه بكلّ ما يعتبر اقترانه به لو اتّفق منه الكفر في آخر عمره بحيث قد مات عليه فلا يعد ايمانه ايماناً اصلاً، لظهور الكاشف عن عدم كونه إيماناً في الحقيقة، وهو كما ترى مخالف لظواهر الأدلّة، بل ربما يمكن تحصيل القطع على خلافه وأين هذا مما أدعى الاجماع على صحته ويمكن أن يكون المراد أنّ من ختم له بالكفر فحكمه في الخلود وسائر الأحكام حكم الكفّار، وإن كان في اكثر عمره مقيماً على وظائف الايمان، كما أنّ من ختم له بالايمان فهو محشور في زمرة المؤمنين مبشّر بخلود الجنان، وان انقضى عمره في الكفر والطّغيان، وهذا ايضاً لا بأس به، بل هو المستفاد من ظاهر الآيات والاخبار، كما أنّ المستفاد منها كونه في حال الايمان مؤمناً على الحقيقة، وفي حال الكفر كافراً على الحقيقة، نعم الختم بالكفر يوجب حبط الأعمال الصالحة وبطلانها، أو كون المجازات بها في هذه الدّار الفانية، ولذا يخاطبون في الآخرة بقوله: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ﴾ [1]، كما أنّ الختم بالايمان يوجب تكفير السّيئات، فإنّ الاسلام يجبّ ما

---

(١) الاحقاف: ٢٠.

قبله، والتّائب من الذّنب كمن لا ذنب له، والحبط والتكفير بهذا المعنى ممّا يدلّ عليه المنقول، ولم يقم على فساده شيء من أدلّة العقول، بل هو المختار عند الإماميّة على ما صرّح به بعضُ الفحول، وأمّا الحبط والتكفير بالمعنى الّذي قال به بعض المعتزلة، وقام النّص والاجماع على بطلانه عند الاماميّة فهو إذهاب كلّ من الحسنة والسيّئة على قدر ما لها من المرتبة ضعفاً وقوّة للاخرى مع ذهابها على قدر إذهابها، واين هذا ممّا اشرنا اليه من المعنى المتقدّم، ومن هنا يظهر ضعف ما ربما يستدلّ به للقول بالموافاة بالمعنى المتقدّم من انّ الايمان يوجب استحقاق الثواب الدّائم إلى آخر ما مرّ تقريره.

تفسير الآية (٣٥)

﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾

لما أنعم الله تعالى على أدم على نبيّنا وآله وعليه السلام بصنوف الأنعام واختصّه من العلوم والمعارف وتعليم الملائكة بما أوجب له به مزيدَ الإعظام، وأسْجَدَ له الملائكة الكرام خاطبه خاطباً فهوانيّاً بلاوسط على وجه الالهام، او خلق الكلام، أو معه على وجه الايصال والإعلام بألسِنَةِ تراجمةِ الوحي عليهم الصلاة والسلام، كما يؤمي إليه بعض الأخبار.

فالنون في قوله: «وقلنا» نون الكبرياء والعظمة، او نون الوساطة والكرامة، وناداه باسمه تكريماً وتقريباً وإن آثر كلمة «يا» من بين حروف النّداء تنبيهاً على صدور الخطاب عن سرادق العظمة والجلال.

وقوله: «اسكن» أمر من السكنى بمعنى إتّخاذ المسكن، لا من السكون بمعنى ترك الحركة، ومنه السكن بالفتح للمنزل، وبالسكون لأهله، وأصل السكنى أن يعدّى بفي كما يقال: قرّ فيه، ولبث فيه، إلّا أنّهم لمّا نقلوه إلى سكون خاصٍ تصرّفوا فيه، فقالوا: سكن الدار.

و«انت» تأكيد للمُستكِن في أُسكن ليصحّ العطف عليه، ولم يقدروا ولتسكن زوجك للتنبيه على أنّه هو المقصود بالحكم، والمعطوف عليه تبع له، ولولاه لم تكن مأمورة به، بل لم تكن اصلاً بخلاف ما لو قيل: اسكنا، والرجل زوج المرأة، وهي زوجه، وزوجته، والجمع فيهما أزواج، وحكى في «المصباح المنير» أنّ أهل نجد يقولون في المرأة زوجة بالهاء، وأهل الحرم يتكلّمون بها مجازاً، وعكّس ابن السكّيت فقال: واهل الحجاز يقولون للمرأة زوج بغير هاء وسائر العرب زوجة بالهاء وجمعها زوجات، قال: والفقهاء يقتصرون في الاستعمال عليها للايضاح وخوف لبس الذكر بالانثى، إذ لو قيل: تركة فيها زوج وابن لم يعلم ذكر او انثى.

اقول والاشهر الأوفق للعُرف واللّغة ما ذكرناه أوّلاً، والمراد بها حواء خلقها الله تعالى من فاضل طينة آدم ليسكن اليها حين إستوحش من الانفراد كما قال: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ (١).

قيل إنّه لما أخرج ابليس من الجنّة ولعن، وبقي آدم وحده إستوحش إذ ليس معه من يسكن إليه، فخلقت حوّا ليسكن اليها.

(١) الروم: ٢١.

وفي المجمع مرسلاً أنّ الله تعالى ألقى على آدم النوم، وأخذ منه ضلعا فخلق منه حوأء فاستيقظ آدم فاذا عند رأسه إمرأة فسألها مَن أنتِ؟ قالت إمرأة، قال لم خلقت؟ قالت لتسكن إليَّ. فقالت الملائكة: ما اسمها يا آدم؟ قال: حوّاء، قالت ولم سمّيت حوّاء؟ قال: لأنّها خلقت من حيّ، فعندها قال الله تعالى: ﴿اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ [1].

وستسمع انشاء الله تعالى الكلام في وجه تسميتها ومعنى كونها مخلوقة من ضلع آدم الأيسر في أوّل سورة النّساء.

وحيث إنّ نعمة السكنى لا تتمّ بدون التسكّن لأنّه مسكنّ القلب، وهي مسكن البدن قدّمه عليها في هذه الآية تقديم الرفيق على الطريق والجار على الدّار.

والأقوال كظواهر الأخبار مختلفة في كون حوّاء مخلوقة في الجنّة أو قبل دخولها، فربّما يستفاد منها الأوّل وقيل: إنّها خلقت قبل أن يسكن آدم الجنّة، ثمّ ادخلا معاً الجنّة، وهو الظّاهر من تفسير الامامعليه السلام على ما يأتي [2].

والأمر بسكنى الجنّة للإباحة لا التّعبد، إذ لا تكليف في السكنى في المواضع النزهة الطّيبة، كما أنّ الأمر في «كُلا» للإباحة، وإحتمال أن يكون مأموراً بالكون فيها باعتبار ترك اكل الشجرة مبنيٌّ على كون النّهي للتّحريم، وضرورةُ المذهب تنفيه، على ما تسمع، وقد مرّ الكلام في اشتقاق الجنّة.

نعم قد اختلفوا في أنّ الجنّة الّتي اسكنها الله تعالى آدم هل هي من جنان

---

(١) مجمع البيان: ج ١ ص ٨٥ رواها مرسلاً عن ابن عبّاس وابن مسعود.

(٢) تفسير الامام العسكري (ع): ص ٢٢١.

الآخرة أو من جنان الدنيا؟

وعلى الأوّل هل هي جنّة الخلد او جنّة المأوى أو شيء من الجنان الثمانية المعدّة لثواب الاخرة؟

وعلى الثاني هل هي في السماء أو في الارض عند صخرة بيت المقدس، او بارض فلسطين، او على ظهر الكوفة او بين فارس وكرمان؟ على اقوال.

واحتجّ الأوّلون بأنّ ظاهر الالف واللام للعهد والمعهود المعلوم بين المسلمين هي جنّات الآخرة المعدّة للثواب وبأنّها هي المتبادر منها حتّى صار الإسم كالعلم لها فوجب الحمل عليها.

والآخرون بأنّ دار الخلد لا يفني نعيمها ولا يدخلها الشيطان بعد طرده ولعنه، وبأنّها لو كانت دار الخلد لما خرج آدم منها كما يقتضيه التّسمية ولقوله: ﴿وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ [1]، وبانّ الشيطان وسوس لآدمؑ بقوله: ﴿هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لا يَبْلَى﴾ [2]، ومعلوم انّها لو كانت جنّة الخلد لما تمكّن من وسوسة بذلك.

ثمّ منهم من حمل الإهباط على كونه من السماء إلى الأرض كانّه الظاهر، ولقوله: ﴿وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ﴾ [3]، الظّاهر في كون الهبوط من غيرها، ولما روي عن أميرالمؤمنين حيث سئل عن أكرم واد على وجه الأرض؟ فقالؑ: واد

(١) الحجر: ٤٨.

(٢) طه: ١٢٠.

(٣) البقرة: ٣٦.

يقال له سرانديب سقط فيه آدم من السماء(١).

ومنهم من حمله على مجرّد الإنتقال من أرض إلى أرض سيّما مع انحطاط الرتبة كما في قوله: ﴿اهْبِطُواْ مِصْراً﴾(٢).

على أنّ ذكر الهبوط لا يدلّ على كون النّزول من السماء قال الله تعالى: ﴿قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلاَمٍ مِّنَّا وَبَرَكَاتٍ﴾(٣) وانّما كان في السفينة حين إستقرّت على الجودي وقال: ﴿إِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللّهِ﴾(٤). قالوا ولا مانع بل هو الواقع انّ الجنّة الّتي اسكنها آدم كانت مرتفعة على سائر بقاع الأرض ذات أشجار وثمار وظلال ونعيم ونضرة وسرور كما قال الله سبحانه: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى﴾(٥) اي لا يذل باطنك بالجوع ولا ظاهرك بالعرى ﴿وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى﴾(٦) اي لا يمّس باطنك حرّ الظمأ ولا ظاهرك حرّ الشمس، هذا مع أنّ آدم خلق من الأرض، ولم ينقل انّه رفع إلى السّماء، بل خلق ليكون في الارض، وبهذا أعلم الله سبحانه الملائكة حيث قال: ﴿إِنّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾(٧).

والّذي يستفاد من اخبار أهل البيت عليهم السلام انّها لم تكن جنّة الخلد ولا من جنان الاخرة ولا كانت في السّماء بل كانت من جنان الدّنيا.

---

(١) عيون الاخبار: ج ١ ص ٢٤٤.

(٢) البقرة: ٦١.

(٣) هود: ٤٨.

(٤) البقرة: ٧٤.

(٥) طه: ١١٨.

(٦) طه: ١١٩.

(٧) البقرة: ٣٠.

ففي العلل في الموثّق عن الحسن بن بشار عن ابي عبدالله عليه السلام قال: سألتـه عن جنّة آدم؟ فقال: جنّة من جنان الدّنيا يطلع عليها الشمس والقمر ولو كانت من جنان الخلد ما خرج منها ابداً[١]. وفي بعض النسخ: يطلع فيها الشـمس والقـمر ورواه في «الكافي» بالاسناد عنه عليه السلام.

وفي «تفسير القمي» مرفوعاً قال سئل الصّادق عليه السلام عن جنّة آدم أمن جنان الدّنيا كانت أم من جنان الاخرة؟ فقال: كانت من جنان الدنيا تطلع فيها الشـمس والقمر ولو كانت من جنان الاخرة ما خرج منها ابداً[٢]. الخبر.

نعم ربما يستظهر من بعض الأخبار ما يخالف ذلك كما رواه العياشي عـن عبدالله بن سنان قال: سئل ابو عبدالله عليه السلام وانا حاضركم لبث آدم وزوجه في الجنّة حتّى اخرجهما منها خطيئتهما؟ فقال: إنّ الله تبارك وتعالى نفخ في آدم روحه بعد زوال الشمس من يوم الجمعة ثمّ برأ زوجته من أسفل اضلاعه، ثمّ أسجد له ملائكة واسكنه جنّته من يومه ذلك فوالله ما استقرّ فيها إلّا ستّ ساعات في يومه ذلك حتّى عصى الله فاخرجهما الله منها بعد غروب الشمس، وما باتا فيها وصيّرا بفناء الجنّة حتّى أصبحا فبدت لهما سوءاتهما وناداهما ربّهما الم انهكما عـن تـلكما الشـجرة فاستحيا آدم من ربّه وخضع وقال ربّنا ظلمنا أنفسنا واعترفنا بذنوبنا فاغفر لنا قال الله لهما: اهبطا من سماواتي إلى الأرض فانّه لا يجاورني في جنتي عاصٍ ولا في سماواتي[٣].

---

(١) علل الشرايع: ص ٦٠٠ ح ٥٥.

(٢) تفسير القمي: ص ٣٥ وعنه البحار ج ١١ ص ١٦١ ح ٥.

(٣) بحار الأنوار: ج ١١ ص ١٨٨ ـ ١٨٩ عن تفسير العياشي.

وفي «العلل» عن النبيّ ﷺ انّ آدم لمّا عصى ربّه ﷻ ناداه مناد من لدن العرش يا آدم اخرج من جواري فانّه لا يجاورني احد عصاني فبكى وبكت الملائكة فبعث الله ﷻ اليه جبرئيل فاهبطه إلى الأرض مسودّاً[1] آه.

وفي «المعاني» و«العيون» و«القصص» عن الرّضا ؑ في الخبر الآتي في شجر الجنّة انّها تحمل انواعاً فكانت شجرة الحنطة وفيها عنب، وليست كشجر الدنيا، وانّ آدم لمّا اكرمه الله تعالى باسجاد ملائكة له وبادخاله الجنة... إلى أن قال: فأخرجهما الله تعالى عن جنّته واهبطهما عن جواره إلى الأرض[2].

وفي النّهج عن بعض خطب اميرالمؤمنين ؑ ثمّ اسكن سبحانه آدم داراً ارغد فيها عيشته، وآمَنَ فيها محلّته، وحذّره ابليس وعداوته، فاغترّه عدوّه نفاسة عليه بدار المقام ومرافقة الابرار، فباع اليقين بشكّه والعزيمة بوهنه واستبدل بالجذل، وجلا، وبالاغترار ندما، ثمّ بسط الله سبحانه له في توبته، ولقّاه كلمة رحمته، ووعده المردّ إلى جنّته، فأهبطه إلى دار البليّة وتناسل الذّرية، الخطبة[3].

فانّ الظاهر من دار المقام انّها دار الخلد، سيّما مع ما سبقه من الأوصاف وما لحقه من قوله: ووعده المردّ إلى جنّته.

ومثله ما في «المعاني» عن الصادق ؑ في خبر قال: ولقد قام آدم على باب الكعبة ثيابه جلود الابل والبقر فقال: أللّهم أقلني عثرتي واغفر لي ذنبي وأُعدني إلى الّدار الّتي اخرجتني منها فقال الله ﷻ: قد أقلتك عثرتك، وغفرت لك ذنبك،

(١) علل الشرايع: ص١٣٣ وعنه البحار ج ١١ ص ١٧١.

(٢) معاني الأخبار: ص ٤٢ والعيون ص ١٧٠ وعنهما البحار ج ١١ ص ١٦٥.

(٣) نهج البلاغة الخطبة الأولى.

وساعيدك إلى الدّار الّتي اخرجتك منها[1].

وما في القصص من انّ آدم لما كثر ولده وولد ولده كانوا يتحدّثون عنده وهو ساكت فقالوا يا ابه مالك لا تتكلّم فقال يا بنيّ إنّ الله جلّ جلاله لما أخرجني من جواره عهد إليّ وقال اقلّ كلامك ترجع إلى جواري[2].

بل وهو الظّاهر ايضاً ممّا رواه العياشي عن الصادقعليه السلام عن النّبيصلى الله عليه وآله: إنّ موسى سأل ربّه أن يجمع بينه وبين أبيه آدم حيث عرج إلى السّماء في امر الصّلاة، ففعل فقال له موسى: يا آدم انت الّذي خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، واسجد لك ملائكته، وأباح لك جنّته، واسكنك جواره، وكلّمك قبلا، ثم نهاك عن شجرة واحدة فلم تصبر عنها، حتّى أهبطت إلى الارض بِسَبَبِها، فلم تستطع أن تضبط نفسك عنها حتّى أغراك ابليس فأطعته، فانت الّذي أخرجتنا من الجنّة بمعصيّتك.

فقال له آدم: ارفق بابيك أي بُنّي فيما لقي من امر هذه الشّجرة. يا بنيّ انّ عدّوي أتاني من وجه المكر والخديعة فحلف بالله أنّه في مشورته عليّ لمن النّاصحين، وذلك انّه قال لي منتصحاً: إنّي لشأنك يا آدم لمغموم، قلت: وكيف؟ قال: قد كنت انستُ بك وبقربك منّي وانت تخرج ممّا أنت فيه إلى ما ستكرهه، فقلت له: وما الحيلة؟ فقال: إنّ الحيلة هو ذا هو معك، أفلا أدلّك على شجرة الخلد وملك لا يبلى؟ فكلا منها أنت وزوجك فتصيرا معي في الجنّة ابداً من الخالدين،

---

(١) بحار الأنوار ج ١١ ص١٧٦ عن معاني الأخبار.

(٢) البحار: ج ١١ ص٦٨٠ عن القصص.

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

وحلف لي بالله كاذباً إنّه لمن النّاصحين[١] الخبر.

وممّا رواه في «المعاني» في خبر المفضّل عن الصادق عليه السلام: انّه لمّا أسكن الله آدم وزوجته الجنّة، نظرا إلى منزلة محمّد وعليّ وفاطمة والحسن والحسين والأئمّة بعدهم، فوجداها أشرف منازل أهل الجنّة، فقالا: يا ربّنا لمن هذه المنزلة؟ قال الله جلّ جلاله: إرفعا رؤسكما إلى ساق عرشي، فرفعا رؤسهما فوجدا أسماء محمّد وعليّ وفاطمة والحسن والحسين والأئمّة صلوات الله عليهم مكتوبة على ساق العرش بنور من نور الجبّار جلّ جلاله، فقالا: يا ربّنا ما اكرم أهل هذه المنزلة عليك! وما أحبّهم اليك! وما أشرفهم لديك؟! فقال الله جلّ جلاله: لولاهم ما خلقتكما[٢]. الخبر بطوله على ما يأتي في سورة الاعراف انشاء الله.

وهو الظاهر ايضاً ممّا ذكره الامام عليه السلام في تفسيره[٣]، وبالجملة فالأخبار لا تخلو عن إختلاف ما في بادىء الأمر ولعلّه لذا قال المجلسي رحمه الله في البحار: انّ الجزم بأحد المذاهب لا يخلو من اشكال كما انّ شيخنا الطبرسي وغيره لم يرجّحوا شيئاً من الأقوال والذي يخطر بالبال وفاقاً لبعض المحقّقين ونبّه عليه المجلسي ايضاً في موضعين من البحار وبه يجمع بين ما سمعت من الأخبار أنّ الجنّة كانت من جنان الدنيا الّتي تاوي إليها أرواح المؤمنين في عالم البرزخ بعد خروجها عن أبدانهم كما ورد في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً

(١) بحار الأنوار: ج ١١ ص ١٨٨ عن تفسير العياشي.

(٢) معاني الاخبار: ص ١٠٨ وعنه البحار ج ١١ ص ١٨٣.

(٣) تفسير المنسوب الى الامام العسكري عليه السلام ص ٩٠ ـ ٩١.

وَعَشِيّاً﴾[1]، انّ البكرة والعشيّ لا تكونان في الآخرة في جنان الخلد، وإنّما يكون الغدوّ والعشيّ في جنان الدّنيا الّتي تنقل إليها أرواح المؤمنين وتطلع فيها الشمس والقمر.

وفي «الكافي» في الصحيح عن ضريس الكناسي قال سألت أبا جعفر عليه السلام: انّ النّاس يذكرون انّ فراتنا يخرج من الجنّة، فكيف هو وهو يُقبل من المغرب، وتصبّ فيه العيون والأودية؟ قال: فقال أبو جعفر عليه السلام: إنّ لله جنّة خلقها في المغرب، وماء فراتكم هذه يخرج منها، واليها تخرج أرواح المؤمنين من حُفَرهم عند كلّ مساءٍ، فتسقط على ثمارها وتاكل منها، وتَتَنَعَّمُ فيها وتتلاقى وتتعارف، فإذا طلع الفجر هاجت من الجنّة، فكانت في الهواء فيما بين السماء والأرض... ثمّ ذكر انّ لله تعالى ناراً في المشرق خلقها ليسكنها أرواح الكفّار، إلى أن قال في المسلمين الّذين ليسوا من أهل المعرفة ولا من أهل العناد: إنّه من كان منهم له عمل صالح ولم تظهر منه عداوة فانّه يُخدّ له خدّاً إلى الجنّة الّتي خلقها الله في المغرب، فيدخل عليه منها الروح في حفرته إلى يوم القيمة.[2] الخبر.

والاخبار في هذا المعنى كثيرة جدّاً وبالتأمّل فيها يمكن التوفيق بين الأخبار المتقدّمة لكونها حينئذٍ من جنان الدنيا تطلع فيها الشّمس والقمر، وامّا اطلاق الهبوط او الهبوط من السموات أو عن جواره سبحانه او غير ذلك مما ذكر في الأخبار المتقدّمة وغيرها، فلانّ هذه الجنان وإن كانت في المغرب إلّا أنّ أسفلها

---

(١) مريم: ٦٢.

(٢) الكافي: ج ١ ص ٦٨ وعنه البحار ج ٦ ص ٢٩٠.

بحسب المرتبة فوق محدّب محدد الجهات، وقد يعبّر عنها بعالم المثال والخيال المنفصل، والهورقليا والإقليم الثامن، وقد قيل: إنّ الانهار الأربعة وهي الفرات والنيل وسيحان وجيحان تنزل من ذلك العالم إلى فلك المحدّد الجهات، ثمّ إلى الملائكة، ثمّ إلى السحاب، ثمّ إلى الأنهار الأربعة ماء كلّ نهر من نظيرة هناك، وفي بعض الأخبار تلويح إليه.

وامّا اشتمالها على وعد عوده إليها مطلقاً أو بالشرط ممّا يؤكّد ما سمعت لتحقّق ذلك في عالم البرزخ قبل يوم القيمة وكان ما ذكرناه هو الّذي اشار إليه الملّا صدرا في رسالته «العرشيّة» بقوله: يجب أن نعلم أنّ الجنّة الّتي خرج عنها أبونا آدم وزوجته عليهما السلام لأجل خطيئتهما غير الجنّة الّتي وعُد المتّقون لأنّ هذه لا تكون الّا بعد خراب الدّنيا وبوار السموات والأرض وانتهاء مدّة عالم الحركات وان كانتا متّفقتين في الحقيقة والرتبة والشرف لكونهما جميعاً دار الحياة الذّاتية، ودار البقاء غير متجدّدة ولا متبدّلة، ولا داثرة ولا فانية ولا زائلة، وبيان ذلك أنّ الغايات كالمبادىء متحاذية متقابلة، وانّ الموت الطبيعي إبتداء حركة الرجوع إلى الله كما أنّ الحياة الطبيعيّة ابتداء حركة النزول من عنده فكلّ درجة من درجات القوس الصعوديّة بازاء مقابلتها من درجات القوس النزوليّة، وقد شبّهت الحكماء والعرفاء هاتين السّلسلتين بالقوسين من الدّائرتين إشعاراً بانّ الحركة الثانية الرجوعيّة إنعطافيّة لا إستقامية.

اقول: ولعلّ قوله: لانّ هذه لا تكون، معناه لا يكون ظهورها ودخول المؤمنين فيها، وإلّا فقد سمعت انّ ضرورة المذهب قاضية بوجودها الآن وهو قد

صرّح بذلك في مواضع من كتبه، ومن هنا يسقط ما اعترضه به الشّيخ الاجل الامجد في شرحه، نعم ذكر بعد ذلك أنّ الّذي ثبت عندي ما فهمته من الكتاب والسنّة على سبيل القطع بحيث لا أرتاب فيه ولا مرية عندي تعتريه انّ الجنّة الاخرة خلقت قبل سائر الخلق وأنّ المؤمنين خلقوا منها وإليها يعودون وانّ جنّة الدنيا خلقت بعد خلق الاجسام خلقت من تنزل جنّة الاخرة كما خلقت الاجسام من تنزل النفوس والارواح والعقول، وانّ الجنّة الدّنيا هي بعينها بعد التصفية جنّة الآخرة كما أنّ اجسام النّاس الان هي بعينها أجسام الدنيا وهي بعينها بعد تصفيتها أجسام الاخرة، والقرآن ناطق بذلك لمن كان له قلب قال سبحانه في حقّ الجنّة: ﴿فَأُوْلئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئاً ❀ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كانَ وَعْدُهُ مَأْتِيّاً ❀ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْواً إِلَّا سَلاماً وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيّاً ❀ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيّاً﴾ فقوله: ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيّاً يعني جنّة الدّنيا لأنّ الاخرة ليس فيها بكرة وعشيّ وقوله: ﴿تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبادِنا مَن كانَ تَقِيّاً﴾ [1] يعني جنّة الاخرة، وهذا صريح في أنّ جنّة الدنيا هي بعينها جنّة الاخرة وقال سبحانه، في شأن النّار: ﴿وَحاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذابِ ❀ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوّاً وَعَشِيّاً وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ﴾ [2] فقوله: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوّاً وَعَشِيّاً﴾ يعني نار الدّنيا لأنّ الآخرة ليس فيها غدوّ وعشيّ، وقوله: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ﴾ يعني بالنّار

---

(١) مريم: ٦٠ – ٦٣.

(٢) غافر: ٤٥ ـ ٤٦.

المعروض عليها يوم تقوم الساعة نار الآخرة، وقد اتّفق القرّاء على الوقف على تقوم الساعة، ويلزم منه اتّحاد النّار المعروض عليها، وهذا ظاهر فانّ جنّة الدنيا تنزّل جنّة الآخرة، ونار الدّنيا تنزل نار الاخرة كما أنّ أجسام الدّنيا تنزّل اجسام الآخرة فتصفى أجسام الدّنيا وتكون بعينها اجسام الآخرة كذلك تصفى جنة الدنيا وتكون بعينها جنّة الآخرة وتصفى نار الدنيا الّتي عند مطلع الشّمس وتكون بعينها نار الآخرة لانّ الله سبحانه قد تبيّن لنا آية ذلك، بل آية كلّ شيء في انفسنا فقال: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ [(١)] وايضاً قال الله تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾ [(٢)]، إلى قوله: ﴿وَمِن دُونِهِما جَنَّتَانِ﴾ [(٣)]. والمعنى ومن دون جنّتي الآخرة أي من قبلهما ومن دونهما اي من أنزل منهما جنّتان في الدنيا إذا ماتوا تأوي إليهما أرواحهم وهما الآن في المغرب في الاقليم الثّامن، والفرات والنيل وسيحان وجيحان تجرى من الجنتين اللّتين في المغرب وهما المدهامّتان.

وفي حديث أميرالمؤمنين عليه السلام ما يدلّ على أنّهما في الدّنيا وهو قوله عليه السلام في الرجعة: وعند ذلك تظهر الجنّتان المدهامّتان عند مسجد الكوفة وما وراء ذلك بما شاء الله تعالى [(٤)].

والرجعة من الدّنيا وظهورهما في الدنيا دليل على انّهما اي المدهامّتان من

---

(١) فصّلت: ٥٣.

(٢) الرحمن: ٤٦.

(٣) الرحمن: ٦٢ ـ ٦٣.

(٤) بحار الأنوار: ج ٥٣ ص ٤٣ ح ١٢ عن الاختصاص.

جنان الدنيا وجنّة آدم‌عليه‌السلام هي من جنان الدنيا فيها البكرة والعشيّ، وهي المدهامّتان، فقد ظهر لمن نظرَ أنّ جنّة آدم الّتي أخرج منها هو وزوجته حواء هي من جنان الدنّيا وهي الجنتان المدهامّتان، وانّها موجودة الآن، وانّها هي بعينها جنّة الآخرة إلّا أنّها تصفّى بمعنى انّها تطهر من أعراض البرزخيّة سبعين مرّة فتكون هي بعد التّطهير جنّة الخلد، كما أنّ اجساد المؤمنين تطهر في الدّنيا للبرزخ، وفي البرزخ للاخرة، لأنّها تطهر من أعراض الدّنيا سبعين مرّة فتكون أُخرويّة، فما بين الدنيا والآخرة في كلّ ما في الدنيا من الأحوال والنعيم والعذاب أربعة آلاف رتبة وتسعمائة رتبة إلى آخر ما ذكره رحمه الله.

وهو وإن اجاد فيما أفاد إلّا انّه يتوجّه على كلامه وجوه من الايراد: مثل ما ذكره من أنّ جنّة الدّنيا خلقت بعد خلق الأجسام فإنّ مقتضى قواعدهم بل فحاوي بعض الأخبار ايضاً كونها مخلوقة قبل خلق الاجسام، وأنّ جنّة الدنيا هي بعينها جنّة الآخرة بل صرّح فيما بعد بانّ جنّة الدّنيا أعني جنّة آدم‌عليه‌السلام لا يبقى إلى يوم القيمة بل تفنى عند نفخة الصور، وفيه أنّ الدليل عليه غير واضح، بل قضيّة ترتّب العوالم وكون النقلة منها وإليها بقاؤها على ما عليها سيّما بعد ملاحظة ما ورد من أنّه تعالى ينشيء خلقاً آخر بعد فناء هذا الخلق، وانّه تعالى قد خلق ألف ألف آدم ونحن في أواخرهم، والاستدلال بالآية الأولى لا بأس به على بعض الوجوه، وامّا الإستدلال بالثانية فغريب جدّاً، وأغرب منه دعوى الإتفاق على الوقف على «تقوم الساعة»، فانّ ظاهر المفسّرين بل صريح بعضهم أنّ قوله: «يوم تقوم» ظرف للفعل المتأخر، وهو «ادخلوا» ولذا فسّره في «الكشاف» بقوله: فاذا قامت الساعة قيل

لهم: أدخلوا آل فرعون اشدّ عذاب جهنّم، أو يقال لخزنة جهنّم أدخلوهم، بناءً على الإختلاف في كون الهمزة للوصل أو للقطع، بل ذلك هو المستفاد ايضاً من الأخبار الكثيرة المفسّرة للآية مثل قول الصادقعليه السلام على ما رواه القمي وغيره انّما هذا يعني عرض النّار غدوّاً وعشيّاً في الدّنيا، فانّ ما في نار الخلد فهو قوله:﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ [١].[٢]

وظاهره كما ترى كونه ظرفاً للفعل المتأخّر، لا عطفاً على الظرف المتقدّم، وامّا الجنّتان المدهامّتان فالأخبار فيهما مختلفة ففي العلوي المتقدّم ما سمعت [٣] وفي «الاختصاص» عن الباقرعليه السلام انّهما لأصحاب اليمين كما أنّ المذكورتين في قوله: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾ [٤] للسابقين المقرّبين [٥].

وظاهر الخبر بل صريحه على ما يأتي كون الأربع دار الجزاء للفريقين، وفي كتاب الحسين بن سعيد ما يدلّ على كونهما من الخطاء ويمكن الجمع باعتبار الاتحاد والاضافة وان لا يخلو عن بعد وبالحمل على البطون، ولعلّه الاقرب، وتمام الكلام عند تفسير الآية انشاء الله وما رواه عن اميرالمؤمنين الظّاهر انّه هو المرويّ في الاختصاص عن الصادقعليه السلام في ذكر رجعة اميرالمؤمنين قال: ويملك اميرالمؤمنينعليه السلام اربعا واربعين ألف سنة حتّى يلد الرجل من شيعة عليّعليه السلام الف ولد

---

(١) غافر: ٤٥ـ٤٦.

(٢) تفسير القمي: ج٢ ص٢٥٨.

(٣) البحار: ج٥٣ ص٤٣.

(٤) الرحمن: ٤٦.

(٥) الاختصاص: ص٣٥٦.

من صلبه ذكراً في كلّ سنة ذكراً وعند ذلك تظهر الجنّتان المدهامتان عند مسجد الكوفة وما حوله بما شاء الله تعالى[1].

﴿وَكُلاَ مِنْهَا رَغَداً﴾ منصوب على انّه صفة لمصدر محذوف، أي اكلاً رغداً يعني واسعاً رافهاً، أي مصدر وضع موضع الحال، اي متنعّمين متوسعين في العيش من قولهم: عيشة رغد ورغد بالسكون والفتح اي واسعة طيّبة ليس فيها عناء ولا تعب ولا نصب، ومنه قوله[2]:

بـينما المـرء تـراه نـاعماً يأمن الأحداث فـي عـيش رَغَـد

ربما يقال تضعيفاً للأوّل بأنّ مذهب سيبويه والمحقّقين خلاف ذلك وانّ المنصوب في المقام وفي قوله: ﴿وَاذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا﴾[3]، حال من ضمير مصدر الفعل، والاصل فكُلا الأكل واذكر الذكر، قالوا: ودليل ذلك قولهم: سير عليه طويلاً، ولا يقولون طويل، ولو كان نعتاً للمصدر جاز، ولانّه لا يحذف الموصوف إلا والصفة خاصة بجنسه، تقول رأيت كاتبا ولا تقول رأيت طويلاً لانّ الكتابة خاصّة لجنس الانسان بخلاف الطول.

وأجيب عن الأوّل بجواز أن يكون المانع كراهة اجتماع مجازين: حذف الموصوف، وتصيير الصّفة مفعولاً على الصفة، ولذا يقولون: دخلت الدّار بحذف في توسّعاً، ومنعوا دخلت الأمر، لأنّ تعليق الدّخول بالمعاني مجاز واسقاط الخافض

---

(١) بحار الأنوار: ج٥٣ ص٤٣ ح١٢ عن الاختصاص.

(٢) القائل: امرىء القيس.

(٣) آل عمران: ٤١.

مجاز، ويوضحه أنّهم يفعلون ذلك في صفة الأحيان فيقولون سير عليه زمن طويل، فاذا حذفوا الزمان قالوا طويلاً لما مرّ.

وعن الثّاني بأنّ حذف الموصوف إنّما يتوقّف على وجدان الّدليل لا على الإختصاص لقوله: ﴿أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ﴾ [1] اي دروعا سابغات، ثمّ إنّ العاطف للفعليّة على الفعليّة في المقام هو الواو، وفي الاعراف هو الفاء.

قال الّرازي: والحكمة فيه أنّ كلّ فعل عطف عليه شيء وكان الفعل بمنزلة الشرط، وذلك الشيء بمنزلة الجزء، عطف الثّاني على الأوّل بالفاء كقوله: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُواْ هَـٰذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَداً﴾ [2]، حيث إنّه كان وجود الأكل متعلّقاً بدخولها فكأنّه قال: إن دخلتموها اكلتم منها.

ثمّ إنّ ﴿اسْكُنْ﴾ يقال لمن دخل مكاناً فيقال إلزم المكان الّذي دخلته ولا تنتقل منه، ويقال أيضاً لمن لم يدخله اسكن هذا البيت يعني ادخله واسكنه، ففي هذه السورة إنّما ورد الأمر بعد أن كان آدم في الجنّة، فكان المراد منه اللّبث والاستقرار، والأكل لا يختصّ وجوده بوجوده، لأنّ مَنْ يدخل بستاناً قد يأكل منه وان كان مجتازاً، ولذا ورد بلفظ الواو وفي الاعراف ورد هذا الامر إنّما ورد قبل أن يدخل الجنّة، فكان المراد منه دخول الجنّة فالدّخول موصل إلى الأكل والأكل متعلّق وجوده بوجوده.

اقول: وهو بطوله لا يرجع إلى طائل، وليس في الآيتين دلالة على تعدّد الخطابين فضلاً عن تأخّر الأوّل وتقدّم الثاني، بل التأمّل في مساق الآيتين في

---

(١) سبأ: ١١.

(٢) البقرة: ٥٨.

السورتين لعلّه يقضي بالعكس، فلا تغفل ويؤيّده ما يأتي عن الامام العسكري عليه السلام في تفسيره فلاحظ.

﴿حَيْثُ شِئْتُما﴾ متعلّق بكُلا، لا بأسكن، لأنّه أقرب لفظاً وأنسب معنى من حيث تعلّق السعة بثمارها والوان نعمها، توطئة للنّهي الّذي هو في معنى الاستثناء تنبيهاً على ازاحة العلّة وقطع المعذرة في التناول عن الشّجرة المنهي عنها من بين اشجارها الّتي لا تكاد تحصى فضلاً عن غيرها من النعم، ويحتمل الثّاني نظراً إلى وضع الكلمة الدّالة على المكان سيّما مع تعلّق النّهي بالقرب من الشجرة ولو على وجه المبالغة إلّا انّه يتمّ ذلك على الاوّل أيضاً.

﴿وَلاَ تَقْرَبَا هَـذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونا مِنَ الْظَّالِمِينَ﴾ نهي للإرشاد، أو التّنزيه لا التحريم على ما يأتي، والمعنى لا تقرباها بالأكل او لا تاكلا كما أرسله في المجمع عن الباقر عليه السلام قال ويدلّ عليه انّ المخالفة وقعت بالاكل بلا خلاف لا بالدنّو منها ولذا قال فاكلا منها فبدت لهما سؤاتهما(١).

وضمير التثنية لآدم وحوّاء ولم يخصّ آدم بالخطاب كما خصّه في قوله: ﴿يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ للتنبيه على مزيد الإعتناء والإهتمام في امتثال النهي واستقلال الطلب من كلّ منهما.

وانّما علّق النهي بالقرب الّذي هو من مقدّمات الغير السببيّة للتناول مبالغةً في النهي عن الاكل، وتنبيهاً على أنّ القرب من الشّيء ربما يورث داعية وميلا يأخذ بمجامع القلب، ويوقعه فيما وطّن نفسه على اجتنابه.

---

(١) مجمع البيان: ج١ ص٨٥.

وفيه اشارة إلى أنّ المطيع ينبغي أن لا يحوم حول ما حُرّم عليه، ولذا قيل من حام حول الحمى اوشك أن يقع فيه.

وفيه مع مامرّ من تعميم الخطاب وتخصيص النهي عنه بالاشارة الحاسمة لاحتمال التشكيك والاجمال وتعقيب النهي بالفاء المفيدة لسببيّة مخالفته لانخراطهما في سلك الظالمين وجوه من المبالغة.

ومدخول الفاء إمّا مجزوم عطفا على النهي، فيكون من عطف الجملة على الجملة، أو منصوب جواباً للنّهي باضمار أن المؤول مع فعله بالمصدر عطفا على مصدر الفعل المتقدّم، وعلى الوجهين يستفاد منه سببيّة الثّاني للاوّل كما مرّ.

في معنى الشجر لغة

والشّجرة في الأصل ما قام على ساق، ولذا قوبل بها النّجم في قوله: ﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾ [1]. مأخوذ من تشاجر القوم إذا اختلفوا، وذلك لاشتباك أغصانه وتداخلها، ويطلق على غير ذلك ايضاً كقوله: ﴿وَأَنبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ﴾.

وعن المبرّد انّه قال: احسب ان كلّما تفرّعت له اغصان وميدان فالعرب تسميه شجرة في وقت تشعبه، ولعلّ معناه الحقيقي هو الأوّل ولذا قال في «المصباح» وغيره: الشجر ما له ساق صلب، بل في قول المبرّد دلالة عليه ايضاً، وامّا الثّانية فلعلّ إطلاقها للتنبيه على إرتفاع أوراقها عن وجه الأرض كي يسهل

(١) الرحمن: ٦.

الاستظلال بظلّها على ما يأتي انشاء الله.

القراءة

وقرأ الشجرة بكسر الشين والشيرة بتبديل الجيم ياءً، وعن أبي عمرو انّه كرهها وقال: يقرأ بها بَرابِر مكة وسودانها، ولعلّهما لغتان فيها، ولذا قال في القاموس: الشَّجر والشِجَر والشَجْراء كجبل وعِنِبَ وصحراء وشِيَر بالياء كعنب من النبات: ما قام على ساق أو ما سما بنفسه، دقّ أو جلّ قاوم الشتاء أو عجز عنه، الواحدة بهاء وبالجملة فالقراءتان شاذتان كقراءة تقربا بكسر التّاء وهذي بالياء.

المراد بالشجرة المنهيّة

وهل المراد بها شجرة الحنطة، او خصوص السنبلة، او الكرمة، او التينة، او شجرة الكافور، او شجرة الحسد، أو العلم علم الخير والشرّ، او شجرة الخلد الّتي كانت الملائكة تاكل منها، او شجرة من اكل منها أحدث، او شجرة علم محمّد وآل محمّد، أو غير ذلك فيه أقوال معروفة والاخبار ايضاً مختلفة ففي «المجمع» مرسلاً عن امير المؤمنينعليه السلام: انّها شجرة الكافور[1]، وفي كثير من الاخبار انّها السنبلة، بل في أسؤلة ابن سلام عن النبيصلى الله عليه وآله كم اكل آدم من حبّات الشجرة؟ قال صلى الله عليه وآله: حبّتين، قال: وكم اكلت حواء؟ قال: حبّتين، قال: كم للشجرة من غصن وكم طول السنبلة؟ قال: يابن سلام كان لها ثلاثة أغصان، وكان طول كلّ سنبلة ثلاثة أشبار، قال فكم

---

(١) مجمع البيان: ج١ ص٨٥.

سنبلة فرك منها آدم؟ قال: سنبلة واحدة، قال: فكم كان في السنبلة من حبّة؟ قال: كان فيها خمس حبّات، وكانت الحبّة بمنزلة البيض الكبار، فاكلا أربع حبّات، وبقيت حبّة واحدة أُنزلت معه من الجنّة، فزرع آدم تلك الحبة فتناسل منها الحبّ في الأرض وبورك فيها[١].

وفي «العلل» بالاسناد عن الصادقعليه السلام: إنّ الحبّات الّتي اكلها آدم وحوّاء في الجنّة كانت ثمانية عشر، أكل آدم منها اثني عشر حبّة، واكلت حواء ستّاً، فلذلك صار الميراث للذكر مثل حظّ الانثيين[٢].

وفيه وفي «العيون» سأل الشّامي اميرالمؤمنينعليه السلام لم صار الميراث للذكر مثل حظّ الانثيين؟ قالعليه السلام: من قبل السنبلة، كان عليها ثلاث حبات فبادرت إليها حوّاء فأكلت منها حبّة، واطعمت آدم حبّتين، فمن اجل ذلك ورث الذكر مثل حظّ الانثيين[٣].

اقول وربما يدفع المنافاة بين الخبرين الاخيرين بحمل الاوّل على أوّل سنبلة اخذاه، ثمّ اخذا كذلك حتّى صارت ثمانية عشر، او انّها كانت على كلّ شعبة منها ثلاث حبّات، وكانت الشعب ستّة ولعلّ جوابه عن ابن سلام مبنيّ على ما هو المشهور بين اهل الكتاب كما يظهر ذلك من التأمّل في خبره الطويل المشتمل على السؤال عن امور كثيرة.

وفي تفسير العيّاشي عن الهاديعليه السلام: انّ الشجرة الّتي نهى الله تعالى عنها آدم

(١) بحار الانوار ج ٦٠ ص ٢٤٥.
(٢) علل الشرائع ج ٢ ص ٥٧١.
(٣) عيون أخبار الرضا ج ٢ ص ٢١٩، علل الشرائع ج ٢ ص ٥٧١.

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

وزوجته ان ياكلا منها شجرة الحسد وعهد إليهما أن لا ينظرا إلى من فضّله الله تعالى على خلقه بعين الحسد فنسي ونظر بعين الحسد ولم يجد له عزما.

والمراد بالحسد هو الغبطة وتمنّي المنزلة، كما انّه هو المراد ايضاً منه في الخبر المروي في «المعاني» و«العيون» بالاسناد عن الهروي قال: قلت للرّضاؑ يابن رسول الله ﷺ أخبرني عن الشجرة الّتي أكل منها آدم وحوّاء ما كانت؟ فقد اختلف الناس فيها فمنهم من يروي انّها الحنطة، ومنهم من يروى انّها العنب، ومنهم من يروى انّها شجرة الحسد، فقالؑ: كلّ ذلك حقّ، قلت: فما معنى هذه الوجوه على اختلافها؟ فقالؑ: يا ابا الصلت إنّ شجر الجنّة تحمل أنواعاً فكانت شجرة الحنطة وفيها عِنب وليست كشجرة الدنيا، وانّ آدمؑ لما اكرمه الله تعالى بإسجاد ملائكته له، وبادخال الجنّة قال في نفسه هل خلق الله بشراً أفضل منّي فعلم الله ﷻ ما وقع في نفسه، فناداه ارفع رأسك يا آدم فانظر إلى ساق عرشي فرفع آدم رأسه فنظر إلى ساق العرش فوجد عليه مكتوبا لا اله إلّا الله محمّد رسول الله عليّ بن أبي طالب أميرالمؤمنين وزوجته فاطمة سيّدة نساء العالمين والحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنّة، فقال آدمؑ: يا ربّ من هؤلاء؟ فقال ﷻ: من ذرّيتك، وهم خير منك ومن جميع خلقي، ولولاهم ما خلقتك ولا خلقت الجنّة والنّار ولا السماء والارض، فايّاك أن تنظر اليهم بعين الحسد فاخرجك عن جواري، فنظر اليهم بعين الحسد وتمنّي منزلتهم، فتسلّط الشيطان عليه حتّى اكل من الشجرة الّتي نُهي عنها وتسلّط على حوّاء فنظرت إلى فاطمة ؑ بعين الحسد حتّى اكلت من الشجرة كما

أكل آدم فاخرجهما الله ﷻ عن جنّته واهبطهما عن جواره إلى الأرض[١].

وفي تفسير الامام عليه السلام انّ الله ﷻ لما لعن ابليس بإبائه، وأكرم الملائكة بسجودها لآدم وطاعتهم لله ﷻ أمر بآدم وحواء إلى الجنّة، وقال يا آدم اسكن انت وزوجك الجنّة وكُلا من الجنّة رغدا واسعاً بلا تعب حيث شئتما، ولا تقربا هذه الشجرة شجرة العلم شجرة علم محمّد وآل محمّد الّذين اثرهم الله تعالى به دون سائر خلقه، فقال الله: ولا تقربا هذه الشجرة شجرة العلم فانّها لمحمّد وآله خاصّة دون غيرهم، لا يتناول منها بامر الله إلّا هم، ومنها ما كان يتناوله النّبي ﷺ وعليّ وفاطمة والحسن والحسين صلوات الله عليهم اجمعين بعد اطعامهم المسكين واليتيم والاسير حتّى لم يحسّوا بعد بجوع ولا عطش ولا تعب ولا نصب، وهي شجرة تميّزت من بين أشجار الجنّة، إنّ سائر أشجار الجنّة كان كلّ نوع منها يحمل نوعاً من الثمار والماكول وكانت هذه الشجرة وجنسها تحمل البرّ والعنبَ والتينَ والعنّاب وسائر انواع الثمار والفواكه والاطعمة، فلذلك اختلف الحاكون بذكر الشجرة فقال بعضهم: هي بّرة، وقال آخرون: هي عنبة، وقال آخرون: هي تينه، وقال آخرون: هي عنابة وقال الله: ﴿وَلاَ تَقْرَبَا هَـٰذِهِ الشَّجَرَةَ﴾ تلتمسان بذلك درجة محمّد وآل محمّد في فضلهم فانّ الله ﷻ خصّهم بهذه الدرجة دون غيرهم، وهي الشجرة الّتي من تناول منها باذن الله ألهم علم الاولين والاخرين من غير تعلّم، ومن تناول منها بغير إذن الله خاب من مراده وعصى ربّه فتكونا من الظالمين بمعصيتكما او

---

(١) معاني الاخبار: ص ١٢٤ وعيون الاخبار ج ١ ص ٣٠٦ ح ٦٧ وعنها البحار ج ١١ ص ١٦٤.

التماسكما درجة قد اوثر بها غيركما اذا رمتما تغيّر حُكْمُ الله إلى آخر ما يأتي[1].

وفي الأنوار النعمانيّة انّه قد ورد في حديث معتبر: انّ هذه الشجرة شجرة غرسها الله تعالى بيد قدرته لما خلق الجنّة وجعلها لعليّ بن أبي طالب وشيعته بأن لا يأكل احد قبله منها[2].

تفسير الآية ٣٦

﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا﴾

حملهما على الزلّة بسبب وسوسته في الأكل من الشجرة بناءً على كون الضمير لهما و«عن» للسببيّة نظير قوله: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي﴾ ويحتمل أن يكون الضمير للجنّة، بل لعلّه المتُعيَّن، حذرا من صرف الظرف عن ظاهره.

وتوهّم انّه يكون الاخراج حينئذ قبل الإزلال أو معه فلا يصحّ العطف بالفاء، مدفوع بأنّ المراد التنبيه على جملة ما فات عنهما من النعمة والكرامة المقصودة بالموصولة بسبب زلّتهما بالخطيئة من الجنّة على وجه الترتيب، وان لم يلحظ فيه الترتيب، مع انّه هو المصرّح به في تفسير الامام عليه السلام حيث قال: فازلّهما الشيطان عنها عن الجنّة بوسوسته وخديعته وايهامه وغروره بأن بَدءَ بآدم فقال: ما نهاكما ربّكما عن هذه الشجرة إلّا أن تكونا ملكين، إن تناولتما منها تعلمان الغيب، وتقدران على ما يقدر عليه من خصّه الله تعالى بالقدره، او تكونا من الخالدين لا

(١) تفسير المنسوب الى الامام عليه السلام ص ٢٢١ ـ ٢٢٢.
(٢) الانوار النعمانية: ج ١ ص ٢٤٢.

تموتان ابداً، و﴿وَقَاسَمَهُمَا﴾ (١) حلف لهما ﴿إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ﴾ (٢) وكان ابليس بين لحيي الحيّة، أدْخَلَتْه الجنّة وكان آدم يظنّ انّ الحيّة هي الّتي تخاطبه، ولم يعلم أنّ إبليس قد أختبىء بين لحييها، فردّ آدم على الحيّة، ايّتها الحيّة: هذا من غرور ابليس كيف يخوننا ربّنا ام كيف تعظمين الله بالقسم به وانت تنسبينه إلى الخيانة وسوء النظر وهو اكرم الاكرمين؟ ام كيف اروم التوصل إلى ما منعني منه ربّي واتعاطاه بغير حكمه؟ فلمّا أيس ابليس من قبول آدم منه عاد ثانية بين لحيي الحيّة، فخاطب حواء من حيث يوهمها انّ الحيّة هي الّتي تخاطبها، وقال: يا حواء ارايتِ هذه الشجرة الّتي كان الله ﷻ حرّمها عليكما، قد احلّها لكما بعد تحريمها لما عرف من حسن طاعتكما له وتوقيركما ايّاه، وذلك انّ الملائكة الموكّلين بالشجرة الّتي معها الحراب يدفعون عنها سائر حيوانات الجنّة لا يدفعوك عنها ان رُمْتِها فاعلمي بذلك انّه قد احلّ لك، وابشري بانك ان تناولتها قبل آدم كنت انت المسلّطة عليه الآمرة النّاهية فوقه، فقالت حوّاء سوف أجرّب هذا، فرامت الشجرة فارادت الملائكة أن يدفعوها عنها بحرابها، فأوحى الله اليها انّما تدفعون بحرابكم من لا عقل له يزجره، وامّا من جعلته ممكنا مميّزاً مختاراً فكلوه إلى عقله الّذي جعلته حجّة عليه، فإن أطاع استحقّ ثوابي وان عصى وخالف أمري استحقّ عقابي وجزائي، فتركوها ولم يتعرّضوا لها بعدما همّوا بمنعها بحرابهم، فظنّت أنّ الله نهاهم عن منعها لأنّه قد احلّها بعدما حرّمها، فقالت صدقت الحيّة، وظنّت انّ المخاطب لها

---

(١) الكهف: ٨٢.

(٢) الاعراف: ٢١.

هي الحيّة فتناولت منها ولم تنكر من نفسها شيئاً. فقالت لآدم: الم تعلم أنّ الشجرة المحرّمة علينا قد ابيحت لنا؟ تناولت منها فلم تمنعني أملاكها ولم انكّر شيئاً من حالي، فلذلك اغترّ آدم وغلط فتناول، فاصابهما ما قال الله تعالى في كتابه: «فازلّهما الشيطان عنها فاخرجهما بوسوسته وغروره»[1].

وفيه دلالة على ترجيح قراءة المشهور وردّ قراءة حمزة حيث قرأ فأزالهما نظراً إلى أنّ قوله: اسكن انت وزوجك الجنّة معناه اثبتا فثبتا فأزلّهما الشيطان فقابل الثبات بالزوال الّذي هو خلافه.

وفيه ان البناء في مثله ليس على التعليل بل على الترخيص الّذي ورد معه الإذن بالقراءة كما يقرؤون.

كيفيّة دخول إبليس الجنّة

وامّا كيفيّة دخول ابليس الجنّة بعد لعنه وطرده وخروجه منها فاختلفوا فيها وفي كيفيّة وصوله إليهما ووسوسته لهما، فقيل إنّ آدم كان يخرج إلى باب الجنّة وابليس لم يكن ممنوعاً من الدنّو وكان يكلمه، وكان هذا قبل أن يهبط إلى الأرض وبعد أن اخرج من الجنّة، وقيل: إنّه كان يحرم عليه دخول الجنّة بارزاً وامّا مختفياً ولو في فم الحيّة فلا كما يؤمى كلام الامام عليه السلام، وقيل: إنّه منع من الدّخول على وجه التكرمة كما كان يدخل قبل ذلك مع الملائكة، وامّا الدخول للوسوسة وابتلاء آدم وحواء فلم يمنع منه، وامّا الدّخول في فم الحيّة فانّما كان لاشتداد البليّة والتمكّن

(١) تفسير الامام العسكري: ج ٤ ص ٢٢٣ ـ ٢٢٤.

من الوسوسه لا للتوصل إلى الدخول، وقيل: تمثل بصورة دابّة اخرى غير الحيّة ولم تعرفه الخزنة، وقيل: إنّه وسوسهما لا على وجه المشافهة بل في صدورهما، وقيل: إنّه كلّمهما من الأرض بكلام عرفاه وفهماه منه، وقيل: إنّه راسلهما بالخطاب.

وظاهر الخبر المتقدّم انّ وسوسته كانت على وجه المشافهة كما هو المستفاد من ظواهر الآيات ايضاً، وانّ دخوله كان بواسطة الحيّة.

وفي «الانوار النعمانيّة» انّ ذلك كان باسباب إلاهية كما في بعض الروايات قال وذلك انّ الشيطان لما أخرج من الجنّة لم يقدر على الدّخول إليها فاتى إلى جدار الجنّة، وراى الحيّة على اعلى الجدار، فقال لها: أدخلني الجنّة وأعلّمك الاسم الاعظم فقالت له: انّ الملائكة تحرس الجنّة فيرونك، فقال لها أدخل في فمك واطبقي عليّ حتّى ادخل ففعلت، ومن ثمّ صار السمّ في أنيابها وفمها لما كان جلوس الشيطان فيه، فلمّا ادخلته قالت له اين الإسم الاعظم؟ فقال لها لو كنت اعلمه لما احتجت اليك في دخولي فاتى إلى آدم عليه السلام فوسوس له فاقسم له بالنّصيحة فلم يطعه، فاتى إلى حوّاء فقال هذه شجرة الخلد واقسم لها ولم يعهد قبل أن احدا يقدر على أن يقسم بالله كاذباً فأتت حواء إلى آدم فصارت عوناً للشيطان عليه فقام آدم معها إلى الاكل من الشجرة فكانت اوّل قدم مشت إلى الخطيئة فلمّا مدّا يديهما اليها تطاير ما عليهما من الحلي والحلل وبقيا عريانين فاخذا من ورق التّين فوضعاه على عورتيهما فتطاير الورق فوضع آدم عليه السلام يده على عورته والاخر على رأسه كما هو شأن العراة ومن ثمّ امر بالوضوء على هذه الهيئة(١).

---

(١) الانوار النعمانية: ج ١ ص ٢٤٥.

وروى الصدوق طاب ثراه: انّه جاء نفر من اليهود إلى رسول الله ﷺ فسألوه عن مسائل فكان فيما سألوه اخبرنا يا محمّد لايّ علّة توضيء هذه الجوارح الاربع وهي أنظف الجوارح في الجسد فقال النّبي ﷺ: لمّا أن وسوس الشيطان إلى آدم عليه السلام ودنى آدم من الشجرة فنظر اليها فذهب ماء وجهه، ثمّ قام ومشى إليها، وهي اوّل قدم مشت إلى الخطيئة، ثمّ تناول بيده منها ما عليها فاكل، فطار الحلي والحلل عن جسده، فوضع آدم يده على أمّ رأسه، وبكى فلمّا تاب الله ﷻ عليه فرض عليه وعلى ذرّيته تطهير هذه الجوارح الاربع، فامر الله ﷻ بغسل الوجه لما نظر إلى الشجرة، وأمره بغسل اليدين إلى المرفقين لما تناول بهما، وأمره بمسح الرّأس لما وضع يده على امّ رأسه، وأمره بمسح القدمين لما مشى بهما إلى الخطيئة[1] آه.

اقول: وفي تفسير العياشي عن الصّادق عليه السلام: إنّ آدم لمّا اكل من الشجرة ذكر ما نهاه الله عنها فندم فذهب ليتنحى من الشجرة فاخذت الشجرة برأسه فجرته اليها وقالت له افلا كان فرارك من قبل أن تأكل منّي[2].

وفي تفسير القمي عن الصادق عليه السلام قال لما اخرج آدم نزل جبرئيل عليه، فقال: يا آدم أليس الله خلقك بيده، ونفخ فيك من روحه، وأسجد لك ملائكته، وزوجّك حواء أمته، وأسكنك الجنّة واباحها لك، ونهاك مشافهة ان لا تأكل من هذه الشجرة، فاكلت منها، وعصيتَ الله؟ فقال آدم عليه السلام: يا جبرئيل إنّ ابليس حلف لي بالله أنّه لي ناصح فما ظننتُ أنّ أحداً من خلق الله يحلف بالله كاذباً[3].

---

(١) علل الشرايع: ص ٢٨٠ ح ١.

(٢) تفسير العياشي: ج ٢ ص ١٠ ح ١١.

(٣) تفسير القمي: ج ١ ص ٤٤.

اقول: وسيأتي تفسير قوله: ﴿وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ﴾[١].

عن «مصباح الشريعة»، وغيرها ما يدلّ عليه، وبيان السرّ في ذلك.

وروت العامّة أنّ ابليس اراد ان يدخل عليهما الجنّة فمنعته الخَزَنة فأتى الحيّة وهي دابّة لها أربع قوائم كأنّها البعير، وهي كأحسن الدوابّ فكلّمها أن يدخل في فيها حتى يدخل الى آدم فأدخلته في فمها فمرّت الحيّة على الخزنة فدخلت وهم لا يعلمون لما أراد الله من الأمر: فكلّمه من فمها.

وفي خبر آخر: انّ عدو الله إبليس عرض نفسه على دوابّ الأرض انّها تحمله وتدخل به الجنّة حتّى يكلّم آدم وزوجته، فكل الدوابّ أبى ذلك عليه حتّى كلّم الحيّة، فقال لها: انا امنعك من بني آدم فانت في ذمّتي إذا ادخلتني الجنّة، فجعلته بين نابين من أنيابها ثمّ دخلت به، فكلّمهما من فيها، وكانت كاسية تمشي على اربع قوائم، فأعراها الله تعالى وجعلها تمشي على بطنها[٢].

وروي أنّ اول ما إبتداهما به من كيده ايّاهما انّه ناح عليهما نياحة أحزنتهما حين سمعاها، فقالا له ما يبكيك؟ قال: أبكي عليكما تموتان فتفترقان، أو قال: فتفارق ما انتما عليه من النّعمة والكرامة، فوقع ذلك في أنفسهما ثمّ أتاهما فوسوس اليهما فقال: يا آدم هل ادلّك على شجرة الخُلد[٣] ﴿فَأَخْرَجَهُمَا﴾ بوسوسته وغروره ممّا ﴿مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾ من النعمة والدّعة وممّا كانا قد خوطبا قبل ذلك بقوله: ﴿فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى ❀ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى ❀ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ

---

(١) الأعراف: ٢١.

(٢) جامع البيان للطبري ج ١ ص ١٨٨.

(٣) جامع البيان ج ١ ص ١٨٨.

فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴾[١] او من الجنّة حتّى أهبطا، او من عظم القرب والمنزلة والطّاعة إلى ما قد سماه الله سبحانه معصيته.

وإضافة الإخراج إليه على حدّ اضافة الإذلال باعتبار السببيّة.

﴿وَقُلْنَا اهْبِطُوا﴾ خطاب لآدم وحوآء لقوله: ﴿اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعاً﴾[٢] اطلاقاً للجمع على الإثنين حقيقة او مجازاً كقوله: ﴿وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ﴾[٣]، ﴿فَإِن كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ﴾[٤]، ﴿إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ﴾[٥] أو لهما ولذّريتهما ولو على التغّليب ليصحّ تعلّقه بالمعدوم، أو توجيه الخطاب إلى الارواح الّتي دلّت القواطع على تقدّم خلقها على الأبدان، أو لهما ولأبليس، وإن كان قد أُخرج قبل ذلك، بدليل قوله في الحجر ﴿فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾[٦] إلى قوله: ويا آدم اسكن إلّا انّه جمعه معهما لدخوله ثانيا على وجه الإختفاء والمسارقة للوسوسة، او لقربه من باب الجنّة، أو لإجتماعهم حينئذ في الهبوط، وإن كانت أوقاتهم متفرّقة فيه، أو لهما وللحيّة وإستبعده في «المجمع»[٧] بانّ خطاب مَنْ لا يفهم الخطاب لا يحسن، وبانّه لم يتقدم للحيّة ذكر، والكناية عن غير مذكور لا تحسن، إلّا مع الأمن من اللّبس.

ويضعف الاوّل بالمنع عن عدم فهمه الخطاب سيّما مع ما قرّر في محلّه من

(١) طه: ١١٧ـ١١٨ـ١١٩.

(٢) طه: ١٢٣.

(٣) الانبياء: ٧٨.

(٤) النساء: ١١.

(٥) الشعراء: ١٥.

(٦) الحجر: ٣٤ وص: ٧٧.

(٧) مجمع البيان: ج ١ ص٧٨.

مساوقة الشعور للوجود، وانّ الجماد فضلاً عن الحيوان يشارك الانسان في الادراك والشّعور والعبوديّة، وصحّة تعلّق الخطاب وان اختلفت في مراتب الجمود والسيلان، سيّما بعد ما سمعت عن الانوار النعمانيّة من مكالمتها مع الشيطان، والثّاني بانّ الخطب في مثله سهل بعد ملاحظة وجوه دلالات القرآن ومحامله، وأولى من الجميع ما في «تفسير الامام» من الجمع بين الأربعة حيث قال: وقلنا يا آدم ويا حوّاء ويا ايّتها الحيّة ويا ابليس اهبطوا.

﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ آدم وحوّاء وولدهما عدوّ للحيّة، وابليس والحيّة واولادهما اعداؤكم[1].

وعلى الأولين فالمعاداة بين الذّريّة ولو باعتبار التجوّز، أو تقدير المضاف في الأوّل، والجملة حالية استغنى فيها عن الواو بالضّمير، والمعنى متعادين يبغي بعضكم على بعض باضلاله وتغريره، وليس من متعلّق الأمر، ويحتمل أن يكون استينافاً لله سبحانه فائدته التحذير عن الإغترار بوساوس هذا العدوّ كما في قوله:﴿لاَ يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ﴾[2] وقوله:﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوّاً إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾[3].

وعداوة ابليس لآدم وحوّاء ظاهرة حتّى قد رُوي انّه أغرىٰ عليهما السّباع بعد هبوطهما كما في «العلل» عن أميرالمؤمنينعليه السلام قال: انّه سئل النّبيصلى الله عليه وآله ممّا خلق الله عزّوجلّ الكلب؟ قال: خلقه من بزاق ابليس، قال: وكيف ذلك يا رسول الله قال: لمّا

(١) تفسير المنسوب الى الامام عليه السلام: ص ٢٢٤ وعنه البحار ج ١١ ص ١٩٠.

(٢) الاعراف: ٢٧.

(٣) فاطر: ٦.

أهبط الله آدم وحوّاء إلى الأرض أهبطهما كالفَرخين المرتعشين، فعدا ابليس الملعون إلى السباع، وكانوا قبل آدم في الأرض، فقال لهم: إنّ طيرين قد وقعا من السّماء لم يَرَ الرّاؤون أعظم منهما تعالوا فكلوهما. فتعاوت السِباع معه وجعل ابليس يحثّهم ويصيح ويعدهم بقرب المسافة. فوقع من فيه من عجلة كلامه بزاقٌ فخلق الله ﷻ من ذلك البزاق كلبين أحدهما ذكر والآخر انثى. فقاما حول آدم وحوّاء، الكلبة بجدّة، والكلب بالهند، فلم يتركوا السباع أن يقربوهما. ومن ذلك اليوم الكلب عدوّ السّبع، والسّبع عدوّ الكلب[1].

وفيه عنه ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: إنّ الله ﷻ حين أمر آدم أن يهبط هبط آدم وزوجته، وهبط ابليس ولا زوجة له، وهبطت الحيّة ولا زوج لها فكان أوّل من يلوط بنفسه ابليس، فكانت ذرّيّته من نفسه، وكذلك الحيّة وكانت ذرّية آدم من زوجته فأخبرهما انّهما عدّوان لهما[2].

﴿وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ﴾ منزل ومقرٌّ للمعاش بأن جعلها قراراً ومعاشاً لكم، ويحتمل أن يكون بمعنى الاستقرار، وأن يكون اسمَ مفعول وهو ما استقرّ منكم عليه، وجاز تصرّفكم فيه.

﴿وَمَتَاعٌ﴾ استمتاع وانتفاع ﴿إِلَى حِينٍ﴾ حين الموت كما في «تفسير الامام ﷺ» أو إلى يوم القيمة كما في رواية «القمي» وجمع بينهما بانّ الموت هو القيمة الصغرى للأكثرين والكبرى للآخرين ولذا ورد «من مات فقد قامت قيامته».

---

(١) علل الشرايع: ص٤٩٦ ح١ وعنه البحار ج١١ ص٢٠٧ ح١٠.

(٢) علل الشرايع: ص٥٤٧ ح٢ وعنه البحار ج١١ ص٢٣٧ ح١٩.

اقول: وهو مبنيّ على كون الغاية هو الموت بناءً على انتقال الرّوح بعدها إلى جنان الدّنيا أو نيرانها، فانّ القبر إمّا روضة من رياض الجنّة أو حفرة من حفر النّار، وقد سمعت كون الهبوط من جنان الدّنيا لا من جنّة الخُلد، ومن هنا يبعد الحمل على القيامة الكبرى وان كان في القبر ايضاً تمتّع واستقرار.

ولا ينافي شيئاً من الوجهين قوله في سورة الاعراف بعد مثل هذه الآية قال: ﴿فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ﴾ [1] اذ يمكن أن يكون تفصيلاً لوجوه الاستقرار، وأن يكون زيادة عليه، والظّرف غاية للأمرين، وتنكير الثلاثة للتّحقير، فانّ الآخرة هي دار القرار، وإن طلب النّاس القرار في الدّنيا، ولذا آثر المستقر على المقرّ، وليس في الدنيا إلّا عيش يسير ومتاع قليل، ولذا قال سبحانه: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ﴾ [2] و ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ [3].

مركز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

مدّة مكث آدم في الجنة

ثمّ انّهم قد اختلفوا في مدّة مكثه عليه السلام في الجنّة وزمان هبوطه ومكانه على أقوال لا طائل تحت التّعرض لها، لاستناد جملة منها إلى بعض الاعتبارات وإلى اقوال اهل الكتاب.

نعم روى الصدوق في «العلل» و«الامالي» عن الحسن بن عليّ بن ابي طالب عليهما السلام قال: جاء نفر من اليهود إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فسألوه عن مسائل، فكان

(١) الاعراف: ٢٥.
(٢) الرعد: ٢٦.
(٣) آل عمران: ١٨٥.

فيما سألوه أخبرني عن الله لأيّ شيء وقّت هذه الصلوات الخمس في خمس مواقيت على أمّتك في ساعات اللّيل والنّهار؟ فاجاب ﷺ إلى أن قال: وامّا صلاة العصر فهي الساعة الّتي اكل فيها آدم من الشّجرة فأخرجه الله عن الجنّة، فأمر الله ذرّيته بهذه الصلاة إلى يوم القيامة، واختارها لأمّتي فهي من أحبّ الصلاة إلى الله تعالى ﷻ، وأوصاني ان احفظها من بين الصّلوات، وامّا صلاة المغرب فهي الساعة الّتي تاب الله فيها على آدم، وكان بين ما أكل من الشجرة وبين ما تاب الله عليه ثلاثمائة سنة من ايّام الدّنيا، وفي ايّام الآخرة يوم كألف سنة من وقت صلاة العصر إلى العشاء: فصلّى آدم ثلاث ركعات: ركعة لخطيئته، وركعة لخطيئة حوّاء، وركعة لتوبته، فافترض الله ﷻ هذه الركعات الثلاث على أمّتي[1].

وفي «الخصال» بالاسناد عن النّبي ﷺ، قال: إنّما كان لبث آدم وحواء في الجنّة حتّى أُخرجا منها سبع ساعات من أيّام الدنيا حتّى أهبطهما الله تعالى من يومهما ذلك[2].

اقول: ولعلّ المعنى من أيّام جنان الدنيا، على تقدير المضاف، فينطبق على الخبر الأوّل.

تعدّد الأيام وتغايرها

روى السيّد في «الدروع الواقية» عن الصادقؑ: أن اليوم الأوّل من الشهر

(١) علل الشرايع: ص٣٣٧ والامالي ص١٥٩ وعنهما البحار ج١١ ص١٦٠.
(٢) الخصال: ج٢ ص٣٩٧ ح١٠٣.

خلق فيه آدم وهو يوم مبارك لطلب الحوائج، وفي اليوم الثاني خلقت حوّاء من آدم، يصلح للتزويج وبناء المنازل، واليوم الثالث يوم نحس مستمرّ، نزع عن آدم وحواء لباسهما وأخرجا من الجنّة[(١)].

وهي تدلّ على تعدّد الايّام وتغايرها، وقضيّة بعضِ الأخبار المتقدّمة وقوعُ تلك الشؤون جميعاً في ساعات من يوم واحد، ويمكن الجمع بحمل تلك الأخبار على الأيّام الدّهرية الملكوتيّة، وهذه على الزّمانية النّاسوتية، ويدلّ عليه ما مرّ عن «العلل» و«الامالي» عن النّبيّ صلى الله عليه وآله حيث قال: وامّا صلاة المغرب[(٢)]، آه.

مكان هبوط آدم وحوّاء

وأمّا مهبطهما فظاهر كثير من الأخبار أنّه الصّفا والمروة ففي «تفسير القمي» وغيره عن الصادق عليه السلام قال: فهبط آدم على الصّفا، وإنّما سمّيت الصّفاء لأنّ صفوة الله نزل عليها ونزلت حوّاء على المروة، وإنّما سمّيت المروة لأنّ المرأة نزلت عليها فبقي آدم اربعين صباحاً ساجداً يبكي على الجنّة فنزل عليه جبرئيل عليه السلام فقال يا آدم ألم يخلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه واسجد لك ملائكته؟ قال: بلى قال: وأمرك أن لا تاكل من الشجرة فلم عصيته؟ قال: يا جبرئيل إنّ ابليس حلف لي بالله انّه لي ناصح وما ظننت انّ خلقا يحلف بالله كاذباً[(٣)].

وفي «تفسير العيّاشي» عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: انّما كان

(١) بحار الأنوار: ج ٥٩ ص ٥٦ ـ ٥٧ ـ ٥٨ عن الدروع الواقية.

(٢) علل الشرايع: ص٣٣٧.

(٣) تفسير القمي: ج ١ ص ٤٤ وعنه البحار ج ١١ ص١٦٣ ح ٧.

لبث آدم وحوّاء في الجنّة حتّى خرجا عنها سبع ساعات من ايّام الدّنيا حتّى اكلا من الشجرة فاهبطهما الله إلى الأرض من يومهما ذلك. قال فحاجّ آدم ربّه فقال يا ربّ أرايتك قبل أن تخلقني كنتَ قدّرتَ عليّ هذا الذنب وكل ما صرت وانا صائر إليه، أو هذا شيء فعلته انا من قبل نفسي لم تقدّره عليّ غلبت عليّ شقوتي. فكان ذلك منّي وفعلي لا منك ولا من فعلك؟ قال له: يا آدم أنا خلقتك وعلّمتك أنّي أسكِنك وزوجتكَ الجنّة، وبنعمتي، وما جعلت فيك من قُوَّتي قويت بجوارحك على معصيتي، ولم تغب عن عيني، ولم يخلُ علمي من فعلك، ولا ممّا أنت فاعله.

قال آدم: يا ربّ الحجّة لك عليّ يا ربّ، فحين خلقتني وصوّرتني ونفختَ فيّ من رُوحك، قال: يا آدم اسجدت لك ملائكتي ونوّهتُ باسمك في سماواتي، وابتدأتك بكرامتي، وأسكنتك جنّتي، ولم أفعل ذلك إلّا بنعمة منّي عليك، أبلوك بذلك من غير أن تكون عملت لي عملا تستوجب به عندي ما فعلت بك.

قال آدم: يا ربّ الخير منك والشرّ منّي، قال الله: يا آدم انا الله الكريم، خلقت الخير قبل الشرّ، وخلقت رحمتي قبل غضبي، وقدّمت بكرامتي قبل هواني، وقدّمت باحتجاجي قبل عذابي.

يا آدم ألم أنهك عن الشجرة وأخبرتُك انّ الشيطان عدوّ لك ولزوجك؟ وأحذركُما قبل أن تصيرا إلى الجنّة؟ وأعلمكما أنكما إن اكلتما من الشجرة كنتما ظالمين لانفسكما عاصين لي؟ يا آدم لا يجاورني في جنّتي ظالم عاصٍ بي قال: فقال: بلى يا ربّ الحجّة لك علينا؟ ظلمنا أنفسنا وعصينا وإلّا تغفر لنا وترحمنا نكن من الخاسرين.

قال فلما أقرّا لربّهما بذنبهما وأنّ الحجّة من الله لهما تداركهما رحمة الرحمٰن الرحيم، فتاب عليهما ربّهما إنّه هو التّواب الرحيم. قال الله: يا آدم إهبط أنت وزوجك إلى الأرض. فاذا اصلحتما أصلحُتكما وإن عملتما لي قوّيتكما، وإن تعرّضتما لرضاي تسارعت إلى رضاكما، وإن خِفتُما منّي آمنتكما من سخطي.

قال: فبكيا عند ذلك وقالا: ربّنا فأعنّا على صلاح أنفسنا وعلى العمل لما يُرضيك عنّا. قال الله لهما: إذا عملتما سوءً فتوبا إلى الله أتُبْ عليكما، وأنا الله التّواب الرحيم.

قالا: فأهبطنا برحمتك إلى أحبّ البقاع اليك. قال: فأوحى الله إلى جبرئيل ان أهبطهما إلى البلدة المباركة مكّة، قال: فهبط بهما جبرئيل فألقى آدم على الصّفا، وألقى حوّاء على المروة، قال: فلما ألقيا قاما على أرجلهما ورفعا رؤسهما إلى السّماء وضجّا بأصواتهما بالبكاء إلى الله تعالى وخضعا بأعناقهما. قال: فهتف الله تعالى بهما ما يبكيكما بعد رضاي عنكما؟ قال: فقالا: ربّنا أبكتنا خطيئُتنا وهي أخرَجتنا من جوار ربّنا، وقد خفي عنّا تقديسُ ملائكتك لكَ ربّنا وبدت لنا عوراتُنا، واضطرنا ذنبُنا إلى حرث الدنيا وَمَطْعَمِها ومشربها، ودخلَتْنا وحشةٌ شديدة لتفريقك بيننا قال: فرحمهما الرحمن الرحيم عند ذلك، وأوحى إلى جبرئيل: أنا الله الرحمٰن الرحيم، وأنّي قد رحمت آدم وحوّاء لمّا شكيا إليّ، فأهبط إليهما بخيمة من خيام الجنّة، وعزّهما عنّي بفراق الجنّة، واجمع بينهما في الخيمة فانّي قد رحمتهما لبكائهما ووحشتهما ووحدتهما، وانصب لهما الخيمة على التّرعَة الّتي بين جبال مكّة.

وقال: والترعة مكان البيت وقواعده التي رفعتها الملائكة قبل ذلك فنصبها.

قال: وانزل جبرئيل آدم من الصّفا، وانزل حوّاء من المروة، وجمع بينهما في الخيمة.

قال: وكان عمودُ الخيمة قضيبَ ياقوت أحمر، فأضاء نوره وضوئه جبالَ مكّة وما حولها.

قال: وامتدّ ضوء العمود فجعله الله حرماً لحرمة الخيمة والعمود لأنّهما من الجنّة، قال: ولذلك جعل الله الحسنات في الحرم مضاعفة والسّيئات فيه مضاعفة.

قال: ومُدّت أطناب الخيمة حولها لمنتهى أوتادها ما حول المسجد الحرام.

قال: وكانت أوتادها من غصون الجنّة وأطنابها من ظفائر الارجوان[1].

قال: فأوحى الله إلى جبرئيل عليه السلام: أهبط على الخيمة سبعين ألف ملك يحرسونها من مَرَدَة الجنّ ويونسون آدم وحوّاء، ويطوفون حول الخيمة تعظيماً للبيت والخيمة، قال: فهبطت الملائكة فكانوا بحضرة الخيمة يحرسونها من مَرَدَة الشياطين والعُتاة، ويطوفون حول أركان البيت والخيمة كلّ يوم وليلة، كما كانوا يطوفون في السّماء حول البيت المعمور.

قال: وأركان البيت الحرام في الأرض حَيالَ البيت المعمور الّذي في السماء.

قال: ثمّ إنّ الله تعالى أوحى إلى جبرئيل بعد ذلك: أن اهبط إلى آدم وحوّا فنحّهما عن مواضع قواعد بيتي فانّي أُريد أن اهبط[2] في ظلال من ملائكتي إلى

---

(١) الارجوان: شجر من الفصيلة القرنية له زهر شديد الحمرة، حسن المنظر، وليست له رائحة.

(٢) قال المجلسي قدس سرّه في بيانه: هبوطه تعالى كناية عن توجّه أمْرِهِ بصدور ذلك الأمر كما قال تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ﴾ (البقرة: ٢١٠).

ارضي، فارفع أركان بيتي لملائكتي ولخلقي من ولد آدم.

قال: فهبط جبرئيل على آدم وحوّاء فأخرجهما من الخيمة ونحاّهما عن تُرْعَة البيت الحرام، ونحّى الخيمة عن موضع التُرعة.

قال: ووضع آدم على الصفاء ووضع حوّاء على المروة، ورفع الخيمة إلى السّماء، فقال آدم وحوّاء: أبسخط من الله حوّلتنا وفرّقت بيننا أم برضا تقديراً من الله علينا؟ فقال لهما: لم يكن ذلك سخطاً من الله عليكما، ولكنّ الله لا يُسأل عمّا يفعل، يا آدم إنّ سبعين الف ملك الّذين أنزلهم الله إلى الأرض ليؤنسوك ويطوفون حول أركان البيت والخيمة سألوا الله أن يبني لهم مكان الخيمة بيتاً على موضع الترعة المباركة حيالَ البيت المعمور، فيطوفون حوله كما كانوا يطوفون في السماء حول البيت المعمور، فأوحى الله إليّ أن انحيّك وحوّاء، وارفع الخيمة إلى السّماء، فقال آدم عليه السلام: رضينا بتقدير الله ونافذ أمره فينا، فكان آدم على الصفا وحوّاء على المروة.

قال: فدخل آدم لفراق حوّاء وحشةٌ شديدة وحزن، قال: فهبط من الصفا يريد المروة شوقاً إلى حوّاء، وليسلّم عليها وكان فيما بين الصفا والمروة وادٍ، وكان آدم يرى المروة من فوق الصّفا فلمّا إنتهى إلى موضع الوادي، غابت عنه المروة فسعى في الوادي حذراً لما لم ير المروة مخافة أن يكون قد ضلّ عن طريقه فلمّا أن جاز الوادي وارتفع عنه نظر إلى المروة، فمشى حتّى إنتهى إلى المروة فصعد عليها فسلّم على حوّاء، ثمّ أقبلا بوجههما نحْو موضع التُرعة ينظران هل رفع قواعد البيت ويسألان الله أن يردّهما إلى مكانهما حتّى هبط من المروة فرجع إلى الصّفا فقام

عليه، وأقبل بوجهه نحو موضع التُّرعة، فدعا الله ثمّ إنّه إشتاق إلى حوّاء فهبط من الصّفا يريد المروة، ففعل مثل ما فعله في المرّة الاولى، ثمّ إنّه رجع إلى الصّفا ففعل عليه مثل ما فعل في المرّة الاولى، ثمّ انّه هبط من الصفاء إلى المروة ففعل مثل ما فعل في المرّتين الأوليين، ثمّ رجع إلى الصفا فقام عليه ودعا الله أن يجمع بينه وبين زوجته حوّاء.

قال: فكان ذهاب آدم من الصفاء إلى المروة ثلاث مرّات ورجوعه ثلث مرّات فذلك ستّة أشواط فلمّا أن دعيا الله وبكيا إليه وسألاه أن يجمع بينهما استجاب الله لهما من ساعتهما من يومهما ذلك مع زوال الشّمس، فأتاه جبرئيل وهو على الصّفا واقف يدعوا الله مقبلاً بوجهه نحو التُّرعة فقال له جبرئيل: انزل يا آدم من الصفا فالحق بحوّاء، فنزل آدم من الصفاء إلى المروة ففعل مثل ما فعل في الثلاث المرّات حتّى انتهى إلى المروة، فصعد عليها وأخبر حوّاء بما أخبره جبرئيل، ففرحا بذلك فرحاً شديداً، وحمدالله وشكراه، فلذلك جرت السّنة بالسعي بين الصفا والمروة ولذلك قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ (١).

قال: ثمّ إنّ جبرئيل أتاهما فأنزلهما من المروة، وأخبرهما أنّ الجبّار تبارك وتعالى قد هبط إلى الأرض فرفع قواعد البيت الحرام بحجر من الصّفا وحجر من المروة وحجر من طور سيناء وحجر من جبل السلم وهو ظهر الكوفة، فأوحى الله إلى جبرئيل أن ابنه وأتِمّه قال: فاقتلع جبرئيل الأحجار الأربعة بأمر الله من

(١) البقرة: ١٥٨.

مواضعهنّ بجناحيه فوضعها حيث أمره الله في أركان البيت على قواعده الّتي قدّرها الجبّار، ونصب أعلامها، ثمّ أوحى الله إلى جبرئيل ان ابنه وأتمِمه بحجارة من أبي قبيس، واجعل له بابين باب شرقيّ وباب غربي قال: فأتّمه جبرئيل فلمّا أن فرغ منه طافت الملائكة حوله.

فلمّا نظر آدم وحوّاء إلى الملائكة يطوفون حول البيت إنطلقا فطافا بالبيت سبعة أشواط ثمّ خرجا يطلبان ما ياكلان وذلك من يومهما الّذي هبط بهما فيه[1].

أقول وهذا الخبر كما ترى سقط شيء من اوائله، وكأنّه سقط ذلك من اوائل لاتّفاق النّسخ الموجودة، بل قد نبّه المجلسي على ذلك أيضاً.

وفي بعض الأخبار أنّ مهبطه كان بالهند، ففي «القصص» بالاسناد عن ابي جعفر عليه السلام قال: انّ آدم عليه السلام نزل بالهند، فبنى الله تعالى له البيت، وأمره أن ياتيه فيطوف به أسبوعاً، فيأتي منى وعرفات ويقضي مناسكه، كما امر الله، ثمّ خطا[2] من الهند فكان موضع قدميه حيث خطا عمران، وما بين القدم والقدم صحارى ليس فيها شيء، ثمّ جاء إلى البيت فطاف به اسبوعاً وقضى مناسكه فقضاها كما أمره الله، فقبل الله منه توبته وغفر له، فقال آدم صلوات الله يا ربّ ولذريتي من بعدي، فقال نعم من آمن بي وبرسلي[3].

وعن السيّد في كتاب «سعد السعود»: أنّه رأى في صحف إدريس عليه السلام أمر الله

---

(١) تفسير العياشي: ج١ ص١٢١ ـ ١٢٧ ط قم مؤسّسة الاسلاميّة وعنه البحار ج١١ ص١٨٢ ـ ١٨٩.

(٢) خطا يخطو خطواً: فتح ما بين قدميه ومشى.

(٣) بحار الأنوار: ج١١ ص١٨٠ عن القصص.

الملائكة فحملت آدم وزوجته حوّاء على كرسيّ من نور، وادخلوهما الجنّة فوضعا في وسط الفردوس من ناحية المشرق ثمّ ذكر حديث إقامة آدم عليه السلام خمس ساعات من نهار ذلك اليوم في الجنّة واكله من الشجرة وذكر حديث اخراجه من الجنّة وهبوطه بأرض الهند على جبل اسمه باسم، على واد اسمه نهيل بين الدّهنج والمندل بلدي الهند، وهبطت حوّاء بجدة إلى آخر ما ذكره[1].

وفيه انّه كان شهر نيسان المبارك فأمره الله تعالى بصوم ثلاثة ايّام منه[2].

وسيأتي عن «تفسير القمي»: انّه كان اوّل يوم من ذي القعدة[3].

وفي «الخصال» انّه: اهبط الله تعالى آدم يوم الجمعة[4].

وفيه وفي «العيون»: سأل الشامي أميرالمؤمنين عليه السلام عن اكرم وادٍ على وجه الأرض؟ فقال له: وادٍ يقال له سرانديب سقط فيه آدم من السّماء[5].

وفي «القصص» بالاسناد إلى وهب قال: كان مهبط آدم عليه السلام على جبل في شرقي أرض الهند يقال له باسِمْ: ثمّ أمره أن يسير إلى مكّة، فطوى له الأرض فصار على كل مفازة يمرّ به خطوة، ولم يضع قدمه في شيء من الأرض إلّا صار عمرانا، وبكى على الجنّة مأتي سنة، فعزاه الله بخيمة من خيام الجنّة، فوضعها له بمكّة في موضع الكعبة[6].

---

(١) البحار: ج ١١ ص١٩٦ عن سعد السعود.

(٢) البحار: ج ١١ ص١٩٦.

(٣) تفسير القمي: ج١ ص ٤٤.

(٤) الخصال: ص ٣١٦ وعنه البحار ج ١١ ص ٢٠٤.

(٥) العلل: ص ٥٩٥ والعيون ج ١ ص ٢٤٤.

(٦) قصص الانبياء: ص ٧٠ وعنه البحار ج ١١ ص ٢١١.

وفيه عن الصادق عليه السلام قال: إنّ آدم لما هبط هبط بالهند، ثمّ رُمي اليه بالحجر الأسود، وكان ياقوتة حمراء بفناء العرش، فلما رأى عرفه فاكبّ عليه وقبّله، ثـمّ أقبل به فحمله إلى مكّة، فربما أعيي عن ثقله فحمله جبرئيل عنه، وكان إذا لم يأته جبرئيل عليه السلام إغتمّ وحزن، فشكى ذلك إلى جبرئيل فقال: اذا وجدت شيئاً من الحزن فقل لا حول ولا قوّة إلّا بالله[1].

وهذه الأخبار وان كانت ظاهرة في كون أوّل هبوطه بالهند أو في خصوص سرانديب أو جبل باسم، لكنّها محمولة على التقيّة لمخالفتها للأخبار الكثيرة الدّالة على كون مهبطهما مكّة.

بل في «العلل» و«العيون» عن البزنطي عن الرّضا عليه السلام قال: قلت: كيف كان أوّل الطيب؟ فقال لي: ما يقول مَنْ قبلكم فيه؟ قلت: يقولون إنّ آدم لما هبط بارض الهند فبكى على الجنّة سالت دموعه فصارت عروقاً في الأرض، فصارت طـيباً، فقال عليه السلام: ليس كما يقولون، آه[2].

وفيهما بالاسناد عن صفوان قال: سُئل ابوالحسن عليه السلام عن الحرم وأعـلامه؟ فقال إنّ آدم لمّا هبط من الجنّة هبط على أبي قبيس والناس يقولون بالهند فشكى إلى ربّه عزّ وجلّ الوحشة وانّه لا يسمع ما كان يسمع في الجنّة، فـاهبط الله عزّ وجلّ عـليه ياقوتة حمراء فوضعت في موضع البيت فكان يطوف بها آدم وكان يبلغ ضـوؤها

(١) قصص الانبياء: ص ٤٩ ح ١٨ وعنه البحار ج ١١ ص ٢١٠.
(٢) علل الشرايع: ص٤٩٢ ح٢، والعيون ج ١ ص ٢٨٧ ح ٣٤.

الاعلام فعلمت الأعلام على ضوئها فجعله الله ﷻ حرماً[١].

ويمكن ايضاً أن يكون أوّل هبوطه بمكة ثمّ بالهند أو بالعكس كقوله:﴿اهْبِطُواْ مِصْراً﴾[٢]. لكن ما ذكرناه أظهر، ويؤيّده ما ذكره الرازي من انّه روى في الأخبار أنّ آدمؑ أهبط بالهند، وحوّاء بجدّة وابليس بموضع من البصرة على أميال، والحية بإصفهان[٣].

حيث إنّ ظاهر إقتصاره عليه انّ اخبارهم تدلّ على هبوطه بالهند، وهذا ممّا يؤيّد الحمل على التقيّة، ولا ينافيه ما ورد من أنّ رائحة ما كان معهما من الورقة او المشط عبقت بالهند، اذ قد يكون ذلك بواسطة عصف الرّياح.

ولعلّه يؤمي اليه ما ورد في «الكافي» عن الصادقؑ قال: إنّ الله تبارك وتعالى لمّا أهبط آدمؑ طفق يخصف من ورق الجنّة، وطار عنه لباسه الّذي كان عليه من حلل الجنّة، فالتقط ورقة فستر بها عورته، فلما هبط عبقت رائحة تلك الورقة بالهند بالنبت فصار في الأرض من سبب تلك الورقة الّتي عبقت بها رائحة الجنّة، فمن هناك الطيب بالهند لأنّ الورقة هبّت عليها ريح الجنوب فأدّت رائحتها إلى المغرب، لأنّها احتملت رائحة الورقة في الجو، فلمّا ركدت الرّيح بالهند علق.

وفي بعض النسخ: عبق باشجارهم ونبتهم، فكان اوّل بهيمة إرتعت من تلك

(١) علل الشرايع ص٤٢٢ ح ٤ والعيون ج١ ص ٨٥.

(٢) البقرة: ٦١.

(٣) تفسير الرازي: ج ٣ ص ٣٧.

الورقة ظَبْي المِسك، فمن هناك صار المسك في سُرّة الظبي، لأنّه جرى رائحة النبت في جسده وفي دمه حتّى اجتمعت في سُرّة الظّبي(١).

بل في «العلل» عن الصادق عليه السلام قال: أهبط آدم من الجنّة عن الصّفا، وحوّاء على المروة، وقد كانت إمتشطت في الجنّة، فلمّا صارت في الأرض قالت: ما أرجو من المشط وانا مسخوط عليّ فحلّت مشطتها، فانتشر عن مشطتها العطر الّذي كانت امتشطت به في الجنّة، فطارت به الرّيح، فألقت اثره في الهند فلذلك صار العطر بالهند.

قال: وفي حديث آخر انها حلّت عقيصتها فارسل الله عزّ وجلّ على ما كان فيها من ذلك الطّيب ريحاً فهبت به في المشرق والمغرب(٢).

وممّا ذكرناه يظهر الوجه أيضاً فيما رواه في كتاب أخبار الملاحم والفتن عن الصّادق عليه السلام قال: لمّا خلق الله آدم وأخرجه من الفردوس كتب له عنده في العلم السابق ألف سنة فلمّا هبط من السّماء وأخرج من الفردوس، هبط على جبل بأرض الهند كان أعلاه قريباً من السّماء، وكان آدم عليه السلام يسمع كلام ملائكة سماء الدنيا، ويجد ريح الفردوس فلبث بذلك حينا، فاشتدّ جوعه فشكى إلى الأرض، فقال يا أرض اطعميني فانا آدم صفيّ الله، فاوحى الله تبارك وتعالى إلى الأرض: اجيبي عبدي.

فقالت: يا آدم لسنا نطعم اليوم من عصى الله، فبكى آدم عليه السلام أربعين صباحاً على ساحل البحر، تقطر دموعه في البحر، فيزعمون انّ الصدفة كانت ترتفع فوق

---

(١) فروع الكافي: ج٦ ص ٥١٤ ح ٣.

(٢) علل الشرايع: ص٤٩١ و٤٩٢ ح ١ وعنه البحار ج ١١ ص ٢٠٧.

الماء، فاذا قطرت دموع آدم في الصدفة إغتمس في الماء فيقولون: انّ الدّر من دموع آدم، ونبت الزعفران من دموع آدم، ونبت اللُبان من دموع داودﷺ.

فلما اشتدّ جوعه رفع رأسه إلى السّماء، فقال يا سماء أطعميني فأنا آدم صفيّ الله، فاوحى الله تعالى إلى السماء: أن اجيبي عبدي، فقالت: يا آدم لسنا نطعم اليوم من عصى الله تبارك وتعالى، فبكى آدم أربعين صباحاً، فلمّا اشتدّ جوعه رفع رأسه إلى السّماء فقال أسألك يا ربّ بحقّ النّبي الأميّ الّذي تريد أن تخرجه من صلبي الّا تبت عليّ واطعمتني، فأوحى الله إليه: يا آدم ومِن أين عرفت النّبي الأميّ ولم أخلقه بعد؟

فقال آدم: إنّي رأيت على الفردوس مكتوب: لا اله إلّا الله، محمّد رسول الله، فعلمتُ أنّ ذلك من صلبي، فبحقّ ذلك النّبي إلّا اطعمتني، فاوحى الله تبارك وتعالى إلى جبرئيل: إهبط إلى عبدي، فهبط عليه جبرئيل، ومعه تسع حبّات من حنطة، فوضعها على يدي آدم.

قال: فكان وزن الحبة منها الفاً وثمان مائة درهم.

قال آدم: يا جبرئيل ما هذا؟ فقال جبرئيل: يا آدم هذا أخرجك من الجنّة.

قال: فما أصنع به؟ قال إبذره في الأرض، ففعل، فأنبته الله من ساعته، فحدثت سنّة في ولده البذر في الأرض.

ثمّ أمره بحصاده، فجعل يأخذ القبضة بعد القبضة.

ثمّ أمره بجمعه وفركه بيده، فلذلك ولده يفركون بايديهم.

ثمّ أمره بتذريته في الّريح، فلذلك صارت الحنطة تذرّى في الّريح.

ثمّ امره بحجرين فوضع احدهما على الآخر فدقّه، فلذلك وضعت الرحا اليوم.

ثمّ أمره بعجنه فلذلك صار ولده يعجنون الدقيق اليوم.

ثمّ أمره أن يختبزه ملّة[1].

فجمع له جبرئيل الحجر والحديد، فقدحه فخرجت النار، فلذلك ولده يقدحون النّار اليوم، فهم أوّل من اختبز الملّة.

ثمّ أمره أن يأكله، فعند ذلك قال لجبرئيل: لا اريد! فقال له جبرئيل عليه السلام: شكوتَ إلى ربّك الجوع، فلمّا أطعمك قلت: لا أريد؟ قال: لأنّي قد أعييت ممّا عالجت.

فقال له جبرئيل: هذا عملك وعمل ذرّيتك إلى أن تقوم السّاعة.

فبكى آدم اربعين صباحاً حتّى نبتت لحيته من الغّم والحزن على الجنّة.

فلمّا أكل وجد في بطنه ثقلاً ووجعاً، ولم يكن قبل ذلك له مخاط ولا بزاق، فشكى إلى جبرئيل.

فقال جبرئيل: تنحّ فتنحىّ، فبعّر مثل بعر الشّاة، وَجَد له ريحاً شديداً، فشكى ذلك إلى جبرئيل.

فقال له جبرئيل: أتدري ما ذلك؟ قال: لا فقال له جبرئيل عليه السلام: انّ الله تبارك وتعالى حين خلقك من طين أجوف، فجاء إبليس فضرب على بطنك، فسمع له

---

(١) الملّة: الرماد والجمر. يقال: مللت الخبزة في الملّة واملاتها اذا عملتها في الملة ـ لسان العرب ج ١٣ ص ١٨٧.

دويّاً كدويّ الخابية، فقال للملائكة لا يهمنّكم إن كان ملكاً فهو منكم، وان يكن من غيركم فأنا اكفيكموه، وذلك قول الله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقاً مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (١) فكان ممّن اتّبعه هاروت وماروت.

ثمّ دخل في جوفك فخرج من دبرك، فكلّما أصاب الطعام من نتن فهو من ذلك، لأنّ ممرّ ابليس لعنه الله كان بطنك فيعز من ذلك، ولم يكن آدم يعرف قبل ذلك بُزاقاً، ولا مخاطاً، ولا شيئاً من الأذى حتّى اكل الطعام.

فلمّا لبث آدم عليه السلام في الأرض مأتي سنة ولد عوج بن عنق من بنت آدم، وهو الّذي كان ولد في دار آدم، وقتله موسى من بَعْد آدم، فعاش في الأرض ثلاثة آلآف سنة.

فلمّا استكمل ايّامه أوحى الله إليه أن يا آدم قد استكملت أيّـامك، فـانظر الاسم الاكبر وميراث علم النبوّة فادفعه إلى ابنك شيث، فانّي لم اكن اترك الأرض الّا وفيها عالم يدلّ على طاعتي وينهى عن معصيتي.

فدفع آدم الوصيّة إلى ابنه شيث(٢).

أقول: وهذا الخبر وان كان من طرق المخالفين إلّا انّه لما كان مرويّاً عنه عليه السلام مشتملاً على كثير ممّا في أخبارنا وعلى اتّصال الوصيّة وعدم خـلوّ الأرض عـن الحجّة أوردناه في المقام، وأمّا ما فيه من الإشتكاء إلى الأرض والسّماء فلعلّه كناية عن جوعه وحاجته وانسداد أبواب الرزق عليه من السّماء والأرض، وامّا ما فيه من

---

(١) سبأ: ٢٠.

(٢) إلملاحم: ص ٣٤ الى ص٣٨ وهو تأليف الحافظ احمد بن جعفر بن محمد المعروف بابن المنادي المتوفى (٣٣٦).

متابعة هاروت وماروت فمن مزخرفات العامّة.

وفي كتاب محاضرة الأوائل(١): إنّ اوّل موضع أهبط الله فيه آدم جبل يسمّى الراهون في جزيرة من جزائر الهند في مملكة سرانديب بمكان يقال الدّهنا وعليه اثر قدمه عليه السلام وعلى القدم نور لمّاع يخطف البصر لا يمكن لأحد أن ينظر إليه طول قدمه في الصّخر سبعون شبراً وعلى الجبل ضوء كالبرق ولابدّ لكلّ يوم فيه من المطر فيغسل أثر قدمه وان آدم خطأ من هذا الجبل إلى ساحل البحر خطوة واحدة وهو مسيرة يومين فلما أهبط خرّ ساجداً على صخرة بيت المقدّس وكان يمسح رأسه الشريف السّماء وكان يشرب من السّحاب وكان طوله خمسمائة ذراع والله أعلم بايّ ذراع ثمّ تضلع ستّين ذراعاً.

اقول: وستسمع الكلام في الاخبار الدالة على طول قامته عليه السلام فيما يأتي.

وفي «العلل» و«العيون» و«الخصال»: انّه سأل الشامي أميرالمؤمنين عليه السلام عن اوّل من قال الشعر فقال: آدم عليه السلام قال: وما كان شعره؟ قال لما أُنزل إلى الأرض من السماء فرأى تربتها وسعتها وهواها وقَتَل قابيلُ هابيل فقال آدم:

تغيّرت البلاد ومَنْ عليها ... فوجه الأرض مغبَرٌ قبيح

تغيّر كلّ ذي لون وطعم ... وقلّ بشاشة الوجه المليح

وزاد في «مروج الذّهب»(٢) وغيره:

وبدّل أهلها أثلاً وخمطاً ... بجنّات من الفردوس فيح

(١) قال حاجي خليفة في كشف الظنون ج٢ ص١٦١٠: محاضرة الاوائل: مختصر للشيخ علي دده... فرغ منه في شهر رجب سنة (٩٩٨) هـ.

(٢) مروج الذهب: ج١ ص٤٦.

وجاورنا عدوّاً ليس يُنسى لعين ما يموت فنستريح

ويقتل قاين هابيل ظلماً فوا أسفا على الوجه المليح

فمالي لا أجود بسكب دمعي وهابيل تضمّنه الضريح

ارى طول الحياة عليّ غمّاً وما انا من حياتي مستريح

فاجابه ابليس لعنه الله

تنحّ عن البلاد وساكنيها ففي الفردوس ضاق بك الفسيح

وكنت بها وزوجك في قرار وقلبك من أذى الدنيا مريح

فلم تنفكّ من كيدي ومكري إلى أن فاتك الثّمن الربيح

فلولا رحمة الجبّار أضحت بكفّك من جنان الخلد ريح[1]

قال شيخنا المجلسي رحمه الله قوله: قيح إمّا بالقاف جمع القاحة بمعنى الساحة أو بالفاء من الفيح بمعنى السّعة، وقاين بالياء: أحد ما قيل في اسم الولد القاتل، قال: وفي اكثر نسخ التفاسير والتّواريخ بالباء الموحّدة[2].

وفي مروج الذّهب بالمثنّاة من تحت وقيل قابين بالموحّدة ثمّ المثناة والمشهور قابيل باللام.

وفي «الفقيه» و«العلل» و«المحاسن» عن الصّادقعليه السلام قال لمّا هبط آدم من الجنّة ظهرت به شامة[3] سوداء من قرنه إلى قدمه، فطال حزنه وبكاؤه على ما ظهر

---

(١) البحار ج ١١ ص ٢٣٣ ـ ٢٣٤ عن العلل ص ٥٩٤ وعن العيون ج ١ ص ٢٤٢ والخصال ص ٢٠٩.

(٢) البحار: ج ١١ ص ٢٣٤.

(٣) الشامة: الخال اي بثرة سوداء وفي البدن حولها شعر.

به. فأتاه جبرئيل عليه السلام فقال ما يبكيك يا آدم؟ فقال: من هذه الشامة الّتي ظهرت بي، قال: قم يا آدم فصلّ فهذا وقت الصلاة الاولى فقام وصلّى، فانحطت الشامة إلى عنقه، فجاءه في الصّلاة الثانية، فقال: قم فصلّ يا آدم فهذا وقت الصلاة الثانية، فقام وصلّى فانحطت الشامة إلى سرّته، فجاءه في الصلاة الثالثة، فقال: يا آدم قم فصلّ فهذا وقت الصلاة الثالثة، فقام فصلّى فانحطت الشامة إلى ركبتيه، فجاءه في الصلاة الرابعة، فقال: يا آدم قم فصلّ فهذا وقت الصلاة الرابعة، فقام فصلّى فانحطت الشامة إلى قدميه فجاءه في الصلاة الخامسة، فقال: قم يا آدم فصلّ فهذا وقت الصلاة الخامسة، فقام صلّى فخرج منها، فحمد الله واثنى عليه، فقال جبرئيل: يا آدم مثَل ولدك في هذه الصلوة كمثلك في هذه الشّامة، من صلّى من ولدك في كلّ يوم وليلة خمس صلوات خرج من ذنوبه كما خرجت من هذه الشّامة [1].

وفي تفسير القمّي قال: فلمّا اسكنه الله الجنّة واتى جهالةً إلى الشجرة لأنّه خلق خلقة لا تبقى إلّا بالأمر والنّهي والغذاء واللّباس والإكنان والنكاح ولا تدرك ما ينفعه ممّا يضرّه إلّا بالأمر والنّهي والتّوفيق، فجاءه ابليس وقال إنكما إن اكلتما من هذه الشجرة الّتي نهٰكما الله عنها صرتما ملكين وبقيتما في الجنّة أبداً وان لم تأكلا منها اخرجكما الله من الجنّة، وحلف لهما أنّه لهما ناصح، كما قال الله تعالى حكاية عنه: ﴿ما نَهاكُما رَبُّكُما عَنْ هـٰذِهِ الشَّجَرَةِ إِلّا أَن تَكُونا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونا مِنَ الْخالِدِينَ﴾ [2] ﴿وَقاسَمَهُما إِنّي لَكُما لَمِنَ النّاصِحِينَ﴾ [3] فقبل آدم قوله، فأكلا من

---

(١) علل الشرايع: ص ٣٣٨ ح ٢ وعنه البحار ج ١١ ص ١٦٦.

(٢) الاعراف: ٢٠.

(٣) الاعراف: ٢١.

الشجرة فكان كما حكى الله ﴿بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا﴾ (١) وسقط عنهما ما ألبسهما الله تعالى من لباس الجنّة، واقبلا يستتران بورق الجنّة ﴿وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ (٢) فقالا كما حكى الله عنهما: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (٣) فقال الله لهما ﴿اهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾ (٤)، قال: إلى يوم القيمة قال: فأهبطِ آدم على الصّفا، وإنّما سمّيت الصّفا لأنّ صفوة الله نزل عليها، ونزلت حوّاء على المروة، وانّما سمّيت المروة لأنّ المرأة نزلت عليها، فبقي آدم اربعين صباحاً يبكي على الجنّة، فنزل عليه جبرئيل عليه السلام فقال: يا آدم ألم يخلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه واسجد لك ملائكته؟ قال: بلى قال: وامرك أن لا تأكل من الشجرة فلِمَ عصيتَه؟ قال: يا جبرئيل إنّ ابليس حلف لي بالله انّه لي ناصح وما ظننت ان خلقاً يخلقه الله أن يحلف بالله كاذباً (٥).

تفسير الآية (٣٧)

توبة آدم بواسطة الكلمات

﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ﴾ إستقبلها بالتوصل والإستشفاع وقبول الولاية

---

(١) الاعراف: ٢٢.

(٢) الاعراف: ٢٢.

(٣) الاعراف: ٢٣.

(٤) الاعراف: ٢٤.

(٥) تفسير القمي: ج ١ ص ٤٣ وعنه البحار ج ١١ ص ١٦٢.

وبالأخذ والقبول والعمل بناءً على ما هو الأظهر من شمول الكلمات للكونيّة الحقيقيّة واللّفظيّة، وهو مأخوذٌ من قولهم: تلقّيت منه اي أخذت وقبلت، ويقال: تلقّيتِ الرجل وتلقّاني أي إستقبلته واستقبلني، ومنه تلقّي الركبان، وهو في الأصل التّعرض للّقاء، أطلِق على القبول والاستقبال، لأنّه من التعرّض، وربما يحتمل أن يكون أصله التلقّن كالتظنّي في التظنن وهو ضعيف.

القراءة

واكثر القرّاء على رفع آدم ونصب كلمات، وعن إبن كثير العكس، واستدلّ له بأنّه في المعنى كالقراءة الأخرى، فانّ الأفعال المتعدّية على ثلاثة أضرب: ما يجوز ان يكون الفاعل له مفعولاً به والعكس، نحو: ضرب زيدٌ عمرواً وما لا يجوز ذلك فيه نحو: أكلت الخبز، وما يكون إسناده إلى الفاعل في معنى اسناده إلى المفعول به، نحو: نلت وأصبت وتلقيت تقول: نالني خير، ونلت خيراً، واصابني شيء، واصبت شيئاً، وتلقّاني زيدُ وتلقّيته، ومثله في جواز الوجهين بل وقراءة قوله تعالى: ﴿لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾[1] على ما يأتي إن شاء الله تعالى، وهو كما ترى توجيه للمعنى لا تصحيح للقراءة، بل هو من وجه آخر على ما مرّ على أنّ المعنى على الأوّل ما سمعت، وعلى الثّاني انّ الكلمات تداركته بالنّجاة وستسمع في الأخبار المرويّة عن «الخصال» و«المعاني» و«الفضائل» وغيرها ما يدلّ على الأوّل.

و«من» للابتداء، وإضافة الكلمات إلى اسم الرّب مضافاً إلى ضميره، مع انّه

(١) البقرة: ١٢٤.

ربّ كلّ شيء، للإشعار على كون التّلقي والتوسل من وظائف عبوديّة آدم، وقبوله من شؤون ربوبيّته المطلقة، مضافاً إلى كونه من متمّمات تربيته ومكمّلات وجوده.

الكلمات واطلاقاتها

و«كلمات» جمع كلمة، وفيها لغات، والحقّ أنّها اسم جنس يطلق على القليل والكثير فيقال للكلام والبيت والخطبة والقصيدة كما في قوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا﴾ (١)، وقوله ﷺ: أصدق كلمة قالتها العرب كلمة لبيد (٢):

الا كلّ شيء ما خلا الله باطل وكلّ نعيم لا محالة زائل (٣)

وقولهم: قال قُسّ في كلمته، يعنون في خطبته، وقال إمرؤا القيس في كلمته، يعنون في قصيدته.

ثمّ انّ هذه الإطلاقات كلّها إنّما هي باعتبار الكلمة التّدوينيّة، وامّا الكلمة التكوينيّة فالمراد بها الوجودات الجامعة المشتملة على الحروف الكونيّة ولذا يطلق على الانبياء والحجج ﷺ وكذا اطلقت على عيسى على نبيّنا وآله وﷺ في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ﴾ (٤) واطلقت الكلمات او الموصوفة بالتّامات على النّبي والائمّة ﷺ كما في هذه الآية

---

(١) المؤمنون: ١٠٠.

(٢) لبيد بن ربيعة العامري كان من أشراف شعراء المخضرمين والفرسان المعمّرين عمّر (١٤٠) سنة او ازيد وادرك الاسلام وأسلم مات في أواخر خلافة معاوية.

(٣) سفينة البحار: ج٢ ص٥٠٣.

(٤) النساء: ١٧١.

وفي قوله: ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ﴾ (١)، وقوله: ﴿قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي﴾ (٢)، وقوله: ﴿مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ﴾ (٣)، ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ﴾ (٤)، ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً﴾ (٥)، ﴿حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ رَبِّكَ﴾ (٦)، ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى﴾ (٧) وغيرها من الآيات الكثيرة على ما تسمع انشاء الله تعالى.

والمراد بها في المقام ما يشمل الامرين أعني التّوسل بذواتهم الشريفة الّذين هم الأسماء الحسنى، والامثال العليا، وأسماؤهم الّتي هي أسماء الأسماء إمّا باعتبار عموم الاشتراك، أو المجاز، او على ما قرّر في محلّه من جواز استعمال اللّفظ المشترك في المعنيين والمتّحد المعنى في المعنى الحقيقي والمجازي، مع أنّ التلقي هو التوسّل التّام الّذي لا يتم إلّا بالأمرين معاً ولذا ترى أخبار الباب المرويّة من طرق الفريقين مشتملة على الأمرين.

ففي «تفسير العياشي» عن اميرالمؤمنين عليه السلام قال: الكلمات الّتي تلقّاها آدم من ربّه قال: يا ربّ اسألك بحقّ محمّد لمّا تبت عليّ، قال: وما علمك بمحمّد؟ قال: رأيته في سرادقك الأعظم مكتوباً وانا في الجنّة (٨).

(١) البقرة: ١٣٤.
(٢) الكهف: ١٠٩.
(٣) لقمان: ٢٧.
(٤) الانعام: ١١٥.
(٥) الزخرف: ٢٨.
(٦) يونس: ٩٦.
(٧) الفتح: ٢٦.
(٨) تفسير العيّاشي: ج ١ ص ٤١ ح ٨ وعنه البحار ج ١١ ص ١٨٦ ح ٤٠.

وفيه عن الصادقعليه السلام قال: إنّ الله تبارك وتعالى عرض على آدم في الميثاق ذرّيته، فمرّ به النّبيصلى الله عليه وآله وسلم وهو متكيء على عليّ وفاطمة صلوات الله عليهما تُتلوهما، والحسن والحسين عليهما السلام يتلوان فاطمة، فقال الله: يا آدم اياك أن تنظر اليهم بحسد أهبطك من جواري، فلمّا أسكنه الله الجنّة مثّل له النّبي وعليّ وفاطمة والحسن والحسين صلوات الله عليهم، فنظر إليهم بحسد، ثمّ عرضت عليه الولاية: فانكرها فرَمَتْه الجنّة بأوراقها، فلمّا تاب إلى الله من حسده وأقرّ بالولاية ودعا الله بحقّ الخمسة محمّد وعليّ وفاطمة والحسن والحسين صلّى الله عليهم غفر الله له وذلك قوله: ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ﴾[1].

وفي «تفسير القمي» عن الصّادقعليه السلام قال: إنّ آدم بقى على الصفا اربعين صباحاً ساجداً يبكي على الجنّة وعلى خروجه من جوار الله عزّ وجلّ، فنزل عليه جبرئيلعليه السلام فقال: يا آدم مالك تبكي؟ قال: يا جبرئيل مالي لا ابكي وقد أخرجني الله من جواره، وأهبطني إلى الدّنيا، قال: يا آدم تب إليه، قال: وكيف أتوب؟ فانزل الله عليه قبّةً من نور في موضع البيت، فسطع نورها في جبال مكّة فهو الحرم، فامر الله جبرئيل أن يضع عليه الأعلام، قال: قم يا آدم فخرج به يوم التّروية، وامره أن يغتسل ويُحرم وأخرج من الجنّة اوّل يوم من ذي القعدة، فلمّا كان يوم الثامن من ذي الحجّة أخرجه جبرئيل إلى مِنى، فبات فيها فلمّا أصبح أخرجه إلى عرفات، وقد كان علّمه حين أخرجه من مكّة الاحرام وأمره بالتلبية، فلمّا زالت الشمس يوم عرفه قطع التّلبية، وأمره أن يغتسل، فلمّا صلّى العصر وقّفه. بعرفات، وعلّمه

---

(١) تفسير العيّاشي: ج ١ ص ٤١ ح ٢٧ وعنه البحار ج ١١ ص ١٨٧.

الكلمات الّتي تلقّى بها ربّه، وهو «سبحانك اللّهم وبحمدك لا اله إلّا انت عملت سوءً وظلمت نفسي، واعترفت بذنبي، فاغفرلي إنك الغفور الرحيم» هكذا ثلاث مرّات إلّا أنّه في الثانية انّك انت خير الغافرين وفي الثالثة: انك انت التّواب الرحيم، فبقى إلى أن غابت الشمس رافعاً يديه إلى السماء يتضرّع ويبكي إلى الله، فلمّا غابت الشمس ردّه إلى المشعر، فبات بها فلمّا أصبح قام على المشعر الحرام، فدعا الله تعالى بكلمات وتاب عليه[1]. الخبر

اقول: ولعلّ المراد بهذه الكلمات الأخيرة ما مرّت الاشارة اليها في مامرّ من الأخبار من التوسل بالنّبي والائمّة عليهم السلام، وامّا مع الحمل على الدّعاء المذكور في هذا الخبر فلا ينافي ذلك لأنّه من مقتضيات ولايتهم ومن آثارها.

وعليه يحمل أيضاً ما رواه العيّاشي في تفسيره عن أبي جعفر عليه السلام قال: الكلمات الّتي تلقّاهنّ آدم من ربّه فتاب عليه وهدى قال: سبحانك اللّهم وبحمدك، إلى آخر مامرّ[2].

قال وقال الحسن بن راشد: اذا استيقظت من منامك فقل الكلمات الّتي تلقّى بها آدم من ربّه: سبّوح قدّوس ربّ الملائكة والروح، سبقت رحمتك غضبكَ، لا اله إلّا انت انّي ظلمت نفسي فاغفر لي وارحمني، انك انت التّواب الرحيم[3].

وفي «كشف اليقين» عن مجاهد عن ابن عباس قال: لمّا خلق الله آدم ونفخ فيه من روحه عطس فألهمه الله: الحمد لله ربّ العالمين، فقال له ربّه: يرحمك ربّك،

---

(١) تفسير القمي: ج ١ ص ٤٤ ـ ٤٥ وعنه البحار ج ١١ ص ١٧٨ ـ ١٧٩.
(٢) تفسير العياشي: ج ١ ص ٤١ ح ٢٥.
(٣) تفسير العيّاشي: ج ١ ص ٤١ ح ٢٦.

فلمّا أسجد له الملائكة تداخله العجب، فقال: يا ربّ خلقت خلقاً أحبّ اليك منّي؟ فلم يجب ثمّ قال الثانية فلم يجب، ثمّ قال الثالثة فلم يجب، ثمّ قال الله ﷻ له: نعم ولولاهم ما خلقتك. فقال يا ربّ فأرنيهم، فأوحى الله ﷻ إلى ملائكة الحجُب: أن ارفعوا الحجب، فلما رفعت إذا آدم بخمسة أشباح قدأم العرش، فقال: يا ربّ مَنْ هؤلاء؟ قال: يا آدم هذا محمّد نبييّ، وهذا عليّ أميرالمؤمنين ابن عمّ نبييّ ووصيّه، وهذه فاطمة ابنة نبييّ، وهذان الحسن والحسين ابنا عليّ وولدا نبيي، ثمّ قال: يا آدم هم ولدك ففرح بذلك، فلمّا إقترف الخطيئة قال: يا ربّ أسألك بمحمّد وعليّ وفاطمة والحسن والحسين لمّا غفرت لي، فغفر الله له بهذا فهذا الّذي قال الله ﷻ : ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ﴾ [١]. فلمّا هبط إلى الأرض صاغ خاتماً فنقش عليه: «محمّد رسول الله وعليّ أميرالمؤمنين» ويكنّى آدم بابي محمّد عليه السلام [٢].

وفي «المعاني» فيما رواه المفضّل عن الصادق عليه السلام بطوله إلى أن قال عليه السلام: فلمّا اراد الله ﷻ أن يتوب عليهما جاءهما جبرئيل فقال لهما: إنكما إنّما ظلمتما انفسكما بتمنّي منزلة من فضّل عليكما فجزاؤكما ما قد عوقبتما به من الهبوط من جوار الله ﷻ إلى أرضه، فاسألا ربّكما بحقّ الاسماء الّتي رأيتموها على ساق العرش حتّى يتوب عليكما، فقالا: اللّهم إنّا نسألك بحقّ الاكرمين عليك: محمّد وعليّ وفاطمة والحسن والحسين والائمّة عليهم السلام إلّا تُبتَ علينا ورحمتنا. فتاب الله عليهما انّه هو التّواب الرحيم، فلم تزل أنبياء الله بعد ذلك يحفظون هذه الأمانة، ويخبرون

---

(١) البقرة: ٣٧.

(٢) اليقين في إمرة اميرالمؤمنين عليه السلام ص ٣٠ ـ ٣١.

بها أوصيائهم والمخلصين من امهم، فيابون حملها ويشفقون من إدّعائها وحملها الانسان الّذي قد عُرف، فأصل كلّ ظلم منه إلى يوم القيامة، وذلك قول الله عزّوجلّ: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾[١]، الآية[٢].

الكلمات التي تلقّيها آدم (ع)

وفي «الأمالي» و«الاحتجاج» و«جامع الاخبار» عن الصادق عليه السلام قال: أتى يهوديّ النّبي صلى الله عليه وآله فقام بين يديه يحدّ النظر إليه، فقال صلى الله عليه وآله: يا يهودي ما حاجتك؟ قال: انت أفضل أم موسى ابن عمران الّذي كلّمه الله، وأنزل عليه التوراة والعصا، وفلق له البحر واظلّه بالغمام؟ فقال له النّبي صلى الله عليه وآله: إنّه يكره للعبد أن يزكّي نفسه ولكنّي أقول: إنّ آدم لمّا أصاب الخطيئة كانت توبته أن قال اللّهم إنّي اسألك بحقّ محمّد وآل محمّد لمّا غفرت لي فغفرها الله له، وانّ نوحاً لمّا ركب السفينة وخاف الغرق قال: اللّهم إنّي أسألك بحقّ محمّد وآل محمّد لمّا نجّيتني وأهلي من الغرق، فنجّاه الله تعالى ومن معه في السفينة من الغرق، وإنّ ابراهيم لمّا ألقي في النّار قال: اللّهم إنّي أسألك بحقّ محمّد وآل محمّد لمّا أنجيتني منها، فجعلها الله عليه برداً وسلاماً، وإنّ موسى لمّا ألقىٰ عصاه وأوجس في نفسه خيفةً قال: اللّهم إنّي أسألك بحقّ محمّد وآل محمّد لما آمنتني، فقال الله جلّ جلاله: لا تخف إنك أنت الأعلى، يا يهودي إنّ موسى لو أدركني ثمّ لم يؤمن بي وبنبوّتي ما نفعه إيمانه شيئاً

(١) الاحزاب: ٧٢.

(٢) معاني الاخبار: ص١٠٨ وعنه البحار ج ١١ ص ١٧٤ ح ١٩.

ولا نفعته النبوّة[١].

وفي «المعاني» عن الصّادق عليه السلام في قوله: ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ﴾[٢]. ما هذه الكلمات؟ قال: هي الكلمات الّتي تلقّاها آدم من ربّه فتاب عليه، وهو انّه قال: أسألك بحقّ محمّد وعليّ وفاطمة والحسن والحسين إلّا تبتَ عليّ فتاب الله عليه انّه هو التوّاب الرحيم.[٣] الخبر

وفي «الكافي» عن أحدهما عليهما السلام: إنّ الكلمات لا اله إلّا انت سبحانك اللّهم وبحمدك عملتُ سوءً وظلمتُ نفسي فتب عليّ واغفر لي وانت خير الغافرين، لا اله إلّا أنت سبحانك اللّهم وبحمدك عملتُ سوءً وظلمتُ نفسي فاغفر لي وارحمني انك انت ارحم الراحمين، لا اله الا انت سبحانك اللهم وبحمدك عملت سوءً وظلمت نفسي فتب عليّ انك انت التوّاب الرحيم.

وفي رواية: بحقّ محمّد وعليّ وفاطمة والحسن والحسين.

وفي رواية أُخرى: بحقّ محمّد وآل محمّد صلى الله عليه وآله صلّى الله عليهم أجمعين[٤].

«الخصال» و«المعاني» و«الفضائل» عن النّبي صلى الله عليه وآله أنّه سئل عن الكلمات الّتي تلقّاها آدم من ربّه فتاب عليه؟ قال صلى الله عليه وآله: سأله بحقّ محمّد وعليّ وفاطمة والحسن والحسين إلّا تبت عليّ فتاب الله عليه.

وفي «فضائل الأئمّة» عن ابن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله لمّا خلق الله

---

(١) جامع الاخبار: ص ٨ - ٩ والامالي ص ١٣١ - ١٣٢، وعنهما البحار ج ١٦ ص ٣٦٦.

(٢) البقرة: ١٢٤.

(٣) معاني الاخبار ص ٤٢ وعنه البحار ج ١١ ص ١٧٧ ح ٢٤.

(٤) معاني الاخبار ص ٤٢ والخصال ج ١ ص ١٤٦ وعنها البحار ج ١١ ص ١٧٦.

آدم فسأل ربّه أن يريه ذرّيته من الانبياء والأوصياء المقرّبين إلى الله ﷺ فأنزل الله عليه صحيفة فقرأها كما علّمه الله تعالى إلى أن انتهى إلى محمّد النّبي العربّي عليه أفضل الصّلاة والسلام فوجد عند اسمه اسم عليّ بن ابي طالب عليه السلام فقال آدم هذا نبي بعد محمّد صلى الله عليه وآله فهتف به هاتف يسمع صوته ولا يرى شخصه يقول هذا وارث علمه وزوج إبنته وابو ذرّيته عليه السلام فلمّا وقع آدم في الخطيئة جعل يتوسّل إلى الله تعالى بهم عليهم السلام فتاب الله عليهم(١).

وفي تفسير فرات بن ابراهيم بالاسناد عن النّبي صلى الله عليه وآله: لمّا نزلت الخطيئة بآدم واخرج من الجنّة اتاه جبرئيل عليه السلام فقال يا آدم أدع ربّك قال يا حبيبي جبرئيل ما أدعو؟ قال: قل: يا ربّ اسألك بحق الخمسة الّذين تخرجهم من صلبي آخر الزّمان ألّا تبت عليَّ ورحمتني فقال له آدم يا جبرئيل سمّهم لي قال: اللّهم بحقّ محمّد نبيّك، وبحقّ عليٍّ وصي نبيّك، وبحقّ فاطمة بنت نبيّك، وبحقّ الحسن والحسين سبطي نبيّك إلّا تبتَ عليَّ ورحمتني، فدعا بهنّ آدم فتاب الله عليه، وذلك قول الله تعالى: ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ﴾، وما من عبد مكروب يخلّص النيّة ويدعو بهنّ إلّا استجاب الله له(٢).

وفي «الفضائل» بالاسناد عن النّبي صلى الله عليه وآله: إنّ أبي آدم لمّا رأى اسمي واسم عليّ وابنتي فاطمة والحسن والحسين واسماء اولادهم مكتوبة على ساق العرش بالنّور، قال: الهي وسيّدي هل خلقت خلقاً هو اكرم عليك منّي؟ فقال الله: يا آدم

---

(١) بحار الأنوار: ج ٢٦ ص ٣٣١ ح ١٣ عن الفضائل.

(٢) تفسير فرات: ص ١٣ وعنه البحار ج ٢٦ ص ٣٣٣ ح ١٥.

لولا هذه الاسماء لما خلقت سماء مبنيّة ولا أرضا مدحيّة ولا ملكاً مقرّباً ولا نبيّاً مرسلاً، ولا خلقتك يا آدم قال: فلمّا عصى آدم ربّه سأله بحقّنا أن يقبل توبته ويغفر خطيئته فأجابه، وكنّا الكلمات الّتي تلقّاها آدم من ربّه ﷻ فتاب عليه وغفر له، فقال له: يا آدم ابشر فانّ هذه الأسماء من ذرّيتك وولدك، فحمد آدم ربّه ﷻ وافتخر على الملائكة بنا وانّ هذا من فضلنا وفضل الله علينا(١).

وفي كتاب المحتضر للحسن بن سليمان عن الباقر؈ قال: نحن الأسماء الحسنى الّتي لا يقبل الله عن العباد عملاً إلّا بمعرفتنا ونحن والله الكلمات الّتي تلقّاها آدم من ربّه فتاب عليه(٢).

وفي تفسير الامام؈ قال: فلمّا زلّت من آدم الخطيئة واعتذر إلى ربّه ﷻ قال: يا ربّ تب عليّ، واقبل معذرتي، وأعدني إلى مرتبتي، وارفع لديك درجتي، فلقد تبيّن نقص الخطيئة وذلّها بأعضائي وسائر بدني، قال الله تعالى يا آدم: أما تذكر أمري ايّاك بأن تدعوني بمحمّد وآله الطّيبين عند شدائدك ودواهيك وفي النوازل الّتي تبهظك(٣) قال آدم: يا ربّ بلى قال الله ﷻ له: فتوسل بمحمّد وعليٍّ وفاطمة والحسن والحسين صلوات الله عليهم خصوصاً فادعُني أُجبك إلى ملتمسك وأزدك فوق مرادك. فقال آدم: يا ربّ وقد بلغ عندك من محلّهم إنّك بالتّوسل بهم تقبل توبتي وتغفر خطيئتي، وانا الّذي اسجدتَ له ملائكتك والجنّة جنّتك وزوّجته حوّاء أمتك، واخدمته كرام ملائكتك؟

---

(١) بحار الأنوار: ج ٣٥ ص٢٣ ح ١٥ عن الفضائل.

(٢) بحار الأنوار: ج٢٥ ص٥ ح٧.

(٣) تبهظك: تثقلك وتعجزك، مشتق من بهظ بمعنى أثقل وأعجز.

قال الله تبارك وتعالى: يا آدم إنّما أمرت الملائكة بتعظيمك بالسجود إذ كنتَ وعاءً لهذه الانوار، ولو كنت سألتني بهم قبل خطيئك أن اعصمك منها، وان أفطنك لدواعي عدوّك ابليس حتّى تحترز منه لكنت قد جعلت ذلك، ولكن المعلوم في سابق علمي يجري موافقاً لعلمي، فالآن فبهم فادعني لأُجيبك.

فعند ذلك قال آدم: اللّهمّ بجاه محمّد وآله الطّيبين، بجاه محمّد وعليّ وفاطمة والحسن والحسين والطّيبين من آلهم لمّا تفضّلت بقبول توبتي، وغفران زلّتي، وإعادتي من كراماتك إلى مرتبتي.

فقال الله ﷻ قد قبلت توبتك وأقبلت برضواني عليك، وصرفت الآئي ونعمائي إليك، واعدتك إلى مرتبتك من كراماتي، ووفّرت نصيبك من رحماتي، فذلك قوله ﷻ: ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾(١).

ثمّ قال ﷻ للّذين أهبطهم من آدم وحوّاء وابليس والحيّة: ﴿وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾ فيها تعيشون، وتحثّكم لياليها وأيّامها إلى السعي للاخرة، فطوبى لمن تزوّد منها لدار البقاء ﴿وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾ لكم في الأرض منفعة إلى حين موتكم، لأنّ الله منها يُخرج زروعكم وثماركم، وبها ينزلكم(٢)، وينعمكّم، وفيها ايضاً بالبلاء يمتحنكم، ويلذّذكم بنعيم الدنيا تارة لتذكروا نعيم الاخرة الخالص ممّا ينقّص نعيم الدّنيا ويبطله، ويزهّد فيه ويصغّره ويحقّره، ويمتحنكم تارة ببلايا الدّنيا الّتي تكون في خلالها الرّحمات وفي تضاعيفها النقمات

---

(١) البقرة: ٣٧.

(٢) في البحار: ينزهّكم.

المجحفة، يدفع عن المبتلي بها مكاره ليحذّركم بذلك عذاب الأبد الّذي لا تشوبه عافية، ولا تقع في تضاعيفها راحة ولا رحمة[١].

وفي موضع آخر من التفسير قال: قال رسول الله ﷺ لليهود معاشر اليهود تعاندون رسول الله ﷺ وتأبون الاعتراف بأنكم كنتم بذنوبكم من الجاهلين بانّ الله لا يعذّب بها اي بالتوبة والاعتراف احداً، ولا يزيل عن فاعل العناد عذابه ابداً إنّ آدم عليه السلام لم يقترح على ربّه المغفرة لذنبه إلّا بالتّوبة، فكيف تقترحونها انتم مع عنادكم؟ قيل: وكيف كان ذلك يا رسول الله؟ ﷺ فقال رسول الله ﷺ: لمّا وقعت الخطيئة من آدم عليه السلام وخرج من الجنّة وعوتب ووبّخ قال: يا ربّ إن تبت واصلحت أتردّني إلى الجنّة؟ قال: بلى قال آدم: فكيف اصنع يا ربّ حتّى اكون تائباً تقبّل توبتي؟ فقال الله تعالى: تسبحني بما أنا أهله، وتعترف بخطيئتك كما انت أهله، وتتوسّل إليّ بالفاضلين الّذين علّمتك أسماءهم، وفضلّتك بهم على ملائكتي، وهم محمّد وآله الطّيبون واصحابه الخيّرون.

فوفقه الله تعالى، فقال: يا ربّ لا إله إلّا أنت سبحانك اللّهم وبحمدك، عملت سوءً، وظلمت نفسي، فارحمني إنك أنت ارحم الرّاحمين بحقّ محمّد وآله الطّيبين، وخيار أصحابه المنتجبين، سبحانك وبحمدك لا اله إلّا أنت عملت سوءً وظلمت نفسي، فتب عليّ انك أنت التّواب الرحيم، بحقّ محمد وآله الطّيبين وخيار أصحابه المنتجبين.

فقال الله تعالى: لقد قبلت توبتك وآية ذلك أن أنقّي بشرتك فقد تغيّرت، وكان

---

(١) تفسير المنسوب إلى الامام عليه السلام: ص ٩٠ - ٩١ وعنه البحار ج ١١ ص ١٩٢ - ١٩٣.

ذلك لثلاث عشر من شهر رمضان فصم هذه الثلاثة الأيّام الّتي تستقبلك، فهي ايّام البيض ينقّي الله في كلّ يوم بعض بشرتك، فصامها فنقّي في كلّ يوم منها ثُلث بشرته، فعند ذلك قال آدم: يا ربّ ما أعظم شأن محمّد وآله وخيار أصحابه؟ فأوحى الله إليه: يا آدم انّك لو عرفت كنه جلالِ محمّد عبدي وآله وخيار أصحابه لأحببته حبّاً يكون أفضل أعمالك، قال: يا ربّ عرّفني لأعرف، قال الله تعالى: يا آدم إنّ محمّداً لو وُزِنَ به جميعُ الخلق من النبيّين والمرسلين والملائكة المقرّبين، وسائر عبادي الصّالحين، من أوّل الدّهر إلى آخره، ومن الثرى إلى العرش لرجّح بهم، وانّ رجلاً من خيار آل محمّد لو وزن به جميع آل النبيّين لرجّح بهم، وانّ رجلاً من خيار أصحاب محمّد لو وزن به جميع أصحاب المرسلين لرجّح بهم، يا آدم لو أحبّ رجلُ من الكفّار أو جميعهم رجلاً من آل محمد واصحابه الخيّرين لكافاه الله عن ذلك بان يختم له بالتوبة والايمان، ثمّ يدخله الله الجنّة إنّ الله ليفيض على كلّ واحد من محبّي محمد وآل محمد وأصحابه من الرّحمة ما لو قُسمت على عدد كعدد ما خلق الله تعالى من أوّل الدّهر إلى آخره، وكانوا كفّاراً لكفاهم، ولأدّاهم إلى عاقبة محمودة وهو الايمان بالله حتّى يستحقوا به الجنّة، ولو أنّ رجلاً كان ممّن يُبغض آل محمّد وأصحابه الخيّرين أو واحداً منهم لعذّبه الله عذاباً لو قُسّم على عدد ما خلق الله لأهلكهم الله أجمعين[1].

وفي كتاب المُحتضر للحسن بن سليمان ممّا رواه من كتاب منهج التّحقيق

---

(١) التفسير المنسوب الى الامام العسكري عليه السلام ص ١٥٧ وعنه البحار ج ٢٦ ص ٣٣٠ ـ ٣٣١ ح ١٢.

عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنّ الله تعالى خلق أربعة عشر نوراً من نور عظمته قبل خلق آدم باربعة عشر ألف عام، فهي ارواحنا فقيل له: يابن رسول الله صلى الله عليه وآله عُدّهم بأسمائهم فمن هؤلاء الأربعة عشر نوراً؟ فقال: محمّد وعليّ وفاطمة والحسن والحسين وتسعة من ولد الحسين، وتاسعهم قائمهم ثمّ عدّهم باسمائهم ثمّ قال: والله نحن الأوصياء الخلفاء من بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، ونحن المثاني الّذي اعطاها الله نبيّنا، ونحن شجرة النّبوة، ومنبت الّرحمة، ومعدن الحكمة، ومصابيح العلم، وموضع الرّسالة، ومختلف الملائكة، وموضع سرّ الله، ووديعة الله جلّ اسمه في عباده، وحرم الله الاكبر وعهده المسؤول عنه، فمن وفي بعهدنا فقد وفي بعهد الله ومن خفره[1] فقد خفر ذمّة الله وعهده، عرفنا مَن عرفنا وجهلنا مَن نحن الأسماء الحسنى الّتي لا يقبل الله من العباد عملاً إلّا بمعرفتنا، ونحن والله الكلمات الّتي تلقّاها آدم من ربّه فتاب عليه، انّ الله تعالى خلقنا فأحسن خلقنا، وصوّرنا فأحسن صورنا، وجعلنا عينه على عباده، ولسانه النّاطق في خلقه، ويده المبسوطة عليهم بالرّأفة والرّحمة، ووجهه الّذي يؤتى منه، وبابه الّذي يدلّ عليه، وخزّان علمه، وتراجمة وحيه، وأعلام دينه، والعروة الوثقى والدّليل الواضح لمن اهتدى، وبنا أثمرت الأشجار، واينعت الثّمار، وجرت الأنهار، ونزلت الغيث من السّماء، ونبت عُشْبُ الأرض، وبعبادتنا عُبدالله، ولولانا ما عُرف الله، وأيم الله لولا وصيّة سبقت وعهد أخذ علينا لقلت قولاً يعجب منه أو يذهل عنه الأوّلون والآخرون[2].

---

(١) اي ومن نقض عهدنا فقد نقض عهدالله.

(٢) المحتضر: ص ١٢٩ وعنه البحار ج ٢٥ ص ٤ـ ٥ ح ٧.

وعن كتاب الآل لابن خالويه عن النّبي ﷺ قال: لمّا خلق الله آدم وحوّاء عليهما السلام تبخترا في الجنّة فقال آدم لحوّاء: ما خلق الله خلقاً هو أحسن منّا، فأوحى الله عزّ وجلّ إلى جبرئيل ان ائتني بعبدتي الّتي في جنّة الفردوس الأعلى فلمّا دخلا الفردوس نظرا إلى جارية على دُرنوك[1] من درانيك الجنّة على رأسها تاج من نور، وفي أذنيها قرطان من نور، قد اشرقت الجنان من حسن وجهها، قال آدم: حبيبي جبرئيل مَنْ هذه الجارية الّتي قد أشرقت الجنان من حسن وجهها؟ فقال: هذه فاطمة بنت محمد ﷺ نبيّ من ولدك يكون في آخر الزمان، قال: فما هذا التّاج الذي على رأسها؟ قال: بعلها علي بن ابي طالب قال: فما القرطان اللّذان في اذنيها؟ قال: ولداها الحسن و الحسين، قال: حبيبي جبرئيل أخُلِقُوا قبلي؟ قال: هم موجودون في غامض علم الله قبل أن تخلق بأربعة الاف سنة[2].

و في تفسير القمي عن الصادق عليه السلام قال: إن آدم عليه السلام بقي على الصفاء اربعين صباحاً ساجداً يبكي على الجنة و على خروجه من الجنّة من جوار الله عزّ وجلّ، فنزل عليه جبرئيل عليه السلام فقال: يا آدم مالك تبكي؟ فقال: يا جبرئيل ما لي لا ابكي وقد أخرجني الله من جواره وأهبطني إلى الدّنيا، قال: يا آدم تب إليه، قال: وكيف اتوب؟ فانزل الله عليه قبّةً من نور في موضع البيت فسطع نورها في جبال مكّة، فهو الحرم وأمر الله جبرئيل أن يضع عليه الأعلام، ثمّ قال: قم يا آدم فخرج به يوم التّروية وامره أن يغتسل ويُحرم، وأخرج من الجنّة أوّل يوم من ذي القعدة فلمّا كان

---

(١) الدرنوك بضم الدال نوع من البسط له خمل.

(٢) المحتضر: ١٣١ ـ ١٣٢ وعنه البحار ج ٢٥ ص ٥ - ٦.

يوم الثّامن من ذي الحجّة أخرجه جبرئيل الى منى فبات بها فلمّا أصبح اخرجه إلى عرفات، وقد كان علّمه حين أخرجه من مكّة الإحرام، وعلّمه التّلبية، فلمّا زالت الشمس يوم عرفة قطع التلبية، وأمره أن يغتسل، فلمّا صلّى العصر أوقفه بعرفات، وعلّمه الكلمات الّتي تلقّى بها ربّه، وهي سبحانك اللّهم وبحمدك لا اله إلاّ انت عملت سوء وظلمت نفسي واعترفت بذنبي فاغفر لي انك انت خير الغافرين، سبحانك اللّهم وبحمدك لا اله إلاّ انت عملت سوء وظلمت نفسي واعترفت بذنبي فاغفر لي انك انت التّواب الرحيم، فبقي إلى غروب الشمس رافعاً يديه إلى السّماء يتضرّع ويبكي فلمّا غربت الشّمس ردّه إلى المشعر، فبات بها فلمّا أصبح قام على المشعر الحرام فدعى الله تعالى بكلمات وتاب عليه، ثمّ أفاض إلى منى وأمره جبرئيل أن يحلق الشعر الّذي عليه، فحلقه، ثمّ ردّه إلى مكّة فاتى به عند الجمرة الأولى، فعرض ابليس عندها فقال: يا آدم اين تريد؟ فأمره جبرئيل أن يرميه بسبع حصاة، وأن يكبّر مع كلّ حصاة تكبيرة ففعل، ثمّ ذهب فعرض له ابليس عند الجمرة الثانية، فامره أن يرميه سبع حصاة فرمى وكبّر مع كلّ حصاة تكبيرة، ثمّ ذهب فعرض له ابليس عند الجمرة الثالثة فأمره أن يرميه بسبع حصاة ويكبّر عند كلّ حصاة ففعل، فذهب ابليس لعنه الله وقال له جبرئيل: إنك لن تراه بعد هذا اليوم ابداً فانطلق به إلى البيت الحرام وأمره أن يطوف به سبع مرّات، ففعل، فقال له: إنّ الله قد قبل توبتك وحلّت لك زوجتك، قال: فلما قضى آدم حجّه لقيتهُ الملائكة بالأبطح فقالوا: يا آدم برّ حجّك أما إنّا قد حججنا قبلك هذا البيت بالفي عام[1].

(١) تفسير القمي ص٣٧ – ٣٨ وعنه البحار ج ١١ ص ١٧٨ – ١٧٩.

وفي البحار عن بعض كتب المناقب: انّ آدم لما هبط إلى الأرض لم يَر حَوّا فصار يطوف الأرض في طلبها، فمرّ بكربلا فاغتمّ وضاق صدره من غير سبب، وعثر في الموضع الّذي قتل فيه الحسين، حتّى سال الدّم من رجله، فرفع رأسه إلى السماء وقال: الهي هل حدث منّي ذنب آخر فعاقبتني به، فإني طفت جميع الأرض وما أصابني سوء مثل ما أصابني في هذه الأرض؟

فأوحى الله تعالى إليه، يا آدم ما حدث منك ذنب، ولكن يقتل في هذه الأرض ولدك الحسين ظلماً فسال دمك موافقة لدمه، فقال آدم: يا ربّ أيكون الحسين نبيّاً؟ قال: لا ولكنّه سبط النّبي محمدﷺ فقال: ومن القاتل له؟ قال: قاتله يزيد لعين أهل السموات والأرض فقال آدم: فايّ شيء أصنع يا جبرئيل قال: إلعنَ قاتلة يا آدم، فلعنه أربع مرّات، ومشى خطوات إلى جبل عرفات فوجد حوّاء هناك[1].

وفي تفسير العيّاشي عن ابي جعفرعليه السلام قال: قال رسول اللهﷺ: إنّ الله حين أهبط آدم إلى الأرض أمره ان يحرث بيده فيأكل من كده بعد الجنّة ونعيمها، فلبث يجأر ويبكي على الجنّة مائتي سنة، ثمّ انّه سجد لله سجدة فلم يرفع رأسه ثلاثة ايّام ولياليها، ثمّ قال: اي ربّ الم تخلقني؟ فقال الله: قد فعلت، فقال: الم تنفخ فيَّ من روحك؟ قال: قد فعلت، قال: الم تسكني جنّتك؟ قال: قد فعلت، قال: ألم تسبق لي رحمتك غضبك؟ قال الله: قد فعلت، فهل صبرت او شكرت؟ قال: آدم: لا اله إلّا انت سبحانك إنّي ظلمت نفسي فاغفر لي انك انت الغفور الرحيم، فرحمه الله

(١) بحار الأنوار: ج ٤٤ ص ٢٤٢ ـ ٢٤٣ ح ٣٧.

بذلك وتاب عليه إنّه هو التّواب الرحيم[١].

إلى غير ذلك من الأخبار الكثيرة المأثورة من طرق الاماميّة، بل قد روي مثل ذلك أيضاً من طرق المخالفين.

فعن ابن المغازلي الشّافعي في كتاب «المناقب» عن النّبيﷺ أنّه سئل عن الكلمات الّتي تلقّاها آدم من ربّه فتاب عليه فقالﷺ: سأله بحقّ محمّد وعليّ وفاطمة والحسن والحسينعليهم السلام الّا تبت عليَّ فتاب عليه[٢].

وعن النّطنزي في «الخصائص» انّه قال ابن عباس: لمّا خلق اللهُ آدمَ ونفخ فيه من روحه عطس، فقال: الحمد لله، فقال له ربّه: يرحمك ربّك، فلمّا أسجد له الملائكة تداخله العجب فقال: يا ربّ خلقت خلقاً هو أحبّ اليك منّي؟ قال: نعم ولولاهم ما خلقتك، قال: يا ربّ فأرنيهم، فأوحى الله ﷻ إلى ملائكة الحجب: أن ارفعوا الحجب، فلمّا رفعت إذا آدم بخمسة اشباح قدّام العرش، قال: يا ربّ من هؤلاء قال: يا آدم هذا محمّد نبيي، وهذا عليّ أميرالمؤمنين ابن عمّ نبييّ ووصيّه، وهذه فاطمة بنت نبيّي، وهذان الحسن والحسين ابنا عليّ وولدا نبيّي، ثمّ قال: يا آدم هم ولداك، ففرح بذلك، فلمّا إقترف الخطيئة، قال: يا رب اسألك بمحمّد وعليّ وفاطمة والحسن والحسين لمّا غفرت لي، فغفر الله له فهذا الّذي قال الله تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ﴾، إنّ الكلمات الّتي تلقّاها آدم من ربّه، اللّهم بحق محمّد وعليّ وفاطمة والحسن والحسين إلّا تبت علي فتاب الله عليه[٣].

---

(١) بحار الانوار عن تفسير العياشي ج ١١ ص ٢١٢ ح ١٩.

(٢) المناقب لابن المغازلي ص٦٣ ح ٨٩.

(٣) تفسير البرهان عن ابن شهر آشوب عن النطنزي ج ١ ص ٨٩.

اقول: وهذا الخبر قريب ممّا حكيناه عن: «كشف اليقين» إلّا أنّ فيه بعض الاختلاف ولذا حكيناه بلفظه.

وروى القاضي أبو عمرو عثمان بن أحمد أحد شيوخ السّنة يرفعه إلى ابن عباس عن النّبيﷺ قال: لمّا شملت آدم الخطيئة نظر إلى اشباح تضيء حول العرش فقال: يا ربّ إنّي أرى اشباحاً تشبه خلقي فما هي؟ قال: هذه الأنوار أشباح اثنين من ولدك اسم احدهما محمّد، أبدأ النّبوة بك وأختمها به، والآخر أخوه وابن اخي أبيه اسمه عليّ أيدّت محمّداً به، وانصره على يده، والانوار الّتي حولهما أنوار ذرّية هذا النّبي من أخيه هذا يزوجّه ابنته تكون له زوجة يتّصل بها اوّل الخلق ايماناً به وتصديقاً له، أجعلها سيّدة النّسوان وأفطمها وذرّيتها من النّيران، تنقطع الأسباب والأنساب يوم القيمة إلّا سببه ونسبه، فسجد آدم شكراً لله أن جعل ذلك في ذرّيته فعوّضه الله عن ذلك السجود أن أسجد له ملائكته[1].

ثمّ إن آدمؑ لمّا تاب بالتوسّل بمحمّد وآله الطّيبين وتجديد العهد بولايتهم والاستشفاع بأنوارهم ﴿فَتَابَ﴾ الله ﴿عَلَيْهِ﴾ بقبول توبته والرّجوع عليه بالاشفاق والرّحمة والنّعمة، ويمكن أن يكون المراد الّرجوع عليه بتوفيقه للتّوبة، وإلهامه لها أوّلاً قبل توبته كما في قوله: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُواْ﴾[2] ومنه قوله في الدّعاء: «اللّهم تب عليّ حتّى لا أعصيك»، فإنّ التّوبة يتّصف بها العبد والرّب، وللعبد توبة، وللرّب توبتان: يوفق العبد ويلهمه التّوبة أوّلاً، ثمّ يتوب العبد ويرجع من البُعد إلى

---

(١) البرهان: ج١ ص٨٩ ح١٦.

(٢) التوبة: ١١٨.

القرب ومن المعصية إلي الانقياد والطاعة، ثمّ يقبل الله توبته، فتوبة العبد تتعدّى بإلى وإذا نسبت إليه سبحانه تعدّت بعلى لتضمينه معنى الإشفاق والعطف.

وإنّما رتّبه بالفاء لأنّه كالتفصيل لما أجمله اوّلاً، لتضمّن التلقّي لتوبته لما مرّ.

واكتفى بذكر آدم في كلّ من التلقّي والتّوبة مع سبق التشريك في الزلّة للإيجاز والتغليب له في الأفعال كالاحكام وللتنبيه بالتشريك والتفكيك على كون ابتداء الزلة منهما والتّلقي منه.

﴿إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ﴾ الرجّاع على عباده بالتوفيق والدّعاء إلى التوبة وقبول الرّحمة، أو بالصّفح والمغفرة مرّة بعد اخرى، او بقبولها في الذّنوب العظام، فيحتمل كلّ من المادّة والهيئة وجهين والحاصل أربعة والأولى الحمل على الجميع.

﴿الرَّحِيمُ﴾ المبالغ في إفاضة الرحمة المكتوبة الايمانيّة الّتي خصّ بها المؤمنين، وفي الجمع بين الوصفين وعدٌ للتائب بالاحسان مع الغفران.

تفسير الآية (٢٨)

﴿قُلْنَا اهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعاً﴾

كرّره للتأكيد، أو لاختلاف ما هو المقصود بالخطاب، فانّ مساق الأوّل كون هبوطهم للزلّة والثاني أنّ المقصود الابتلاء بالتكليف، أو لأنّ المقصود بالخطاب الأوّل هو آدم وحوّاء وذرّيتهما تابعة، وفي الثاني بالعكس، ولذا فرّع على الأوّل حديث التلقّي وقبول التّوبة، وعلى الثّاني تقسيم النّاس إلى صنفين: ناج متبع لهداه وكافر تابع لهواه، وليس من خطاب المعدوم من شيء على فرض إستحالته، ولو

باعتبار التغليب لسبق خلق الارواح الّتي ركّب فيها العقل والادراك او غير ذلك ممّا مرّ في المقدّمات. ويؤيّده قول الإمامعليه السلام في تفسير قوله: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى﴾، يأتيكم واولادكم من بعدكم منّي هدى يا آدم ويا ابليس(١).

أو لأنهما لما أتيا بالزّلة أمرا بالهبوط فتابا بعد الأمر بالهبوط، ووقع في قلبهما أنّ الأمر بالهبوط لمّا كان بسبب الزّلة فبعد التوبة ينبغي أن لا يبقي الأمر بالهبوط فأعاده الله ليعلما انّه ما كان جزاء على ارتكاب الزّلة يزول بزوالها بل انّما هو تحقيق بالوعد المتقدّم من جعله خليفة في الأرض(٢).

وهذا الوجه ضعيف، وإن قوّاه الرازي، أو لانّ الهبوط الاول من الجنّة إلى السّماء وهذا الهبوط من السماء إلى الأرض(٣).

وردّ بانه قد جعل الاستقرار في الأرض والتّمتع فيها حالاً من الأوّل وان كانت حالا مقدّرة.

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

وفيه نظر لجواز كونه حالاً باعتبار ما يؤول إليه حالهم بعد الهبوط، وإلّا فلا استقرار ولا تمتّع حال الهبوط بل بعده، أو لاختلاف الحالين فقد بيّن في الأوّل أنّ الإهباط كان في حال عداوة بعضهم لبعض، وفي الثّاني انّه كان للإبتلاء والتكليف كما يقال: إذهب سالماً معافى إذهب مُصاحباً، وان كان الذهاب واحداً لاختلاف الحالين، وهو قريب من الثّاني، او لأنّه من تعقيب المطلق بالمقيّد حيث قيّد الثاني بالاجتماع، واليه الاشارة بما في تفسير الامامعليه السلام حيث قال: كان أمر في الاول أن

(١) تفسير الامامعليه السلام: ص٩٠ وعنه البحار ج ١١ ص ١٩١.

(٢) تفسير الفخر الرازي: ج٣ ص٢٦.

(٣) نقله الرازي عن الجباعي.

يهبطا[1] وفي الثّاني أمرهم أن يهبطوا جميعاً لا يتقدّم احدهم الاخر، والهبوط إنّما كان هبوط آدم وحوّاء من الجنّة، وهبوط الحيّة ايضاً منها، فانّها كانت من أحسن دوابّها، وهبوط ابليس من حواليها فإنّه كان محرّماً عليه دخول الجنّة[2].

وامّا ما يقال: من أنّ جميعاً حال في اللفظ تأكيد في المعنى فكأنّه قيل: إهبطوا أنتم أجمعون، ولذلك لا يستدعي إجتماعهم على الهبوط في زمان واحد كقولك: جاؤا جميعاً.

ففيه انّه كما يتعذّر كونه تاكيداً في اللّفظ فكذلك لا يتعيّن ذلك معنى، بل قضية الحاليّة بظاهرها اجتماعهم على الهبوط سلّمنا، لكنّه لا اقلّ من استفادة اجتماعهم بعده وهذا مع سبق العداوة الظّاهرة ممّا يصلح لتمهيد الابتلاء والامتحان ولذا عدل عن التأكيد إلى الحالية أي اهبطوا مجتمعين.

﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى﴾ «إمّا» اصله إنْ الشرطيّة زيدت عليها «ما» ليصحّ دخول نون التأكيد في الفعل، إيماءً إلى رجحان جانب الوقوع بعد دلالة حرف الشرط على الشك، فاكّدوا الفعل بالنون والأداة بما، وقد يقال: إنّ الأداة إذا اكّدت بما وجب تأكيد شرطها فلا ينحطّ المقصود عن رتبة الاداة، وبالجملة الأمر والنهي والاستفهام تدخل فيها النّون وان لم يكن معها ما، لاشتداد الحاجة إلى التّوكيد في الأوّلين، والثالث في معنى أخبروني، وامّا الخبر فلا يدخله إلّا في القسم وما أشبه القسم في التوكيد لقولك زيد لياتينّك وبجهدٍ ما تبلغنّ، وقد يقال في المقام: إنّ ما

(١) في نسخة: أن يهبطوا.

(٢) تفسير المنسوب الى الامام عليه السلام ص ٩٠ ـ ٩١.

لتأكيد الفعل اوّله كما انّ النون تأكيد له اخره كنظيره في لام القسم والنون في نحو: والله لأقومنّ، وأمّا فتح ما قبل النون فقد يقال: إنّه لالتقاء سكون الياء والنّون الاولى، والصحيح انّه للبناء والّا لما حرّك على الفتح في الصحيح.

والمراد بالهدى البيان والدّلالة بالعقل والشرع، ولذا ورد انّ لله على النّاس حجّتين حجّة ظاهرة وهم الانبياء والرسل وحجّة باطنة وهي العقول[١].

وعن الكاظم عليه السلام في خبر هشام انّ الله تبارك وتعالى اكمل للنّاس الحجج بالعقول وأفضى إليهم بالبيان، ودلّهم على ربوبيّته بالأدلة فقال: ﴿وَإِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَاحِدٌ﴾[٢].[٣] الآيتين.

وفي تفسير فرات عن الباقر عليه السلام في هذه الاية: انّ الهدى هو عليّ بن ابي طالب عليه السلام[٤].

والمراد كونه عليه السلام حجّة في عصره بعد النّبي صلى الله عليه وآله.

وفيه وجه آخر إنّما أتى فيه بالحرف الدّال في أصله على الشكّ، لأنّ اقترانه بما الزائدة والتأكيد بالنون الثقيلة قد أخرجه عن معنى الشك رأساً فدلّ على تيقّن الوقوع وتحقّقه من دون تقيّد بزمان للشرط ولا للجزاء المترتّب عليه، بل قضيّة اطلاق الفعل من حيث الأزمان عدم خلوّ الزّمان عن الحجّة الّذي هو الهدى

---

(١) بحار الأنوار: ج ١ ص ١٣٧.

(٢) الزمر: ١٨.

(٣) البحار: ج ١ ص ١٣٢ ح ٣٠.

(٤) تفسير فرات الكوفي ص ٥٨ ح ١٧.

المنصوب منه لا منّا، ولذا أضافه إلى نفسه في موضعين من هذه الآية.

وامّا ما يقال: من أنّ الوجه في ذلك أنّ الإتيان محتمل في نفسه غير واجب عقلاً، فهو مردود بما هو المقرّر في محلّه من عدم خلوّ العصر عن الحجّة، بل لا ريب في شمول الهدى للحجّة الباطنة الّتي هي العقول، بل ما ذكره مبنيّ على قواعد الاشاعرة المنكرين للتحسين والتقبيح العقليين النافين لعدله سبحانه عمّا يقول الظّالمون علوّاً كبيراً.

ومثله في الضّعف ايضاً ما قيل: من أنّ ذلك للإيذان بأنّ الإيمان بالله والتوحيد لا يشترط فيه بعثة الرسل وإنزال الكتب، وانّه إن لم يبعث رسولاً ولم ينزل كتاباً كان الايمان به وتوحيده واجباً لما ركب فيهم من العقول ونصب لهم من الأدلة ومكّنهم من النظر والاستدلال.

بل وما قيل أيضاً: من أنّ فيه اشارة إلى وجه آخر غير ما ذكرناه وهو انّ اتيان الهدى بطريق الرسول والكتاب ليس بواجب فالايمان به وبتوحيده وصفاته وافعاله واجب عليهم على كلّ حال سواء يأتيهم الكتاب والرسول أو لم يأتهم، وذلك لإفاضة نور العقل ونصب الأدلة ولو لم يكن طريق العقل كافياً لوجب عليه إرسال الرسل فلم يصحّ الإتيان بكلمة الشك، فلمّا أتى بها آذن انّه ليس بواجب فتعيّن الوجوب بطريق العقل.

فانّ الكلّ ضعيف لمخالفته للأصل المقرّر عندنا من وجوب الحجّة في كلّ عصر، ولظاهر الآية من حيث اقتران الشرط بحرفي التأكيد المخرجين. له عن الشك إلى رجحان الوقوع الموجب لتعيّنه في حقّه سبحانه على ما قضت به

حكمته. وجرت عليه افعاله من إرادة الاصلح وترجيح الراجح على المرجوح ومن هنا مع كون الخطاب شاملاً لذرّيته عليه السلام ولو باعتبار التغليب او غيره وظهور الآيتين في تصنيف النّاس إلى صنفين مع التّعريض بهما على هذه الأمّة الّتي هي في آخر الامم إشارة إلى ما استقرّ عليه المذهب من عدم خلوّ الزمان عن الحجّة بل قد ورد في اخبار كثيرة: «أن علم آدم لم يرفع بل قد ورثه حجّة بعد حجّة.

ففي «البصائر» عن الفضيل قال سمعت ابا عبدالله عليه السلام يقول: إنّ العلم الّذي هبط مع آدم لم يرفع وانّ العلم ليتوارث وما يموت منّا عالم حتّى يخلفه من اهله من يعلم علمه او ما شاء الله[1].

وعن الحارث بن المغيرة عنه عليه السلام: انّ العلم الّذي نزل مع آدم لم يرفع، وما مات عالم الّا وقد ورث عالم علمه، انّ الأرض لا تبقي بغير عالم[2].

وعن فضيل عن أبي جعفر عليه السلام قال: كانت في عليّ عليه السلام سنّة ألف نبيّ، وقال: إنّ العلم الّذي نزل مع آدم لم يرفع، وما مات عالم فذهب علمه، وانّ العلم ليتوارث وانّ الأرض لا تبقى بغير عالم[3].

وفي «العلل» عنه عليه السلام قال: والله ما ترك الله الأرض منذ قبض الله آدم إلّا وفيها امام يُهتدى به الى الله وهو حجّة الله على عباده[4].

وفيه وفي الاكمال عن الصادق عليه السلام قال: والله ما ترك الله الأرض منذ قُبِض

---

(١) بصائر الدرجات: ص ٣٢ وعنه البحار ج ٢٦ ص ١٦٩.

(٢) البصائر: ص ٣٢ وعنه البحار ج ٢٦ ص ١٦٨.

(٣) البصائر: ص ٣٢ وعنه البحار ج ٢٦ ص ١٦٩ ح ٣١.

(٤) علل الشرايع: ٧٦ وعنه البحار ج ٢٣ ص ٧٦.

آدم إلّا وفيها إمام يهتدى به إلى الله ﷻ، وهو حجّة الله ﷻ على العباد، من تركه هلك، ومن لزمه نجىٰ حقّاً على الله ﷻ[1].

ثمّ انّ العقول وان استقلّت بإدراك بعض الحقائق كالتوحيد وغيره بل بادراك بعض الاحكام او المصالح المقتضية لها كحسن الصدق النّافع وقبح الكذب الضّار، إلا انّها قاصرة عن الإحاطة بتفاصيل الأحكام فمتابعتها بهذا الاعتبار لا توجب الهدى التّام الّذي يوجب متابعته نفي الخوف والحزن رأساً، ومخالفته الكفر الموجب للخلود في النّار، وأمّا الكتب السّماويّة فانّها وان وجد فيها ما هو مشتمل على جميع الحقائق والاحكام كالقرآن إلّا انّه باعتبار بطونه الّتي لا يعلمها إلّا الله سبحانه أو من علّمه الله ولو بوسط.

بل نحن نرى النّاس مختلفين في فهم ظواهرها، ولذا ترى كلّ ذي شرعة أو بدعة يتشبّث بشيءٍ من ظواهرها في أصولهم وفروعهم، وكلّ فرقة من فرق أمّة النّبيﷺ قد استدلّوا لمذاهبهم المختلفة المنحرفة عن طريق الحقّ بظواهر القرآن، فليس فيه ايضاً بنفسه البيان الواضح والهدى التّام بل إنّما يتحقّق ذلك في الانبياء والأوصياء المعصومين صلّى الله عليهم اجمعين الّذين عندهم علم الكتاب، وهم فصل الخطاب، والعقل من حيث دلالته على الحجّة، وكشفه عن صحّة دعواه فيه الهدى التّام، وكذلك الكتاب من حيث اقترانه ببيان الحجّة وتفسيره وتأويله فيه الهدى التّام، والحجّة هو الكتاب النّاطق الّذي ينطق بالحقّ ويقضي بالقسط ويبطل تأويل المؤولين ويدحض انتحال المبطلين وهو الهدى التّام الّذي علّق عليه الوعد

(١) العلل: ص ٧٦ واكمال الدين ص ١٣٣.

والوعيد في الآيتين.

وانّما اضافه إلى نفسه للتنبيه على وجوب كونه منصوباً من قبله سبحانه لاشتراطه بالعصمة الّتي ليس للنّاس سبيل إلى معرفتها إلّا من طريق الاعجاز أو النّص ولغير ذلك على ما قرّر في محلّه.

﴿فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ «مَن» شرطيّة عند الاكثر، ويحتمل أن تكون موصولة، بل وجّهه أبو حيّان وغيره لقوله في قسيمه ﴿وَالَّذِينَ كَفَرواْ وَكَذَّبُواْ﴾ حيث أتى به موصولاً مع عدم دخول الفاء في خبره، ويؤيّده ضمائر الجمع الغائب، والجملة شرطيّة كانت او خبريّة جواب للشرط المتقدّم.

والإتّباع هو الإقتداء والإحتذاء، وأصله من تبعت القوم إذا مشيت خلفهم، والمراد به في المقام الموافقة في الأفعال والأقوال والأحوال والعقائد والنيّات، فانّه هو الإتّباع التّام، وان كان له عرض عريض كمّا وكيفاً، وهو المعبّر عنه بالايمان والتّصديق، ولذا قابله بالكفر والتكذيب.

وانّما كرّر لفظ الهدى لإظهار شأنه وفخامته سيّما مع إضافته إليه، تنبيهاً على قطع طمع الخائنين عن أن يكون لهم سبيل إلى نصب الحجّة، وتوهّم كون الثّاني أعمّ من الأوّل بناءً على شموله لما اقتضاه العقل، مضافاً إلى ما أتى به الرسل، واختصاص الأوّل بالثّاني غير واضح بعد ظهور شمول الأوّل للأوّل أيضاً، سيّما مع كونه نكرة في سياق الشرط او ما بمعناه.

والمراد بالخوف هو التألّم الحاصل من توقّع الوعيد، ونقيضه الأمن، كما أنّ

نقيض الحزن السرور، واصله غلظ الهمّ من الحزن وهو ما غلظ من الأرض، والخوف إنّما يحصل من حلول المكروه المتوقّع، والحزن عن فوات المحبوب الواقع، وامّا قوله تعالى: ﴿إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَن تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ﴾ (١)، فقد أجاب عنه شيخنا البهائي‏ في كشكوله بانّ المراد انّه يحزنني قصد ذهابكم به، قال: وبهذا يندفع احتراز ابن مالك على النّحاة بالاية الكريمة في قولهم: إنّ لام الابتداء تخلّص المضارع للحال.

أقول والأولى أن يقال: إنّه ايضاً بالنسبة إلى الواقع بعد تحقّق الذّهاب لاستناد الفعل إليه، فلا عبرة بحال التكلّم، وامّا اندفاع الاحتراز به بالنسبة إلى اللّام فقد سبقه فيه غيره كابن هشام، وستسمع في موضعه تمامَ الكلام، وان كنّا قد لوّحنا إليه في المقام أيضاً، فانّ تقدير الأية بعد التأويل بالمصدر انّه ليحزنني إذهابكم إيّاه، ومن البيّن أنّ الإذهاب موجب للحزن في حاله، وإن كانا مستقبلين بالنّسبة إلى حال التكلّم، وبالجملة ففي المقام نفي عنهم خوفَ وقوع المكروه فضلاً عن الخوف الواقع، وهو ابلغ بيان في نفي العذاب الروحاني والجسماني واثبات الثواب على الوجهين.

وقرىء (هُدَيَّ) كقُصَّي على لغة هذيل، حيث انّهم يقلبون ألف المقصورة إذا اضيف إلى ياء المتكلّم، ياء لمناسبتها كسرة المضاف ويدغمونها، وذلك لأنّ شأن ياء الإضافة أن يكسر ما قبلها، فجعل قلب الالف ياء بدل كسرها، إذ الالف لا تتحرّك، فهو مثل عليّ ولديّ، وقرأ يعقوب فلا خوف بفتح الفاء، على أنّ لا لنفي

---

(١) سورة يوسف: ١٣.

الجنس، وهذه قراءته في جميع القرآن، والباقون بالرّفع والتنوين على إعمال لا عمل ليس.

وامّا ما يستدلّ به للأوّل من أنّ «لا» التبرئة اشدّ نفياً من «ليس» وان قوله تعالى: ﴿فَلا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ﴾[1] لا خلاف في نصبه، وإن كان ما بعده معطوفاً عليه موضعه رفع، فمّما لا ينبغي الإصغاء إليه، سيّما فيما هو مبنيّ على التّوقيف.

وامّا ما يحكى عن الأعرج[2] من قراءة هداي بالالف وسكون الياء، فكأنّه نوى الوقف وإلّا فهو غلط.

تفسير الآية (٣٩)

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا أُولَـئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

قسيم للجملة المتقدّمة، صلةً كانت او شرطاً، وبها ينقسم كلّ من بلغته الدّعوة، وقامت عليه الحجّة إلى صنفين: متّبع مهتدٍ آمنٌ متنّعم بالنعيم الأبدي، وكافر مكذّب مخلّد في العذاب السرّمدي.

وتقديم الكفر على التكذيب من باب تقديم المسبّب على السّبب، أو من تقديم الملزوم على اللازم، والمراد من السّبب سببية في الحكم، ولو من جهة الكشف عن الموضوع، كما في دلالة بعض أعمال الجوارح كسجود الشمس وغيره

---

(١) يس: ٤٣.

(٢) هو عبدالرحمن بن هرمز ابوداود الأعرج المدني التابعي المقري مات بالاسكندرية سنة (١١٧) ـ غاية النهاية ج١ ص٣٨١.

على الكفر.

والظّرف إمّا متعلّق بالثّاني، والمراد كفرهم بالله وتكذيبهم بآياته وأنّ الفعلين متوجّهان إليه على جهة التنازع فيعمل أحدهما فيه والآخر في ضميره، وموضع اسم الاشارة الرفع إمّا على أنّه مبتدأ خبره أصحاب النّار وهم فيها خبر بعد خبر على جهة الاستقلال، أو انّهما بمنزلة خبر واحد، وعلى الوجهين فهو بخبره خبر للموصولة، وإمّا على أنّه بدل من الموصولة أو عطف بيان لها وأصحاب النّار بيان له جرى مجرى الوصف، وجملة «هم فيها» هي الخبر، ولم تدخل الفاء هنا مع دخولها في مثل قوله: ﴿فَأُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾[1] لما قيل: من أنّ ما دخل فيه الفاء من خبر الّذي واخواته مشبّه بالجزاء، وما لم يكن فيه فاء فهو على أصل الخبر.

وقد مرّ اشتقاق (الآية) في المقدمات، وانّ المراد بها العلامة الظّاهرة وأنّها تطلق إطلاقاً شائعاً على الأنبياء والحجج، وعلى طائفة من كلمات القرآن، وعلى المصنوعات من حيث دلالتها على الصّانع وصفاته الكماليّة ونعوته الجلاليّة، وعلى ما يدلّ على صدق الأنبياء من المعجزات الباهرات الصّادرة منهم ومن اوصيائهم، بل الأوصياء أنفسهم من آيات الله سبحانه على صدق انبيائه، ولذا ورد عن أميرالمؤمنين ﷺ أنّه قال: ما لله آية اعظم منّي[2].

وفي تفسير القمّي في غير هذا الموضع الآيات اميرالمؤمنين والائمة ﷺ، بل قد يستفاد ذلك ايضاً من وضع الأيات موضع الهدى المفسّر به ﷺ، ولا تظننّ

---

(١) الحج: ٥٧.

(٢) بحارالانوار ج ٥٣ ص ٥٤ ح ٣١ عن تفسير القمي.

انّهم عليهم السلام حججه سبحانه بعد نبيّنا صلى الله عليه وآله وسلم، مع أنّ الآية عامّة حاكمة على جميع ذرّية آدم، فانّ الإقرار بولايتهم ماخوذة على جميع الأمم في جميع الأعصار، بل متابعة حججه سبحانه في كلّ عصر وزمان إنّما هي من مقتضيات ولايتهم، حسبما قرّر في موضع آخر.

ولذا قال الامام عليه السلام في تفسيره للآية: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا﴾ الدّالات على صدق محمّد على ما جاء به من اخبار القرون السالفة، وعلى ما اداه إلى عبادالله من ذكر تفضيله لعليّ وآله الطّيبين خير الفاضلين والفاضلات بعد محمّد سيّد البريّات، اولئك الدّافعون لصدق محمّد في أنبائه، والمكذّبون له في نصب أوليائه عليّاً سيّد الأوصياء والمنتجبين من ذرّيته الطّيبين الطّاهرين[1].

﴿أُولَـئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ والآية ناعية على أهل السنّة وغيرهم ممّن انكر الحجج المعصومين صلّى الله عليهم أجمعين قاضية عليهم بالكفر الصريح، ولذا قرنه بالتكذيب بهم بل قدّمه عليه لما مرّت الاشارة إليه.

بسط في المقام للتنبيه على عصمة الانبياء عليهم الصلاة والسلام

اعلم: أنّ هذه القصّة وهي قصّة أبينا آدم عليه السلام وما ضاهاها من قصص الانبياء والأوصياء عليهم الصلوة والسلام، ممّا قد استدلّت بها الحشوية[2] وغيرهم ممّن لا

(١) تفسير البرهان ج ١ ص ٨٩ـ ٩٠ عن تفسير الامام عليه السلام.

(٢) الحشويّة: طائفة تمسكوا بالظواهر وذهبوا الى التجسّم، وغيره سمّوا بالحشوية لانهم كانوا في حلقة الحسن البصري المتوفى (١١٠)، فوجدهم يتكلمون كلاماً فقال: ردّوا هؤلاء الى حشاء الحلقه. وقيل غير هذا الوجه أيضاً.

خلاق لهم في الدّين ولا ينبغي لهم عدّهم في زمرة المسلمين على تخطئة الانبياء وتفسيقهم وتجهيلهم وتضليلهم، بل يعزى إلى بعضهم جواز الكفر عليهم.

وجملة الكلام أنّ الاختلاف الواقع في باب العصمة يرجع إلى أربعة اقسام: احدها: ما يقع في باب العقائد. ثانيها: ما يقع في التبليغ، ثالثها: ما يقع في الفتيا والاحكام، رابعها: ما يقع في أفعالهم وسيرهم عليهم السلام أمّا الكفر والضّلال في الاعتقاد فقد أجمع المسلمون على عصمتهم عنهما قبل النّبوة وبعدها، وقد ادّعى الاجماع عليه غير واحد من الفريقين، نعم قد حكي في الملل والنحل وغيره من الأزارقة وهم أصحاب أبي راشد نافع[1] بن الازرق من الخوارج انّهم جوّزوا عليهم الذّنب، وكلّ ذنب عندهم كفر، فلزمهم تجويز الكفر عليهم، بل قد يحكى عنهم: أنّهم قالوا: يجوز أن يبعث الله نبيّاً علم أنّه يكفر بعد نبوّته، إلّا أنّه لا ينبغي عدّ قول الخوارج في عداد أقوال المسلمين ولا عدّهم في زمرة أهل الاسلام، بل وكذا مَن قال بمقالهم كابن[2] فورك من الأشاعرة حيث جوّز بعثة من كان كافراً. وامّا ما حكاه شارح التجريد والفضل بن روزبهان عن الشيعة الإماميّة عن أنّهم جوّزوا للأنبياء اظهار الكفر تقيّة واحترازاً عن إلقاء النفس في التهلكة فهو ناش عن الجهل بمذهبهم، او

---

(١) نافع بن الازرق الحنفي من بني حنيف رئيس الفرقة الازارقة، إدّعى الخلافة في البصرة والأهواز ولقّب نفسه باميرالمؤمنين، وهجم على المدينة وأغار أموال الناس وقتل كثيراً حتى قتل قرب الاهواز في سنة (٦٥) هـ بواسطة جيش ابن الزبير.

(٢) ابن فورك: ابوبكر محمد بن الحسن بن فورك الاشعري الاصبهاني له مصنفات كثيره، مات مسموماً بأمر السلطان محمود سنة (٤٠٤) هـ.

العناد لهم والإفتراء عليهم كيف ومن المعلوم المشتهر بين الفريقين انّ مذهب الإماميّة هو العصمة المطلقة من الكبائر عمداً وسهواً قبل النّبوة وبعدها وانّه لا يجوز على الانبياء شيء من التقيّة، وإن جاز لغيرهم في محلّها، وهذا المذهب ممّا يعرفه منهم الموافق والمخالف، امّا جواز التقيّة عليهم ولو في اظهار الكفر فلم يقل به أحد منهم، ولم ينقل عن واحد منهم، وهذه أصولهم ومصنّفاتهم يدّعون فيها العصمة المطلقة مطلقاً، وليس فيها أثر ممّا افتراهُ عليهم قوم أخرون حكاية بل صريح كلام مخالفيهم نسبة القول بثبوت العصمة المطلقة اليهم.

قال العضدي في «شرح المختصر»: الاكثر من المحقّقين على أنّه لا يمتنع عقلاً على الأنبياء قبل الرسالة ذنب من كبيرة أو صغيرة، وخالفت الّروافض في ذلك فمنعوا جواز الّذنب مطلقاً.

وعن البدخشي في «شرح منهاج الأصول»: الاكثر من المحقّقين على أنّه لا يمتنع عقلاً قبل النبوّة ذنب من كبيرة أو صغيرة خلافاً للروافض مطلقاً، وللمعتزلة في الكبائر ولا خلاف لاحد في امتناع الكفر عليهم إلا الفضلية من الخوارج بناء على أصلهم من أنّ كلّ معصية كفر وقد قال الله تعالى: ﴿وَعَصَى آدَمُ﴾[1]، وجوّز البعض عليهم عند خوف تلف المهجة إظهار الكفر إلى آخر ما ذكره.

وظاهره انّ من جوّز على الأنبياء الكفر خوفاً جماعة غير الشّيعة لأنّه ذكر أن الشيعة مانعون مطلقاً، وبالجملة الإماميّة معروفون بإثبات العصمة المطلقة، كما يظهر من كتب الفريقين المصنّفة في اصول الكلام واصول الفقه، وقد تظافرت في

(١) طه: ١٢١.

كلامهم حكاية الإجماع على ذلك، وهذا المذهب مأخوذ من ائمّتهم عليهم السلام، ومن نقل منهم خلافه فهو مفترٍ مباهتٌ، مع أنّ ذلك القول فاسد في نفسه، فانّه لو جاز إظهار الكفر تقيّة لكان أولى الأوقات به وقت ظهور الدّعوة لأنّ النّاس في ذلك الوقت متّفقون على التكذيب والانكار، فكان لا يجوز اظهار الدّعوة لأحد من الأنبياء فيؤدّي إلى اخفاء الدّين بالكليّة، ولعلّه من حكى ذلك عنهم رأى في كلامهم ما يدلّ على جواز التّقيّة للأمّة وللأوصياء في ايّام خلافتهم مع إشتراكهم للأنبياء في العصمة والقدوة، فظنّوا انّهم يجوّزونها للأنبياء ايضاً، وهو كما ترى.

هذا كلّه في اعتقاد الكفر والشرك وما بمنزلتهما، وامّا الاعتقاد الخطأ الّذي لا يبلغ الكفر كاعتقاد عدم بقاء الأعراض فمذهب الإماميّة عدم جوازه ايضاً عليهم لتنزّههم وبراءتهم عن الخطأ في الاعتقاد ولو فيما لا يتعلّق بالأمور الشرعيّة ولا يدخل تحت التبليغ لما سيأتي، وأمّا الجمهور فقد حكى العلّامة اعلى الله مقامه في «نهاية الأصول» عنهم فيه قولين: أحدهما المنع لكونه منفّرا والآخر الجواز هذا هو الكلام في القسم الأوّل.

وامّا القسم الثّاني: وهو ما يتعلّق بالتبليغ فقد اتّفقت الأمّة بل جميع أرباب الشرائع والملل على وجوب عصمتهم عن الكذب والافتراء والتحريف فيما يتعلّق بالتّبليغ عمداً وسهواً، نعم قد يحكى عن القاضي[1] أبي بكر انّه جوّز من ذلك ما كان على سبيل النّسيان وفلتات اللّسان.

---

(١) هو القاضي ابوبكر الباقلاني محمد بن الطيّب البصري البغدادي الاشعري كان مشهوراً بالمناظرة وسرعة الجواب، توفي ببغداد سنة (٤٠٣) هـ الكنى والالقاب ج ٢ ص ٦٣.

وأمّا القسم الثالث: وهو ما يتعلّق بالفتيا فاجمعوا على إمتناع الخطأ فيه عمداً وسهواً والّا لأرتفع الوثوق عن أقوالهم، وربما يحكى عن بعض العامّة جوازه على جهة السّهو لا العمد.

وامّا القسم الرابع: وهو ما يتعلّق بأفعالهم فاختلفوا فيه على ثمانية أقوال: أحدها مذهب اصحابنا الإماميّة وهو انّه لا يصدر عنهم الذّنب لا صغيرة ولا كبيرة ولا عمداً ولا نسياناً ولا لخطأ في التأويل ولا للإسهاء من الله سبحانه ولا لغير ذلك من الأسباب ولم يخالف فيه إلّا الصدوق، وشيخه محمّد[1] بن الحسن بن الوليد رحمهما الله فانّهما جوّزا الإسهاء لا السهو الّذي يكون من الشيطان، وكذا القول في الائمّة الطّاهرين، بل قال الصدوق في «الفقيه»: إنّ الغلاة والمفوضّة لعنهم الله ينكرون سهو النّبي عليه وآله في الصلوة ويقولون: لو جاز أن يسهو في الصلوة جاز أن يسهو في التبليغ لأنّ الصلوة عليه فريضة، كما أنّ التبليغ عليه فريضة[2].

ثمّ فرّق بينهما بما لا يخفى ضعفه إلى أن قال: وكان شيخنا محمد بن الحسن ابن أحمد بن الوليد رحمه الله يقول أوّل درجة الغلوّ نفي السّهو عن النّبي ﷺ[3].

اقول وسيمرّ عليك في تفسير بعض الآيات المتعلّقة بذلك حكاية تمام ما ذكره في المقام مع ايراد ما يرد عليه وعلى شيخه من وجوه النقض والابرام.

ثانيها: ما ذهب إليه اكثر المعتزلة وهو انّه لا يجوز عليهم الكبائر ويجوز

---

(١) ابن الوليد: محمدبن الحسن بن احمد بن الوليد شيخ القميين ووجههم ثقة ثقة عين مسكون إليه، كتب في التفسير وغيره توفي سنة (٣٤٣) هـ ـ الكنى والالقاب ج ١ ص ٤٤٦.

(٢) من لا يحضره الفقيه ص ٢٧.

(٣) من لا يحضره الفقيه ص ٩٨.

عليهم الصغائر إلّا الصغائر الخسيسة المنفّرة كسرقة حبّة او لقمة وكلّ ما ينسب فاعله إلى الدناءة والضعة كالكذب والتّطفيف ونحوهما ممّا ينفّر، وامّا غيره من الصغائر فقد وقعت منهم عمداً وخطأً وسهواً.

ثالثها: انّه يجوز وقوع الكبائر منهم عقلاً وان لم تقع منهم سمعاً وهو المحكي عن القاضي[1].

رابعها: تجويز الكفر عليهم فضلا عن الكبائر عقلاً وان لم تقع وهو المحكي عن الغزالي[2] في كتابه «المنخول» في الأصول حيث قال: والمختار ما ذكره القاضي وهو انّه لا يجب عقلاً عصمتهم إذ لا يستبان استحالة وقوعه بضرورة العقل ولا بنظره وليس هو مناقضاً لمدلول المعجزة، فانّ مدلوله صدق اللهجة فيما يخبر عن الله تعالى لا عمداً ولا سهواً، ومعنى التنفير باطل فانا نجوّز ان ينبيء الله تعالى كافراً يؤيّده بالمعجزة انتهى قوله لا عمداً ولا سهواً اي انّ ما سوى الاخبار عن الله تعالى يجوز منه كلّ شيء من الذّنوب والمعاصي عهداً وسهواً.

خامسها: انّه لا يجوز أن يأتوا بصغيرة ولا كبيرة على وجه العمد لكن يجوز على جهة التأويل أو السهو، وهو المحكي عن أبي علي الجبائي[3] ومراده بالتأويل

---

(١) هو القاضي ابوبكر الباقلاني المتقدم ذكره.

(٢) هو أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن احمد الملقّب حجة الاسلام الطوسي الفقيه الشافعي وله مصنفات كثيرة في التصوف والاخلاق وغيرهما، توفي في ١٤ ج ٢ سنة (٥٠٥) هـ ـ الكنى والالقاب ج ٢ ص ٤٩٤.

(٣) ابو علي محمد بن عبدالوهّاب بن سلام المعتزلي، كان من رؤوس المعتزلة توفي سنة (٣٠٣) هـ ـ الكنى والالقاب ج ٢ ص ١٤٢.

ما لم يرجع إلى الغلط والاشتباه مثل ما يعزى إليه من انّ آدم كان منهيّاً عن جنس الشجرة فتأوّل وظنّ انّ النّهي متعلّق بشجرة بعينها. ولذا إعترض عليه علم الهدى[1] بانّه نزّهه عن معصية. واضاف إليه معصيتين لانّه مخطيء على مذهبه في ترك النظر في متعلّق النّهي وفي التّناول من الشجرة.

سادسها: انّه لا يقع ذلك منهم عمداً ولا من جهة التأويل لكن على سبيل السهو، وهم ماخوذون بما يقع منهم على وجه السّهو. وان كان ذلك موضوعاً عن امّتهم لقوّة معرفتهم وعلوّ رتبتهم وكثرة دلائلهم وانّهم يقدرون من التّحفظ على ما لا يقدر عليه غيرهم وهو قول النّظام وجعفر بن مبشر ومن تبعهما.

سابعها: انّه لم يقع منهم ذنب كبير ولا صغير عمداً وامّا سهوا فقد يقع لكن بشرط أن يتذكروه في الحال ويعرفوا غيرهم انّه سهوٌ.

ثامنها: انّهم كغيرهم من النّاس يجوز عليهم الكبائر والصغائر عمداً وسهواً وخطأً وهو قول الحشويّة وكثير من أصحاب الحديث من اهل السنّة.

ثمّ انّهم قد اختلفوا في وقت العصمة على أقوال ثلاثة: الأول: انّه من وقت ولادتهم إلى أن يلقوا الله سبحانه وهو مذهب أصحابنا الاماميّة.

الثّاني: انّه من حين بلوغهم ولا يجوز عليهم الكفر والكبيرة قبل النّبوة وهو مذهب كثير من المعتزلة.

الثّالث: انّه وقت النّبوة وامّا قبله فيجوز صدور المعصية عنهم، وهو قول اكثر

---

(١) هو سيّد علماء الأُمّة، ومحيي آثار الائمّة ذوالمجدين ابو القاسم علي بن الحسين بن موسى بن محمد بن موسى بن ابراهيم بن الامام موسى الكاظم عليه السلام ولد سنة (٣٥٥) هـ، وتوفّي لخمس بقين من شهر ربيع الاول سنة (٤٣٦) ـ الكنى والالقاب ج ٢ ص ٤٨٢.

الأشاعرة ومنهم الرّازي، وبه قال أبو هذيل وابو علي الجبائي من المعتزلة.

هذا مجمل الكلام في الأقوال وقد سمعت أنّ مذهب الاماميّة كافة هو القول بعصمة النّبي والامام تمام العمر فلنشر إلى معنى العصمة والدّليل على اثباتها ودفع حجج منكريها في مباحث:

الأوّل: في معنى العصمة وهي في اللّغة المنع، ومنه قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾[1] أي يمنعك وقوله: ﴿سآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ﴾[2] ﴿قَالَ لاَ عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾[3]. و﴿وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللَّهِ﴾[4] أي امتنعوا به، والمراد بها عند العدليّة هو اللّطف المانع للمكلّف من ترك الواجبات وفعل المحرّمات يفعله الله تعالى به غير سالب للقدرة على خلاف مقتضى اللّطف، والاّ فمع انتفاء القدرة ينتفي التكليف، فلا يستحقّ مدحاً ولا ثواباً، وهذا هو الّذي يقتضيه الأصول المقرّرة عند العدليّة على ما هو المذكور في الكتب الكلاميّة.

وإليه يرجع ما قيل ايضاً: من أنّها ملكة ربانيّة تمنع من فعل المعصية والميل إليها مع القدرة عليها.

وما إستقرّ به العلاّمة أعلى الله مقامه في «أنوار الملكوت» حاكياً له عن بعض العامّة: من انّها عبارة عن لطف يفعله الله بالمكلّف لا يكون معه داعٍ إلى المعصية وإلى ترك الطاعة مع قدرته عليهما.

---

(١) المائدة: ٦٧.

(٢) هود: ٤٣.

(٣) هود: ٤٣.

(٤) آل عمران: ١٠٣.

ولعلّه إليه يرجع ايضاً ما هو المحكيُّ عن الحكماء في تعريفها من انّها ملكة تمنع الفجور ناشئة من العلم بمثالب المعاصي ومناقب الطّاعات وتتاكّد في الأنبياء بتتابع الوحي اليهم بالأوامر الدّاعية إلى ما ينبغي والنواهي الزاجرة عمّا لا ينبغي.

وربما يزاد فيه بعد قوله: تمنع الفجور منعاً غير سالب للقدرة، بل قد يورد عليه بانّ قولهم ناشئة من العلم ليس بشيء لأنّ العلم لا يثمر تلك الملكة إلّا أن يراد به العلم الحقيقي وهو المقترن بالعمل بحيث لا يتخلّف عنه في حال، فحينئذ يكون صورة للعصمة، ومادّتها طلب الله سبحانه من المكلّف وهدايته، وروحها ذلك اللّطف.

وعلى هذا يكون هذا التعريف مع إعتبار القيد أقرب لاشتماله على جنس القريب، إلّا انّه لا يخفى أنّ امثال هذه التعاريف إنّما هو الكشف عن نوع المعنى، والإشارة إلى ما ينتقل منه إليه، وان لم يشتمل على الاجزاء الحقيقيّة من الجنس والفصول المميّزة، بل ولم يسلم طرداً وعكساً على حدّ سائر التّعاريف العرفيّة والبيانات اللّغويّة، بل وكثير من البيانات الشرعيّة أيضاً.

مثل ما رواه في «المعاني» بالاسناد عن موسى بن جعفر عن أبيه عن جدّه عن عليّ بن الحسين عليهم السلام قال: الامام منّا لا يكون إلّا معصوماً وليست العصمة في ظاهر الخلقة فيعرف بها فلذلك لا يكون إلّا منصوصاً فقيل له يابن رسول الله فما معنى المعصوم؟ فقال عليه السلام: هو المعتصم بحبل الله، وحبل الله هو القرآن لا يفترقان إلى يوم القيامة، والامام يهدي إلى القرآن، والقرآن يهدي إلى الامام، وذلك قول الله

عزّوجل: ﴿إِنَّ هَـٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ (١).(٢)

وفيه بالاسناد عن الحسين الأشقر قال: قلت لهشام بن الحكم ما معنى قولكم: إنّ الامام لا يكون إلّا معصوماً؟ قال: سألت ابا عبدالله عليه السلام عن ذلك فقال عليه السلام: المعصوم هو الممتنع بالله من جميع محارم الله قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (٣).(٤)

وفي «العلل» و«المعاني» و«الامالي» بالاسناد عن ابن أبي عمير قال: ما سمعت ولا استفدت من هشام بن الحكم في طول صحبتي ايّاه شيئاً أحسن من هذا الكلام في عصمة الامام عليه السلام فانّي سألته يوماً عن الإمام أهو معصوم؟ قال: نعم، قلت له: فما صفة العصمة فيه؟ وبأيّ شيء تعرف؟ قال: إنّ جميع الذّنوب لها أربعة أوجه لا خامس لها: الحرص والحسد والغضب والشهوة، فهذه منتفية عنه.

لا يجوز أن يكون حريصاً على هذه الدنّيا وهي تحت خاتمه، لأنّه خازن المسلمين فعلى ماذا يحرص؟

ولا يجوز أن يكون حسوداً لأنّ الإنسان إنّما يحسد من هو فوقه وليس فوقه أحد فكيف يحسد من هو دونه.

ولا يجوز أن يغضب لشيء من أمور الدنيا إلّا أن يكون غضبه لله عزّوجلّ فانّ الله عزّوجلّ قد فرض عليه إقامة الحدود، وان لا تأخذه في الله لومة لائم، ولا رأفة في دينه

---

(١) الاسراء: ٩.

(٢) بحارالأنوار ج ٢٥ ص ١٩٤ عن المعانى ص ٤٤

(٣) آل عمران: ١٠١.

(٤) البحار ج ٢٥ ص ١٩٤ ص ٤٤.

حتّى يقيم حدود الله عزّوجل.

ولا يجوز أن يتبع الشهوات ويؤثر الّدنيا على الاخرة لأنّ الله عزّوجل حبّب إليه الآخرة كما حبّب إلينا الدّنيا فهو ينظر إلى الاخرة كما ينظر إلى الدّنيا فهل رأيت أحداً ترك وجهاً حسناً لوجه قبيح وطعاماً طيّباً لطعام مُرّ وثوباً لطيفاً لثوب خشن، ونعمة دائمة باقية لدنيا زائلة فانية؟[1]

ففي هذه الاخبار الإشارات إلى ما مرّ من معنى العصمة امّا الخبر الأوّل فلاشتماله على الإعتصام بحبل الله الّذي هو القرآن، وقضيّة الإعتصام به موافقة أفعاله واقواله واحواله وخيالاته وإرادته لحكم القرآن المشتمل بظهوره وبطونه لكلّ شيءٍ، اذ فيه تفصيل كلّ شيءٍ.

وامّا الثّاني: فلانّ الإمتناع بالله هو الإلتجاء إليه بجميع مراتب الوجود، وفي كلّ حال من الأحوال، وقضيّة ذلك أن لا يكون للشيطان عليه سلطان، فلا يفوته شيء من الخيرات، ولا ترهقه قترة السّيئات.

وامّا الثالث: فلاشتماله على أصول المعاصي وشعبها، ولميّة تَنَزّهُهُ عن إقتراف شيء منها، لأنّه ببصيرته النافذة يرى الدّنيا والاخرة بحقيقتهما، ويرى كلّاً من الطّاعات والمعاصي على ما هي عليه في ذاتها، ولذا لا يختار المعصية على الطّاعة، ولا البعد على القرب ولا يستبدلون الّذي هو ادنى بالّذي هو خير، كما أشير إليه في ذيل الخبر، مع ما فيه من الاشارة إلى بقاء القدرة ولميّة حسن الاختيار من دون إلجاء وإضطرار.

---

(١) الخصال ص١٠١ و١٠٢ وعنه البحار ج٢٥ ص١٩٢.

وفيه ابطال لمذهب الأشاعرة حيث ذهبوا إلى أنّ المعصوم هو الّذي لا يمكنه الاتيان بالمعاصي بان يكون مختصّاً بكيفيّة بدنيّة او قائمة ببدنه او نفسانيه او قائمة بنفسه يقتضي امتناع الاقدام على المعصية، أو انه الّذي يكون قادراً على الطّاعة لا غير، أو يكون غير قادر على المعصية.

وهذه الأقوال الثلاثة على اختلافها في الجملة مشتركة في نفي القدرة حكاها عنهم في «انوار الملكوت» والكلّ مخالف لأصول المذهب كما لا يخفى، بل قد سمعت أنّ الاماميّة قد اعتبروا في تحقّق العصمة مضافاً إلى ترك المعاصي مطلقاً عن اختيار وقدرة نفي السّهو والغفلة ايضاً.

ولذا كان الأولى في تعريفها أن يقال: إنّها ملكة ربانيّة تنبعث على ترك المعاصي مع بقاء القدرة وعلى نَفْي الخطأ والزّلة حتّى السهو والغفلة، ولذا ورد في أخبار كثيرة أنّ الإمام لا يَسْهُو [١] ولا يغفل معلّلاً بكونه معصوماً على ما يأتي تمام الكلام فيه في تفسير قوله: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً﴾ [٢]. وقوله: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ [٣].

وفي الزيارة الجامعة: عصمكم الله من الزّلل وآمنكم من الفِتَن، وطهّركم من الدّنس، وأذهب عنكم الرّجس [٤].

وفي الزّيارة المرويّة في مزار البحار عن الشيخ المفيد، وابن طاووس،

---

(١) البحار ج٩٣ ص٦٤ وج٢٥ ص١٦٤.

(٢) البقرة: ١٢٤.

(٣) الاحزاب: ٣٣.

(٤) بحار الانوار ج١٠١ ص٣٧١.

والشيخ محمّد بن المشهدي في الثّناء على أهل البيت وفيها: «انّ لكم القلوب الّتي تولّى الله رياضتها بالخوف والرّجاء، وجعلها أوعيةً للشكر والثّناء وآمَنَها من عوارض الغفلة، وصفّاها من شواغل الفترة، الزيارة[1].

ثمّ انّ السّبب في تحقّق العصمة لاهلها ما قيل من أنّ الله تعالى خلق الأشياء، بفعله على حسب قوابلها لفعله، بمعنى أنّه أحدث موادّها لا من شيء، وصوّرها كما قبلت، فمن لطفت مادّته ورقّت لشدّة نوريتها وقربها من المبدأ الفيّاض الّذي هو مشيّة الله وفعله، تلاشت انّيتها وضعفت بحيث لا تكاد تنافي هيئة فعله، فلا تبدو عنها هيئة تخالف هيئة فعله، فلا يقع لها متعلّق اقتضاء غير ما إقتضته هيئة مشيّة، فلا يريد ذلك المخلوق غير ما يريد خالقه كما قال تعالى: ﴿وَمَا تَشَاؤُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾[2]، وهو معنى قول عليّ ﷺ: «فجعلهم ألسن إرادته»[3] يعني أن ارادته تعالى تنطق بهم، فقولهم قوله تعالى، وفعلهم فعله ﷻ، وهو معنى قولهم ﷺ: نحن محالّ مشيّة الله[4].

وفي زيارة الحجّة عجّل الله فرجه الّتي رواها أبو جعفر محمّد بن عثمان العمري: مجاهدتك في الله ذات مشيّة الله، ومقارعتك في الله ذات انتقام الله، وصبرك في الله ذوأناة الله، وَشكرُكَ لله ذو مزيد الله ورحمته، إلى أن قال: والقضاء المثبَت ما

---

(١) بحار الأنوار ج ١٠٢ ص ١٦٤.

(٢) سورة الانسان: ٣٠.

(٣) بحار الأنوار ج ٩٧ ص ١١٤.

(٤) لم اظفر على مصدره ولكن بمضمونه رواية اخرى في البحار ج ٢٥ ص ٣٣٧ وهي: «قلوبنا أوعية لمشيّة الله...»

استأثرت به مشيّتكم، والممحوّ ما لا استأثرت به سُنتّكم به[١].

فكان بعناية الله تعالى ولطفه عن قابليّته سابقاً لكلّ من لم يكن كذلك، وكانت فطرته على هيئة فعله تعالى ومحبّته. فحين توجّه إليه أمر ربّه كان ميل فطرته ودواعي صورته الغيبيّة مطابقاً لمحبّة الله وارادته وامره، مع دوام الرياضة والتربية حقيقة ما هو اهله بالتّوفيق والتّسديد وعدم التّخلية مع مطابقة تلك الفطرة لفعل الله ومحبّته وارادته.

وامّا عدم غفلته وسهوه ونسيانه فلدوام تيقظه وتنبّهه وتوقّد نورية قلبه ودوام توجّهه إلى ربّه، وسلامة قلبه عن إستيلاء حزب الشياطين ووساوسهم ونزعاتهم، وذلك لما قُرّرَ في محلّه من أنّ سببَ الغفلة والنّسيان هو البُعد عن ساحة القُرب الموجب لاستيلاء الشيطان، ولذا قال مولانا الحسن المجتبى عليه السلام في جواب من سأله عن جملة من المسائل على ما رواه في «العلل» و«العيون» إلى أن قال: وأمّا ما ذكرت من أمر الذكر والنّسيان فإنّ قلبَ الّرجل في حُقٍّ وعلى الحق طبقُ فإن صلّى الرجل عند ذلك على محمّد وآل محمّد صلوة تامّة إنكشف ذلك الطبق عن ذلك الحُقّ فأضاء القلب، وذكر الرّجل ما كان نسي، وإن هو لم يصلّ على محمّد وآل محمّد، أو نقص من الصلوة عليهم انطبق ذلك الطبق على ذلك الحُقّ فأظلم القلب ونسي الّرجل ما كان ذكره.[٢] الخبر.

فانّ الصّلوة مشتقّة من الصّلة والوصل والاتّصال، فإذا اتّصل العبد بالأنوار

---

(١) بحار الأنوار ج ٩٤ ص ٣٩.

(٢) بحار الانوار ج٣٦ ص ٤٢٥ ـ عن كمال الدين والعيون.

القادسيّة الالهيّة، وارتفع عن وجه قلبه الحجب الظّلمانية أشرقت تلك الأنوار على مرآة قلبه الصّقيلة وانتقش فيها صور الأشياء على ما هي عليها من دون أن يقربه سهوٌ أو نسيان أو غفلة. وهذا هو المقصود بالصّلوة التّامّة عليه وآله ﷺ والاّ فمن البيّن أنّ مجرّد اجراء تلك اللّفظة على اللّسان مع غفلة القلوب واحتجابها بالحجب الظّلمانيّة عن الاستضاءة بالأنوار القدسيّة ليست صلوة تامّة.

الثّاني: في إقامة الحجّة على عصمة الأنبياء وأوصيائهم عليهم الصّلوة والسّلام، والعمدة في ذلك إجماع أصحابنا الإماميّة المعلوم لنا تحقيقاً ونقلاً مستفيضاً بل الحقّ على ما صرّح به غير واحد من الأصحاب انّه صار من ضروريّات مذهب الاماميّة، بحيث يعرفه منهم كلّ من دخل في هذا المذهب، بل يعرفه منهم المخالفون لهم ايضاً حيث نسبوا في كتبهم الكلاميّة وغيرها إلى الاماميّة القول بلزوم العصمة من جميع الذّنوب صغائرها وكبائرها ومن السهو والنسيان والخطأ من أوّل العمر إلى آخره، قبل النّبوة وبعدها، ولذا رَمَت الاماميّة قولَ الصّدوق وشيخه إبن الوليد في جواز السّهو او الإسهاء عليهم بقوس واحدة بل تبرّأوا من هذا القول وهجروه ونسبوه إلى الشذّوذ والوهن النّاشي عن الإختلاط بالقميين الّذين يبالغون في نفي الغلوّ والارتفاع في حقّ الحجج ﷺ، حتّى أنّهم إذا رأوا واحداً من الّرواة يروون بعضَ مناقب الأئمّة وفضائلهم وغرائب معجزاتهم هجروه وتركوا حديثه ونسبوه إلى الغلوّ والارتفاع، وهذا هو السبب الأقوى في تضعيف ابن الغضائري كثيراً من الثِقات بل ربما يسري الوهم إلى غيره، ولذا ضعّفوا محمّد بن سنان، والمعلّى بن خنيس، والمفضّل بن عمر الجعفي، ونصر بن الصباح،

وغيرهم من المشايخ الثقات الّذين كانوا من أبواب الائمّة عليهم السلام.

وبالجملة لاريب في قيام الضرورة من المذهب في هذه الأعصار على عصمة الحجج كلّها من الأنبياء والأوصياء وهي الحجّة القطعيّة، مضافاً إلى الأخبار المستفيضة بل المتواترة الدّالة على ذلك حسبما تسمع شطراً منها في تفسير الآيات الاتية المتعلّقة بعصمة الأنبياء والحجج.

نعم قد تصدّى جملةٌ من أصحابنا شكر الله مساعيهم لإثبات ذلك بإقامة الحجّة عليه من طريق العقل، فلا بأس بالتّعرض لجملة من حججهم، وان كان في بعضها بعضُ القصور عن إفادة تمام المطلوب، إلّا أنّه لا بأس به بعد ما سمعتَ أنّ عمدة الدّليل هو الضرورة والإجماع، فمنها دليل التنفير على ما أشار اليه غير واحد من الأصحاب.

قال السيّد المرتضى رضي الله عنه في كتاب «تنزيه الأنبياء»: اعلم أنّ جميع ما ننزّه الأنبياء عليهم السلام عنه ونمنع من وقوعه منهم يستند إلى دلالة العَلَم المعجز إمّا بنفسه او بواسطة، وذلك أنّ العَلَم المعجز إذا كان واقعاً موقع التصديق لمدّعي النّبوة والرّسالة وجارياً مجرى قوله تعالى له صدقتَ في انك رسولي ومؤدٍّ عني، فلابدّ أن يكون هذا المعجز مانعاً من كذبه على الله تعالى فيما يؤدّيه، لأنّه تعالى لا يجوز أن يصدّق الكذّاب، لأنّ تصديق الكذّاب قبيح كما أنّ الكذب قبيح، وأمّا الكذب في غير ما يؤدّيه وسائر الكبائر فانّما دلّ المعجز على نفيها من حيث كان دالّاً على وجوب إتباع الرّسول وتصديقه فيما يؤدّيه وقبوله منه، لأنّ الغرض في بعثة الأنبياء وتصديقهم بالأعلام المعجزة هو أن يمتثل ما يأتون به، فما قدح في الإمتثال

والقبول واثّر فيهما يجب أن يمنع المعجز منه، فلهذا قلنا: انّه يدلّ على نفي الكذب والكبائر عنهم في غير ما يؤدّونه بواسطة، وفي الأوّل يدلّ بنفسه، وأمّا إنّ تجويز الكبائر يقدح فيما هو الغرض بالبعثة من القبول والإمتثال فلأنّه لا شبهة في أنّ من نجوّز عليه كبائر المعاصي ولا نأمن منه الإقدام على الذّنوب لا تكون أنفسنا ساكنةً إلى قبول قوله واستماع وعظه سكونَها إلى من لا نُجوِز عليه شيئاً من ذلك، وهذا هو معنى قولنا: انّ وقوع الكبائر يُنَفِرّ عن القبول، والمرجع فيما ينفرّ وما لا ينفرّ إلى العادة واعتبار ما يقتضيه، وليس ذلك ممّا يستخرج بالأدلّة والمقاييس، ومن رجع إلى العادة علم ما ذكرناه، وانّه من أقوى ما ينفرّ عن قبول القول وان حظّ الكبائر في هذا الباب ان لم يزد عن حظّ السخف[1] والمجون[2] والخلاعة[3] لم ينقص منه.

فان قيل: أليس قد جوّز كثير من النّاس على الأنبياء الكبائر، مع انّهم لم ينفروا عن قبول أقوالهم والعمل بما شرعوه من الشرائع، وهذا ينقض قولكم: إنّ الكبائر منفرّة.

قلنا هذا سؤال مَنْ لم يفهم ما أوردناه، لأنّا لم نرد بالتنفير ارتفاع التصديق وأن لا يقع إمتثال الأمر جملةً، وانّما أردنا ما فسرّناه من أن سكون النفس إلى قبول قول من يُجَوّز ذلك عليه لا يكون على حدّ سكونها إلى من لا نجوّز ذلك عليه، وإنّا مع تجويز الكبائر نكون أبعد من قبول القول، كما أنّا مع الأمان من الكبائر نكون أقرب إلى القبول، وقد يقرب من الشيء ما لا يحصل الشيء عنده، كما يبعد عنه ما

---

(١) السخف: رقّة العقل ونقصانه.

(٢) المجون: المزاح وقلة الحياء وصلابة الوجه.

(٣) الخلاعة: الانقياد للهوى والتهتك والاستخفاف.

لا يرتفع عنده، ألاترى أن عبوس الدّاعي للناس إلى طعامه وتضّجره وتبرّمه منفرّ في العادة عن حضور دعوته وتناول طعامه، وقد يقع مع ما ذكرناه الحضور والتناول ولا يخرجه من أن يكون منفّراً، وكذلك طلاقة وجهه واستبشاره وتبسّمه يقرّب من حضور دعوته وتناول طعامه، وقد يرتفع الحضور مع ما ذكرناه ولا يخرجه من أن يكون مقرّباً، فدلّ على أنّ المعتبر في باب المنفّر والمقرّب ما ذكرناه دون وقوع الفعل المنفّر عنه او ارتفاعه.

فان قيل: فهذا يقتضي أنّ الكبائر لاتقع منهم في حال النبّوة فمن أين انّها لا تقع منهم قبل النبوّة وقد زال حكمها بالنبوّة المسقطة للعقاب والذّم ولم يبق وجه يقتضي التنفير؟

قلنا الطريقة في الأمرين واحدة لأنّا نعلم أن من يجوّز عليه الكفر والكبائر في حال من الأحوال وان تاب منه وخرج من استحقاق العقاب به لا نسكن إلى قبول قوله مثل سكوننا إلى من لا نجوّز ذلك عليه في حال من الأحوال وعلى وجه من الوجوه، ولهذا لا يكون حال الواعظ لنا الدّاعي إلى الله تعالى ونحن نعرفه مقارفاً للكبائر مرتكبا لعظيم الذّنوب وان كان قد فارق جميع ذلك وتاب منه عندنا وفي نفوسنا كحال من لم يُعْهَد منه إلّا النزاهة والطّهارة، ومعلوم ضرورة الفرق بين هذين الرجلين فيما يقتضي السكون والنّفور، ولهذا كثيراً ما يُعيَّر النّاسُ مَنْ يعهدون منه القبائح المتقدّمة بها وان وقعت التّوبة منها، ويجعلون ذلك عيباً ونقصاً وقادحاً ومؤثراً، وليس اذا كان تجويز الكبائر قبل النّبوة منخفضاً عن تجويزها في حال النبوّة وناقصاً عن رتبته في باب التنفير وجب أن لا يكون فيه شيء من التنفير، لأنّ

الشيئين قد يشتركان في التنفير وان كان أحدهما أقوى من صاحبه، ألاترى انّ كثيراً من السخف والمجون والاستمرار عليه والأنهماك فيه منفّر لا محالة، وانّ القليل من السخف الّذي لا يقع إلّا في الأحيان والأوقات المتباعدة منفّر أيضاً، وان فارق الأوّل في قوّة التّنفير ولم يخرجه نقصانه في هذا الباب عن الأوّل عن أن يكون منفرا في نفسه.

فان قيل: فمن أين انّ الصغائر لا تجوز على الأنبياء في حال النّبوة وقبلها؟

قلنا: الطريقة في نفي الصغائر في الحالين: هي الطريقة في نفي الكبائر في الحالين عند التأمّل لأناكما نعلم انّ من نُجوّز كونَه فاعلاً لكبيرة متقدمة قد تاب منها واقلع عنها ولم يبق معه شيء من استحقاق عقابها وذمّها لا يكون سكونُنا إليه كسكونَنا إلى من لا نُجوّز ذلك عليه فكذلك نعلم أنّ من نُجوّز عليه من الأنبياء عليهم السلام أن يكون مُقدماً على القبائح مرتكباً للمعاصي في حال نبوّته أو قبلها وان وقعت مكفرة لا يكون سكونُنا إليه كسكوننا إلى من نأمن منه كلّ القبائح ولا نجوّز عليه فعل شيء منها[1] انتهى كلامه زيد مقامه[2].

ومرجع هذا الدّليل إلى ما قرّر في أُصول الإماميّة من وجوب اللّطف عليه سبحانه. فاللّطف الّذي حسّن التكليف وأوجب البعثة هو الّذي أوجب العصمة فيمن هو الحجّة ليتوفّر معها دواعي المكلّفين على الإقبال عليه والتوجّه إليه، وحسن الظنّ به، ضرورة انّه يرتسم في قلب كلّ عارف باتّصافه بصفة العصمة اشتماله على

(١) تنزيه الانبياء ص ٤ – ٦.

(٢) بحار الانوار ج ١١ ص ٩١ – ٩٤.

غاية الكمال ونهاية الجمال الموجب لتعظيمهم واعتقاد نورانيّتهم الّتي من شأنها ان تجذب النفوس اليها جذب لطف وتسخير وتربية وتجذب النفوس إليها انجذاب استكمال ومحبّة وعشق ونسبة طبيعيّة فطريّة جبلّية كانجذاب الحديد إلى المغناطيس، وذلك لأنّه قد تقرّر في الحكمة انّ النفوس بطباعها منجذبة إلى الأنوار فكلّما كانت النورانيّة أتمّ واكمل كان انجذابها إليها أشدّ وأقوى، هذا مضافا إلى إتمام الحّجة عليهم وقطع المعذرة عنهم بحسب الظّاهر لئلّا يقول أحد لولا أرسلت إلينا رسولاً هادياً معصوماً عن الخطايا والمعاصي وسائر الأمور المنفرة فنتّبع من اياتك من قبل أن نذلّ ونخزى، وأنت ترى أنّ واحداً من رؤساء الدّين في بلد او قرية لو اقترف شيئاً من المعاصي والذّنوب الصغيرة أو الكبيرة سقطت هيبته من عيون النّاس، ولم ينجع موعظته فيهم بالنسبة إلى هذه المعصية الّتي إقترفها وغيرها وان داوم على الموعظة والنصيحة في كلّ صباح ومساء.

ومن هنا يظهر انّه لا فرق في باب التنفير بين الكبائر والصغائر. سيّما مع ما قيل من أنّ الكبائر عندهم على ما رووه عن النّبيﷺ سبع، ورووا عن إبن عمر انّه زاد فيهما اثنتين، وعن ابن مسعود انّه زاد على قول ابن عمر ثلاثة، ولا شكّ انّ كثيراً من عظائم الذّنوب الّتي عدّوها من الصّغائر ليست من الأمور الخسيسة الّتي استثنوها كالتّطفيف بحبّة وسرقة درهم، فيلزمهم تجويز ما لم يكن من الصّنفين المذكورين كالاشتغال بانواع المعازف والملاهي، وترك الصلوة، واصناف المعاصي الّتي تقارفها ملوك الجور في الخلوات بل على رؤس الأشهاد.

ولذا قيل: انّ هؤلاء ايضاً مخطئون للأنبياء، ولكن في لباس التنزيه، ولا

يرتاب عاقل في انّ من هذا شأنه لا يصلح لرئاسة الدّين والدّنيا وانّ النفوس تتنفّر عنه، بل لا يجوّز أحدُ أن يكون مثله صالحاً لأن يكون واعظاً وهادياً للخلق في أدنى قرية، فكيف، يجوّز أن يكون ممّن قال الله تعالى فيهم: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ﴾ [١]. [٢]

وامّا تنزيههم عن المعاصي قبل النبوّة وعن السّهو والخطأ مطلقاً فيمكن الاستدلال له بما تقدّم من التنفير والتّقريب على ما مرّ، مضافاً إلى الاجماع فيهما ايضاً بسيطاً ومركّباً تحقيقاً ونقلاً حسبما سمعت.

ومنها جملة من الآيات الدّالة عليها كقوله: ﴿لا يَنالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ [٣]، بناءً على أنّ المراد بهذا العهد إمّا عهد النبوّة أو عهد الامامة الّتي هي وجوب الاقتداء وهو على المعنيين ثابت للنّبيﷺ فلو كان عاصياً لكان من الظالمين (هف) ومن (لهذا خلف).

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

وقوله حكاية عن ابليس: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ [٤].

فلو عصى نبيّ لكان قد أغواه الشيطان ولم يكن من المخلصين، وهما فاسدان بالاجماع.

ولقوله تعالى: في ابراهيم واسحق ويعقوب ﴿إِنَّا أَخْلَصْناهُم بِخالِصَةٍ ذِكْرَى

---

(١) الحجّ: ٧٥.
(٢) بحار الأنوار ج ١١ ص ٩٤.
(٣) البقرة: ١٢٤.
(٤) ص: ٨٢ـ ٨٣.

الدَّارِ﴾ (١). وفي يوسف: ﴿إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ (٢). وبضميمة عدم القول بالفرق يتمّ المطلوب.

وقوله: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقاً مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٣). والأنبياء من ذلك الفريق بالاتفاق، وغير ذلك من الايات الّتي ستسمع تقريب الاستدلال بها عند التعرض لها.

ومنها: انه لو صدر عنه الذنب للزم اجتماع الضدّين وهما وجوب متابعته ومخالفته.

أمّا الأوّل: فللاجماع على وجوب متابعة النّبي ﷺ، ولقوله: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ (٤)، وقوله: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ (٥)، وغيرهُ ممّا يدلّ على وجوب التأسّي والمتابعة، بل وما دلّ على حجّية قوله وفعله وتقريره.

وأمّا الثّاني: فلضرورة حرمة متابعة المذنب، واعتبار قيد الحيثيّة ينفيه إطلاق ما تقدّم من الأدلّة حيث يستفاد منها نصب الحجّة بحيث لا يحتاج مع متابعته إلى الفحص والتّبين أصلاً.

ومنها: انّه لو صدر عنه الذّنب لوجب منعه وزجره والانكار عليه، لعموم أدلّة

---

(١) ص: ٤٥.

(٢) يوسف: ٢٤.

(٣) سبأ: ٢٠.

(٤) آل عمران: ٣١.

(٥) الاحزاب: ٢١.

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لكنّه حرام لاستلزامه ايذائه المحرّم بالاجماع وبقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ (١).

ومنها: انّه لو أقدم على الفسق لزم أن يكون مردود الشهادة اذ لا شهادة للفاسق بالاجماع، ولقوله: ﴿إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا﴾ (٢)، مع انّ من لا يقبل شهادته في الشّيء اليسير من متاع الدّنيا فكيف تسمع شهادته في الأمور الدّينيّة والاخبار السّماوية، مع أنّه تعالى جعل الأنبياء شهداء على الأمم كما أشير اليه في قوله: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ (٣).

ومنها: أنّه يلزم أن يكونوا من حزب الشيطان وقال الله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ (٤) فانّ اللازم قطعيّ البطلان وان لا يكونوا مسارعين إلى الخيرات مع أنّه قال في حقّهم ﴿أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾ (٥)، وان يستحقّوا العذاب واللّعن لقوله: ﴿أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ (٦)، ﴿وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ﴾ (٧)، وان يستحقّوا الذّم والعقاب الّذي تضمّنه قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ (٨)، ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ

---

(١) الاحزاب: ٥٧.

(٢) الحجرات: ٦.

(٣) النساء: ٤١.

(٤) المجادلة: ١٩.

(٥) المؤمنون: ٦١.

(٦) هود: ١٨.

(٧) الجنّ: ٢٣.

(٨) الصف: ٢.

أَنفُسَكُمْ﴾(١).

ثمّ انّه لا يخفى انّ هذه الوجوه وإن تطرّق اليها بعض المناقشات، إلّا أنّ العمدة ما سمعت من قيام الإجماع بل الضرورة من مذهب الامامیّة على إشتراط العصمة في الأنبياء والأوصياء وحجّيتهما على غيرهما موقوفة على ثبوت العصمة كما قرّر في محلّه فلا دور.

الثّالث: في دفع شبه المخطئة الّذين اجترؤا على أنبياء الله واوليائهم فنسبوهم إلى الخطأ والجهالة والضلالة ووجوه من الفسق والمخالفة قبل النبوة وبعدها ولهم في تخطئة الأنبياء والأوصياء وتفسيقهم شبهات وأوهام لم نقصد التّعرض لها في هذا المقام، بل فرقناها على الأيات المتعلّقة بها.

فان منها ما تمسكّوا بها في باب الاعتقاد كقوله: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾(٢)، الآية وقوله: حكاية عن ابراهيم: ﴿هَـٰذَا رَبِّي﴾(٣)، و﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ﴾(٤) وقوله: ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَؤُونَ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكَ﴾(٥)، الآية.

ومنها: ما تمسّكوا به في باب التبليغ كقوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ﴾(٦)، الآية ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰ﴾(٧)، ﴿لِيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا﴾(٨).

---

(١) البقرة: ٤٤.

(٢) الاعراف: ١٨٩.

(٣) الانعام: ٧٧.

(٤) البقرة: ٢٦٠.

(٥) يونس: ٩٤.

(٦) الحج: ٥٢.

(٧) الاعلى: ٦.

(٨) الجنّ: ٢٨.

الآية.

ومنها: ما تمسّكوا بها في باب الفتيا كقوله: ﴿وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ﴾ (١) وقوله: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَى﴾ (٢)، ﴿عَفَا اللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ﴾ (٣) وغيرها ممّا يأتي.

ومنها: ما تمسّكوا به في باب الافعال وهي وان كانت كثيرة جدّاً إلّا أنّ المقصود في المقام دفع ما قيل من انّه اعظم شبهاتهم وهو التمسّك بقصّة آدم على نبيّنا وآله ﷺ فاستدلّوا بما ورد فيها من وجوه:

الأوّل: انّه ﷺ كان عاصياً لقوله تعالى: ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾ (٤)، والعاصي مذنب بل هو اسم ذمّ لا يتناول إلّا صاحب الكبيرة لقوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ﴾ (٥).

الثاني: انّه سمّاه غاوياً في قوله: ﴿فَغَوَى﴾ (٦)، والغيّ خلاف الرّشد للآية ﴿قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ (٧).

---

(١) الانبياء: ٧٨.

(٢) الانفال: ٦٧.

(٣) التوبة: ٤٣.

(٤) طه: ١٤١.

(٥) الجنّ: ٢٣.

(٦) طه: ١٢١.

(٧) البقرة: ٢٥٦.

وللخبر: أمر بيّن رشده فيتّبع وأمر بيّن غيّه فيجتنب، والغواية إنّما تكون بارتكاب الذّنب بل خصوص الكبيرة سيّما اذا ترتبت على العصيان بل في الخبر اشارة إلى ذلك لقوله ﷺ بعد ما مرّ وشبهات بين ذلك فمن ترك الشبهات نجى من المحرّمات[1].

الثالث: انّه تعالى سمّاه ظالماً في قوله: ﴿فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾[2]، وهو ايضاً قد أقرّ على نفسه ذلك في قوله: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا﴾[3]، والظالم ملعون لقوله تعالى: ﴿أَلاَ لَعْنَةُ اللّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾[4]، ومن استحقّ اللّعن هو صاحب الكبيرة.

الرّابع: انّه ارتكب المنهيّ عنه في قوله: ﴿وَلاَ تَقْرَبَا هَـذِهِ الشَّجَرَةَ﴾[5]، ولذا قال تعالى: ﴿أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ﴾[6]، وارتكاب المنهيّ عنه معصية بل كبيرة، ولذا عوتب على المخالفة.

الخامس: انّه تائب والتّائب مذنب أمّا أنّه تائب فلقوله: ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ﴾[7]، وامّا انّ التّائب مذنب فلانّ التّائب هو النادم على فعل الذّنب والنادم على فعل الذّنب مخبر عن كونه فاعلاً للذّنب فان صدق فهو المطلوب

(١) بحار الأنوار ج٢ ص٢٢١.
(٢) البقرة: ٣٥، والاعراف: ١٩.
(٣) الاعراف: ٢٣.
(٤) هود: ١٨.
(٥) البقرة: ٣٥، والاعراف: ١٩.
(٦) الاعراف: ٢٢.
(٧) البقرة: ٣٧.

والّا فهو مذنب بالكذب.

السادس: انّه اخرج من الجنّة بسبب وسوسة الشيطان وإضلاله جزاءً وعقوبة على ما أقدم عليه من المخالفة، وذلك يدلّ على كونه فاعلاً للكبيرة ولذا قال تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ لاَ يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ﴾ (١).

السابع: اعترافه بأنّه خاسر لولا مغفرة الله له بقوله: ﴿وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (٢) وذلك يقتضي كونه ذا كبيرة.

الثامن: انّه نسب إليه الهداية بعد التوبة في قوله: ﴿ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى﴾ (٣) وظاهره انّه كان قبل التوبة على الضّلالة.

التّاسع: انّه عرضه النسيان لقوله: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً﴾ (٤)، وهو ينافي العصمة على مذهب الإماميّة كما مرّ.

العاشر: ما يدلّ عليه الأخبار المأثورة من طرق الفريقين من انّه ارتكب الخطيئة واقترف الذّنب وطلب التّوبة وانّه بكى على ذنبه كذا وكذا سنة وانّه تعالى قد حرّم عليهما أكل الشجرة وانّهما ظنّا انّه قد أحلّها لهما بعد تحريمها وانّه تعالى قال لهما اهبطا من سمواتي إلى الأرض فانّه لا يجاورني في جنّتي ولا في سمواتي عاص ظالم وانّهما نظرا إلى منازل محمّد وآل محمّد ﷺ بعين الحسد إلى غير ذلك ممّا أشير اليه في الأخبار المتقدّمة وغيرها.

---

(١) الاعراف: ٢٧.

(٢) الاعراف: ٢٤.

(٣) طه: ١٢٢.

(٤) طه: ١١٥.

والجواب عن هذه الوجوه من وجهين: الاجمال والتفصيل، أمّا الاجمال: فهو أنّ هذه الوجوه ظواهر مستفادة من الأدلّة اللفظيّة بعد فرض دلالتها وسلامتها عن المناقشات وما ذكرناه من الاجماع والضرورة دليل العقل على لزوم العصمة ادلّة قطعيّة لا تحتمل الرّد والتّخصيص فيجب التّصرف في الظّواهر بصرفها عن ظاهرها وحملها على ما لا ينافي تلك الادلّة كما هو القانون في تعارض الظّني والقطعي، وهذا الجواب الاجمالى جار في غير المقام ايضاً من الموارد الّتي استدلّوا فيها ببعض الظّواهر على نفي عصمتهم.

وأمّا التّفصيل: فقد أجيب عن الأوّل بوجوه: أحدها: ما يظهر من فحاوي بعض الأخبار من انّ الأمر لم يكن على وجه الوجوب ولا النّدب بل كان امراً أرشاديّاً وذلك انّه سبحانه كان خلقه لعمارة الأرض وخلافتها كما أخبر به ملائكته قبل خلقه بقوله: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [1] فلمّا خلقه الله سبحانه بيده وفسح له في جنّته ونعمته أعلمه انّه ان كان يريد البقاء في الجنّة ودوام الرّاحة فلابدّ أن لا يقرب الشجرة ولذا خاطبه بقوله: ﴿فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى﴾ ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى﴾ [2] وبيّن له انّه مع اكله من الشجرة لابدّ أن يخرج منها إلى الدّنيا ويجعل له ولذّريته الأرض بساطاً ومعاشاً مع ابتلائهم فيها بأنواع المحن والمشاق والبليّات وشرط لهم العدو إلى تلك الجنّة ثمّ إلى جنّة الخلد مع الانقياد والطّاعة وامتثال التكاليف في الدّنيا ولذّاتها والنهي عن

(١) البقرة: ٣٠.

(٢) طه: ١١٧ـ١١٨ـ١١٩.

قرب الشجرة على وجه الارشاد إلى ما فيه الرّاحة العاجلة وان كان في خروجه منها والابتلاء بمحن هذه الدّار الفوز بالكرامة العظيمة الاجلة الّتي اوجبت خلقه أوّلاً لذلك لا للكون في الجنّة الّتي كان فيها أوّلاً فانّها نازلة الرتبة يسيرة الخطب بالنسبة إلى جنّة الخلد فاطلق العصيان باعتبار مخالفة ما أرشده إليه ممّا فيه الخلاص عن المشاقّ الدّنيوية.

وعندي أنّ هذا الوجه أظهر الوجوه وان لم يحضرني مَنْ صرّح به من الأصحاب وغيرهم، نعم قد يستفاد من فحاوى بعض الأخبار الدالّة على أنّ المقصود من خلقه تعمير الأرض وإسكانه فيها كما هو الظاهر من الآية ايضاً. ففي «تفسير العياشي» و«القصص» عن أبي جعفرعليه السلام انّ آدم لمّا هبط عليه ملك الموت قال: اشهد أن لا اله إلّا الله وحده لا شريك له وأشهد انّي عبدالله وخليفته في ارضه ابتداني باحسانه وأسجد لي ملائكته وعلّمني الأسماء كلّها ثمّ أسكنني جنّته ولم يكن جعلها دار قرار ولا منزل استيطان، وانّما خلقني لاسكن[1] الأرض للذي أراد من التقدير والتّدبير.

وزاد في تفسير العيّاشي: وقدّر ذلك كلّه قبل أن يخلقني، فمضيت في قدرته وقضائه ونافذ أمره، ثمّ نهاني أن آكل من الشجرة، فعصيتُهُ واكلت منها فأقالني عثرتي وصفح لي عن جرمي، فله الحمد على جميع نعمه عندي حمداً يكمل به رضاه عنّي[2].

(١) في البحار: ليسكنني.

(٢) البحار ج ٢٣ ص ٦١.

وفي «العلل» بالاسناد عن أبي جعفر عليه السلام قال: ما يستطيع اهل القدر أن يقولوا: والله لقد خلق الله آدم للدّنيا وأسكنه الجنّة ليعصيه فيردّه إلى ما خلقه له فقوله ليعصيه أي عالماً بأنّه يخلّيه مع اختياره بعد ما أرشده إلى ما فيه النفع العاجل، من دون أن يكون هناك طلب على وجه الايجاب او الاستحباب، فاختار آدم ما فيه الخير الكثير الآجل كما خلقه الله تعالى لذلك.

ولعلّه ينزّل عليه ما أجاب به آدم موسى عليهما السلام على ما هو المروي في تفسير القمي وغيره عن الصادق عليه السلام قال: انّ موسى عليه السلام سأل ربّه أن يجمع بينه وبين آدم عليه السلام فجمع الله بينهما فقال له موسى: يا أبه ألم يخلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأسجد لك ملائكته، وأمرك أن لا تأكل من الشجرة فَلِم عصيته؟ قال: يا موسى بكم وجدت خطيئتي قبل خلقي في التوراة؟ قال: بثلاثين سنة قال: فهو ذلك، قال: فحجّ[1] آدم موسى عليهما السلام.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

بناءً على أنّ المراد انّه سبحانه كتب في التوراة انّه تعالى قدّر على آدم عمارة الأرض وقدّر عليه أنّه وكّله إلى اختياره، حتّى فعل ما فعل لمصلحة إهباطه إلى الأرض، وانّ ذلك التقدير كان قبل خلق آدم بثلاثين سنة فالمعنى بكَمْ وجدتَ تقدير خطيئتي قبل خلقي؟

ومن هنا يظهر انّه لا داعي إلى التكلّف لكونه قبل خلقه بانّ التوراة كتب في الألواح السماوية في ذلك الوقت وان وجده موسى عليه السلام بعد بعثته، أو أنّ المراد اطلاع روح موسى على ذلك قبل خلق جسد آدم، كما لا وجه لحمله على التقيّة لمجرّد

---

(١) فحجّ آدم موسى: اي غلب آدم موسى بالحجّة.

وروده في كتبهم بطرق كثيرة وعن السيّد في «الطرائف» ردّه، لكنّه ليس في محلّه بعد موافقة مضمونه لما يستفاد من غيره.

بل لعلّه هو المراد ايضاً بما في التّوحيد للصّدوق (رحمه الله) في خبر الفتح ابن يزيد عن أبي الحسن عليه السلام: إن لله تعالى ارادتين ومشيّتين: ارادة حتم وارادة عزم، ينهى وهو يشاء، ويأمر وهو لا يشاء، او ما رايت انّ الله تعالى نهى آدم وزوجته أن يأكلا من الشجرة وهو شاء ذلك؟ ولو لم يشاء لم يأكلا، ولو اكلا لغلبت مشئّتهما مشئّة الله تعالى، وأمر ابراهيم بذبح ابنه عليه السلام وشاء أن لا يذبحه، ولو لم يشاء أن لا يذبحه لغلبت مشئّة ابراهيم مشئّة الله عزّ وجلّ[١].

بناءً على أنّ المراد انّه نهي إرشاد، وشاء أن يأكل من الشجرة لما فيه من المصلحة الكلّية، فالنّهي فيه ليس على حقيقته، كما ان أمر ابرهيم بذبح ابنه ليس على حقيقته بل لمجرّد التّوطين والإمتحان، إلّا أنّ الظّاهر من مساق الخبر حملهما على الإرادة التكوينيّة والتشريعيّة على ما فصّلناه في موضع آخر، ويؤيّده انّه عليه السلام إنما ذكر ذلك جواباً عن الّراوي، حيث سأله انّ عيسى خَلَق من الطّين طيراً دليلاً على نبوّته، والسّامري خلق عِجْلاً جسداً لنقض نبوّة موسى عليه السلام، وشاءالله أن يكون ذلك كذلك إنّ هذا لهو العجب! فقال عليه السلام: ويحك يا فتح انّ لله ارادتين، آه.

وإلي هذا يرجع ما ذكره الصدوق (رحمه الله) بعد ايراد الخبر انّ الله تعالى نهى آدم وزوجته عن أن يأكلا من الشجرة، وقد علم انّهما يأكلان منها لكنّه شاء أن لا يحوم بينهما وبين الأكل منها بالجبر والقدرة كما منعهما من الأكل منها بالنهي

---

(١) بحار الأنوار ج ٥ ص ١٠١.

والزّجر، فهذا معنى مشيّته فيهما، ولو شاء عزّوجل منعهما من الاكل بالجبر ثمّ اكلا منها لكان مشيّتهما قد غلبت مشيّة الله تعالى كما قال العالم عليه السلام: تعالى الله تعالى عن العجز علوّاً كبيراً.

ثمّ انّه قد ظهر ممّا ذكرناه في معنى ترك الأولى الفرق بينه وبين ترك المندوب فضلاً عن ارتكاب المكروه، فانّ الأمر والنهي في الأخيرين طلبي ومخالفة الطلب لازم فيهما على كلّ حال بخلاف الأوّل الّذي لم يقصد فيه إلّا مجرّد الارشاد إلى ما فيه المصلحة العاجلة في المقام حسبما سمعت.

وأمّا ما ذكره صاحب «الفصول» حيث قال في جملة كلام له: انّ المعتبر في الكراهة ليس مجرّد المرجوحيّة، والّا لكان تارك كلّ مندوب فاعلاً لمكروه وهو تركه، ولا خفاء في فساده بل المرجوحيّة الموجبة لمنقصة دينيّة في فاعلها غير محرّمة، ولا ريب انّ مجرّد تفويت الثواب او ترك الرّاجح لا يوجب ذلك، وبهذا يظهر الفرق بين الترك المكروه وخلاف الأولى انتهى.

فهو وإن كان لا بأس به فيما ذكره من الفرق بين ترك المندوب وفعل المكروه، وكذا بين الترك المكروه وخلاف الأولى إلّا أنّ ظاهره كون خلاف الأولى شاملاً لكلّ من تفويت الثواب وترك الراجح وهو في الأخير ليس على ما ينبغي، وأمّا الأوّل فلا بأس به مع فرض المقام مجرّداً عن الطّلب رأساً وتفسير الثواب بما يعمّ كلّ شيء من المصالح والمقاصد الدّنيويّة والأخرويّة والّا فللنظر فيه ايضاً مجال.

ثانيها: ما ذكره السيّد المرتضى رضي الله عنه وهو أنّ المعصية مخالفة الامر

والأمر من الله سبحانه يكون مرّةً على وجه الوجوب، واخرى على النّدب، قال: فلا يمتنع على هذا أن يكون آدمﷺ مندوباً إلى ترك التّناول من الشجرة، ويكون بمواقعتها تاركاً نفلاً وفضلاً، وغير فاعل لقبيح، وليس يمتنع أن يسمّى تارك النفل عاصياً، كما سمّي بذلك تارك الواجب، فانّ تسمية من خالف ما أُمر به سواء كان واجباً أو نفلاً بأنّه عاص ظاهرة، ولهذا يقولون: أمرت فلاناً بكذا وكذا من الخير فعصاني وخالفني، وان لم يكن ما أمر به واجباً.

ثمّ اورد على نفسه بأنّه كيف يجوز أن يكون ترك النّدب معصية أو ليس هذا يوجب أن يوصف الأنبياءﷺ بأنّهم عصاة في كلّ حال، وانّهم لا ينفكّون عن المعصية لأنّهم لا يكادون ينفكّون من ترك النّدب، واجاب عنه: بأنّ وصف تارك الثواب النّدب بالعصيان توسّع وتجوّز، والمجاز لا يقاس عليه ولا يُعدّى به موضعه، ولو قيل: انّه حقيقة في فاعل القبيح وتارك الأولى والأفضل لم يجز اطلاقه ايضاً في الأنبياءﷺ إلّا مع التّقييد، لأنّ استعماله قد كثر في القبائح فإطلاقه بغير تقييد مُوهم لكنّا نقول: ان اردت بوصفهم بأنّهم عصاة انّهم فعلوا القبائح فلايجوز ذلك، وان اردت بأنّهم عصاة انّهم تركوا ما لو فعلوه لاستحقّوا الثّواب وكان اولى فهم كذلك.

أقول: قد صرّح بعض المحققين بانّ استعمال العصيان في ترك المندوب حقيقة ويؤيّده ما في «الصّحاح» و«القاموس» من أنّه خلاف الطّاعة اذ من البيّن انّ الطّاعة تطلق على فعل كلّ من الواجب والنّدب على احتمال أن يكون تفسيراً بالاعمّ كما هو الشائع في كلامهم، نعم قد شاع إطلاقه في ترك الواجب ولذا صحّ

الاطلاق في قوله: ﴿وَمَن يَعْصِ اللَّهَ﴾ [(١)]، الآية وقد استدلّ الأصوليّون على كون الأمر للوجوب بقوله: ﴿أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي﴾ [(٢)] حيث عبّر عن مخالفة الأمر بالعصيان.

وعلى كلّ حال فلابدّ من حمله في المقام على ترك الأولى، لأنّه اللائق بعصمة الأنبياء عليهم السلام المعلومة من العقل والاجماع بل ضرورة المذهب.

ومن هنا يظهر ضعف ما قد يقال في المعارضة: من انّه الأليق برحمةِ أكرم الاكرمين وكرمِ أرحم الراحمين أن لا يؤاخذ على تركه الأولى نسياناً بمعاتبته بقوله: ﴿أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ﴾ و﴿وَأَقُل لَّكُمَا﴾ [(٣)]. الآية، وبالفضيحة حيث بدت سؤاتهما، وباخراجه من جواره، وبالتفريق بينه وبين حوّاء مأة سنة أو مأتين، وبالقاء العداوة والبغضاء بينهم، وبالنّداء عليهم باسم العصيان والغواية، وبتسليط العدوّ على أولاده، بقوله: ﴿وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ﴾ [(٤)] وبجعل الدّنيا سجنا له ولأولاده وبالتّعب والشقاء في قوله: ﴿فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰ﴾ [(٥)]. إلى غير ذلك ممّا يختصّ بالنّساء من الحيض، وثقل الحمل والطلق ونحوها كما ورد في الأخبار.

إذ فيه مع ان كثيراً ممّا عدّه في المقام من لوازم هذه الدّار ومقتضيات الكون بها والابتلاء فيها انّ جلالة قدر الأنبياء وعظم قدرهم وكبر شأنهم يقتضي تعظيم ما

---

(١) الجن: ٢٣.

(٢) طه: ٩٣.

(٣) الاعراف: ٢٢.

(٤) الاسراء: ٦٤.

(٥) طه: ١١٧.

يصدر عنهم احياناً من ترك الأولى لعلوّ قدرهم وكثرة معرفتهم ولذا ورد: «انّ حسنات الابرار سيّئات المقرّبين»[١] بل ربما يستقلّون ما يصدر عنهم من الطّاعات ويستحقرونه في جنب عظمة الله سبحانه، ولذا كان يصدر عنهم من التضرّع والبكاء والأنين ما لم يلحقهم فيها أحد من العالمين، فانّ أعلم الخلق بالله اخشاهم منه ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾[٢] وقد روي عن الصّادقعليه السلام انّه قال: لنا مع الله حالات نحن فيها هو وهو نحن، وهو هو ونحن نحن[٣].

وهذا هو الّذي اشار إليه الحجّة عجّل الله فرجه في دعاء شهر رجب: فجعلتهم معادن لكلماتك واركاناً لتوحيدك واياتك ومقاماتك الّتي لا تعطيل لها في كلّ مكان يعرفك بها من عرفك لا فرق بينك وبينها إلّا أنّهم عبادك وخلقك[٤] آه.

وهذه مقامهم في قربهم ومثالهم في هذه الحال بالنّسبة إلى فعل الله ومشيئته مثل الحديدة المحماة بالنّار، فانّه يصدر عنها ما يصدر عن النّار من الاضاءة والاحراق لا فرق بينها وبينها إلّا أنّ الحديدة حينئذ محل فعل النّار ومظهر شؤونها كما أنّهمعليهم السلام محال مشيئة الله سبحانه المظهرون لأمره العاملون بارادته، ولهم أيضاً مقامات اخر باعتبار كونهم التشريعي التبليغي النّاسوتي من اكلهم وشربهم ونكاحهم وتبليغهم الشرائع والاحكام إلى كافة الأنام وغيرها ممّا لاريب في انّهم مأمورون بها إقامةً لمنصب النبوّة والولاية ورسم التبليغ والتجانس إلّا انّها بالنّسبة إلى الحالة

(١) بحارالانوار ص ٢٠٥.
(٢) فاطر: ٢٨.
(٣) لم اظفر على مصدره.
(٤) بحار الانوار ج ٩٨ ص ٣٩٣.

الأولى سيّئات ومعاصي يستغفرون الله منها ويتوبون الله على ما يأتي، فإذا كان هذه حالهم في عباداتهم الظاهرة ومعاشراتهم مع النّاس فما ظنك بما يصدر عنهم احياناً من ترك الأولى الّذي دعاهم إليه على جهة النّدب والاستحباب.

ثالثها: ما أجاب به بعض من جوّز عليه الذّنب في الجملة وهو انّ آدم عليه السلام لم يكن حين صدر عنه الذّنب نبيّاً بناء على أنّ المعلوم من لزوم العصمة إنّما هو بعد النّبوة، وربّما يؤيّد ايضاً بما رواه في «الأمالي» و«العيون» بالاسناد عن الّرضا عليه السلام حيث سأله عليّ بن محمّد بن الجهم فقال له يابن رسول الله صلى الله عليه وآله: أتقول بعصمة الأنبياء؟ قال: بلى، قال: فما تعمل في قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾ [١]، إلى أن قال عليه السلام: ويحك يا علي اتّق الله ولا تسب إلى أنبياء الله الفواحش ولا تتأوّل كتاب الله عزّوجلّ برأيك فانّ الله عزّوجل يقول: ﴿مَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ [٢]، أمّا قوله عزّ وجلّ في آدم: ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾، فانّ الله عزّ وجلّ خلق آدم حجّة في أرضه وخليفته في بلاده لم يخلقه للجنّة وكانت المعصية من آدم في الجنّة لا في الأرض لتتمّ مقادير أمر الله عزّ وجلّ فلمّا أهبط إلى الأرض وجعل حجّة وخليفة عصم بقوله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ اللّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [٣].[٤]

أقول: أمّا جواز صدور الذنب قبل البعثة فقد عرفتَ أنّه مخالف لِما هو

(١) طه: ١٢١.

(٢) آل عمران: ٧.

(٣) آل عمران: ٣٣.

(٤) بحار الأنوار ج ١١ ص ٧٢ ح ١ عن الأمالي.

المعلوم من مذهب الإماميّة من وجوب عصمتهم في جميع الأحوال، وأمّا الخبر فمحمول على نوع من التقيّة مماشاةً معهم في أقوالهم، أو أنّ المراد بالخطيئة ارتكاب خلاف الأولى على ما عرفتَ، ويكونون بعد البعثة معصومين عن جميع الذّنوب ايضاً، ويكون ذكر الجنّة لبيان كون النّهي ارشاديّاً لا طلبيّاً حيث انّ الجنّة ليست بدار تكليف حتى يتصوّر فيها النهي التحريمي والتنزيهي ايضاً، وربما يحمل على وجه التنزل والاستظهار ردّاً على من جوّز الذنب مطلقاً عليهم صلوات الله.

رابعها: انّ المعصية كانت من آدم في الجنّة لا في الأرض الّتي هي دار التكليف فلا يلزم صدور المعصية عنه عليه السلام قبل النّبوة ولا بعدها في دار التكليف ولعلّ في قول الرضا عليه السلام في الخبر المتقدّم اشارة إليه، لكنّه كما سمعت منافٍ لما هو المعلوم من المذهب، بل قيل إنّ هذا الوجه لا ينطبق على شيء من المذاهب.

خامسها: ما أجاب به اكثر المعتزلة من أنّ معصيته عليه السلام كانت من الصّغائر المكفَّرة دون الكبائر الّتي تنافي العصمة، وان كان يشملهما معاً إسم المعصية.

وفيه: أنّه منافٍ ايضاً لضرورة المذهب، وقد سمعت فيما مرّ من كلام السيّد في باب التنفير انّ الطريقة في نفي الصّغائر قبل البعثة وبعدها هي الطريقة في نفي الكبائر في الحالين.

وامّا ما رواه في «العيون» و«الاحتجاج» عن الرضا عليه السلام من انّه كان ذلك يعني الاكل من الشجرة من آدم قبل النّبوة ولم يكن ذلك بذنب كبير استحقّ به دخول النّار وانّما كان من الصغائر الموهوبة الّتي تجوز على الأنبياء قبل نزول الوحي عليهم فلمّا اجتباه الله وجعله نبيّاً كان معصوماً لا يذنب صغيرة ولا كبيرة قال الله عزّ وجلّ:

﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾ . ﴿ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى﴾ [١] وقال ﷺ: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [٢]. الخبر فلعلّه محمول على التقيّة، او على التنزيل، او لجواز ارتكابه لترك الأولى قبل البعثة، وأمّا بعدها فعلوّ قدرهم يمنع من إرتكابهم له أيضاً وان لم يكن ذنباً ومعصية.

سادسها: ما قيل: من أنّه ﷺ لمّا نُهِيَ عن الاكل من الشجرة ظن أنّ النّهي عن عين الشجرة لاعن نوعها، وكان الله سبحانه أراد نهيه عن نوعها، ولكنّه لم يقل لهما: لا تقربا نوعَ هذه الشجرة ولا من جنسها.

واللفظة قد يراد بها النوع كما روي عن النّبي ﷺ انّه أشار إلى حرير وذهبٍ وقال: هذان حرامان على رجال من امّتي وانّه ﷺ قال هذا وضوء لا يقبل الله الصّلوة إلّا به.

وكان ظنّه ذلك لأنّ ابليس حلف لهما بالله كاذباً أنّه لهما لمن النّاصحين، ولم يكن شاهد قبل ذلك مَنْ يحلف بالله كذلك فأكل من شجرة أخرى من نوعها، وكان ذلك من قبيل الخطأ في الاجتهاد وليس من كبائر الذّنوب الّتي يستحّق بها دخول النّار [٣].

وقد يؤيّد بما رواه في «العيون» و«الاحتجاج» عن عليّ بن محمّد بن الجهم، قال: حضرت مجلس المأمون وعنده عليّ بن موسى ﷺ فقال له المأمون يابن رسول الله أليس من قولك: إنّ الأنبياء معصومون؟ قال: بلى قال: فما معنى قول الله

---

(١) طه: ١٢١.

(٢) آل عمران: ٣٣.

(٣) بحار الانوار ج ١١ ص ١٩٨ ـ ١٩٩.

عزّوجلّ: ﴿ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ﴾ [١]، فقال عليه السلام إنّ الله تبارك وتعالى قال لادم ﴿اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلاَ مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا وَلاَ تَقْرَبَا هَـٰذِهِ الشَّجَرَةَ﴾ [٢] واشار لهما إلى شجرة الحنطة ﴿فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ ولم يقل لهما لا تأكلا من هذه الشجرة، ولا ممّا كان من جنسها فلم يقربا تلك الشجرة، وإنّما اكلا من غيرها لمّا أن وسوس الشيطان إليهما وقال: ﴿مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَـٰذِهِ الشَّجَرَةِ﴾ [٣] وإنّما نهيكما أن تقربا غيرها، ولم ينهكما عن الأكل منها إلّا أن تكونا ملكين او تكونا من الخالدين ﴿وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ﴾ [٤] ولم يكن آدم وحوّاء شاهدا قبل ذلك مَنْ يحلف بالله كاذباً ﴿فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ﴾ [٥] فاكلا منها ثقة بيمينه بالله وكان ذلك من آدم قبل النّبوة [٦].

إلى آخر ما تقدّم في الوجه السّابق، ويؤيّده أيضاً ما مرّ عن تفسير الامام عليه السلام مفصّلاً [٧].

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

وهو بظاهره لا يتمّ على أصولنا إذ فيه أوّلاً أنّ إسم الاشارة موضوع للإشارة إلى الأشخاص، والاشارة به إلى النوع لا تصحّ إلّا مع القرينة الدّالة عليه. فإذا حمله على حقيقته فأيّ خطأ يلحقه فيه.

---

(١) طه: ١٢١.
(٢) البقرة: ٣٥.
(٣) الاعراف: ٢٠.
(٤) الاعراف: ٢١.
(٥) الاعراف: ٢٢.
(٦) عيون الاخبار ص ١٩٥ ـ ١٩٦.
(٧) تفسير الامام عليه السلام ص ٩٠ – ٩١ وعنه البحار ج ١١ ص ١٨٩ – ١٩٣.

وتوهّم انّه قد قرنه بما يدلّ على أنّ المراد به النّوع مدفوع بأنّ القرينة لابدّ أن تكون مُفْهِمة ومعها يتمّ المحذور، وإلّا فلا إفهام فلا تكليف، ولذا قيل: إنّه لو كلّفه على الوجه المذكور من دون قرينة تدلّ على المراد لزم التكليف بما لا يطاق ومع القرينة يلزم الاخلال بالنظر والتقصير في المعرفة(١).

وأمّا ما يقال من أنّه تعالى عرفّه القرينة وقت الخطاب ثمّ غفل عنها ونسيها لطول المدّة أو غيره.

ففيه انّه مبنيّ على جواز النسيان على الأنبياء وفيه ما لا يخفى.

وثانياً: انّ الأنبياء لا يجوز عليهم الاجتهاد والعمل بالظّن أو اعتقاد خلاف الواقع ولو على طريق غير الجزم.

وعدم كونه وقت الخطاب نبيّاً كما تضمّنه الخبر غير حاسم لمادّة الاشكال على أصولنا، كما أنّه لا يحسمها القول بارتكابه على جهة التأويل كما هو المحكيّ عن أبي علي(٢) وغيره، ولذا أورد عليهم المرتضى رحمه الله بانّه وان نزّهه عن تعمّد معصية، إلّا أنّ اضاف إليه معصيتين: ترك التأمّل في متعلّق النّهي انّه هل هو الجنس أو العين، والتّناول من الشّجرة ولو مع اعتقاد الحلّية للخطأ في الاجتهاد والاعتقاد وتوهّم انّ النظر فيما كلّفه من الامتناع من الجنس او النّوع لم يكن واجباً عليه مدفوع بأنّه ان لم يكن واجباً عليه فكيف يكون مكلّفاً(٣).

نعم ربما يقال: انّه توجيه مُتّجِه ولو بمعونة الرضوي والعسكري المتقدمين،

---

(١) بحار الانوار ج١١ ص١٩٩.

(٢) هو ابو عليّ الجبائي محمد بن عبدالوهاب المعتزلي: المتوفى (٣٠٣) هـ.

(٣) تنزيه الانبياء ص٧ـ٨.

ويرجع إلى ترك الأولى، وهو ليس بذنب في الحقيقة ولا بأس به، إلّا أنّ مرجعه إلى أحد الأولين.

وامّا ما يقال ايضاً في بيان الخطأ في الاجتهاد: من انّه قال: ولا تقربا فظن آدم انّه نُهي لهما على الجمع، فيجوز لكلّ منهما الأكل منفرداً، إذ لا يلزم من حصول النهي حال الاجتماع حصوله حال الانفراد[1].

فهو ممّا لا ينبغي الاصغاء إليه وان ذكره الرّازي وغيره.

سابعها: انّ نسبة العصيان إلى آدم مبنيّة على تقدير مضاف والمراد وعصى أولاد آدم كما في قوله: ﴿وَاسْئَلِ الْقَرْيَةَ﴾[2]، بل قد يؤيّد بقوله في قصّة آدم وحوّاء: ﴿فَلَمّا آتاهُما صالِحاً جَعَلاَ لَهُ شُرَكاء فِيما آتاهُما﴾[3]، ومن المعلوم انّهما لم يشركا وإنّما أشرك أولادهما.

وردّ بانّه وان كان احتمالاً يصحّح اللّفظ، لكنّه مخالف لما في الواقع، فإنّ أولاد آدم لم يقع منهم الاكل من الشجرة شجرة الخلد ولم يكونوا منهيّين عن ذلك ايضاً، ولم يكن ذلك إلّا من آدم وحوّاء.

نعم ربّما تؤول الشّجرة في الآية بحبّ الدنيا ورئاستها وزينتها وخصوص علم الأكسير وهو على فرضه لا يمنع من ارادة الظّاهر بل لا يتمّ إلّا معها.

ثامنها: أنّ النهي وان كان ظاهراً في التحريم لكنّه ليس نصّاً فيه، وانّما صرفه عن الظاهر لدليل ظنّه قرينةً عليه.

---

(١) تفسير الفخرالرازي ج٣ ص١٥.

(٢) يوسف: ٨٣.

(٣) الاعراف: ١٩٠.

وَضَعفُهُ واضح جدّاً بل لم أعرف به قائلاً وان حكاه شارح الطّوالع عن بعضهم.

تاسعها: انّ الّذي صدر منه عليه السلام كان عن نسيان بنصّ القرآن لقوله: ﴿فَنَسِيَ﴾ [1] فهو ليس بذنب، والمؤاخذة إنّما كانت على ترك التّحفظ والتقصير الّذي نشأ منه النسيان، وهو ترك أولى، وسمّي ذنباً لأنّهم مؤاخذون به، كما ورد أنّ الأنبياء لمؤاخذون بمثاقيل الذّر، وسمّي معصيةً وغواية تحذيراً للأنبياء، ولطفاً لأممهم، ولله تعالى مِن تسمية ذلك معصية وغواية ما ليس لغيره، فليس لأحد أن يتجاسر على نسبة العصيان إليه.

وفيه انّ الالتزام بعروض النسيان ممّا ينفيه المذهب، ثمّ التّحفظ على عدمه إن كان واجباً فتركه التزام بالعصيان مضافاً إلى النسيان، أولىٰ فلا جدوى للإلتزام بالنسيان.

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

عاشرها: الحمل على النِسيان بمعنى أخر لا ينفيه المذهب ويساعده بعض الاخبار على ما يأتي انشاءالله.

وأجيب عن الثّاني أوّلاً بانّ الغواية هي الخَيبة على ما صرّح به الجوهري والجزري يقال: غوى إذا خاب، وأغواه اي خيّبه، فمعنى غوي انّه خاب عن بغيته، لانّا نعلم أنّه لو فعل ما أرشده إليه من ترك التناول من الشجرة لا ستحقّ الثّواب العظيم، فاذا خالف الأمر الإرشادي او النّدبي ولم يصرْ إلى ما أرشده إليه فقد خاب لا محالة من حيث إنّه لم يَنَلْ ما طلب ولم يَصرْ الى الثّواب الّذي كان يستحقّ

---

(١) طه: ١١٥.

بالامتناع واستعماله في هذا المعنى حقيقة على ما هو الظّاهر من أئمّة اللّغة قال الشاعر:

فمن يلق خيراً يحمد النّاس أمرَه ومن يَغْوِ لا يعدم على الغيّ لائماً

ولذا قيل: إنّ الظاهر من قوله: عصى فغوى انّ الذي دخلته الفاء جزاء على المعصية وانّه كلّ الجزاء المستحقّ بالمعصية اذ الظاهر من قول القائل: سرق فقطع وقذف فجلد ثمانين انّ ذلك جميع الجزاء لا بعضه وكذلك اذا قال القائل من دخل داري فله درهم فانّ معناه انّ الدّرهم جميع جزائه ولا يستحقّ بالدّخول سواه ومن لم يفعل الواجب استحقّ الذّم والعقاب وحرمان الثواب وامّا من لم يفعل ما ارشده إليه وندبه فلا يستحقّ إلّا حرمان الثّواب فقط، وحيث انّ مدخول الفاء تمام الجزاء وقد سمعت انّه الخيبة وعدم نيل المطلوب فلابدّ أن يكون العصيان بترك الأولى حسبما سمعت[1].

ثانياً: سلّمنا أن يكون المراد بالغيّ هو الضّلال كما صرّح به الجوهري بكونه من معانيه إلّا أنّ الضّلال هو البعد عن المطلوب بارتكاب ما يبعده عنه كما أنّ الرشاد هو التّوسل بشيء إلى شيء وسلوك طريقة موصلة إلى المطلوب، وحيث انّه قد بَعُدَ بمخالفة النّهي التنزيهي او الاشاردي عن نيل الثواب الّذي هو المقصود جاز اطلاق كونه ضالاً غاوياً عن نيل مقصوده[2].

وعن الثّالث: بانّ الظّلم في أصله موضوع لوضع الشيء في غير موضعه كما

---

(١) بحار الانوار ج ١١ ص ٢٠٠ عن السيّد المرتضى في جواب المسائل التي وردت عليه من الري.

(٢) بحار الأنوار ج ١١ ص ٢٠٠ مع تفاوت في العبارات.

نصّ عليه الجوهري والفيروزآبادي والفيّومي وغيرهم ممّن صنّف في اللّغة واستشهد عليه في الصّحاح وغيره بقوله تعالى: ﴿وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئاً﴾ [١] وقول الشّاعر: ومن يشابه أباهُ فما ظلم.

وبالمثل: مَن استرعي الذّئب فقد ظلم، ويقال: إنّ أصله إنتقاصُ الحقّ وبه فسّر الأية في «القاموس» وعن الجزري انّه قال في حديث ابن زِمّل: لزموا الطريق فلم يظلموه، اي لم يعدلوا عنه يقال أخذ في طريق فما ظلم يميناً وشمالاً [٢].

وبالجملة فمرجع معنى الظّلم لغة وعرفاً إلى شيء من الثلاثة، ومن البيّن انّ الوصف به لا يستلزم ما إدّعاه المستدلّ على جميع الوجوه، وذلك لأنّ مخالفة ما هو الأولى أو المندوب إليه وضع للشيء في غير موضعه، وموجب لنقص الثّواب، وعدول عن الطّريق المؤدّي له إلى المراد.

وأمّا ما استدلّ به على أنّ الظّالم ملعون، ففيه انّ الحكم معلّق على الموضوع المقيّد بالصّد عن سبيل الله والكفر بالاخرة، ولذا قال في الأعراف وفى هود ﴿أَلَا لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الظَّالِمِينَ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجاً وَهُمْ بِالآخِرَةِ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ [٣]، وأين هذا من دلالته على لعن مطلق الظّالمين او خصوص صاحب الكبيرة من المسلمين، بل قيل: إن اللّعن ايضاً لا يدلّ على كون المعصية كبيرة، لورود الأخبار بلعن صاحب الصغيرة، بل من ارتكب النّهي التنزيهي ايضاً، لأنّ معنى اللّعن هو الطّرد والابعاد عن الرّحمة، ويحصل البعد عنها بفعل المكروه.

---

(١) الكهف: ٣٣.

(٢) النهاية لابن الاثير الجزري المتوفى (٦٠٦) هج٣ص١٦١ في «ظلم».

(٣) هود: ١٨ - ١٩.

وترك المندوب ايضاً.

نعم قد يقال: إنّه لما غلب استعماله في المشركين والكفّار لا يجوز استعماله في صلحاء المؤمنين قطعاً وفي فسّاقهم اشكال والأولى الترك.

وعن الرّابع: واضح بعد مامرّ من كون النّهي ارشاديّاً او تنزيهيّاً ودعوى كون مخالفة المنهيُّ عنه مطلقاً معصية واضح الفساد فضلاً عن كونها كبيرة.

وعن الخامس: أنّ التوبة أعمّ من فعل الذّنب بالمعنى الأخصّ، فلا توجب إسقاط العقاب المترتّب على استحقاقه ويشهد له كثير من الأدعية المأثورة عن النّبي والأئمّة المتضمّنة لاجتهادهم في التوبة والانابة والاستغفار.

وعن السادس: أنّ الإخراج من الجنّة لعلّه كان على وجه المصلحة المقتضية لاخراجه منها اذا تناول من الشجرة، على ما أشرنا إليه في الجواب الثّاني عن الوجه الأوّل.

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامى

وعن السّابع: انّ المراد بالخسران قلّة الثّواب او الخيبة عن النفع العاجل وان ترتّب عليه الثواب الجزيل الآجل.

وعن الثّامن: واضحٌ ممّا مرّ.

وعن التاسع: انّ المراد بالنسيان هو الترك كما يشهد به اللغة ويعضده الاخبار وصحيح الاعتبار ولو بمعونة ما دلّ على العصمة وفيه وجه آخر سنشير إليه في تفسير الاية المتضمّنة للنسيان انشاءالله كما أنّه قد ظهر من جمع ذلك الجواب عن العاشر أيضاً.

مستطرف من الكلام في طرف من احوال آدم (عليه السلام)

روى العيّاشي في تفسيره عن جابر عن النّبي صلى الله عليه وآله قال: كان إبليس اوّل من ناح، وأوّل من تغنّى، واوّل من حدا قال صلى الله عليه وآله: لمّا اكل آدم من الشجرة تغنّى فلما أهبط حدابه. فلما استقرّ على الأرض ناح فأذكره ما في الجنة. فقال آدم: ربّ هذا الّذي جعلت بيني وبينه العداوة لم أقو عليه وانا في الجنة وإن لم تُعنّي عليه لم أقو عليه. فقال الله تعالى: السّيئة بالسّيئة والحسنة بعشر امثالها إلى سبعمائة. قال: ربّ زدني. قال: لا يولدُ لِك ولد إلا جعلت معه ملكاً او ملكين يحفظانه. قال: ربّ زدنيَ قال: التوبة مفروضة في الجسد ما دام فيها الروح. قال: زدني قال: أغفر الذّنوب ولا أبالي. قال: حسبي.

قال: فقال إبليس: ربّ هذا الّذي كرّمت عليّ وفضلّته وان لم تفضّل عليّ لم أقوِ عليه. قال: لا يولد له ولد إلاّ ولدلك ولدان. قال: ربّ زدني قال: تجري منه مجرى الدّم في العروق. قال: ربّ زدني قال: تتّخذ أنت وذرّيتك في صدورهم مساكن. قال: ربّ زدني قال تَعِدَهم وتمنّيهم وما يعدهم الشيطان إلاّ غروراً[1].

وفيه عن الصّادق عليه السلام قال: ما بكى أحد بكاء ثلاثة: آدم، ويوسف، وداود فقلت: ما بلغ من بكائهم؟ فقال: أمّا آدم عليه السلام فبكى حين أخرج من الجنة، وكان رأسه في باب من أبواب السّماء، فبكى حتّى تأذّى به اهل السّماء فشكوا ذلك إلى الله فحطّ مِنْ قامِته. الخبر[2].

---

(١) بحار الانوار ج ١١ ص ٢١٢ ح ٢٠ عن العياشي.

(٢) البحار ج ١١ ص ٢١٣ ح ٢١ عن العياشي.

وفي «العلل» عن الصادق عليه السلام قال: البكّاؤن خمسة: آدم، ويعقوب، ويوسف، وفاطمة بنت محمّد، وعليّ بن الحسين عليهما السلام فأمّا آدم فبكى على الجنّة حتّى صار في خديه امثال الاودية (١).

وفي «البصائر» عن الصادق عليه السلام قال: كان مع عيسى بن مريم عليه السلام حرفان يعمل بهما. وكان مع موسى عليه السلام أربعة احرف، وكان مع ابراهيم ستّة احرف، وكان مع آدم خمسة وعشرون حرفاً، وكان مع نوح ثمانية وجُمِع ذلك كله لرسول الله صلى الله عليه وآله، إن إسم الله ثلاثة وسبعون حرفاً (٢).

وفي معناه أخبار أخر، وروى الصّدوق في خبر طويل يتضمن سؤال ملك الروم عن الحسن بن علي عليهما السلام وفيه انّه دعى الملك بالاصنام فأوّل صنم عرض عليه في صفة القمر فقال الحسن عليه السلام فهذه صفة آدم عليه السلام أبو البشر ثمّ عرض عليه اخر في صفة الشمس فقال الحسن عليه السلام: هذه صفة حوّاء امّ البشر ثم عرض عليه اخر في صفة حسنة فقال: هذه صفة شيث بن آدم وكان أوّل من بعث وبلغ عمره في الدنيا الف سنة واربعين يوماً (٣). الخبر.

قوله: وكان أوّل من بعث اي من اولاد آدم، او بعد تناسل الذّريّة، او مقيّداً ببلوغ عمره الف سنة، وان كان والأوّل اظهر.

وفي «العلل» عن زرّ بن حُبَيْش، قال: سألت ابن مسعود، عن أيّام البيض ماسببها، وكيف سمعت؟ قال: سمعت النبي صلى الله عليه وآله يقول: إنّ آدم لمّا عصى ربّه

(١) البحار ج ١١ ص ٢٠٤ عن العلل.
(٢) بصائر الدرجات ص ٦٥ وعنه البحار ج ١١ ص ٦٨.
(٣) بحار الأنوار ج ١١ ص ٢٦١ عن تفسير القمي ص ٥٩٧.

عزّوجلّ ناداه منادٍ من لدن العرش: يا آدم أخرج من جواري فإنّه لا يجاورني أحد عصاني، فبكى وبكت الملائكة، فبعث الله عزّوجلّ اليه جبرئيل فأهبطه الى الأرض مسوّداً، فلمّا رأته الملائكة ضجّت وبكت وإنتحبت وقالت: يا ربّ خلقاً خلقته، ونفخت فيه من روحك، وأسجدت له ملائكتك بذنب واحد حوّلت بياضه سواداً ؟!

فنادى مناد من السماء صم لربك اليوم، فصام فوافق يوم الثالث عشر من الشهر فذهب ثلث السواد، ثمّ نودي في يوم الرابع عشر بالصّيام، فصام فذهب ثلثا السواد ثمّ نودي في يوم خمسة عشر بالصّيام فصام وقد ذهب السواد كلّه، فسمّيت ايّام البيض الّذي ردّ الله عزّوجل فيه على آدم من بياضه، ثمّ نادى مناد من السّماء يا آدم هذه الثلاثة الايّام جعلتها لك ولولدك من صامها في كلّ شهر فإنّما صام الدّهر.

وزاد الحميدي في الحديث: فجلس آدم عليه السلام جلسة القرفصاء[1]، ورأسه بين ركبته كئيباً حزيناً، فبعث الله تبارك وتعالى إليه جبرئيل فقال: يا آدم مـالي اراك كئيباً حزيناً؟ فقال: لا أزال كئيباً حزيناً حتّى يأتي أمر الله، قال: فانّي رسول الله إليك وهو يقرئك السلام ويقول: يا آدم حيّاك الله وبيّاك، قال امّا حيّاك الله فأعرفه، فما بيّاك؟ قال: أضحكك، قال: فسجد آدم فرفع رأسه إلى السّماء وقال: يـا ربّ زدني جمالا فأصبح وله لحية سوداء كالحمم، فضرب بيده إليها فقال يـا ربّ مـا هذه؟ فقال: هذه اللّحية زينّتك بها أنت وذكور ولدك إلى يوم القيمة[2].

---

(١) قال الجوهري: القرفصاء: ضرب من القعود، يمدّ ويقصرّ وهو أن يجلس على ركبته منكبّا ويلصق بطنه فخذيه ويتأبط كفيه.

في «المنجد»: تَرَفْصَه: جمعه وشدّ يديه تحت رجليه.

(٢) بحار الانوار ج ١١ ص ١٧١ ـ ١٧٢ عن العلل ص ١٣٣.

وفي «العلل» عن الصادقعليه السلام قال: أوحى الله عزّوجل إلى آدمعليه السلام إنّي سأجمع لك الخير كلّه في اربع كلمات: واحدة منهنّ لي، وواحدة لك، وواحدة فيما بيني وبينك، وواحدة فيما بينك وبين النّاس، فامّا الّتي لي فتعبدني ولا تشرك بي شيئاً، وأمّا الّتي لك فاجازيك بعملك أحوج، ما تكون إليه، وأمّا الّتي بيني وبينك فعليك الدّعاء وعليّ الإجابة، وامّا الّتي فيما بينك وبين الناس فترضي للنّاس ما ترضى لنفسك وتكره لهم ما تكره لنفسك[1].

وفي «المحاسن» عن الصادقعليه السلام قال: إنّ آدمعليه السلام شكى إلى جبرئيلعليه السلام حديث النفس فقال: اكثر من قول لا حول ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم.

وفي «المجالس» و«الامالي» و«الاكمال» عن الصادقعليه السلام قال: أنا سيّد النّبيّين ووصيّي سيّد الوصيّين واوصيائي سادات الأوصياء، إن آدمعليه السلام سأل الله عزّوجلّ أن يجعل له وصيّاً صالحاً فأوحى الله عزّوجل إليه انّي اكرمت الأنبياء بالنّبوة ثمّ اخترت خلقي وجعلت خيارهم الأوصياء ثمّ أوحى الله عزّوجل إليه يا آدم أوْصِ إلى شيث فاوصى آدم إلى شيث وهو هبة بن آدم ثمّ ذكر اتّصال الوصيّة منهعليه السلام إلى نبيّنا والأئمّة المعصومين صلّى الله عليهم أجمعين[2].

وفي «تفسير العياشي» عن أبي جعفرعليه السلام بعد ذكر قصّة قابيل قال: فلمّا علم آدم بقتل هابيل جزع عليه جزعاً شديداً، ودخله حزن شديد، قال فشكى إلى الله ذلك، فاوحى الله إليه إني واهب لك ذكراً يكون خلفاً لك من هابيل، قال: فولدت

(١) الخصال ج١ ص١١٦ وعنه البحار ج١١ ص٢٥٧.
(٢) البحار ج١٧ ص١٤٨ وج٢٣ ص٥٧.

حوّاء غلاماً زكيّاً مباركاً، فلمّا كان اليوم السابع سمّاه آدم شيث فأوحى الله إلى آدم إنّما هذا الغلام هبة منّي لك فسمّه هبة الله، قال فسمّاه هبة الله، قال فلمّا دنى أجل آدم أوحى الله إليه، أن يا آدم انّي متوفيّك ورافع روحك إليّ يوم كذا وكذا، فأوْصِ الى خير ولدك وهو هبتي الذي وهبته لك فأوْصِ إليه وسلّم إليه ما علّمناك من الأسماء والاسم الاعظم، فاجعل ذلك في تابوت فانّي احبّ ان لا يخلو أرضي من عالم يعلم علمي ويقضي بحكمي، اجعله حجّة على خلقي.

قال: فجمع آدم عليه السلام جميع ولده من الرّجال والنّساء، فقال لهم: يا وُلدي انّ الله اوحىٰ إليّ انّه رافع إليه روحي، وأمرني أن أوصي إلى خير ولدي، وانّه هبة الله وانّه اختاره لي ولكم من بعدي، أسمعوا له واطيعوا أمره، فانّه وصيّي وخليفتي عليكم فقالوا جميعاً: نسمع له ونطيع أمره ولا نخالفه، قال: فامر بالتابوت فعمل ثمّ جعل فيه علمه والأسماء والوصيّة، ثمّ دفعه إلى هبة الله، وتقدّم إليه في ذلك وقال له: انظر يا هبة الله إذا أنا متّ فاغسلني وكفّني وصلِّ عليّ وأدخلني في حفرتي فاذا مضى بعد وفاتي اربعون يوماً فاخرج عظامي كلّها من حفرتي بأجمعها جميعاً، ثمّ اجعلها في التّابوت واحتفظ به ولا تأمنّن عليه أحداً غيرك فإذا حضرت وفاتك وأحسست بذلك من نفسك فالتمس خيرَ ولدك وألزمهم لك صحبته وأفضلهم عندك قبل ذلك فأوص اليه بمثل ما أوصيت به اليك، ولا تدعنّ الأرض بغير عالم منّا اهل البيت، يا بنيّ إنّ الله تبارك وتعالى أهبطني إلى الأرض وجعلني خليفته فيها حجّة له على خلقه، فقد أوصيت لك بامر الله وجعلتك حجّة الله على خلقه في أرضه بعدي فلا تخرج من الدّنيا حتّى تَدعَ لله حجّةً ووصيّاً وتسلّم إليه التّابوت وما فيه، كما سلّمته

إليك وأعلمه انّه سيكون من ذرّيتي رجل إسمه نوح يكون في نبوّته الطّوفان والغرق، فمن رَكب في فلكه نجى، ومن تخلّف عن فلكه غرق، وأوص وصيّك أن يحفظ بالتّابوت وبما فيه فاذا حضرت وفاته أن يوصي إلى خير ولده، وألزمهم له وأفضلهم عنده ويسلّم إليه التّابوت وما فيه، وليضع كلّ وصيٍّ وصيّته في التّابوت وليوص بذلك بعضهم إلى بعض فمن أدرك نبوّة نوح فليركب معه، وليحمل التّابوت وجميع ما فيه في فلكه، ولا يتخلّف عنه أحد، واحذر يا هبة الله وانتم يا ولدي الملعون قابيل وولده، فقد رأيتم ما فعل بأخيكم هابيل، فاحذروه وولده ولا تناكحوهم ولا تخالطوهم، وكن انت يا هبة الله وإخوتك وأخواتك في أعلا الجبل واعزله وولده ودع الملعون قابيل وولده في أسفل الجبل.

قال: فلما كان اليوم الّذي اخبر الله تعالى انّه متوفيه فيه تهيّأ آدم للموت وأذعن به، قال: وهبط عليه ملك الموت فقال آدم: دعني يا ملك الموت حتّى أتشهّد وأثني على ربّي بما صنع عندي من قبل أن تقبض روحي، فقال آدم: اشهد أن لا إله الاّ الله وحده لا شريك له وأشهد أني عبدالله وخليفته فيارضه. إبتدائي بإحسانه وخلقني بيده، لم يخلق خلقا بيده سواي، ونفخ فيّ من روحه، ثمّ أجملَ صورتي ولم يخلق على خلقي أحداً قبلى ثمّ أسجد لي ملائكته، وعلّمني الأسماء كلّها، ولم يعلّمها ملائكته، ثُمّ أسكنني جنّته، ولم يكن جعلها دار قرار، ولا منزل استيطان، وانّما خلقني لِيُسْكِنَني الأرض للذي اراد من التّقدير والتّدبير، وقدّر ذلك كلّه قبل أن يخلقني، فمضيت في قدرته وقضائه ونافذ أمره، ثمّ نهاني أن آكل من الشّجرة فعصيته واكلت منها، فاقالني عثرتي وصفح لي عن جرمي، فله الحمد على

جميع نعمه عندي حمداً يكمل به رضاه عنّي.

قال: فقبض ملك الموت روحه صلوات الله عليه فقال أبو جعفر عليه السلام: إنّ جبرئيل نزل بكفن آدم وبحنوطه وبالمسحاة معه، قال: ونزل مع جبرئيل سبعون ألف ملك ليحضروا جنازة آدم عليه السلام قال: فغسّله هبة الله وجبرئيل وكفّنه وحنّطه ثم قال: يا هبة الله تقدّم فصلّ على أبيك وكبرّ عليه خمساً وعشرين تكبيرة، فوضع سرير آدم، ثمّ قدم هبة الله وقام جبرئيل عليه السلام عن يمينه والملائكة خلفهما، فصلّى عليه وكبرّ عليه خمساً وعشرين تكبيرة، وانصرف جبرئيل والملائكة فحفروا له بالمسحاة ثمّ أدخلوه في حفرته، ثمّ قال جبرئيل يا هبة الله هكذا فافعلوا بموتاكم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت.

فقال أبو جعفر عليه السلام: فقام هبة الله في ولد أبيه بطاعة الله وبما أوصى أبوه فاعتزل ولد الملعون قابيل، فلما حضرت وفاة هبة الله أوصى إلى ابنة قينان، وسلّم إليه التّابوت وما فيه وعظام آدم، وقال له: ان أنت ادركتَ نبوّة نوح فاتّبعه واحمل التّابوت معك في فلكه، ولا تخلفنّ عنه فانّ في نبوّته يكون الطوفان والغرق، فمن ركب في فلكه نجى، ومن تخلّف عنه غرق.

قال: فقام قينان بوصيّة هبة الله في اخوته وولد ابيه وأمرهم بطاعة الله قال: فلمّا حضرت قينان الوفاة أوصى إلى مهلائيل وسلّم إليه التّابوت وما فيه، والوصيّة، فقام مهلائيل بوصيّة قينان وسار بسيرته فلمّا حضرت مهلائيل الوفاة أوصى إلى

إبنه[1] برد، فسلّم إليه التّابوت وجميع ما فيه والوصيّة، فتقدّم إليه في نبوّة نوح فلمّا حضرت وفاة برد اوصى به إلى ابنه اخنوخ وهو إدريس، فسلّم إليه التّابوت وجميع ما فيه والوصيّة، فقام أخنوخ بوصيّة برد، فلمّا قرب اجله أوحى الله تعالى إليه إنّي رافعك إلى السّماء وقابض روحك في السّماء فأوص إلى ابنك حرقاسيل بوصيّة أخنوخ، فلمّا حضرته الوفاة اوصى إلى ابنه نوح وسلّم إليه التّابوت وجميع ما فيه والوصيّة، قال: فلم يزل التّابوت عند نوح حتّى حمله معه في فلكه فلمّا حضرت نوح الوفاة اوصى إلى ابنه سام وسلّم إليه التّابوت وجميع ما فيه والوصيّة.

قال حبيب السجستاني: ثمّ انقطع حديث ابي جعفر عليه السلام عندها[2].

وفي «القصص» عن الصادق عليه السلام في خبر طويل إلى أن قال: فلم يلبث آدم عليه السلام بعد ذلك إلّا يسيراً حتّى مرض ودعا شيثاً وقال: يا بني انّ اجلي قد حضر وانا مريض وانّ ربّي قد انزل من سلطانه ما قد ترى، وقد عهد إليّ فيما قد عهد أن أجعلك وصيّي، وخازن ما استودعني، وهذا كتاب الوصيّة تحت رأسي، وفيه أثر العلم واسم الله الاكبر، فإذا انامتُّ فخذ الصّحيفة وايّاك أن يطّلع عليها احد، وأن تنظر فيها إلى قابل في مثل هذا اليوم الّذي يصير إليك فيه وفيها جميع ما تحتاج إليه في امور دينك ودنياك وكان آدم صلوات الله عليه نزل بالصحيفة التي فيها الوصية من الجنة.

ثمّ قال آدم لشيث صلوات الله عليهما: يا بُنيّ انّي قد إشتهيت ثمرة من ثمار

(١) في المصدر وقصص الانبياء: يرد بالياء.

(٢) تفسير العياشي ج ١ ص ٣٠٦ـ٣٠٩.

الجنّة فاصعد إلى جبل الحديد فانظر من لقيته من الملائكة فاقرأه منّي السلام وقل له: إن أبي مريض وهو يستهديكم من ثمار الجنّة، قال: فمضى حتى صَعَدَ الى الجبل فاذا هو بجبرئيل في قبائل من الملائكة، فبدأه جبرئيل السلام ثم قال: إلى أين يا شيث فقال له شيث: ومن أنت يا عبدالله؟ قال: انا الرّوح الامين جبرئيل فقال إنّ ابي مريض وقد أرسلني إليكم وهو يقرئكم السلام ويستهديكم من ثمار الجنة، فقال له جبرئيل عليه السلام: وعلى ابيك السلام يا شيث، اما انّه قد قبض، وانّما نزلت لشأنه فعظّم الله على مصيبتك فيه اجرك، وأحسن على العزاء منه صبرك، وآنس منك عظيم وحشتك، ارجع فرجع معهم، ومعهم كلّ ما يصلح به آدم صلوات الله عليه، قد جاؤا به من الجنّة فلمّا صاروا إلى آدم كان أوّل ما صنع شيث أن أخذ صحيفةَ الوصيّة من تحت رأس آدم صلوات الله عليه فشدّها على بطنه، فقال جبرئيل عليه السلام: مَنْ مثلك يا شيث قد أعطاك الله سرور كرامته وألبسك لباس عافيته فلعمري لقد خصّك الله منه بأمرٍ جليل، ثمّ إنّ جبرئيل عليه السلام وشيثاً أخذا في غسله، وأراه جبرئيل كيف يغسله حتّى فرغ، ثمّ أراه كيف يكفّنه ويحنّطه حتّى فرغ ثمّ أراه كيف يحفر له، ثمّ إنّ جبرئيل عليه السلام أخذ بيد شيث فأقامه للصّلوة عليه كما نقوم اليوم نحن، ثمّ قال كبرّ على ابيك سبعين تكبيرة وعلّمه كيف يصنع ثمّ انّ جبرئيل عليه السلام أمر الملائكة ان يصطفّوا قياما خَلفَ شيث كما يصطفّ اليوم خلف المصلّي على الميّت، فقال شيث: يا جبرئيل ويستقيم هذا لي وأنت بالمكان من الله الّذي أنت ومعك عظماء الملائكة؟ فقال جبرئيل: يا شيث ألم تعلم أنّ الله تعالى لمّا خلق أباك آدم أوقفه بين الملائكة وأمرنا بالسجود له فكان إمامنا ليكون ذلك سنة في ذرّيته، وقد

قبضه اليوم وأنت وصيُّه ووارثُ علمه، وأنت تقوم مقامَه، فكيف نتقدّمك وأنت إمامنا؟ فصلّي بهم عليه كما أمره، ثمّ أراه كيف يدفنه، فلمّا فرغ من دفنه وذهب جبرئيل ومَنْ معه ليصعدوا من حيث جاؤا بكى شيث ونادى: يا وحشتاه فقال له جبرئيل: لا وحشة عليك مع الله تعالى يا شيث، بل نحن نازلون عليك بأمر ربّك وهو يونسك فلا تحزن وأحسن ظَنَّكَ بربّك فإنّه بك لطيف وعليك شفيق، ثمّ صعد جبرئيل ومَن معه، وهبط قابيل من الجبل، وكان على الجبل هارباً من أبيه آدم عليه السلام ايّام حياته لا يقدر أن ينظر إليه فلقي شيثاً فقال: يا شيث إنّي إنّما قتلت هابيل أخي لأنّ قربانه قد تقبل وقد خفت أن يصير بالمكان الّذي قد صرت أنت اليوم فيه، وقد صرت بحيث اكره، وان تكلّمت بشيء ممّا عهد إليك أبي لأقتلنّك كما قتلت هابيل.

قال زرارة: ثمّ قال أبو عبدالله عليه السلام بيده إلى فمه فامسكه يعلمنا اي هكذا انا ساكت «فلا تلقوا بايديكم إلى التهلكه» معشر شيعتنا فتمكنوا عدوّكم من رقابكم فتكونوا عبيداً لهم بعد إذ انتم اربابهم وساداتهم. الخبر [١].

وفي خبر آخر عن أبي جعفر عليه السلام قال: أرسل آدم إبنه إلى جبرئيل فقال: قل له: يقول لك أبي: أطعمني من زيت الزّيتون الّتي في موضع كذا وكذا من الجنّة، فلقاه جبرئيل فقال له إرجع إلى ابيك فقد قبضه الله وأمرنا باجهازه والصلوة عليه، قال: فلمّا جهّزوه قال جبرئيل: تقدّم يا هبة الله فصلّ على أبيك فتقدم وكبّر عليه خمساً وسبعين تكبيرة سبعين تفضيلاً لآدم وخمساً للسّنة قال: وآدم عليه السلام لم يزل

---

(١) بحار الانوار ج ١١ ص ٢٦٢ ـ ٢٦٤.

يعبدالله بمكّة حتّى اذا أراد أن يقبضه بعث إليه الملائكة معهم سرير وحنوط وكفن من الجنّة فلمّا رأت حواء الملائكة ذهبت لتدخل بينه وبينهم، فقال لها آدم: خلّي بيني وبين رسل ربّي، فقُبِض فغسّلوه بالسّدر والماء ثمّ لحدوا قبره، وقال: هذا سنّة ولده من بعده فكان عمره منذ خلقه الله إلى أن قبضه تسعمائة وستّاً وثلاثين سنة ودفن بمكّة وكان بين آدم ونوح صلوات الله عليهما ألف وخمسمائة سنة[1].

وفي «كمال الدين» عن الصادق عليه السلام عن آبائه عن النّبي صلى الله عليه وآله قال: عاش آدم ابو البشر تسعمائة وثلاثين سنة[2].

وعن المسعودي في المروج توفّي يوم الجمعة لستّ خلون من نيسان في الساعة الّتي كان فيها خلقه وكان عمره تسعمائة وثلاثين سنة[3].

وعن السيّد في سعد السعود نقلاً من صحف إدريس عليه السلام: إنّ مرضه عشرة ايّام بالحمّى، ووفاته يوم الجمعة لاحدى عشر يوماً خلت من المحرّم، ودفنه في غار في جبل أبي قبيس ووجهه إلى الكعبة، وانّ عمره في وقت نفخ فيه الروح إلى وفاته الف سنة وثلاثين وان حوّاء ما بقيت بعده إلّا سنة ثم مرضت خمسة عشر يوما ثم توفيّت ودفنت إلى جنب آدم عليه السلام، ثمّ قال ونبأالله شيثاً، وأنزل عليه خمسين صحيفة فيها دلائل الله وفرائضة واحكامه وسننه وشرائعه وحدوده، فأقام بمكّة يتلو تلك الصحف على بني آدم ويعلّمها ويعبدالله، ويعمر الكعبة فيعتمر في

---

(١) قصص الانبياء ص ٦٤ ح ٤٤ وعنه البحار ج ١١ ص ٣٦٦ ح ١٥.

(٢) كمال الدين ص ٥٢٣ ح ٣.

(٣) مروج الذهب ج ١ ص ٤٨.

كلّ شهر، ويحجّ في أوان الحجّ حتّى تمّ له تسعمائة سنة واثني عشر سنة، فمرض فدعا ابنه أيوس[١] فأوصى به اليه وأمره بتقوى الله ثُمّ تُوفّيَ فغسله أيوس ابنه وقينان بن أيوس ومهلائيل بن قينان فتقدّم أيوس فصلّى عليه ودفنوه عن يمين آدم عليه السلام في غار أبي قبيس[٢].

ثمّ قال السيّد رضى الله عنه على ما حكى عنه المجلسي طاب ثراه: وجدت في السفر الثالث من التوراة: أنّ حياة آدم كانت تسعمائة وثلاثين سنة.

وقال محمّد بن خالد البرقي(ره): إنّ عمر آدم كان تسعمائة وستّاً وثلاثين سنة[٣].

وفي تفسير القمي عن أبي جعفر عليه السلام قال: وكان عمر آدم من يوم خلقه الله تعالى إلى يوم قبضه تسعمائة وثلاثين سنة ودفن بمكّة ونفخ فيه يوم الجمعة بعد الزوال، ثمّ برأ زوجته من أسفل اضلاعه واسكنه جنّته من يومه ذلك فما استقرّ فيها إلّا ستّ ساعات من يومه ذلك حتّى عصى الله تعالى واخرجهما من الجنّة بعد غروب الشمس وما بات فيها[٤].

وعن ابن الأثير في الكامل قيل: إنّ شيث كان لم يزل مقيماً بمكّة يحجّ ويعتمر إلى أن مات وانّه كان قد جمع ما أنزل عليه وعلى أبيه آدم من الصحف

---

(١) هكذا في النسخ والصحيح: انوش كما في المصدر.

(٢) سعد السعود ص٣٧ـ٣٨.

(٣) سعد السعود ص٤٠ وفيه تسعمائة وست وثلاثون.

(٤) تفسير القمي ج ١ ص ٤٥.

وعمل بما فيها وانّه بنى الكعبة بالحجارة والطّين.

وقيل: إنه لما مرض أوصى إلى ابنه انوش ومات ودفن مع أبويه بغار أبي قبيس وكان مولده لمضي مائتي سنة وخمس وثلاثين سنة من عمر آدم وقيل غير ذلك وكانت وفاته وقد اتت له تسعمائة سنة واثنتا عشر سنة[1].

وفي «المعاني» و «الخصال» في خبر أبي ذرّ عن النّبي صلى الله عليه وآله: انّ أربعة من الأنبياء سريانيون آدم، وشيث، وادريس، ونوح وانّ الله تعالى انزل على شيث خمسين صحيفة[2].

وروت العامّة عن النّبي صلى الله عليه وآله: انّ آدم كان كُتِبَ له ألف سنة فوهب لداود ستّين سنة ثمّ رجع[3].

ورووا عن ابن عباس انّه وهب من الألف اربعين فجحد فاكمل الله لادم الف سنة ولداود مائة سنة وسيأتي في تفسير آية المداينة في اخر السورة عن الصادق عليه السلام: انّه وهبه من عمره ستّين سنة.

وعن أبي جعفر: انّه وهبه ثلاثين سنة وانّه لمّا هبط عليه ملك الموت لقبض روحه قال له آدم يا ملك الموت انّه قد بقي من عمري ثلاثون سنة فقال له ملك الموت: يا آدم الم تجعلها لابنك داود النّبي وطرحتها من عمرك حين عرضت عليك اسماء الأنبياء من ذرّيتك وعرضت عليك أعمارهم وانت يومئذ بوادي الدّخياء؟

---

(١) الكامل ج ١ ص ٥٤ وعنه البحار ج ١١ ص ٢٦٢.

(٢) معاني الاخبار ص ٣٣٣ ـ والخصال ٥٢٤.

(٣) البحار ج ١١ ص ٢٦٨.

قال: فقال آدم: ما اذكر هذا فقال له ملك الموت: يا آدم لا تجحد الم تسأل الله عزّوجل أن يثبتها لداود ويمحوها من عمرك فاثبتها لداود في الزّبور ومحاها من عمرك في الذكر؟ قال آدم: حتّى اعلم ذلك.

قال أبو جعفر عليه السلام وكان آدم عليه السلام صادقاً لم يذكر ولم يجحد فمن ذلك اليوم أمر الله تبارك وتعالى العباد أن يكتبوا بينهم اذا تداينوا وتعاملوا إلى أجل مسمّى لنسيان آدم وجحوده ما جعل على نفسه(١).

اقول: لكنّه كماترى بظاهره مخالف لما أجمعت عليه الطّائفة المحقّة على ما مرّت إليه الإشارة من نفي السهو والإسهاء عن الانبياء عليهم السلام ولو في غير ما يتعلّق بالتبليغ ولذا كان الاولى حمله على التقيّة، والاّ فليحمل على ضرب من التّأويل ولعلّ الأوّل أقرب سيّما مع اشتهار القصّة بين العامّة وروايتهم لها بطرق متعدّدة.

تبصرة: روى الشيخ الجليل جعفر بن محمد بن قولويه في كامل الزيارات بالاسناد عن الصادق عليه السلام قال: إنّ الله تبارك وتعالى أوحى إلى نوح وهو في السّفينة أن يطوف بالبيت اسبوعاً فطاف بالبيت اسبوعاً كما أوحى الله تعالى إليه ثمّ نزل في الماء والماء إلى ركبتيه، فاستخرج تابوتاً فيه عظام آدم عليه السلام فحمل التابوت في جوف السفينة حتّى طاف بالبيت ما شاء الله أن يطوف ثمّ ورد إلى باب الكوفة في وسط مسجدها ففيها قال الله تعالى ﴿يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءكِ﴾ فبلعت مائها من مسجد

(١) علل الشرايع ص٥٥٣ وعنه البحار ج١١ ص٢٥٩.

الكوفة كما بدأ الماء من مسجدها وتفرّق الجمع الّذين كانوا مع نوح في السفينة فاخذ نوح التّابوت فدفنه في الغري[١].

وفي القصص بالاسناد إلى الصدوق باسناده إلى وهب قال: لمّا حضر آدم الوفاة أوصى إلى شيث وحفر لآدم في غار فى أبي قبيس يقال له غار الكنز فلم يزل آدم في ذلك الغار حتّى كان زمن الغرق إستخرجه نوح في تابوت وجعله معه في السفينة[٢].

وقد مرّ في خبر العيّاشي الطويل المتقدّم انّ آدم عليه السلام أوصى إلى هبة الله عليه السلام وقال له: أنظر يا هبة الله إذا أنامتّ فاغسلني وكفنّي وصلّ عليّ وأدخلني في حفرتي فاذا مضى بعد وفاتي أربعون يوماً فاخرج عظامي كلّها من حفرتي بأجمعها جميعاً ثم اجعلها في التّابوت احتفظ به ولا تامننّ عليه احداً غيرك[٣]. الخبر على ما مرّ.

ثمّ انّه قد يستشكل في هذه الأخبار فيما ورد عن الصادق عليه السلام من أنّ الله تبارك وتعالى أوصى إلى موسى بن عمران أن اخرج عظام يوسف من مصر ووعده طلوع القمر إلى أن قال عليه السلام: فاستخرجه من شاطىء النّيل في صندوق مرمر، فلمّا أخرجه طلع القمر فحمله إلى الشّام[٤].

من وجوه: أحدها: انّها بظاهرها تدلّ على جواز نقل الموتى بعد الدفن إلى

(١) كامل الزيارات ص٣٨ـ٣٩ وعنه البحار ج١١ ص٢٦٨.

(٢) قصص الانبياء ص٧٢ ح٥٥.

(٣) تفسير العياشي ج١ ص٣٠٦ـ٣٠٩.

(٤) البحار ج١٢ ص١٢٧.

المواضع الشريفة أو مطلقاً وظاهر الاصحاب تحريم ذلك حتى قال ابن ادريس: انّه بدعة في شريعة الاسلام سواء كان النقل إلى مشهد او غيره مضافاً الى ظهور إتّفاقهم على حرمة النبش بعد الدفن.

وثانيها: انّه قد ورد في جملة من الأخبار أن الأنبياء والأوصياء عليهم السلام يرفعون بعد الدفن بأبدانهم من الأرض.

ففي «الكافي» و«الفقيه» و«التهذيب» وغيرها عن زياد بن أبي الحلال عن أبي عبدالله عليه السلام قال: ما من نبيّ او وصيّ[1] نبيّ يبقى في الأرض اكثر من ثلاثة ايّام حتّى يرفع بروحه ولحمه وعظامه[2] إلى السماء وإنّما يؤتى موضعُ آثارهم ويبلّغونهم عن بعيد السلام ويسمعونهم في مواضع اثارهم عن قريب[3].

وفي «التهذيب» عن عطيّة قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: لا تمكث جثّة نبيّ ولا وصيّ نبيّ في الأرض أكثر من اربعين يوماً[4].

الى غير ذلك ممّا يدلّ على انّهم يرفعون بأبدانهم العنصريّة من الأرض إلى السّماء بعد ثلاثة ايّام أو اربعين يوماً او غيرها مع أنّ الظّاهر من الأخبار المتقدّمة بقاؤهم فيها إلى أن نقلوا من مدفنهم إلى غيره بعد سنين عديدة.

ثالثها: انّ ظاهر الاخبار المتقدّمة أنّ الأرض تاكل من أبدانهم وتفرّق بين

---

(١) في نسخة: ولا وصي نبيّ.

(٢) في البحار: وعظمه.

(٣) بصائر الدرجات ص٤٤٥ ح٩.

(٤) بحار الانوار ج ١٠٠ ص ١٣٠.

لحومهم وعظامهم حيث خصّ النقل فيها بالعظام، بل في خبر العيّاشي اخراج عظامه عليه السلام بعد اربعين يوماً مع أنّه قد روى في أخبار كثيرة انّ لحومهم محرّمة على الأرض وعلى الدّود.

ففي «الفقيه» عن الصّادق عليه السلام قال: إن الله عزّوجل حرّم لحومنا على الأرض وحرّم لحومنا على الدود ان تطعم منها سيئاً.

وفيه عنه عليه السلام: أنّ الله تبارك وتعالى حرّم لحومنا على الأرض أن تطعم منها شيئاً[1].

والجواب عن الأوّل: أنّه بعد ثبوت جواز النبش والنقل على فرضه لابدّ من حمل هذه الأخبار على كونها قضايا في وقائع خاصّة فلا يتعدّى الحكم إلى غيرها على أنّ عدم جواز النقل ليس مقطوعاً به في كلامهم وان كان القول به مشهوراً عندهم بل هي مسألة خلافيّة، وربما استدلّ للقول بالجواز بالاخبار المتقدّمة بناءً على قضاء الاستصحاب ببقاء الأحكام الثابتة في الشرائع السّابقة وبالاصل السالم عن معارضة الدليل، سيّما مع انتفاع الميت بشرافة الأرض وجوار من شرّفت به، ولعلّ جوازه كان معلوماً بين الشيعة في الأعصار المتقدّمة القريبة من عصر الامام عليه السلام بحيث ربما يظهر منه تقريره له ورضاه به لِذا نُقِلَ عن جملة من علمائنا أنّهم دُفِنوا ثُمَّ نقلوا كالمفيد من داره بعد مدّة إلى جوار الكاظمين عليهما السلام، والمرتضى من داره الى جوار الحسين عليه السلام. والشيخ البهائي من اصبهان الى المشهد الرضوي

(١) بصائر الدرجات ص٤٤٣ وعنه البحار ج ٢٢ ص ٥٥٠.

على مشرفه السلام، ولذا أفتىٰ كثير من الاصحاب بجواز النبش للنقل إلى تلك المشاهد وغيرها بل عدّ في «كشف الغطاء» ممّا استثناه من حرمة النبش ان يكون ذلك لايصاله الى محل يرجى فوزه بالثواب أو نجاته من العقاب. كالنقل الى المشاهد المشرّفة، بل مقابر مطلق الأولياء والشهداء والعلماء والصلحاء، ثم قال: وربما كان هذا القسم أولى من غيره فيخرجه كلّاً او بعضاً عظماً أو لحماً او مجتمعاً ولولا قيام الاجماع والسيرة على عدم وجوبه لقلنا بالوجوب في بعض المحال بل قد يُحكىٰ عنه أنّه قال: لو توقّف نقله على تقطيعه إرباً إرباً جاز ولاهتك فيه للحرمة إذا كان بعنوان النفع له ودفع الضرر عنه كما يصنع مثله في الحيّ وتمام الكلام فى الفقه.

وعن الثّاني: انّه وان كان بين الخبرين منافاة بحسب الظّاهر الّا انّ لأصحابنا في الجمع بينهما طرقاً منها: انّهم يرفعون بعد الثلاثة ثمّ يرجعون إلى قبورهم ويؤيّده ما قيل: إنّه ورد في بعض الاخبار: انّ كلّ وصيّ يموت يلحق بنبيّه ثمّ يرجع إلى مكانه.

وهذا الوجه وإن احتمله شيخنا المجلسي إلّا أنّه بعيد جدّاً من سياق الأخبار المتقدّمة وغيرها ممّا يدلّ عليه بل مخالف لبعض الأخبار.

مثل ما رواه في كامل الزيارات عن عبدالله بن بكر قال: حججت مع أبي عبدالله عليه السلام إلى أن قال: يابن رسول الله لو نبش قبر الحسين بن عليّ هل كان يُصاب في قبره شيء؟ فقال: يابن بكر ما أعظم مسائلك إنّ الحسين بن عليّ مع أبيه وأمّه وأخيه في منزل رسول الله صلى الله عليه وآله ومعه يرزقون ويحبرون، وانّه لعن يمين العرش

متعلّق به يقول: يا ربّ أنجز لي ما وعدتني[1]، الخبر.

ومنها: أنّ أخبار الرفع صدرت لنوع مصلحة تورية لقطع طمع الخوارج والنّواصب الّذين كانوا يريدون نبش قبورهم واخراجهم منها وقد عزموا على ذلك مراراً فلم يتيسّر لهم، وربّما يؤيّد ذلك بما في بعض الأخبار من أنّهم نبشوا قبر الحسين عليه السلام فوجدوه في قبره وانّهم حفروا في الرصافة قبرا فوجدوا فيها شعيب بن صالح، وهذا الوجه ضعيف جدّا بل هو طرح للأخبار المذكورة من دون شاهد رجماً بالغيب مع أنّ الله سبحانه قد منع اعدائه من أن ينالوا قبور أوليائه بوجوه من المنع من دون أن يلجئهم إلى مثل هذا الكذب الّذي يسرع ظهوره بالنّبش فإنّ المعاندين قد بالغوا في إمحاء قبورهم وآثارهم وإطفاء أنوارهم فأبى الله إلا أن يتمّ نوره ولوكره المشركون.

ومنها: ما احتمله شيخنا المجلسي أيضاً من حمل أخبار نقل العظام على أنّ المراد نقل الصندوق المتشرف بعظامهم وجسدهم في ثلاثة ايّام او اربعين يوماً وهو بعيد جدّاً.

ومنها: ما احتمله أيضاً من ردّهم بعد الّرفع إلى الأرض لترتّب تلك المصلحة المقتضية للرفع.

ومنها ما ذكره المحدّث الفيض أفاض الله عليه من رحمته بعد نقل الخبر الدّال على الّرفع حيث قال: حمل هذا الحديث على ظاهره غير مستبعد في عالم

---

(١) كامل الزيارات ص٢٣٠.

القدرة وفي خوارق عاداتهم عليهم السلام، مع أنّه يحتمل أن يكون المراد باللّحم والعظم المرفوعين المثاليّين منهما أعني البرزخيّين، وذلك لعدم تعلّقهم بهذه الأجساد العنصرية فكأنّهم وهم بعد في جلابيب من ابدانهم قد نفضوها وتجرّدوا عنها فضلاً عمّا بعد وفاتهم.

والدّليل على ذلك من الحديث قوله ﷺ: إنّ الله خلق أرواح شيعتنا ممّا خلق منه أبداننا[1].

فأبدانهم ليس إلّا تلك الاجساد اللّطيفة المثاليّة، وأمّا العنصرية فكأنّها أبدان الأبدان.

ويدلّ على ذلك ما ورد: إنّ الله أوحى إلى نوح أن يستخرج من الماء تابوتاً فيه عظام آدم ﷺ فيدفنه في الغريّ ففعل[2].

وما ورد: انّ الله سبحانه أوحى إلى موسى بن عمران ان أخرج عظامَ يوسف ابن يعقوب من مصرفاستخرجها من شاطيء النيل في صندوق مرمر[3].

فلولا أنّ الاجساد العنصريّة منهم تبقى في الأرض لما كان لإستخراج العظام ونقلها من موضع إلى موضع آخر بعد سنين عديدة معنى.

واعترضه المحدّث البحراني بأنّه مبنيّ على ثبوت الأجساد المثاليّة في النشأة الدّنيويّة بحيث يكون للرّوح فيها جسدان مثالي وعنصري، وهذا ممّا لم يقم

---

(١) البصائر ص٧ وفيه: وخلق أرواح شيعتنا من أبداننا.

(٢) كامل الزيارات ص٣٨ـ ٣٩ وعنه البحار ج ١١ ص٢٦٨.

(٣) بحار الانوار ج ١٣ ص١٢٧.

عليه دليل، وغاية ما يستفاد من الأخبار: انّ المؤمن إذا مات جعل الله روحه في النشأة البرزخيّة في قالب كقالبه في الدّنيا بحيث لو رأيته لقلتَ: فلان ثُمّ ينقل إلى وادي السلام وانّهم يجلسون حلقاً حلقاً يتحدّثون ويتنعّمون، وايضاً فتصريح الخبر برفع اللحم والعظم لا ينطبق إلّا على الجسد العنصري، لأنّ إثبات ذلك للجسد الثاني لا يخلو عن تمحل وتعسّف لدلالة الخبرين على الرّفع بالأبدان العنصريّة كما يدلّ عليه أيضاً.

ما رواه الشيخ في «التهذيب» عن سعد الاسكاف قال: حدّثني أبو عبدالله عليه السلام قال: انّه لما أصيب أمير المؤمنين عليه السلام قال للحسن والحسين عليهما السلام: غسّلاني وكفّناني وحنّطاني واحملاني على سرير واحملا مؤخّره تكفيان مقدّمه، فانكما تنتهيان إلى قبر محفور ولحد ملحود ولبن موضوع فالحداني، واشرجا اللّبنَ عليَّ وارفعا لبنة ممّا يلي رأسي فانظرا ما تسمعان، فأخذ اللّبنة من عند رأسه فاذا ليس في القبر شيء، وإذا هاتف يهتف:

أميرالمؤمنين كان عبدا صالحاً لله فألحقه الله بنبيّه، وكذلك يفعل بالأوصياء بعد الانبياء حتّى لو أنّ نبيّاً مات في المشرق ومات وصيّه في المغرب لأُلحق الوصيّ بالنبيّ[1].

أقول: وفيه انّ الاجسام المثاليّة في هذا العالم ممّا لا مساغ لأحد إلى انكارها بعد ما دلّت الآيات الآفاقيّة والأنفسية على ثبوتها فانّ النّائم يرى فيما يراه انّه قد

---

(١) فرحة الغري ص٢ وص٢٢.

ضرب في الأرض ودخل البلاد وتكلّم مع كثير من الأشخاص وشاهدهم وسمع منهم مع أنّ بدنه العنصري متدثّر بدثار النوم في بيته، وربما يكون كثيراً ممّا رآه موافقاً لما في الواقع إمّا تطبيقاً او تأويلاً وتحويلاً، بل ربما يرى الأشخاص الكثيرة من الأحياء والأموات، ويتكلّم معهم ويستفيد ممّا عندهم مع أن الأبدان العنصريّة لتلك الأشخاص غير مشاهدٌ له قطعاً ولعلّها صارت عظاماً ورفاتاً، وهو يراهم في صورة الأحياء الّذين يشافههم ويناظرهم، وحمل الرّؤيا على مجرّد الخيال من خيالات الفلاسفة، إذ الظّاهر من الشرع واهله كونها بالأبدان المثاليّة للرّائي والمرئي على ما تأتي إليه الاشارة.

بل ربما يدلّ عليه النبوي المستفيض من طريق الفريقين: من رآني فقد رآني فانّ الشيطان لا يتشبّه بي.

وفي خبر آخر: لا يتمثّل بي. وفي ثالث: من رآني في النّوم فقد رآني فانّه لا ينبغي للشيطان أن يتمثّلَ في صورتي.

وفي رابع: من رآني فقد رأى الحقّ فإنّ الشيطان لا يترائى بي.

وفي خامس: رواه الرضا عليه السلام عنه صلى الله عليه وآله: من رآني في منامه فقد رآني لأنّ الشيطان لا يتمثّل في صورتي ولا في صورة أحد من اوصيائي ولا في صورة احد من شيعتهم [1].

فانّ الظّاهر منه باختلاف ألفاظه انّها إنّما تكون بالتمثل والتشبّه ومعناه تعلّق

(١) امالي الصدوق ص ٦٤ وعنه البحار ج ٤٩ ص ٢٨٣.

الرؤيا حال الرّؤيا بالصورة والمثال من جهة المرئي.

وأما كونه من جهة الرّائي من جهة المثال فواضح، هذا مضافاً إلى الشّواهد الكثيرة الدّالّة على ثبوتها من الأخبار والاعتبار على ما نشير إليها في تفسير الآيات المتعلّقة باحوال البرزخ والمعاد ولذا يُعزى القول بها إلى كثير من المسلمين.

قال شيخنا المجلسي (رحمه الله) في جملة كلام له: انّ الرّوح يتعلّق في البرزخ بالأجساد المثاليّة اللطيفة الشبيهة باجسام الجنّ والملائكة المضاهية في الصّورة للأبدان الأصليّة ثمّ قال: إنّه وإن كان يمكن تصحيح بعض الأخبار بالقول بتجسّم الروح ايضاً بدون الأجسام المثالية، لكن مع ورود الأجساد المثالية في الأخبار المعتبرة المؤيّده بالأخبار المستفيضة لا محيص عن القول بها إلى أن قال: وقد قال به كثير من المسلمين كشيخنا المفيد قدّس الله روحه وغيره من علمائنا المتكلّمين والمحدّثين، بل لا يبعد القول بتعلّق الروح بالأجساد المثاليّة عند النوم ايضاً كما يشهد به ما يرى في المنام، وقد وقع في الاخبار تشبيه حالة البرزخ وما يجري فيها بحالة الرّؤيا وما يشاهد فيها، بل يمكن أن يكون للنفوس القويّة العالية أجساد مثاليّة كثيرة كأئمّتنا صلوات الله عليهم حتّى لا نحتاج إلى بعض التأويلات والتّوجيهات في حضورهم عند كلّ ميّت وسائر غرائب أحوالهم من عروجهم إلى السموات كلّ ليلة جمعة وغير ذلك(١).

ثمّ انّ من جميع ذلك وغيره يظهر لك ضعف ما ذكره المحدّث المذكور في

---

(١) بحار الأنوار ج٦ ص٢٦٩.

جملة كلام له لم نتعرّض لحكايته: من أنّا لم نقف في الأخبار على ما يدلّ على ثبوت الأجساد المثاليّة للأنبياء والائمّة صلوات الله عليهم بعد الموت فضلاً عمّا ادّعاه المحدّث الفيض من الوجود في الدنيا.

إذ فيه أنّ الأخبار على ذلك كثيرة جدّاً مثل ما ورد من أنّ الملائكة إشتاقت إلى رؤية عليّ بن ابي طالب فخلق الله تعالى صورته في السموات.

وانّ لكلّ مؤمن مثالاً في السّماء يفعل كفعله في الدّنيا، على ما مرّت الاشارة إليها وإلى غيرها فيما تقدم.

وامّا ما ذكره الفيض من رفع المثالي وبقاء العنصري فهو بعيد جدّاً، بل لعلّه مقطوع العدم عن مساق أخبار الباب بكثرتها واشتهارها بين العصابة، مع أنّ جميع المؤمنين مشتركون معهم في نقل أبدانهم المثاليّة عن قبورهم إلى جنان البرزخ، فلا اختصاص لهم بذلك، مع أنّ ظاهر الأخبار هو الإختصاص، ولذا قال المفيد في شرح العقائد: إنّه قد جاء في الحديث: انّ الأنبياء خاصّة والأئمّة ﷺ من بعدهم ينقلون بأجسادهم وارواحهم من الأرض إلى السّماء فينعمّون في أجسادهم الّتي كانوا فيها عند مقامهم في الدنيا، وهذا خاصّ بحجج الله دون من سواهم من النّاس.

فرفع أبدانهم العنصريّة ممّا لا ريب فيه، نعم من المحتمل قريباً أن يبقى في قبورهم بعد رفعهم بدن من أبدانهم المثاليّة لما يقصدونهم النّاس، وهو الّذي يُرى في قبورهم عند النبّش أزمنة طويلة، وإنّما جعل الله هذا المثال لبركات العباد وتوجّهاتهم وضراعاتهم كما جعل في ايّام حياتهم وبقائهم بابدانهم العنصريّة في الدّنيا مثالهم في السموات ليكون مثابة وامناً ومطافاً للملائكة.

ومنها: ما ذكره المحدّث البحراني بعد تمهيد مقدّمة هي: أنّ المستفاد من جملة من الأخبار انّ دفن الميّت إنّما يقع في موقع تربته الّتي خلق منها كما في «الكافي» في الصّحيح عن محمّد بن مسلم عن أحدهما عليهما السلام قال: من خلق من تربة دفن فيها[1].

وفيه عن الصّادق عليه السلام: إنّ النّطفة اذا وقعت في الّرحم بعث الله ملكاً فأخذ من التّربة الّتي يدفن فيها فماثها في النّطفة فلا يزال قلبه يحنّ إليها حتّى يدفن فيها.

الى غير ذلك من الأخبار الدّالة عليه وحينئذٍ فنقول: ما ورد من الأخبار دالاً على رفعهم عليهم السلام من الأرض بالابدان العنصريّة يجب تقييده بما دلّت عليه هذه الاخبار من الدّفن في الموضع الاصلي والمقرّ الحقيقي الّذي اخذت منه الطينة ويجب حمل خبري عظام آدم ويوسف عليهما السلام على الدّفن في غير الموضع المشار اليه فكانّه إنّما وقع على وجه الإيداع في هذا المكان لمصلحة لا نعلمها والمقرّ الحقيقي إنّما هو الموضع الّذي أمر الله سبحانه بالنقل اليه وبعد فيصير الدّفن في ذلك الموضع من قبيل ما لو بقي على وجه الأرض من غير دفن في وجوب بقاء الجسد العنصري وإن جاز انتقال كلّ منهما عليهما السلام إلى بدن مثالي في ذلك العالم لعدم إمكان نقل البدن العنصرى حيث إنّه مأمور بنقله إلى ذلك المكان الأخر بعد الايداع في هذا المكان مدّة، فمن أجل ذلك لم يرفعا به، وأمّا وجه الحكم في الدّفن أوّلاً في مكان مع عدم كون المكان الأصلي والتربة الحقيقيّة، فلا يجب علينا أن نطلب وجهه، وإنما علينا

---

(١) الكافي: ج ٣ ص ٢٠٢ ح ١.

الإيمان به.

قال: وهذا وجه وجية تلتئم عليه الأخبار من غير تأويل ولا خروج عن ظواهر ألفاظها.

وأمّا الجمع بين خبري الثلاثة والأربعين فيمكن حمل الأوّل على اقل المدّة، والثاني على اكثرها، ولعلّ ذلك بتفاوت مراتبهم عنده سبحانه.

أقول: وهذا الوجه لا بأس به ، وان كان فيه خروج عن ظاهر لفظ الخبر، وغيره من الأخبار الدالّة على دفن آدم، وانّه لا يمكث جثّة من نبيّ ولا وصيّ نبيّ في الأرض اكثر من كذا وكذا.

ومنه يظهر ضعف ما إدّعاه من قيام الأخبار عليه من غير تأويل ولا خروج عن ظواهرها.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

وعن الثّالث: أنّ المراد بالعظام في الخبرين تمام البدن باجزائه تسمية للكلّ باسم الجزء الّذي به قوامه كاطلاق الرّقبة على الانسان فإنّ العظام دعامة البدن وأشرف ما فيه من وجه حتّى أنّ جميعها يقوم مقام الجسد في الاحكام من وجوب الصّلوة على جميع عظام الميّت إذا وجدت وكون الاطلاق مجازيّاً لا بأس به بعد دلالة الأخبار المستفيضة على أنّ الأرض لا تأخذ من جسدهم بل ولا من جسد شيعتهم بل هو المشاهد أيضاً في كثير من الأزمنة حيث نبشوا قبور بعض المؤمنين فوجدوه غضّاً طريّاً بعد أن مضى من وفاتهم أعصار طويلة فمن ذلك ما يحكى عن روضة العارفين نقلاً عن بعض الثقات المعاصرين له انّ بعض حكّام بغداد رأى بناء قبر شيخنا أبي جعفر الكليني عطّر الله مرقده فسأل عنه فقيل: إنّه قبر بعض الشيعة

فامر بهدمه فحفر القبر فرآه بكفنه لم يتغيّر ومدفون معه اخر صغير بكفنه ايضاً فأمر بدفنه وبنى عليه قبّة، ويقال: إنّ بعض حكّام بغداد أراد نبش قبر سيّدنا ابي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام وقال: إنّ الرافضة يدّعون في أئمّتهم انّهم لا تبلى أجسادهم بعد موتهم واريد أن اكذّبهم فقال له وزيره: إنّهم يدّعون في علمائهم ايضاً ما يدّعونه في ائمتهم وهنا قبر محمد بن يعقوب الكليني من علمائهم فأمُر بحفره فإن كان على ما يدّعونه عرفنا صدق مقالهم في أئمّتهم وإلّا تبيّن كذبهم، فلما حفروا قبره وجدوه بكفنه كما مرّ، بل قد وقع مرّاة كثيرة بالنّسبة إلى الشهداء والعلماء وسائر المؤمنين وقد اتّفق في عصرنا أن إنهدم قبر الشيخ الصّدوق محمد بن عليّ بن بابويه بالري فرأوه بكفنه لم يتغيّر أصلاً، ورآه خلق كثير من أهل طهران ومن الزّوار والقوافل إلى أن أمر السلطان محمّد شاه غفرالله له بتعمير قبّته على ماهو عليه الآن، وقد حدّثني جمع كثير من الثقات أنّهم رأوا بدنه الشريف.

وأمّا ما يقال: من أنّ هذا كلّه معارضٌ بما روي من انّه كان رجل ذميّ في زمن الامام العسكري عليه السلام وانّه كان يمدُّ يده إلى السّماء فيقع المطر حتّى إضطرب بعض المسلمين فأرسل المتوكّل لعنه الله إلى العسكري عليه السلام ان ادرك دين جدّك فلمّا حضر عليه السلام قال للرّجل أدع فلمّا مدّ يده قبض عليها الامام عليه السلام وأخذ منها عظماً فقال له أدعُ ان كنت صادقاً فلمّا دعا لم ينزل المطر، فقال عليه السلام: إنّ هذا عظم نبيٍّ من انبياء الله وما كشف عظم نبيٍّ تحت السّماء إلّا وقع المطر [1].

---

(١) منقول المعنى ومصدره مناقب الى أبي طالب ج ٤ ص ٤٢٥ ومختار الخرائج ص ٢١٤ وعنها البحار ج ٥٠ ص ٢٧٠ ح ٣٧ واخرجه في كشف الغمّة ج ٣ ص ٣٦١.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

ففيه انّه غير صالح لمعارضة ما سمعت من الأخبار المشتملة على الصّحاح وغيرها بعد شهرتها بين الطائفة بل بين مخالفينا ايضاً كما مرّ مضافاً إلى شهادة العيان بصدقها سيّما مع ضعف الخبر المذكور سنداً.

وربما أجاب عنه الشيخ الامجد الاحسائي مرّة بأنه يحتمل أن يكون ذلك الخبيث قطعه من جسد ذلك النّبيﷺ وكشط ما به من اللّحم، واخرى بأن يكون معنى قوله في تلك الاخبار ان جسده لا يبلى ولا تأكله الأرض أي لا تفني منه شيئاً وان تفكّك واختلّت بنيّته فهذه باقية اذ لا عرض فيها لأنّه ﷺ صفاها في الدّنيا كمال التّصفية فجسده كالذّهب الصّافي وان تفرّق بالتقطيع والمبرد لا يفنى منه شيء بل اذا جمعته وأذبته رجع بكماله.

اقول وفيهما نظر امّا الأوّل فلانّ جسد نبيّ من الأنبياء لم يبق في الأرض في زمان العسكري حتّى يقطعه الخبيث ويكشط ما به من اللّحم إلّا أن يبنى على شيء من الوجوه المتقدّمة من تأخير الرّفع او تعقيبه بالنزول او غيرهما وهو غير واضح.

وامّا الثّاني: فلأنّه لا وجه لصرف تلك الأخبار عن ظاهرها وارتكاب التّأويل فيها ومجرّد صفاء أبدانهم من الكدورات والعوارض الدّنيويّة لا يقضي بارتكاب التّأويل فيها بل هو ممّا يقتضي حملها على ظواهرها فانّ التفكيك واختلال البُنْية لايمكن تطرقه إلى شيء من الأبدان إلّا باستيلاء المؤثرات الخارجة عليها وانفعال تلك الابدان منها والمؤثّر الخارجي في المقام إنّما هي الارض الّتي تبلي الأبدان وتعيدها رُفاتاً وفتاتاً، وبالجملة فلا وجه لردّ تلك الاخبار، بل في ردّها ردّ أخبار الرّفع ايضاً.

تفسير الآية ⁽⁾

﴿يَا بُنَيَّ﴾ كلمة «يا» حرف نداء للبعيد. أو كالبعيد كما قال ابن مالك[١] في ألفيته :

وللمنادى الناء أو كالناء يا   وأي وأ، كذا أيا ثـمّ هـيا

وزعم بعضهم أنّ «يا» اسم فعل معناها أُنادي، ولكنّ الفخر الرازي[٢] ردّ عليه وقال: أما الّذين فسّروا قولنا: «يا زيد» بأنادِي زيداً، أو أخاطب زيداً فهو خطأ من وجوه:

أحدها: أنَّ قولنا: أُنادي زيداً خبر يحتمل التصديق والتكذيب، وقولنا: يا زيد لايحتملهما .

وثانيها: أنّ قولنا: يازيد يقتضي صيرورة زيد منادى في الحال، وقولنا: أُنادي زيداً لا يقتضي تلك .

وثالثها: أنّ قولنا: يا زيد يقتضي صيرورة زيد مخاطباً بهذا الخطاب، وقولنا: أُنادي زيداً لا يقتضي ذلك. لأنّه يمتنع أن يخبر إنساناً آخر بأنّي أُنادي زيداً.

ورابعها: أنّ قـولنا: أُنادي زيداً إخبار عن النداء، والإخبار عن النـداء غـير النداء ، والنداء هو قولنا يا زيد، فإذن قولنا أُنادي زيداً غير قولنا يا زيد .[٣]

وليُعلَم أنّ «يا» كما تقدّم حرف وضع في أصله لنداء البعيد ولكن قد يُستعمل في مناداة من سهى وغفل وإن كان قريباً من المنادي، تنزيلاً منزلة البعيد .

---

(١) هو محمد بن عبد الله الاندلسيّ الشافعيّ النحوي اللغوي المقريء الاديب المتوفى سنة (٦٧٢) هـ.

(٢) هو محمد بن عمر بن الحسين الطبري الاصل الرازي المولد الاشعري الاصول الشافعي الفروع المعروف بالفخر الرازي والملقب بابن الخطيب توفي سنة (٦٠٦)هـ

(٣) التفسير الكبير للرازي : ج ٢ ص ٨٣.

فإن قيل : فلماذا يقول الداعي: ياربِّ يا الله؟ مع أنّه تعالى ﴿أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ قيل في الجواب: هو إستبعاد لنفس الداعي من مظانّ الزلفى هضماً لنفسه، وإقراراً عليها بالتنصيص كما عن زين العابدين وسيّد الساجدين عليه صلوات الله في دعائه المشهور المروية عن أبي حمزة الثمالي[1] أنه قال مناجياً لربّه سبحانه: «وأن الراحل إليك قريب المسافة وانّك لا تحتجب عن خلقك إلّا أن تحجبهم الاعمال دونك .

وقيل بالفارسية :

دوست نزديك‌تر أز من به من أست
اين عجب‌تر كه من از وي دورم
چكنم با كه توان گفت كه دوست
در كنار من ومن مهجورم

﴿بَنِي﴾ منادى مضاف، وعلامة نصبه الياء نيابةً عن الفتحة لأنّه ملحق بجمع المذكر السالم وقد تغيّر بناء مفردة، وحذفت منه النون للإضافة. وواحده إبن شبيه بجمع التكسير، ولذلك قالوا في جمعه: أبناء، وفي جمع سلامته قالوا: بنون، وهو جمع شاذٌ، وعاملت العرب في هذا الجمع معاملة جمع التكسير فألحقت التاء في فعله كما ألحقت في فعل جمع التكسير قال النابغة[2] :

---

(١) هو ثابت بن دينار المعروف بأبي حمزة الثمالي، كان لقمان زمانه جليل القدر وكان من مشايخ أهل الكوفة وزهّادهم توفي سنة (١٥٠) هـ

(٢) هو قيس بن عبد الله الجعدي العامري، صحابي من المعمّرين، جاوز المائة، وكان ممّن هجر الأوثان قبل ظهور الاسلام ووفد على النبي ﷺ فأسلم وأدرك صفّين فشهدها مع علي عليه السلام، ثم سكن الكوفة، فسيّره معاوية الى أصبهان مع أحد ولاتها فمات فيها نحو سنة (٥٠)هـ الاعلام ج ٦ ص ٥٨.

قالت بنو عامر خالو بني أسد يابؤس للجهل ضرّاراً لأقوام قد سُمِع الجمع بالواو والنون فيه مُصغَراً، قال يسدد:

أُبينوها الأصاغر خلّتي... وهو شاذٌ أيضاً.[1]

وهو مختص بالاولاد الذكور، وإذا أُضيف عمّ في العرف الذكور والإناث فيكون بمعنى الأولاد ـ وهو المراد هنا ـ.

وهو محذوف اللام، وفي كونها ياءً أو واواً خلاف فذهب الى الأول ابن درستويه [2]وجعله مشتقاً من البناء وهو وضع الشيء على الشيء، لأنّ الابن فرع الأب ومبني عليه، ولهذا ينسب المصنوع الى صانعه، فيقال للقصيدة بنت الفكر، وقد أُطلق في الشرائع المنسوخة على بعض المخلوقين أبناء الله تعالى ـ بهذا المعنى، لكن لمّا تصوّر من هذا الجهلة الأغبياء ـ معنى الولادة ـ حُظر ذلك حتّى صار التفوّه به كفراً.

وذهب الى الثاني الأخفش وأيده بأنّهم قالوا: البنوّة،وبأنّ حذف الواو أكثر، وقد حذفت في ـ أب وأخ ـ وبه قال الجوهري [3]، ولكن لا دلالة في قولهم: البُنُوّة، لأنهم قالوا أيضاً: الفُتوة، ولا خلاف في أنها من ذوات الياء، وأمر الأكثرية سهل.

وقال الطبرسي في «مجمع البيان»: الإبن والولد والنسل والذريّة متقاربة المعاني إلّا أنّ الابن للذكر، والولد يقع على الانثى والذكر، والنسل والذريّة يقع على جميع ذلك وأصله من البناء وهو وضع الشيء على الشيء. فالابن مبنيّ على الأب لأن الاب أصل والابن فرع، والبنوّة مصدر الابن وان كان من اياء كالفتوة مصدر

---

(١) تفسير البحر المحيط: ج ١ ص ١٧١.

(٢) هو عبد الله بن جعفر بن درستويه الفارسي النحوي أبو محمد توفي ببغداد سنة (٣٤٧) ه وله (٨٩) سنة. العبر: ج ٢ ص ٢٨٢.

(٣) الجوهري: أبو نصر اسماعيل بن حمّاد الفارابي صاحب «صحاح اللغة» توفي سنة (٣٩٣)ه.

الفتى، وتثنيته فتيان.[١]

﴿إِسْرائيل﴾ مضاف إليه مجرور وعلامة جرّه الفتحة نيابةً عن الكسرة لأنه ممنوع من الصرف للعلميّة والعجمة.

وفيه ثمان لغات: ﴿إسرائيل﴾ وهي لغة القرآن في «٤٣» آية أولاها هذه الآية، وهي القراءة المشهورة مهموز ممدود مُشبَع، و«إسرايسيل» بيائين بعد الألف، وهي قراءة أبي جعفر[٢]، والأعمش[٣]، وعيسى بن عمر[٤] و «إسرائِل» بهمزة ولام، وهو مرويّ عن ورش[٥] وعن الأخفش، و «إسرال» من غير همز ولا ياء حكى عن قطرب[٦] كما في «مجمع البيان»[٧].

و «إسرَئِل» بمهزةٍ مكسورة بعد الراء، و « إسرائَل» بهمزةٍ مفتوحة بعد الراء

(١) مجمع البيان: ج ١ ص ٩٢.

(٢) هو أبو جعفر يزيد بن القعقاع المخزومي المدني أحد القرّاء العشرة ،تابعي مشهور، مات بالمدينة سنة (١٣٠)هـ غاية النهاية: ج ٢ ص ٣٨٢ رقم ٣٨٨٢.

(٣) هو سليمان بن مهران الأعمش أبو محمد الاسدي الكوفي ولد سنة (٦٠) وأخذ القراءة عن جماعة منهم عاصم بن أبي النجود ورواها عنه جماعة منهم حمزة الزيّات توفي سنة (١٤٨)هـ غاية النهاية: ج ١ ص ٣١٥.

(٤) هو عيسى بن عمر أبو عمر الهمداني الكوفي القاريء الاعمى. مقرىء الكوفة بعد حمزة الزيات ، مات سنة (١٥٦)هـ، غاية النهاية ج ١ ص ٦١٢.

(٥) هو عثمان بن سعيد بن عبد الله بن عمر المصري الملقب بورش شيخ القرّاء في زمانه ولد سنة (١١٠) بمصر ورحل الى نافع وعرض عليه القران عدّة ختمات فى سنة (١٥٥) مات بمصر سنة (٢٩٧)هـ غاية النهاية: ج ١ ص ٥٠٢.

(٦) قطرب: أبو علي محمد بن المستنير البصري اللغوي النحوي الأديب البارع مات سنة (٢٠٦)هـ هدية الاحباب: ص ٢٢٠.

(٧) مجمع البيان: ج ١ ص ٩٢.

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

كما في تفسير القرطبي (١)، و «إسرائين» بالنون حكي عن تميم كما في جامع القرطبي قال الشاعر:

يقول أهل السوء لمّا جئنا هذا وربّ البيت إسرائينا

و «إسرال» بألف ممالة بعدها لام خفيفة أو غير مُمالة. قال أُميّة :

لا أرى مَن يعيشني في حياتي غير نفسي إلّا بني اسرالا(٢)

اسرائيل في اللغة

هذه الكلمة مركبة من كلمتين: إسرا، وإيل. و«إسرا» في اللغة العبرانيّة بمعنى العبد كما حكي عن ابن عبّاس. و«ايل» في هذه اللغة هو الله سبحانه فمعنى اسرائيل: عبد الله. فيكون مثل جبرائيل، وميكائيل، واسرافيل ،وعزرائيل .

وقيل: «إسرا» بمعنى الصفوة، و« إيل» هو الله تعالى. فمعناه: صفوة الله. روى ذلك أيضاً عن ابن عباس .

وقيل: «إسرا» مشتق من الأسر. وهو الشدّ فكأن اسرائيل آلّذي شدّه الله وأتقن خلقه ذكره القرطبي وأبو حيّان(٣) .

(١) القرطبي: أبو عبد الله محمد بن أحمد الانصاري الخزرجي الأندلسي المفسّر توفي في التاسع من شوال سنة (٦٧١)هـ.

(٢) البحر المحيط في التفسير لأبي حيان الاندلسي: ج ١ ص ١٧١ ـ ١٧٢ .

(٣) أبو حيان محمد بن يوسف بن علي الاندلسي الجيّاني النحوي الأديب توفي سنة (٧٤٥)هـ ومن مصنّفاته: البحر المحيط في التفسير .

وقيل: أسرى يعقوب ذات ليلة مهاجراً الى الله تعالى فَسُمّي اسرائيل حكاه القرطبي عن السهيلي (١).

وقيل: أَسَّر يعقوب جنّياً كان يطفيء سُرجَ بيت المقدس وكان إسم الجنّي «ايل» وكان يخدم بيت المقدس وكان أوّل من يدخل وأخر من يخرج، ذكره أبو حيّان عن كعب (٢).

وقيل : أسرى بالليل هارباً من أخيه «عيمو» الى خاله في حكاية طويلة ذكروها، فأطلق ذلك عليه وهذه أقاويل ضعاف (٣). وفيها تصرّفات لا يعتمد عليها .

«اسرائيل» هو يعقوب بن اسحاق بن ابراهيمﷺ .

قال القرطبي: قال ابو الفرج الجوزي (٤): ليس في الأنبياء من له إسمان غيره إلّا نبيّنا محمد ﷺ، فإنّ له أسماء كثيرة، ذكره في كتاب «فهوم الأثار» .

قلت: وقد قيل في المسيح: إنّه اسم علم لعيسى ﷺ غير مشتق، وقد سمّاه الله روحاً وكلمة، وكانوا يسمّونه أبيل الأبيلين، ذكره الجوهري في «الصحاح».

---

(١) السهيلي أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن احمد الاندلسي النحوي اللغوي المفسّر توفي سنة (٦٨١)هـ بمراكش .

(٢) كعب بن ماتع بن ذي هجن الحميري أبو اسحاق، تابعي، كان في الجاهلية من كبار علماء اليهود في اليمن، وأسلم في زمن أبي بكر، وقدم المدينة في دولة عمر، فأخذوا عنه كثيراً من أخبار الأمم الغابرة. خرج الى الشام فسكن حمص ومات فيها سنة (٣٢)هـ عن (١٠٤) سنين، وفي البحار ج ٥٧ ص ٩٠: كان عند عمر فاعترف بأنّ أمير المؤمنين ﷺ أعلم الناس بعد النبي ﷺ فغضب عمر، وقال ابن أبي الحديد كما في البحار ج ٣٤ ص ٢٨٩: كان كعب الاحبار منحرفاً عن أمير المؤمنين ﷺ.

(٣) تفسير البحر المحيط لأبي حيان: ج ١ ص ١٧١ .

(٤) أبو الفرج عبد الرحمن علي الحنبلي المفسّر الواعظ صاحب تصانيف معروفة، توفي سنة (٥٩٧) هـ.

وذكر البيهقي [١] في دلائل النبوة عن الخليل بن أحمد[٢]: خمسة من الانبياء ذو اسمين :محمد وأحمد نبينا ﷺ، وعيسى والمسيح، واسرائيل ويعقوب، ويونس وذو النون، وإلياس وذو الكفل صلى الله عليهم وسلم .[٣]

وفي «عيون الأخبار» باسناده عن أمير المؤمنين عليه السلام حديث طويل وفيه: سأله عن ستّة من الأنبياء لهم إسمان؟ فقال عليه السلام: يوشع بن نون، وهو ذو الكفل، ويعقوب وهو اسرائيل، والخضر وهو حلقيا، ويونس وهو ذو النون، وعيسى وهو المسيح، ومحمد وأحمد ﷺ .[٤]

﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ إتّفق المفسّرون على أنّ إسرائيل هو يعقوب بن إسحاق ابن إبراهيم، وفي أحاديث أهل البيت عليهم السلام تصريح بذلك، منها ما رواه إبن بابويه رحمه الله [٥] في «علل الشرائع »باسناده عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان يعقوب وعيص توأمين، فولد عيص، ثم ولد يعقوب فسمّي يعقوب لأنه خرج بعقب أخيه عيص، ويعقوب هو اسرائيل، ومعنى اسرائيل عبد الله، لأنّ اسرا هو عبد، وإيل هو الله عزّ وجلّ. [٦]

(١) خليل بن أحمد الازدي البصري صاحب العربية والعروض وصاحب كتاب العين في اللغة توفي سنة (١٧٥) هـ على أحد الأقوال، العبر ج ١ ص ٢٦٨ .

(٢) البيهقي: أحمد بن الحسين بن علي الشافعي الخسروجردي الحافظ الفقيه، توفي بنيسابور سنة (٤٥٨) هـ.

(٣) تفسير القرطبي: ج ١ ص ٣٣٠ .

(٤) عيون الأخبار: ج ١ ص ٢٤٥ ب ٢٤ ح ١ .

(٥) هو ابو جعفر محمد بن علي بن بابويه القمي شيخ الحفظة ووجه الطائفة رئيس المحدثين والصدوق فيما يرويه عن الائمة الطاهرين عليهم السلام توفي سنة (٣٨١)هـ ودفن بالري قرب عبد العظيم الحسني قدس الله روحه، هدية الأحباب: ص ٤٩ .

(٦) علل الشرائع: ج ١ ص ٤٣ ح ١ .

وروي في خبر آخر: أن اسرا هو القوّة، وايل هو الله ﷻ فمعنى اسرائيل: قوّة الله ﷻ.[(١)]

يابني اسرائيل خطاب لأولاد يعقوب نسبهم الى الأب الأعلى ولم يقل: يا بني يعقوب، لما في لفظ إسرائيل كما تقدم أنّ معناه عبد الله أو قوة الله أو صفوة الله فهزّهم بالاضافة إليه فكأنه قيل: يا بني عبد الله أو يابني صفوة الله. فكأن في ذلك تنبيه على أن يكونوا مثل أبيهم في العبودية لله والاصطفاء ،كما تقول: يا ابن الرجل الصالح أطع الله فتضيفه الى ما يحركه لطاعة الله، لأنّ الإنسان يحبّ أن يقتفي آثار آباءه وإن لم يكن بذلك محموداً فكيف إذا كان محموداً .

قال شيخ الطائفة[(٢)] في «التبيان»: قال أكثر المفسرين: إن المعنى بهذا الخطاب أحبار اليهودالذين كانوا بين ظهراني مهاجر رسول الله ﷺ، وهو المحكي عن ابن عباس .

وقال الجبائي [(٣)]: المعنيّ به بنو اسرائيل من اليهود والنصارى ونسبهم الى الأب الأعلى، كما قال: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾[(٤)].[(٥)]

قال أبو حيان : المراد بقوله : «يا بني اسرائيل» من كان بحضرة رسول الله ﷺ

---

(١) علل الشرائع: ج ١ ص ٤٣ ح ٢ .

(٢) هو ابو جعفر الطوسي محمد بن الحسن شيخ الطائفة المحقة توفي في ٢٢ محرم سنة (٤٦٠) هـ قال صاحب تحفة المقال السيد حسين البروجردي صاحب تفسير الصراط المستقيم هذا الكتاب في منظومته :

محمد بن الحسن الطوسي أبو ... جعفر الشيخ الجليل الأنجب
جل الكمالات اليه ينتسب ... تنجّز القبض (٤٦٠) وعمره (٧٥) عجب

(٣) هو أبو علي الجبّائي محمد بن عبد الوهاب البصري شيخ المعتزلة، وابو شيخ المعتزلة أبي هاشم، توفي سنة (٣٠٣) هـ العبر ج ٢ ص ١٣١ .

(٤) الاعراف: ٣١ .

(٥) التبيان : ج ١ ص ١٨١ .

بالمدينة وما والاها من بني إسرائيل، أو من أسلم من اليهود وآمن بالنبي ﷺ أو أسلاف بني اسرائيل، أقوال ثلاثة والأقرب الأول، لأن من مات من أسلافهم لا يقال له: ﴿آمِنُوا بِمَا أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ﴾[1] إلّا على ضرب من التأويل، ومن آمن منهم لا يقال له: أمنوا... إلّا بمجاز بعيد [2] وتخصيص هذه الطائفة بالذكر والتذكير لما أنهم أوفر الناس نعمةً وأكثرهم كفراً بها.

﴿اذْكُرُوا﴾ فعل أمر مبنيٌ على حذف النون لاتصاله بواو الجماعة، والواو فاعل، وهو مشتق من الذكر ـ بكسر الذال وضمها ـ بمعنى واحد، ويكونان باللسان والجنان.

قال الكسائي [3]: هو بالكسر للسان، وبالضم للقلب. وضدّ الأول الصمت، وضدّ الثاني النسيان.

وعلى الأول يكون المعنى أمرّوا النعم على السنتكم ولا تغفلوا عنها، فإن إمرارها على اللسان ومدارستها سبب لأن لا تنسى.

وعلى الثاني يكون المعنى تنبهوا للمنعم ولا تغفلوا عن شكرها.

﴿نِعْمَتِيَ﴾ هي مفعول به منصوب بفتحة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم والياء مضاف إليه.

---

(١) البقرة: ٤١.

(٢) تفسير البحر المحيط: ج ١ ص.١٧٤.

(٣) هو ابو الحسن علي بن حمزة الكوفي الكسائي، أحد القرّاء السبعة ومؤدب هارون والأمين، وكان من تلامذة الخليل.

قال الشافعي: من أراد أن يتبحر في النحو فهو عيال على الكسائي مات سنة (١٨٩)هـ العبر ج ١ ص ٣٠٢.

«حدّ النعمة» قال الراغب [1] في «المفردات»: النعمة: (بالكسر) الحالة الحسنة، وبناء النعمة بناء الحالة التي يكون عليها الإنسان كالجِلسة والرِكبة ،والنعمة (بفتح النون): التنعم وبناؤها المرّة من الفعل، كالضربة والشتمة، والنعمة، والنعمة (بالكسر) للجنس تقال للقليل والكثير، قال:﴿وَ إِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللّٰهِ لاٰ تُحْصُوهٰا﴾[2]،﴿اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾[3].

وقال الرازي في «مفاتيح الغيب»: النعمة هي المنفعة المفعولة على جهة الإحسان الى الغير، وقولنا: المفعولة على جهة الإحسان لأنها لو كانت منفعة وقصد الفاعل نفع نفسه لا نفع المفعول به أو قصد الإضرار به لم يكن ذلك نعمة .

إذا عرفت النعمة فلنذكر مطلبين: الأول: أن كلّ ما يصل الينا أثناء الليل والنهار في الدنيا والاخرة من النفع ودفع الضرر فهو من الله تعالى على ما قال تعالى: ﴿وَ مٰا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللّٰهِ﴾[4].

ثمّ إنّ النعمة على ثلاثة أوجه:

أحدها: نعمة تفرد بها الله تعالى نحو الخلق، والرزق .

وثانيها: نعمة وصلت إلينا من جهة غيره، بأن خلقها وخلق المنعم، ومكّنه من الإنعام، وخلق فيه داعيته ووفقه عليه وهداه إليه، فهذه النعمة في الحقيقة أيضاً من الله ﷻ إلّا أنه تعالى لمّا أجراها على يد عبده كان ذلك العبد مشكوراً، ولكن

---

(١) الراغب الاصفهاني: أبو القاسم حسين بن محمد المفضل الشافعي صاحب اللغة والعربية والحديث والشعر والادب توفي سنة (٥٠٢)هـ.

(٢) النحل : ١٨ .

(٣) البقرة : ٤٠ .

(٤) النحل : ٥٣ .

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

المشكور في الحقيقة هو الله عزوجل، ولهذا قال: ﴿أَنِ اشْكُرْ لِي وَ لِوَالِدَيْكَ﴾(١) فبدأ بنفسه .

وثالثها: نعمة وصلت إلينا من الله تعالى بواسطة طاعاتنا وهي أيضاً من الله تعالى، لأنه لولا أنه سبحانه وتعالى وفقنا على الطاعات وأعاننا عليها وهدانا إليها وأزاح الاعذار لما وصلنا الى شيء منها. فظهر بهذا التقرير أنّ جميع النعم من الله تعالى .

المطلب الثاني: أنّ نعم الله تعالى على عبيده ممّا لا يمكن عدّها وحصرها على ما قال: ﴿وَ إِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللّٰهِ لاٰ تُحْصُوهٰا﴾(٢) لأنّ المنفعة هي اللذّة، أو ما يكون وسيلة الى اللذة، وجميع ما خلق الله تعالى كذلك، لأنّ كلّ ما يلتذّ به وهو وسيلة الى دفع الضرر فهو كذلك، والذي لا يكون جالباً للنفع الحاضر ولا دافعاً للضرر الحاضر فهو صالح لأن يستدلّ به على الصانع الحكيم فيقع ذلك وسيلة الى معرفته وطاعته وهما وسيلتان الى اللذات الأبديّة، فثبت أنّ جميع مخلوقاته سبحانه نعم على العبيد، والعقول قاصرة عن عدّها .

فأن قيل: فاذا كانت النعم غير متناهية، وما لايتناهى لايحصل العلم به في حق العبد فكيف أُمِر بتذكّرها في قوله تعالى : ﴿اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ ؟

الجواب أنها غير متناهية بحسب الأشخاص والأنواع، إلّا أنّها متناهية بحسب الأجناس، وذلك يكفي في التذكّر الذي يفيد العلم بوجود الصانع الحكيم(٣).

(١) لقمان : ١٤.

(٢) النحل : ١٨.

(٣) مفاتيح الغيب: ج ٣ص ٣٠ ـ ٣١.

مضافاً إلى أنّ المراد بالنعم في الآية، النعم المخصوصة ببني إسرائيل بقرينة «أنعمت عليكم» والنعم المخصوصة بهم متناهية بكثرتها منها: استنقذهم ممّا كانوا فيه من البلاء من فرعون وقومه، وأبدلهم من ذلك بتمكينهم في الأرض وتخليصهم من العبوديّة كما قال تعالى:﴿وَ نُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَ نَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَ نَجْعَلَهُمُ الْوارِثِينَ * وَ نُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَ نُرِيَ فِرْعَوْنَ وَ هامانَ وَ جُنُودَهُما مِنْهُمْ ما كانُوا يَحْذَرُونَ﴾[1].

ومنها: جعلهم أنبياء وملوكاً بعد أن كانوا عبيداً للقبط، فأهلك أعدائهم واورثهم أرضهم وديارهم وأموالهم كما قال تعالى:﴿وكَذلِكَ وَ أَوْرَثْناها بَنِي إِسْرائِيلَ﴾[2].

ومنها: أنزل عليهم الكتب العظيمة التي ما أنزلها على أمّة سولهم كما قال عزّ من قائل: ﴿وَ إِذْ قالَ مُوسى لِقَوْمِهِ يا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِياءَ وَ جَعَلَكُمْ مُلُوكاً وَ آتاكُمْ ما لَمْ يُؤْتِ أَحَداً مِنَ الْعالَمِينَ﴾[3].

روي عن ابن عبّاس أنّه قال: من نعمة الله على بني اسرائيل أن نجّاهم من آل فرعون، وظلّل عليهم الغمام، وأنزل عليهم المنّ والسّلوى في التيه، وأعطاهم الحَجَر الذي كان كرأس الرجل يسقيهم ما شاؤا من الماء متى أرادوا، فإذا استغنوا عن الماء رفعوه فاحتبس الماء عنهم، وأعطاهم عموداً من النور ليضيء لهم بالليل، وكان رؤوسهم لاتنشعث وثيابهم لا تبلى .

---

(١) القصص : ٦ .

(٢) الشعراء: ٥٩ .

(٣) المائدة: ٢٠ .

واعلم أنه سبحانه ذكّرهم بهذه النعم لوجوه:

أحدها: أنّ في جملة النعم ما يشهد بصدق محمد ﷺ، وهو التوراة والإنجيل والزبور.

وثانيها: أنّ كثرة النعم توجب عظم المعصية، فذكّرهم تلك النعم لكي يحذروا فخالفه ما دعوا إليه من الايمان بمحمد ﷺ وبالقرآن.

وثالثها: أنّ تذكير النعم الكثيرة يوجب الحياء عن إظهار المخالفة.

ورابعها: أن تذكير النعم الكثيرة يفيد أنّ المنعم خصّهم من بين سائر الناس بها، ومن خصّ أحداً بنعم كثيرة فالظاهر أنه لا يزيلها عنهم لما قيل: إتمام المعروف خير من ابتدائه فكأن تذكير النعم السالفة يطمع في النعم الآتية ،وذلك الطمع مانع من اظهار المخالفة والعصيان.

فإن قيل: هذه النعم ما كانت للمخاطبين بهذه الآية، بل كانت لأبائهم فكيف تكون سبباً لعظم معصيتهم ؟

قيل في الجواب وجوه:

أحدها: لولا هذه النعم على أبائهم لما بقوا وما كان يحصل هذا النسل فصارت النعم على الآباء كأنها تعمّ على الأبناء.

وثانيها: ان الانتساب الى الآباء وقد خصّهم الله تعالى بنعم الدين والدنيا نعمة عظيمة في حق الأولاد.

وثالثها: الأولاد متى سمعوا أنّ الله تعالى خصّ أباءهم بهذه النعم لمكان طاعتهم وإعراضهم عن الكفر والجحود رغب الولد في هذه الطريقة، لأنّ الولد مجبول على التشبه بالأب في أفعال الخير، فيصير هذا التذكير داعياً إلى الاشتغال

بالخيرات والاعراض عن الشرور .

﴿وَ أَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ .

للمفسرين في هذا «العهد» أقوال:

أحدها: جميع ما أمر الله به من غير تخصيص ببعض التكاليف .

الثاني: ما حكي عن الحسن البصري[1] أنه قال: المراد منه العهد الذي أخذه الله على بني اسرائيل في قوله تعالى: ﴿وَ بَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيباً﴾[2] وقال تعالى: ﴿لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلاٰةَ وَ آتَيْتُمُ الزَّكٰاةَ﴾ الى قوله تعالى:﴿وَ لَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنّٰاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهٰارُ﴾[3] فمن وفّى لله بعهده، وفّى الله له بعهده .

ثالثها: أنّ المراد أوفوا بما أمرتكم به من الطاعات ونهيتكم عنه من المعاصي أوف بعهدكم، أي أرضى عنكم وأدخلكم الجنة، وهو الذي حكاه الضحّاك [4] عن ابن عباس ،وتحقيقه ما جاء في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللّٰهَ اشْتَرىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَ أَمْوٰالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾إلى قوله تعالى : ﴿وَ مَنْ أَوْفىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللّٰهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بٰايَعْتُمْ بِهِ﴾[5].

---

(١) الحسن بن يسار أبو سعيد البصري ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر ومات سنة (١١٠)هـ العبر ج ١ ص ١٣٦ .

(٢) المائدة :١٢ .

(٣) المائدة : ١٢ .

(٤) هو الضحاك بن مزاحم الهلالي صاحب التفسير، كان فقيه مكتب عظيم فيه ثلاثة آلاف صبي، وكان يركب حماراً ويدور عليهم اذا عيى، مات بخراسان سنة (١٠٢)هـ العبر: ج ١ ص ١٢٤ .

(٥) التوبة: ١١١.

رابعها: أنّ المراد من هذا العهد ما أثبته في الكتب المتقدمة من وصف محمد ﷺ، وأنه سيبعثه على ما صرح بذلك، في سورة المائدة بقوله: ﴿وَ إِذْ أَخَذَ اللّٰهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾[١] الى قوله ﴿لأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَ لأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ﴾[٢].

قال الطبرسي في « مجمع البيان »: إن هذا العهد هو أن الله تعالى عهد اليهم في التوارة أنه باعث نبيّاً يقال له: محمد. فمن تبعه كان له أجران إثنان: أجر باتّباعه موسى وايمانه بالتوراة، وأجر باتباعه محمداً وايمانه بالقرآن. ومن كفر به تكاملت أوزاره وكانت النار جزاءه، فقال: ﴿أَوْفُوا بِعَهْدِي﴾ في محمد﴿أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ أدخلكم الجنة، عن ابن عبّاس فسمى ذلك عهداً لأنه تقدم به اليهم في الكتاب السابق، وقيل: إنّما جعله عهداً لتأكيده بمنزلة العهد الذي هو اليمين، كما قال سبحانه: ﴿وَ إِذْ أَخَذَ اللّٰهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَ لاَ تَكْتُمُونَهُ﴾[٣] وهذا القول أقوى لأنّ عليه أكثر المفسرين وبه يشهد القرآن.[٤]

﴿ وأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ الوفاء ضدّ الغدر وهو الحفظ والإتمام وعدم النقض.

قال الراغب: وفى بعهده يَفي وفاءً، وأوفى إذاتممّ العهد ولم ينقض حفظه،

(١) آل عمران: ١٨٧.

(٢) آل عمران: ١٩٥.

(٣) آل عمران: ١٨٧.

(٤) مجمع البيان: ج ١ ص ٩٣ - ٩٤.

واشتقاق ضدّه وهو الغدر ويدّل على ذلك وهو الترك .

وكثيراً ما يستعمل في القرآن متعدياً من باب الإفعال كما في المقام. وقوله تعالى:﴿وَ الْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذٰا عٰاهَدُوا﴾(١) ويستعمل من باب التفعيل أيضاً كما قال تعالى : ﴿وَ إِبْرٰاهِيمَ الَّذِي وَفّٰى﴾(٢).

والعهد: حفظ الشيء ومراعاته حالاً بعد حال والاهتمام به، وهو من الصفات الاضافية له تعلّق بالعاهد، و المعهود إليه والمعهود به إلّا أنّ في الأول يكون من الإضافة الى الفاعل، وفي الثاني كذلك إذا كان مع العوض، كما يكون من الاضافة الى المفعول أيضاً .

قال الراغب في « المفردات» قوله تعالى : ﴿أَ لَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يٰا بَنِي آدَمَ﴾(٣)عهد الله تارة يكون بما ركزه في عقولنا، وتارة يكون بما أمرنا به بالكتاب وسنة رسلُه، وتارةً بما نلتزمه كالنذور وما يجري مجراهاوعلى هذا قوله تعالى:﴿وَمِنْهُمْ مَنْ عٰاهَدَ اللّٰهَ﴾(٤).

والفرق بين الميثاق والعهد أنّ الميثاق أخصّ من العهد لأنّه العهد المؤكد بانحاء التأكيدات والتوثيقات، سواء أكان بين الله تعالي وبين خلقه، أم بين خلقه بعضهم مع بعض ومادّة «و ث ق » تدلّ على كمال التثبت .

---

(١) البقرة : ١٧٧ .

(٢) النجم : ٣٧.

(٣) يس : ٦٠ .

(٤) التوبة: ٧٥.

﴿وأَوْفُوا بِعَهْدِي﴾ المعنى: أوفوا بعهدي الذي أبلغته اليكم بواسطة الأنبياء والرسل من المواثيق والطاعات والعبادات ،وهي كثيرة يأتي في الآيات التالية تعداد اصولها، ومنها ما عهد اليهم الايمان بشريعة خاتم المرسلين كما يستفاد من قوله تعالى:﴿وَ آمِنُوا بِما أَنْزَلْتُ مُصَدِّقاً لِما مَعَكُمْ﴾[1].

والوفاء بالعهد سواء أكان من الناس أم من الله تعالى يرجع الى مصلحة الناس أنفسهم، وإنما سمّى سبحانه ذلك عهداً وأوجب وفاءه على نفسه تحنّناً منه وترغيباً لعباده الى الطاعة حيث يكون لهم حق مطالبة الجزاء مع الشرط، فيصير المقام نظير آية الاشتراء: ﴿إِنَّ اللّهَ اشْتَرىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَ أَمْوالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾[2]، مع أن السلعة والمشتري وقدرته وإرادته من الله تعالى .

﴿أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ فعل مضارع مجزوم لأنه جواب الطلب من باب الإفعال وقرأ الزهري [3]: « أوفّ » بالتشديد من باب التفعيل، يمكن أن يكونا بمعنى، ولا فرق بينهما، ويمكن أن يراد به الكثير ، وهو إشارة الى عظيم كرمه وإحسانه ومزيد امتنانه، حيث أخبر وهو الصادق أنه يعطي الكثير في مقابل القليل ،وهو صرّح بذلك في قوله تعالى : ﴿مَنْ جاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثالِها﴾[4] .

عن تفسير الإمام عليه السلام: قال الله عز وجل: « يا بني اسرائيل ولد يعقوب اسرائيل الله

---

(١) البقرة : ٤١.

(٢) التوبة: ١١١.

(٣) الزهري: محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب المدني أحد العلماء الكبار، ولد سنة (٥٠) هـ ومات سنة (١٢٤) هـ غاية النهاية: ج ٢ ص ٢٦٢.

(٤) الانعام: ١٦٠.

« اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم »لمّا بعثت محمداً وأقررته في مـدينتكم، ولم أجشّمكم الحطّ والترحال اليه، وأوضحت علاماته ودلائل صدقه لئلّا يشتبه عليكم حاله. ﴿وأَوْفُوا بِعَهْدِي﴾ الذي أخذته على أسلافكم وأنبياكئم ،و أمروا أن يؤدوا الى أخلافهم ليؤمننّ بمحمد العربي القرشي الهـاشمي المُـبان بـالآيات، والمـؤيد بالمعجزات التي منها أن كلّمته ذراع مسمومة وناطقه ذئب، وحنّ إليه عود المـنبر، وكثّر الله له القليل من الطعام، وألان له الصلب من الأحجار، وصلبت لديه المـياه السائلة، ولم يؤيد نبياً من أنبيائه بدلالة إلّا وجعل له مثلها أو أفضل مـنها، والذي جعل من أكبر أياته علي بن أبي طالب عليه السلام شقيقه ورفيقه، عقله من عقله، وعلمه من علمه، وحلمه من حلمه، مؤيد دينه بسيفه الباتر، بعد أن قطع معاذير المعاندين بدليله القاهر، وعلمه الفاصل، وفضله الكامل ﴿أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ الذي أوجبت به لكم نعيم الأبد في دار الكرامة ومستقر الرحمة، ﴿وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ في مخالفة محمد، فإنّي القادر على صرف بلاء من يعاديكم على مرافقتي، وهم لا يقدرون على صرف إنتقامي عنكم إذا آثرتم مخالفتي.[1]

وفي تفسير علي بن ابراهيم: حدّثني أبي، عن محمد بن أبي عمير[2]، عـن جميل [3]، عن أبي عبد الله عليه السلام قال له رجل: جعلت فداك إنّ الله يقول: ﴿ادْعُونِي

(١) تفسير الامام: ص ٧٦، وعنه البحار: ج ٩ ص ١٧٨ ح ٦ و ج ٢٦ ص ٢٨٧، وتـفسير البرهان: ج ١ ص ٩٠ ح ١.

(٢) هو محمدبن زياد بن عيسى المعروف بابن أبي عمير أوثق الناس عند الخاصة والعامة ومن أصحاب الاجماع توفي سنة (٢١٧) هـ.

(٣) هو جميل بن دراج بن أبي الصبيح هو أيضا من أصحاب الاجماع توفي أيام الرضا عليه السلام.

﴿أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[١] وإنّا ندعوا فلا يستجاب لنا؟ قال: لأنكم لاتوفون لله بعهده، وأن الله يقول : ﴿أَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ والله لو وفيتم لله لوفى الله لكم.[٢]

وفي «أصول الكافي» عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن سماعة، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ ﴿أَوْفُوا بِعَهْدِي﴾ قال: بولاية أمير المؤمنين عليه السلام ﴿أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ أوف لكم بالجنّة.[٣]

وفيه: عن أحمد بن محمد، عن محمد الحسين، عن عبد الله بن محمد، عن الخشّاب، قال: حدّثنا بعض أصحابنا، عن خيثمة، قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: يا خيثمة نحن شجرة النبوة، وبيت الرحمة، ومفاتيح الحكمة، ومعدن العلم وموضع الرسالة، ومختلف الملائكة، وموضع سرّ الله، ونحن وديعة الله في عباده، ونحن حرم الله الأكبر، ونحن ذمّة الله، ونحن عهد الله. فمن وفى بعهدنا فقد وفى بعهد الله، ومن أخفرهما[٤] فقد خفر ذمّة الله وعهده.[٥]

وفي «تفسير الفرات»[٦] عن جعفر بن محمد الفزاري[٧]، عن محمد بن

---

(١) غافر : ٦٠.

(٢) تفسير القمي: ج ١ ص ٤٦.

(٣) الكافي: ج ١ ص ٤٣١ ح ٨٩.

(٤) الخفر: الوفاء بالعهد، والإخفار: نقض العهد، والهمزة فيه للإزالة والسلب.

(٥) الكافي: ج ١ ص ٢٢١، مرآة العقول: ج ٣ ص ١٠.

(٦) هو أبو القاسم فرات بن ابراهيم بن فرات الكوفي من أعلام الشيعة ومن معاصري الكليني، وربما كان من الناحية الفكرية زيدياً ولعلّ السبب في عدم ذكره في الكتب الرجالية هو أنه لم يكن إمامياً حتى تهتم الامامية به، ولم يكن سنياً حتى تهتم السنة به ـ راجع مقدمة التفسير ص ١٠ ـ ١١ ـ بتحقيق محمد كاظم.

(٧) هو جعفر بن محمد بن مالك الفزاري أبو عبد الله الكوفي وثقه الشيخ الطوسي وقال: يضعّفه قوم، روى الفرات عنه في أكثر من مئة مورد.

الحسين الصائغ [١]، عن موسى بن القاسم[٢]، عن عثمان بن عيسى، عن سماعة، عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ قال: أوفوا بولاية علي بن أبي طالب عليه السلام فرض من الله أوف لكم الجنة.[٣]

وفي «معاني الأخبار» باسناده الى ابن عبّاس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لمّا أنزل الله عز وجل: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ والله لقد خرج آدم من الدنيا وقد عاهد قومه على الوفاء لولده شيث، فما وفى له، ولقد خرج نوح من الدنيا وعاهد قومه على الوفاء لوصيّه سام، فما وفت أمته له، ولقد خرج ابراهيم من الدنيا وعاهد قومه على الوفاء لوصيّه اسماعيل، فما وفت أمته، ولقد خرج موسى من الدنيا وعاهد قومه على الوفاء لوصيّه يوشع بن نون، فما وفت أمتّه، ولقد رفع عيسى بن مريم الى السماء، وقد عاهد قومه على الوفاء لوصيّه شمعون بن حمون الصفا، فما وفت أمته، وإني مفارقكم عن قريب، وخارج من بين أظهركم، ولقد عهدت إلى أمتي في عهد علي بن أبي طالب، وإنها لراكبة سنن من قبلها من الأمم في مخالفة وصيي وعصيانه، ألا وأني مجدّد عليكم عهدي في عليّ فمن نكث فأنما ينكث على نفسه، ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجراً عظيماً.

أيها الناس إنّ علياً إمامكم، وخليفتي من بعدي عليكم، وهو وصيي ووزيري وأخي وناصري وزوج ابنتي، وأبو ولدي وصاحب شفاعتي وحوضي ولوائي من

---

(١) محمد بن الحسين أبو جعفر الصائغ توفي سنة (٢٦٩) هـ.

(٢) موسى بن القاسم بن معاوية البجلي قال النجاشي: ثقة ثقة جليل حسن الطريقة له كتب، ووثّقه الشيخ وقال: له ثلاثون كتاباً.

(٣) تفسير الفرات: ص ٥٨ ح ١٨.

أنكره فقد أنكرني، ومن أنكرني فقد أنكر الله تعالى ومن أقرّ بامامته فقد أقر بنبوّتي، ومن أقرّ بنبوّتي فقد أقرّ بوحدانية الله ﷻ.

يا أيها الناس من عصى علياً فقد عصاني، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن أطاع علياً فقد أطاعني، ومن أطاعني فقد أطاع الله ﷻ.

يا أيها الناس من ردّ على علي في قول أو فعل فقد ردّ علي ومن ردّ عليّ فقد ردّ الله فوق عرشه.

يا أيها الناس من إختار منكم على عليّ إماماً فقد إختار عليَّ نبيّاً، ومن اختار عليّ نبيّاً فقد اختار على الله ﷻ ربّاً.

يا أيها الناس إنّ علياً سيّد الوصيّين وقائد الغرّ المحجّلين، ومولى المؤمنين، ووليّه وليّي، ووليّ وليّ الله، وعدوّه عدوّي وعدوّي عدو الله ﷻ

أيّها الناس أوفوا بعهد الله في علي يوف لكم بالجنة يوم القيامة.[1]

﴿وَ إِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ إياي ضمير منفصل منصوب بفعل مقدّر بعده يفسّره الفعل المذكور أي إياي إرهبوا، ولايجوز أن يكون منصوباً بقوله: « فارهبون» لأنه مشغول كما لا يجوز في قولك: «زيداً فأكرمه» أن يكون منصوباً بقولك « فأكرمه» وعدم ظهور الفعل الناصب لاستغناءه عنه بما يفسّره.

﴿فَارْهَبُونِ﴾ الرهبة ،و الخشية، والمخافة نظائر.

وقال الراغب في «المفردات»: الرهبة والرهب مخافة مع تحرّز واضطراب، «وإياي فارهبون» أي فخافون.[2]

(١) معاني الأخبار: ص ٣٧٢ـ٣٨٣ ح ١، وعنه تفسير البرهان: ج ١ ص ٩٠ ح ٥.

(٢) المفردات كتاب الراء: ص ٢٠٤.

وقال الشيخ في «التبيان»: الفرق بين الخوف والرهبة أنّ الخوف هو شكّ في أنّ الضرر يقع أم لا. والرهبة معها العلم بأنّ الضرر واقع عند شرط، فإن لم يحصل ذلك الشرط لم يقع.[١]

وقال الرزاي في «مفاتيح الغيب»: اعلم أنّ الرهبة هي الخوف. قال المتكلّمون: الخوف منه تعالى هو الخوف من عقابه، وقد يقال في المكلّف: إنه خائف على وجهين: أحدهما مع العلم، والاخر مع الظنّ. أمّا مع العلم فاذا كان على يقين من أنه أتى بكلّ ما أمر به، واحترز عن كلّ ما نهي عنه، فانّ خوفه إنما يكون عن المستقبل، وعلى هذا نَصِفُ الملائكةَ والأنبياء عليهم السلام بالخوف والرهبة، قال تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾[٢] وأما الظنّ فإذا لم يقطع بأنّه فعل المأمورات واحترز عن المنهيّات فحينئذ يخاف أن لا يكون من أهل الثواب.

واعلم أنّ كلّ من كان خوفه في الدنيا أشدّ كان أمنه يوم القيامة أكثر، وبالعكس.

روي :أنه ينادي منادٍ يوم القيامة: وعزّتي وجلالي إنّي لا أجمع على عبدي خوفين ولا أمنين، ومن أمِنَني في الدنيا خوّفته يوم القيامة، ومن خافني في الدنيا أمنته يوم القيامة.[٣]

---

(١) التبيان: ج ١ ص ١٨٤.

(٢) النحل: ٥٠.

(٣) مفاتيح الغيب: ج ٣ ص ٣٩ ـ ٤٠، الخصال: ج ١ ص ٣٩، وفيه: عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال: قال الله تبارك تعالى: وعزّتي وجلالي لا أجمع على بعدي خوفين ولا أجعل لهَ أمنين، فإذا أمنني في الدنيا أخفته يوم القيامة، وإذا خافني في الدنيا أمنته يوم القيامة.

اعلم أنّ الفاء في ﴿فَارْهَبُونِ﴾ وأمثاله المكررة في القرآن كثيراً فيها قولان: أحدهما: أنها فاء الجواب المقدر ،تقديره: تنبّهوا، كقولك، «الكتاب فخذ» أي تنبّه فخذ الكتاب، ثمّ قدّم المفعول إصطلاحاً للّفظ لئلّا تقع الفاء صدراً، والقول الثاني: أنها زائدة .

والنون في « فارهبون » ليس نون الجمع لأنها مكسورة ونون الجمع محذوفة جزماً، بل هي نون الوحدة والوقاية تدلّ بكسرها على ياء محذوفة .

وقرأ ابن أبي اسحاق: « فارهبوني » بالياء على الأصل .[١]

قال الطبرسي في « المجمع »: حذف الياء لأنه رأس آية ورؤوس الآي لا تثبت فيها الياء لأنها فواصل ينوي فيها الوقف، كما يفعل ذلك في القوافي، وأجمعوا على إسقاط الياء من قوله: « فارهبون » إلّا ابن كثير [٢]، فإنه أثبتها في الوصل دون الوقف، والوجه حذفها لكراهية الوقف على الياء، وفي كسر النون دلالة على ذهاب الياء .[٣]

ويستفاد من جملة ﴿وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ حصر الرهبة في الله تعالى، كما في ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾، بل قال الزمخشري: « وهو أوكد في افادة الاختصاص مِن ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ .[٤]

---

(١) البحر المحيط لأبي حيّان: ج ١ ص ١٧٦ .

(٢) هو عبد الله بن كثير بن عمرو أبو معبد المكي القاريء المقري في مكة المكرّمة ولد بها سنة (٤٥) هـ ومات سنة (١٢٠) هـ غاية النهاية: ج ١ ص ٤٤٣ ـ ٤٤٤ .

(٣) مجمع البيان: ج ١ ص ٩٢ .

(٤) الكشاف للزمخشري: ج ١ ص ١٣١ .

قال المجلسي قدس سره في البحار: ﴿وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ قيل: الرهبة خوف معه تحرّز، ويدلّ على أنّ المؤمن ينبغي ألّا يخاف أحداً إلّاالله ﴿وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ﴾[1]. أي بالايمان واتباع الحق والإعراض عن الدنيا. وقيل: الرهبة مقدّمة التقوى.[2]

وفي « الخصال »: أنواع الخوف خمسة: خوف، وخشية، ووجل، ورهَبة، وهيبة. فالخوف للعاصين، والخشية للعالمين، والوجل للمخبتين، والرهبة للعابدين، والهيبة للعارفين.

أما الخوف فلأجل الذنوب، قال الله ﷻ ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾[3].

والخشية لأجل رؤية التقصير، قال الله ﷻ ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾[4].

وأما الوجل فلأجل ترك الخدمة قال الله ﷻ﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾[5]. والرهبة لرؤية التقصير قال الله تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾[6] يشير الى هذا المعنى.[7]

---

(١) البقرة: ٤١.

(٢) بحار الأنوار: ج ٧٠ ص ٣٣١ ـ ٣٣٢.

(٣) الرحمن: ٤٦.

(٤) فاطر: ٢٨.

(٥) حج: ٣٥.

(٦) آل عمران: ٢٩ و ٣٠.

(٧) الخصال: ٢٨١.

﴿وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ أي لا بدّ أن يكون الخوف من الله تعالى الذي هو على كل شيء قدير، والمطّلع على الضمائر والظواهر، فإنّ الرهبة إن كانت لأجل عظمة الموهب منه وجلاله فلا نهاية لهما فيه ﷻ، وإن كانت لأجل علمه بموجبات السخط والعقاب فلا يعزب عن علمه شيء في السماوات والأرض، وإن كانت لأجل قهّاريته التامّة فهي من أخصّ صفاته، وعهوده هبات منه ﷻ فيكون نقضها عظيماً .

تفسير الآية ٤١

﴿وَآمِنُواْ بِمَا أَنزَلْتُ مُصَدِّقاً لِّمَا مَعَكُمْ وَلاَ تَكُونُواْ أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلاَ تَشْتَرُواْ بِآيَاتِي ثَمَناً قَلِيلاً وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ﴾

﴿وَآمِنُواْ بِمَا أَنزَلْتُ﴾ عطف على ما تقدَّم، وتفصيل بعد إجمال، فإنَّ قوله تعالى: ﴿أَوْفُواْ بِعَهْدِي﴾[1] يشمل الايمان بالنبيّ ﷺ، إلّا أنّه تعالى ذِكْرَهُ بالخصوص تنبيهاً لهم، وتعظيماً لأمره، وهذه الآية المباركة تدل بالدلالة الالتزامية العادية على اخبار موسى ؈ بشريعة خاتم الأنبياء ﷺ لأنَّ كلَّ شريعة سابقة لابدَّ أن تخبر بالشريعة اللاحقة، كما أخبر تعالى عن الشرائع السابقة في القرآن.

وقوله تعالى: ﴿مُصَدِّقاً لِّمَا مَعَكُمْ﴾ يدل على تصديق هذه الشريعة لما تقدم من الشرائع.

---

(١) سورة البقرة: ٤٠.

﴿وَآمِنُواْ﴾ المخاطبون به هم بنو إسرائيل بدليلين: الأوّل: أنّه معطوف على قوله تعالى: ﴿اذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾[١] والثاني: قوله تعالى: ﴿مُصَدِّقاً لِمَا مَعَكُمْ﴾.

وقيل: نزلت في كعب بن الأشرف[٢] وأصحابه علماء اليهود ورؤسائهم فهو أمر لهم، وأفرد سبحانه الإيمان بعد إندراجه في ﴿أَوْفُواْ بِعَهْدِي﴾ بمجموع الأمر به والحثّ عليه المستفاد من قوله تعالى: ﴿مُصَدِّقاً لِمَا مَعَكُمْ﴾ للاشارة إلى أنّه المقصود للوفاء بالعهود.

والظاهر أنّ المخاطبين بهذه الآيات جميع بني اسرائيل كما تقدم ويندرج فيه كعب ومن معه.

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

﴿بِما أَنزَلْتُ﴾، ﴿ما﴾ موصولة و﴿أَنزَلْتُ﴾ صلته والعائد محذوف، أي أنزلته.

وقيل:﴿ما﴾ مصدرية، قال أبو حيّان الاندلسي: وابعد من جعل ما مصدريّة

---

(١) سورة البقرة: ٤٠.

(٢) كعب بن الاشرف الطائي من بني نبهان: شاعر جاهلي كانت أمّه من بني النضير فدان باليهودية. يقيم في حصن له قريب من المدينة يبيع فيه التمر والطعام، أدرك الاسلام ولم يسلم. وأكثر من هجو النبيّ وأصحابه وتحريض القبائل عليهم. والتشبيب بنسائهم، وخرج الى مكة بعد وقعة بدر فندب قتلى قريش فيها وحضّ على الاخذ بثارهم، وعاد الى المدينة، وأمر النبي بقتله فانطلق اليه خمسة من الانصار وقتلوه سنة (٣) هـ.الاعلام: ج ٦ ص ٧٩ - ٨٠.

وأنّ التقدير - وآمنوا بانزالي لما معكم من التوراة - فتكون اللام في ﴿لِما﴾ من تمام المصدر لا من تمام ﴿مُصَدِّقاً﴾، وعلى القول الأوّل يكون ﴿لِمَا مَعَكُمْ﴾ من تمام ﴿مُصَدِّقاً﴾، واللام على كلا التقديرين في ﴿لِما﴾ مقوّية للتعدية كاللام في قوله تعالى: ﴿فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ﴾[١].

والمراد بما أنزل الله تعالى هو القرآن، والذي معهم هو التوراة والانجيل.

وقال قتادة[٢] : المراد بما أنزلت من كتاب ورسول يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والانجيل[٣].

واذا تدبّرنا الكتاب الكريم وتعقّلنا معنى النزول والإنزال من الله تعالى علمنا أنّ النزول والإنزال لم يكونا من السماء المحسوسة بالبصر، فإنّ الله سبحانه وتعالى منزّه عن المكان بل المراد النزول والإنزال عن مقام أسمى من التصور.

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

فكما أنّ القرآن نازل إلى أراضي القلوب من سماء الربوبيّة كذلك الرسول نازل برسالته ووحيه - وتتحمّل الآية الكريمين كليهما - وصرّح سبحانه بأنّه تعالى أنزل كتابه وأنزل رسوله - قال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ

---

(١) البروج: ١٦.

(٢) هو قتادة بن دعامة بن قتادة بن عزيز ابو الخطاب السدوسي البصري - مفسّر حافظ ضرير أكمه - كان أحفظ أهل البصرة - ولد سنة (٦١) هومات بواسط سنة (١١٨) هالاعلام: ج ٦ ص ٢٧.

(٣) البحر المحيط لابي حيّان الاندلسي محمد بن يوسف المتوفى (٧٥٤): ج ١ ص ١٧٦ - ١٧٧.

وَلَمْ يَجْعَل لَهُ عِوَجا﴾(١).

وقال تعالى: ﴿قَدْ أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْراً﴾ - ﴿رَسُولاً يَتْلُو عَلَيْكُمْ آياتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ مِنَ الظُّلُماتِ إِلَى النُّورِ﴾(٢).

وكما أنّ القرآن يصدّق كتبهم المنزلة من الله تعالى وانبيائهم كذلك الرسول ﷺ يصدّق كتبهم وانبيائهم.

قال صدر المتألهين(٣) في تفسير في ذيل الآية الكريمة: أمرهم بالإيمان بعدما أمرهم بايفاء عهد الله تنبيهاً على أنّه العمدة في ذلك، بل لأحد أن يقول: إنّ الإيمان بما أنزل الله هو عين الإيفاء بعهد الله، على التأويل الذي سبق ذكره(٤) في معنى العهد، وهو النور الذي يتنوّر به القلوب - ويسلك به سبيل الآخرة، وينكشف به حقائق الأمور، ويطّلع به الإنسان على الحضرة الإلهية وأفعاله وآثاره ولطفه، وحكمته في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُم مِنَ اللّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾(٥) فالنور هو جنس معاني القرآن والكتاب آيات ألفاظه وهو آي القرآن منزل

---

(١) الكهف:١.

(٢) الطلاق: ١٠ - ١١.

(٣) هو محمد بن ابراهيم صدر الدين الشيرازي الحكيم المتأله كان عالم أهل زمانه في الحكمة صاحب الأسفار الاربعة - توفي بالبصرة وهو متوجه الى الحج سنة (١٠٥٠) هـ يروي عن المحقق الداماد والشيخ البهائي - قال صاحب تفسير الصراط المستقيم في منظومته الرجالية:

ثمّ ابن ابراهيم صدر الأجل — في سفر الحج (مريض) ارتحل
قدوة أهل العلم والصفاء — يروي عن الداماد والبهائي

(٤) تفسير الصدر: ج ٣ ص ١٩١.

(٥) المائدة: ١٥.

من الله تعالى الى قلب النبي ﷺ أمرهم بالتصديق بهذا القرآن المنزل، وأخبرهم أنّ في تصديقهم بالقرآن تصديقاً منهم للتوراة والإنجيل لأنّ الذي في القرآن مصداق لهما ومؤكد للايمان بهما. من حيث إنّه مطابق لهما في القصص، والمواعيد، والدعاء الى التوحيد والامر بالعبادة، والعدل بين الناس، والنهي عن المعاصي والفواحش.

وما يخالفها من الأحكام الجزئية إنّما هو بسبب تفاوت الأعصار في المصالح من حيث إنّ كل واحدة منها حقٌّ بالإضافة إلى زمانه، مراعي فيها صلاح الأنام، ومن خوطب بالكلام من الله، حتى لو نزّل المتقدّم من الأحكام في الأيّام المتأخر منهما لكان على وفقه بأبلغ وجه، ولذا قال ﷺ: «لو كان موسى حيّاً لما وسعه إلّا اتّباعي».[1]

وقيل: معنى ﴿مُصَدِّقاً لِمَا مَعَكُمْ﴾ أنّه تصديق بالتوراة والإنجيل لأنّ فيهما الدلالة على أنّه حقّ، وأنّه من عند الله، وفيهما البشارة ببعثة محمّد ﷺ، وبيان نعوته وصفاته، فكان الإيمان بمحمّد ﷺ وبالقرآن تصديقاً للتوراة والإنجيل، وتكذيبه تكذيباً لهما.

والتفسير الثاني أولى لأن يكون حجة عليهم إذ على التفسيرالأوّل لقائل أن يقول: التوافق في بعض المعاني لا يوجب أن يكون القرآن من عند الله فلا يلزم عليهم وجوب الايمان به.

وأمّا على الثاني فيلزم عليهم الإيمان بحقيّة القرآن وتصديق الرسول ﷺ إذا

---

(١) البحار: ج ١٦ ص ٣٦٦.

اشتمل الكتابان على كون محمّد ﷺ صادقاً، فالايمان بهما يوجب الايمان بما يقوله ﷺ.

وبالجملة فالدالّ على اثبات نبوّته هاهنا وجهان: أحدهما: شهادة كتب الأنبياء عليها وهي لا تكون إلّا حقّاً، والثاني: إخباره عمّا في كتبهم ولم يكن له معرفة بما فيها إلّا من قِبَل الوحي.[1]

﴿مُصَدِّقاً لِما مَعَكُمْ﴾ الظاهر أنّ ﴿مُصَدِّقاً﴾ حال من الضمير المحذوف العائد على الموصول، وهي حال مؤكدّة . والعامل فيها «أَنْزَلْتُ» واللام في «لِما» مقوية، و «ما» إسم موصول في محلّ جرّ باللام، والجارّ والمجرور متعلّقان بمصدّقاً، و«معكم» ظرف مكان متعلق بمحذوف لا محلّ له من الاعراب لأنّه صلة الموصول.

سؤال، وجواب، هل القرآن يصدّق كلّ ما مع اليهود، أي يصدّق العهد العتيق بأجمعه أي التوراة التي بأيديهم الآن، أم لا يصدّق كلّه بل بعضه وماذا هو البعض؟

هناك آيات تصرّح بأنّ اليهود والنصارى حرفّوا أقساماً من آيات الوحي، قال تعالى: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُواْ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلامَ اللّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هـذا مِنْ عِندِ اللّهِ....فَوَيْلٌ لَهُم مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾[3].

---

(١) تفسير صدر المتألهين: ج ٣ ص ٢١٣ - ٢١٤.

(٢) البقرة: ٧٥.

(٣) البقرة: ٧٩.

فلا يعقل أن يصدّق القرآن الأكاذيب التي أدخلوها في التوراة إذاً فليس المراد تصديق كلّ ما معهم، بل المصدَّق بعض ما معهم، وما هو إلّا البشارات الموجودة في التوراة، كما قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُم ما عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّه عَلَى الْكافِرِينَ﴾[1].

وقال تعالى في سورة النساء: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِما نَزَّلْنَا مُصَدِّقاً لِمَا مَعَكُم﴾[2].

وقد يشير إلى ما معهم: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَما يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقاً مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[3].

﴿وَلا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ﴾ لا تسارعوا الى الكفر به من بين أهل الكتاب أو من بني اسرائيل، فإنّ وظيفتكم أن تكونوا أول المؤمنين به لأنّكم تعرفون حقيّته، وقد كنتم من قبل تقولون: إنّا نكون أول تابع له.

ولا يكون المراد بالأوّل مطلقاً، فإنّ كفّار مكّة كانوا قد سبقوهم الى الكُفْرِ بِهِ.

ونقل عن أبي العالية [4] أنه قال: معناه «لا تكونوا السابقين الى الكفر به، أي

---

(١) سورة البقرة: ٨٩.

(٢) سورة النساء: ٤٧.

(٣) سورة البقرة: ١٤٦.

(٤) هو رُفيع بن مهران ابو العالية الرياحي البصري أدرك الجاهلية وأسلم بعد إرتحال النبي ﷺ بسنتين، وروى عن جماعة من الصحابة، وروى عنه جماعة، كان عالماً بالقرآن، وقال ابو بكر =

لا تكونوا أئمة في الكفر به»[1]

ولا يبعد هذا الوجه فإنّ الناس في المذاهب والملل يتّبعون أهـل الكـتاب وأهل العلم في أكثر الأزمنة، ومعلوم أنّ الخطاب في الآية مع ائمة أهـل الضـلال وعلمائهم الذين شأنهم كتمان الحق الذي في الكتب، وتلبيسه بالباطل، وتـحريف الكلم عن مواضعه كما هو عادة علماء السوء.

وعظم أول الكفر لأنّهم اذا كانوا أئمّة لهم وقدوتهم في الضلالة كانت ضلالتهم أعظم وكفرهم أشدّ، إذ كما أنّ السابقين من الايمان أعظم قدراً في الثواب واشدّ قرباً من الله تعالى لقوله: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾[2] كذلك السابقون الى الكفر كانوا أعظم ذنباً ممّن بعدهم واشدّ ضلالاً واكثر بعداً عن الحقّ.

ولما روي عن النبيّ ﷺ أنّه قال: «من سنَّ سُنَّة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها الى يوم القيامة، ومن سَنَّ سنّة سيّئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة»[3].

وعن ابن جُريح[4]: أنّ المعنى: لا تكونوا أوّل جاحد جحد صفة النبي ﷺ في

= بن أبي داود: ليس أحد بعد الصحابة أعلم بالقرآن من أبي العالية، وبعده سعيد بن جبير، مات يوم الثالث من شوال سنة (٩٠) هـ تهذيب الكمال: ج ٦ ص ٢٢٠.

(١) مجمع البيان: ج ١ ص ٩٤.

(٢) الواقعة: ١٠.

(٣) كنز العمال: ج ٥ ص ١٨٠، بحار الانوار: ج ٧١ ص ٢٥٧.

(٤) هو أبو الوليد عبدالملك بن عبدالعزيز بن جريج الرومي المكّي قيل: إنّه كان أوّل من صنّف الكتب بالحجاز، توفي سنة (١٥٠) هـ العبر: ج ١ ص ٢١٣.

كتابكم - فعلى هذا تعود الهاء في «به» الى النبي ﷺ.

قال الطبرسي في «المجمع»: وليس في نهيه عن أن يكونوا أوّل كافر به دلالة على أنّه يجوز أن يكونوا آخر كافر، لأنّ المقصود النهي عن الكفر على كلّ حال، وخصّ أوّلاً بالذكر لما ذكرناه من عظم موقعه كما قال الشاعر[1]:

من اناس ليس في أخلاقهم عاجلُ الفُحش ولا سوء الجزع

وليس يريد أنّ فيهم فحشاً آجلاً[2].

﴿وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ﴾ قال الرازي: فيه سؤالان: أحدهما: كيف جعلوا أوّل من كفر به وقد سبقهم الى الكفر به مشركوا العرب؟

والجواب من وجوه:

أحدها: أنّ هذا تعريض بأنّه كان يجب أن يكونوا أوّل من يؤمن به لمعرفتهم به وبصفته، ولأنّهم كانوا هم المبشّرون بزمان محمّد ﷺ والمستفتحون على الذين كفروا به فلمّا بُعث كان أمرهم على العكس لقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُم مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ﴾[3].

ثانيها: يجوز أن يراد ولا تكونوا مثل أوّل كافر به يعني من أشرك من أهل مكّة، أي ولا تكونوا وأنتم تعرفونه مذكوراً في التوراة والإنجيل مثل من لم يعرفه

---

(١) هو سويد بن ابي كاهل شبيب بن حارثة بن حسل بن مالك أبو سعد شاعر متقدم من مخضرمي الجاهلية والاسلام وكان من المعمّرين مات بعد سنة (٦٠) هـ خزانة البغدادي: ج ٢ ص ٥٤٧.

(٢) مجمع البيان: ج ١ص ٩٥.

(٣) سورة البقرة: ٨٩.

وهو مشرك لا كتاب له.

ثالثها: ولا تكونوا أول كافر به من أهل الكتاب، لأنّ هؤلاء كانوا أوّل من كفر بالقرآن من بني اسرائيل وان كانت قريش كفروا به قبل ذلك.

ورابعها: ولا تكونوا أوّل من كفر بكتابكم، يقول ذلك لعلمائهم، أي ولا تكونوا أوّل من كذّب كتابكم من أمّتكم، لأنّ تكذيبكم بمحمد ﷺ يوجب تكذيبكم بكتابكم.

خامسها: أنّ المراد منه بيان تغليظ كفرهم، وذلك لأنّهم لمّا شاهدوا المعجزات الدالّة على صدقه عرفوا البشارات الواردة في التوراة والإنجيل بمقدمه فكان كفرهم أشدّ من كفر من لم يعرف إلّا نوعاً واحداً من الدليل.

سادسها: ولا تكونوا أوّل من جحد مع المعرفة، لأنّ كفر قريش كان مع الجهل لا مع المعرفة.

سابعها: ولا تكونوا أوّل كافر به عند سماعكم بذكره بل تثبّتوا وراجعوا عقولكم فيه.

السؤال الثاني: أنّه كان يجوز لهم الكفر إذا لم يكونوا أوّلاً، والجواب من وجوه:

أحدها: أنّه ليس في ذكر تلك الجملة دلالة على أنّ ما عداها بخلافها.

ثانيها: أنّ في قوله تعالى: ﴿وَآمِنُواْ بِما أَنزَلْتُ مُصَدِّقاً لِمَا مَعَكُمْ﴾ دلالة على أن كفرهم أوّلاً وآخراً محظور.

وثالثها: أنّ قوله تعالى: ﴿وَقَتْلَهُمُ الأَنبِيَاء بِغَيْرِ حَقٍّ﴾[1] لا يدل على وقوع قتل

---

(١) آل عمران: ١٨١.

الانبياء بحقّ، وقوله تعالى عقيب هذه الآية: ﴿وَلا تَشْتَرُواْ بِآيَاتِي ثَمَناً قَلِيلاً﴾ لا يدلّ على إباحة ذلك بالثمن الكثير، فكذا هاهنا، بل المقصود من هذه السياقة إستعظام وقوع الجحد والإنكار ممّن قرأ في الكتب نعت رسول الله ﷺ وصفته.

رابعها: قال المبرّد[1]: هذا الكلام خطاب لقوم خوطبوا به قبل غيرهم، فقيل لهم: لا تكفروا بمحمّد ﷺ فإنّه سيكون بعدكم الكفّار فلا تكونوا أنتم أوّل الكفار، لأنّ هذه الاوليّة موجبة لمزيد الإثم، وذلك لأنّهم إذا سبقوا الى الكفر أولا، فإنّ إقتدى بهم غيرهم في ذلك الكفر كان لهم وزر ذلك الكفر ووزر كلّ من كفر إلى يوم القيامة، وإن لم يقتدِ بهم غيرهم اجتمع عليهم أمران: أحدهما: السبق إلى الكفر، والثاني: التفرّد به ولاشك أنّه منقصة عظيمة.[2]

وقال أبو حيان في «البحر المحيط»: النهي في قوله تعالى: ﴿وَلا تَكُونُواْ أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ﴾ لا يدل على اباحة الكفر لهم ثانياً أو أخيراً لأنَّ الصفة لا مفهوم لها هنا.

ولما أشكلت الأوليّة هنا زعم بعضهم أنَّ (أوّل) صلة يعني زائدة، والتقدير: ولا تكونوا كافرين به، وهذا ضعيف جداً.

وزعم بعضهم أنَّ ثمَّ محذوفاً معطوفاً تقديره: ولا تكونوا أوّل كافر به ولا آخر كافر، وجعل ذلك ممّا حذف المعطوف لدلالة المعنى عليه.

---

(١) هو أبو العباس المبرّد محمد بن يزيد الازدي البصري إمام أهل النحو في زمانه، وصاحب التصانيف، أخذ عن أبي عثمان المازني، وأبي حاتم السجستاني وتصدّر ببغداد، من مصنفاته «الكامل» و«المقتضب» و«طبقات النحاة البصريين»، و«معاني القرآن»، توفي ببغداد سنة (٢٨٥) هـ العبر ج ٢ ص ٨٠، هدية الأحباب: ص ٢٢٩.

(٢) التفسير الكبير للرازي: ج ٣ ص ٤١ - ٤٢.

وتأوله بعضهم على حذف مضاف، أي ولا تكونوا مثل أول كافر به، أي ولا تكونوا وأنتم تعرفونه مذكوراً في التوراة موصوفاً، مثل من لم يعرفه وهو مشرك لا كتاب له .

وبعضهم على صفة محذوفة، أي أوّل كافر به من أهل الكتاب[1]

بحث صرفي لغوي نحوي

قوله تعالى: ﴿أَوَّلَ كَافِرٍ﴾ قال القيسي[2] في «مشكل اعراب القرآن»: «أوّل» اسم لم ينطق منه بفعل عند سيبويه[3]، ووزنه (أفعَلْ) فاؤه واو، وعينه واو ولذلك لم يستعمل منه فعل لاجتماع الواوات.

وقال الكوفيون: هو أفْعَل من (وأل) إذا لجأ. فأصله (أوأل) ثمّ خففّت الهمزة الثانية بأن أبدل منها واواً وأدغمت الاولى فيها كما قالوا في تخفيف «مقروءة»: «مقروّة».

وكان الأحسن – لو خفّف على القياس – أن يقال: (أوَّل) يلقى حركة الهمزة

---

(١) البحر المحيط: ج ١ ص ١٧٧.

(٢) القيسي هو أبو محمَّد مكّي بن أبي طالب حمّوش بن محمد بن مختار القيرواني، ولد سنة (٣٥٥) وسكن قرطبة، ثم هاجر الى مكة المكرّمة ومصر وحضر عند أساتذة الأدب والقرآن والحديث وصنّف مصنفات قيّمة الى أن توفي سنة (٤٣٧) هـ. بغية الوعاة: ص ٣٩٦ – ٣٩٧.

(٣) هو أبو الحسن عمرو بن عثمان بن قنبر الفارسي البيضاوي العراقي البصري النحوي، كان من تلامذة الخليل، صنّف في النحو «الكتاب» ومات على الصحيح سنة (١٨٠) هـ العبر: ج ١ ص ٢٧٨ – هدية الاحباب: ص ١٥٣.

على الواو.

وقيل: إنَّ «أوّل» أفعل من «آل يؤول» فأصله «أءوَل» ثم قلب، فردَّت الفاء في موضع العين، فصار«أوأل» فصنع به من التخفيف والبدل والإدغام ما صنع في القول الأوّل، فوزنه بعد القلب «أفْعَل»[١]

قوله تعالى:﴿وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرٍۭ﴾ يتخيّل هنا مشكلة وهي أنَّه لماذا قال تعالى: ﴿كَافِرٍۭ﴾ ولم يقل: «الكافرين»؟

وأُجيبت بأنَّ «كافر» وصف لموصوف محذوف وهو مفرد لفظاً وجمع معناً، وتقديره: «أول فريق كافر» وهذا من تأويل المفضَّل عليه.

ويمكن تأويل المفضَّل، أي لا يكن كلّ واحد منكم كافراً والمراد عموم السلب كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ﴾[٢].

وبعض الناس لا يوجب في مثل هذا المطابقة بين النكرة التي أضيف إليها أفعل التفضيل وبين ما جرى هو عليه، بل يقول: يجوز الوجهان، واستدلّ بقول الشاعر:

وإذا هُمْ طعموا فألأمُ طاعمٍ   وإذا هُمْ جاعوا فشرّ جياع

وحكى سيبويه: هو أظرف الفتيان وأجمله.

---

(١) مشكل اعراب القرآن: ج ١ ص ٤٢.

(٢) سورة القلم: ١٠.

وزعم الأخفش[١] والفرّاء[٢]: أنّه محمول على معنى الفعل، لأنَّ المعنى أوّل من كفر به [٣].

وهنا مشكلة أخرى: وهي عدم تطابق الخبر والمبتدأ في الجمع والإفراد في جملة: «ولا تكونوا أوّلَ»

وأجيبت بأنَّ أفعل التفضيل إذا جُرّد من «أل» ومن الإضافة – أو أضيف إلى نكرة يجب ان يكون مفرداً ومذكراً

يقول ابن مالك في الفيّته :

وأفـعل التـفضيل صـله أبـداً بـ«مـن» إنْ جـرّدا
وإنّ لمـنكور يُـضَفْ أو جُـرّدا ألزم تـذكيراً وأنْ يُـوحّدا

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

تفسير الآية وباطنها وتأويلها

وفي تفسير العيّاشي عن جابر الجعفي[٤]، قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن تفسير هذه الآية في باطن القرآن: ﴿وَآمِنُواْ بِما أنزَلْتُ مُصَدِّقاً لِّما مَعَكُمْ وَلا تَكُونُواْ

---

(١) هو الاخفش الاوسط سعيد بن مسعدة المجاشعي بالولاء البلخي، ثم البصري ابو الحسن، نحوي عالم باللغة والأدب، وأخذ العربيّة عن سيبويه وصنف كتباً منها «معاني القرآن» مات سنة (٢١٥) هـ. الاعلام: ج ٣ ص ١٥٤.

(٢) الفراء: يحيى بن زياد الديلمي ابوزكريا النحوي اللغوي كان اعلم الكوفيين في النحو، مات سنة (٢٠٧) هـ هديّة الاحباب: ص ٢١٠.

(٣) الجامع للقرطبي: ج ١ ص ٣٣٣.

(٤) هو جابر بن يزيد الجعفي أبو عبدالله عليه السلام لقي أبا جعفر وأبا عبدالله عليهما السلام، وثقه النجاشي وغيره توفي سنة (١٢٨) هـ وقال يحيى بن معين: مات سنة (١٣٢). جامع الرواة: ج ١ ص ١٤٤.

﴿أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ﴾ يعني فلاناً وصاحبه ومن تبعهم ودان بدينهم قال الله يعنيهم ولا تكونوا أوّل كافر به يعني عليّاً عليه السلام[1].

﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ الإشتراء مجاز عن الإستبدال لإختصاصه بالأعيان، إمّا باستعمال المقيّد في المطلق كالمِرسَن في الأنف، أو تشبيه الإستبدال المذكور بالاشتراء الحقيقي في كونه مرغوباً فيه.

والمعنى والله أعلم: ولا تستبدلوا بآياتي العظيمة أشياء حقيرة خسيسة، ولو أدخل الباء على الثمن دون الآيات لا نعكس المعنى إذ كان يصير المعنة أنّهم بذلوا ثمناً قليلاً وأخذوا الآيات.

قال الشيخ الطوسي قدس سره في «التبيان»: قوله تعالى: ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ فأدخل الباء في الآيات دون الثمن وفي سورة يوسف في الثمن في قوله: ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ﴾ [2] قال الفرّاء: إنّما كان كذلك، لأنّ العوض كلّها أنت مخيّر فيها في إدخال الباء، إن شئت قلت: اشتريت الثوب بكساء، وإن شئت قلت إشتريت بالثوب كساء، أيّهما جعلته ثمناً لصاحبه جاز، فإذا جئت إلى الدراهم والدنانير وضعت الباء في الثمن كقوله: «بثمن بخس» لأنّ الدراهم ثمن أبداً.[3]

وقال أبو حيّان في «المحيط»: نفس الآيات لا يشترى بها فاحتيج إلى حذف مضاف، فقيل: تقديره بتعليم آياتي، قاله أبو العالية، وقيل: بتغيير آياتي، قاله

(١) تفسير العياشي: ج ١ ص ٤٢ ح ٣١ وعنه البرهان: ج ١ ص ٩١ وإثبات الهداة: ج ٣ ص ٥٤٠.

(٢) سورة يوسف: ٢٠.

(٣) التبيان: ج ١ ص ١٨٨

الحسن[١]، وقيل: بكتمان آياتي، قاله السدّي[٢]،وقيل: لا يحتاج إلى حذف مضاف، بل كنّي بالآيات عن الاوامر والنواهي.

وعلى الأقوال الثلاثة التي قبل هذا القول تكون الآيات ما أنزل من الكتب أو القرآن. أو ما أوضح من الحجج والبراهين، أو الآيات المنزلة عليهم في التوراة والإنجيل المتضمنّة الامر بالايمان برسول الله ﷺ.

وعلى الأقاويل في ذلك المضاف والمقدّر، والقول بعدها اختلفوا في المعنى بقوله تعالى: ﴿ثَمَناً قَلِيلاً﴾.

فمن قال: هو التعليم قال: الثمن القليل هو الاجرة على التعليم، وكان ذلك ممنوعاً في شريعتهم، أو الراتب المرصد لهم على التعليم فنُهوا عنه.

ومن قال: هو التغيير قال: الثمن القليل هو الرئاسة التي كانت في قومهم خافوا فواتها لو صاروا أتباعاً لرسول الله ﷺ.

ومن جعل الآيات كناية عن الاوامر والنواهي جعل الثمن القليل هو ما يحصل لهم من شهوات الدنيا التي اشتغلوا بها عن إيقاع ما أمر الله به واجتناب ما نهى عنه.

ووصف الثمن القليل لأنَّ ما حصل عوضاً عن آيات الله كائناً ما كان لا يكون.

(١) المراد به الحسن بن ابي الحسن يسار ابو سعيد البصري التابعي المولود بالمدينة سنة (٢١) هـ والمتوفى سنة (١١٠) هـ.

(٢) هو اسماعيل بن عبدالرحمن ابو محمد المعروف بالسدّي كان ممّن يفسّرون القرآن بآرائهم نظير مجاهد، وقتادة، والشعبي، والحسن، ومقاتل وكان كوفيًّا توفي سنة (١٢٨) هـ، هدية الاحباب: ص ١٤٨.

إلّا قليلاً وإن بلغ ما بلغ، كما قال تعالى: ﴿قُلْ مَتاعُ الدُّنْيا قَلِيلٌ﴾(١).(٢)

وقال الشيخ في «التبيان» وتقييده بـ﴿لا تَشْتَرُوا بِآياتِي ثَمَناً قَلِيلاً﴾ لا يدل على أنّه اذا كان كثيراً يجوز مشترى به، لأنَّ المقصود من الكلام أنَّ أي شيء باعوا به آيات الله كان قليلاً، وأنّه لا يجوز أن يكون له ثمن يساويه، كقوله تعالى: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ لا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّما حِسابُهُ عِندَ رَبِّهِ﴾(٣).

إنّما أراد بذلك نفي البرهان عنه على كل حال، وأنّه لا يجوز أن يكون له برهان، ومثله قوله تعالى: ﴿وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾(٤)، وإنّما أراد أنّ قتلهم لا يكون الّا بغير حق، نظائر ذلك كثيرة.(٥)

وقال الطبرسي في «المجمع» روي عن أبي جعفر عليه السلام في هذه الآية قال: كان حُيَيّ بن أخطب(٦)، وكعب بن الاشرف(٧) وآخرون من اليهود لهم مأكلة على اليهود في كلّ سنة، فكرهوا بطلانها بأمر النبي صلى الله عليه وآله، فحرفّوا لذلك آيات من التوراة فيها صفته وذكره صلى الله عليه وآله فذلك الثمن الذي أُريد في الآية.(٨)

---

(١) سورة النساء: ٧٧.

(٢) البحر المحيط ج ١ ص ١٧٨ - ١٧٩.

(٣) المؤمنون: ١١٧.

(٤) آل عمران: ٢١.

(٥) التبيان ج ١ ص ١٨٩.

(٦) حُيَيّ بن أخطب النضري: جاهلي من الأشدّاء العُتاة أُسر يوم قريضة ثم قتلوه سنة (٥) هـ

(٧) كعب بن الأشرف الطائي من بني تيهان: شاعر جاهلي كانت أمه من بني نضير فدان باليهودية وأدرك الاسلام ولم يسلم قُتل في ظاهر حصنه سنة (٣) هـ الاعلام: ج ٦ ص ٧٩.

(٨) مجمع البيان: ج ١ ص ٩٥ وعنه كنز الدقائق: ج ١ ص ٣٩٩.

﴿وَلا تَشْتَرُواْ بِآيَاتِي ثَمَناً قَلِيلاً﴾

رُوي عن ابن عباس أنّه قال: إنَّ رؤساء اليهود مثل كعب بن الأشرف وحُييّ ابن أخطب وأمثالهما كانوا يأخذون من فقراء اليهود الهدايا، وعلموا أنّهم لو اتّبعوا محمداً ﷺ لانقطعت تلك الهدايا فأصرّوا على الكفر لئلّا ينقطع عنهم ذلك القدر المحقّر.

قال الرازي بعد ذكر هذا الكلام عن ابن عبّاس: وذلك لأنَّ الدنيا كلها بالنسبة الى الدين قليلة جدّاً، فنسبتها إليه نسبة المتناهي إلى غير المتناهي، ثم تلك الهدايا كانت في نهاية القلّة بالنسبة الى الدنيا، فالقليل جدّاً من القليل جدّاً أيّ نسبة له الى الكثير الذي لا يتناهى؟[1]

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

مسألة فقهية

استدل بعضهم بقوله تعالى: ﴿وَلا تَشْتَرُواْ بِآيَاتِي ثَمَناً قَلِيلاً﴾ على حرمة أخذ الأجرة على كتاب الله تعالى، بل والعلم أيضاً.

قال القرطبي في «الجامع لاحكام القرآن»: قد اختلف العلماء في أخذ الأجرة على تعليم القرآن والعلم لهذه الآية وما في معناها. فمنع ذلك الزهري، واصحاب الرأي وقالوا: لا يجوز أخذ الأجرة على تعليم القرآن لأنَّ تعليمه واجب من الواجبات التي يحتاج فيها الى نيّة التقرّب والإخلاص فلا يؤخذ عليها أجرة

(١) مفاتيح الغيب للرازي: ج ٣ ص ٤٢.

كالصلاة والصيام، وقد قال تعالى: ﴿وَلا تَشْتَرُواْ بِآيَاتِي ثَمَناً قَلِيلاً﴾.

وروى ابن عباس: أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «مُعلموا صبيانكم شراركم أقلّهم رحمة باليتيم وأغلظهم على المسكين».

وروى أبو هريرة، قال: قلت: يا رسول الله ما تقول في المعلّمين؟

قال: «درهمهم حرام، وثوبهم سحت، وكلامهم رياء».

وروى عبادة بن الصامت[1] قال: علّمت ناساً من أهل الصفة القرآن والكتابة، فأهدى إليَّ رجل منهم قوساً، فقلت: ليست بمال وأرمي عنها في سبيل الله، فسألت عنها رسول الله ﷺ فقال: إن سرَّك أن تطوّق بها طوقاً من نار فاقبلها.

وأجاز أخذ الأجرة على تعليم القرآن مالك، والشافعي، وأحمد[2]، وأبو ثور[3] واكثر العلماء لقوله ﷺ في حديث ابن عبّاس -حديث الرقيّة-: إنَّ أحقَّ ما أخذتم عليه أجراً كتاب الله، أخرجه البخاري وهو نصّ يرفع الخلاف، فينبغي لمن يعوّل عليه.

وأمّا ما احتجَّ به المخالف من القياس على الصلاة والصوم ففاسد، لأنّه في

---

(١) عبادة بن الصامت بن قيس الانصاري الخزرجي أبو الوليد صحابي شهد العقبة، وكان أحد النقباء، وبدراً، وسائر المشاهد مات بالرملة، أو بيت المقدس سنة (٣٤) هـ، الاعلام: ج ٤ ص ٣٠

(٢) هو أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني المروني الاصل المولود سنة (١٦٤) والمتوفى سنة (٢٤١) ببغداد.

(٣) هو ابو ثور ابراهيم بن خالد الكلبي البغدادي الفقيه أحد الأعلام، تفقّه بالشافعي، وسمع من ابن عُيينة وغيره توفي سنة (٢٤٠) هـ العبر: ج ١ ص ٤٣١ - الاعلام: ج ١ ص ٣٠.

مقابلة النصّ، ثمّ إنَّ بينهما فرقاً، وهو أنَّ الصلاة والصوم عبادات مختصة بالفاعل، وتعليم القرآن عبادة متعديّة لغير المعلم، فتجوز الأجرة على محاولته النقل كتعليم كتاب القرآن.

قال ابن منذر[(١)]، وابو حنفية: يكره تعليم القرآن بأجرة.

ثم قال القرطبي: أمّا الجواب عن الآية فالمراد بها بنو إسرائيل.

وشرع من قبلنا هل هو شرع لنا فيه خلاف، وهو لا يقول به؟

جواب ثان، وهو أن تكون الآية فيمن تعيّن عليه التعليم فأبى حتى يأخذ عليه أجراً ،فأمّا إذا لم يتعيَّن فيجوز له أخذ الأجرة بدليل السنّة في ذلك، وقد يتعيّن عليه إلّا ليس عنده ما ينفقه على نفسه ولا على عياله فلا يجب عليه التعليم، وله أن يقبل على صنعته وحرفته، ويجب على الامام أن يعين لإعانة الدين إعـانته، وإلّا فعلى المسلمين...

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامى

وأما الجواب عن الأحاديث المتقدمة فليس شيء منها على ساق، ولا يصحّ منها شيء عند أهل العلم بالنقل، أما حديث ابن عباس فرواه سعيد بن طريف عن عكرمة[(٢)] عنه وسعيد متروك.

---

(١) هو محمد بن ابراهيم بن المنذر النيسابوري فقيه من الحفّاظ، كان شيخ الحرم بمكّة المكرّمة له مصنّفات في الفقه والتفسير ولد سنة (٢٤٢) هـ وتوفي بمكة سنة (٣١٩) هـ. طبقات الشافعية: ج ٢ ص ١٢٦.

(٢) هو عكرمة بن عبدالله البربري مولى ابن عباس مات سنة (١٠٧) ترجمه غير واحد من اصحاب التراجم منهم ابن حجر العسقلاني في تهذيب التهذيب: ج ٧ص ٢٢٨ الى ص ٢٣٤ وفيه: عن مصعب الزبيري قال: كان عكرمة يرى رأي الخوارج، وكذّبه سعيد بن جبير، وقال مالك بن انس في عكرمة :لا أرى لأحد أن يقبل حديثه، وقال أبو الأسود: كان عكرمة قليل العقل خفيفاً.

وأما حديث أبي هريرة فرواه علي بن عاصم(١)، عن حمّاد بن سلمة(٢)، عن أبي جرهم، عنه، وأبو جرهم مجهول لا يُعرف، ولم يرو حماد بن مسلمة عن أحد يقال له أبو جرهم، وإنّما رواه عن أبي المُهَزّم، وهو متروك الحديث أيضاً فهو حديث لا أصل له.

وأما حديث عبادة بن الصامت رواه أبو داود من حديث المغيرة بن زياد الموصلي(٣)، عن عبادة بن حُسيّ، عن الأسود بن ثعلبة، عنه، والمغيرة معروف عند أهل العلم، ولكنَّه له مناكير. هذا منها، قاله أبو عمر ثم قال: وأمّا حديث القوس فمعروف عند أهل العلم...الى أن قال: وليس في الباب حديث يجب العمل به من جهة النقل، وحديث عبادة يحتمل التأويل، لأنّه جائز أن يكون علّمه لله، ثم أخذ عليه أجراً.

وروي عن النبي ﷺ أنّه قال: «خير الناس من يمشي على جديد الأرض المعلّمون كلّما خلق الدين جدّدوه، أعطوهم ولا تستأجروهم فتحرجوهم فإنّ المعلّم إذا قال للصبي: قل بسم الله الرحمن الرحيم، فقال الصبي: بسم الله الرحمن الرحيم كتب الله براءة للصبيّ وبراءة للمعلّم، وبراءة لابويه من النار»(٤).

---

(١) علي بن عاصم بن صهيب الواسطي التيمي مولاهم، قال ابن حجر: صدوق يخطيء ويصرّ، ورُمي بالتشيّع، مات سنة (٢٠١) هـ تقريب التهذيب: ج ١ ص ٦٩٧.

(٢) حمّاد بن سلمة بن دينار البصري أبو سلمة قال ابن حجر: تغيَّر حفظه بآخره، من كبار الثامنة، مات سنة (١٥٧) هـ، التقريب: ج ١ ص ٢٣٨.

(٣) المغيرة بن زياد البجلي، أبو هشام أو هاشم الموصلي، قال ابن حجر: له أوهام مات سنة (١٥٢) هـ التقريب: ج ١ ص ٢٠٦.

(٤) الجامع لاحكام القرآن للقرطبي ج ١ ص ٣٣٥ – ٣٣٦.

فما قاله أصحاب الرأي وأبو حنيفة من حرمة الاجرة على تعليم القرآن أو كراهته خلاف الحق ولا وجه له حتى عند أهل السنّة كما عرفت نعم يستفاد الكراهة من الأحاديث الواردة إذا اشترط الأجرة وأمّا في أخبارنا عن أهل البيتعليهم السلام المذكورة في الوسائل وغيره وهي بين الناهية عن كسب التعليم بالاجرة وبين ما يدلّ على خلافها بل يدلّ على نهاية المطلوبية، مثل ما رواه الفضل بن أبي قرّة قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: هؤلاء يقولون إنّ كسب المعلم سُحتٌ، فقال عليه السلام: كذب أعداء الله، إنّما ارادوا أن لا يعلّموا اولادهم القرآن، لو أنّ المعلّم أعطاه رجل دية ولده لكان للمعلّم مباحاً[1].

فمقتضى الجمع مع ذهاب أهل الأراء والمخالفين الى الحرمة أو الكراهة حمل النواهي في أخبارنا على التقيّة.

﴿ وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ﴾ الكلام فيه كالكلام على قوله تعالى: ﴿ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾[2] ويقرب معنى التقوى معنى الرهبة، قال صاحب «المنتخب»[3] والفرق أنّ الرهبة عن الخوف، وأما الإتّقاء فإنّه يحتاج إليه عند المجزم بحصول ما يتّقي منه، فكأنه تعالى أمرهم بالرهبة لأجل أنّ جواز العقاب قائم، ثمّ أمرهم بالتقوى لأنّ تعيّن العقاب قائم، انتهى كلامه. ومعنى جواز العقاب هناك وتعيّنه هنا أن ترك ذكر

---

(١) الوسائل ج ١٢ ص ١١٣ ح ٢.

(٢) سورة البقرة: ٤٠.

(٣) المنتخب لأبي الفرج عبدالرحمن بن علي بن الجرزي المتوفى (٥٩٧) هـ.

النعمة والإيفاء بالعهد ظاهرهُ أنّه من المعاصي التي تجوّز العقاب، اذ يجوز أن يقع العفو عن ذلك، وأمّا ترك الايمان بما أنزل الله تعالى، وشراء الثمن اليسير بآيات الله من المعاصيالتي تحتّم العقاب وتعيّنه، ولذلك قيل هنالك: «فـارهبون» وفـي هـنا: «فاتقون».(١)

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

(١) البحر المحيط:ج ١ ص ١٧٩.

قد وقع الفراغ من تسويده على يد مؤلّفه العبد الواثق بربّه الغني الحسين بن رضا الحسيني الفاطمي العلوي البروجردي في السّاعة الثالثة من اللّيلة الثالثة من العشر الثالث من الشهر الثالث من السنة الثامنة من العشر الثامن من المائة الثالثة من الألف الثاني من الهجرة النبويّة المصطفويّة على صادعها ألف ألف ألف صلاة وسلام وتحيّة والحمدلله ربّ العالمين وصلّى الله على نبيّنا محمّد وآله الطّيبين الطّاهرين ولعنة الله على أعدائهم أجمعين ابد الابدين ودهر الدّاهرين وقد اتّفق الفراغ من تسويده في السّاعة الرابعة من اليوم الخامس من العشر الاوّل من الشهر الرابع من السنة الثامنة من الشهر الثامن من المائة الثالثة من الالف الثاني من الهجرة النبويّة المصطفوية عليه الاف التحيّة.

تمّ وبحمد الله الجزء الخامس من تفسير الصراط المستقيم

وسيأتي بعون الله ومشيئته الجزء السادس منه طبع على نفقة

السيّدة المؤمنة الحاجّة المحسنة مريم بنت الحاج علي اللاري

فهرس الموضوعات

تفسير الآية (٢٨) ٥
تفسير الآية (٢٩) ١٥
تفسير الآية (٣٠) ٥٠
في حقيقة الملائكة ٧٢
الملائكة عند الفلاسفة ٧٨
الملائكة عند النصارى والمجوس ٨٠
الملائكة عند أرباب الهياكل ٨١
قول المشركين في الملائكة ٨٢
بسط في المقام للاشارة الى عصمة الملائكة عليهم السلام دفعاً لبعض الأوهام ١٠٤
عصمة الملائكة وحقيقتها ١١٧
وجه تسمية آدم ١١٩
تفسير الآية (٣١) ١١٩
الأسماء الّتي علّمها الله سبحانه آدم ١٢٩
تفسير الآية (٣٢) ١٣٨
تفسير الآية (٣٣) ١٤٠
الاقوال في نبوّة آدم حين تعلّم الاسماء ١٤١
أسئلة وأجوبة ١٤٦
فضل الانبياء على الملائكة ١٥٥
نقض وابرام على دفع حجج مفضلي الملائكة على الأنبياء عليهم السلام ١٨٠
دلالة الآيات الى المذهب الحق ١٩٦
الخلافة من الله سبحانه ١٩٨
التناسب بين اللفظ والمعنى ٢٣٦
تفسير الآية (٣٤) ٢٤٠

وقت الامر بالسجود ٢٤١
في معنى السجود ٢٤٢
فلسفة سجود الملائكة لآدم ٢٤٤
الوجوه المحتملة في «خلق الله آدم على صورته» ٢٥٢
ابليس كان من الجنّ ٢٦٤
ما يستفاد من الآية الكريمة ٢٧٤
تفسير الآية (٣٥) ٢٧٨
في معنى الشجر لغة ٢٩٦
المراد بالشجرة ٢٩٧
القراءة ٢٩٧
تفسير الآية (٣٦) ٣٠١
كيفيّة دخول إبليس الجنّة ٣٠٣
مدّة مكث آدم في الجنة ٣١٠
تعدّد الأيام وتغايرها ٣١١
مكان هبوط آدم وحوّاء ٣١٢
تفسير الآية (٣٧) ٣٢٩
توبة آدم بواسطة الكلمات ٣٢٩
الكلمات واطلاقاتها ٣٣١
الكلمات التي تَلَقّيها آدم (ع) ٣٣٦
تفسير الآية (٣٨) ٣٤٩
تفسير الآية (٣٩) ٣٥٨
بسط في المقام للتنبيه على عصمة الانبياء عليهم الصلاة والسلام ٣٦٠
مستطرف من الكلام في طرف من احوال آدم (عليه السلام) ٤٠٥
تفسير الآية (٤٠) ٤٣٣
اسرائيل في اللغة ٤٣٧
تفسير الآية (٤١) ٤٥٧

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

بحث صرفي لغوي نحوي ٤٦٨
تفسير الآية (٤١) وباطنها وتأويلها ٤٧٠
تفسير الآية (٤١)/ مسألة فقهية ٤٧٤

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

فهرس الأعلام

ابن الانباري محمد بن القاسم النحوي: ٥٤

ابن ابي عمير: محمد: ٤٥٠

ابن بابويه: ٤٣٩

ابن الجريج الرومي: ٤٦٤

ابن حنبل: احمد بن حنبل: ٤٧٥

ابن درستويه النحوي: ٤٣٥

ابن دريد البصري: ٢٢٩

ابن السكيت: ٥٤

ابن عامر القاري: ١٤٠

ابن كثير القاري: ٤٥٥

ابن كيسان محمد بن أحمد النحوي: ٥٥

ابن المنادى: ٣٢٥

ابن المنذر: ٤٧٦

ابن الوليد محمد بن الحسين: ٣٦٤

ابن الهيثم داود النحوي الانباري: ٥٥

ابو ثور الكلبي: ٤٧٥

ابو جعفر الطوسي: ٤٤٠

ابو جعفر القاري: ٢٥٦، ٤٣٦.

أبو حامد الغزالي: ٣٦٥.

ابو الحسن الأشعري: ٢١٢.

ابو حمزة الثمالي ثابت بن دينار: ٤٣٤.

ابو حيان الاندلسي: ٤٣٧

ابو مسهل البصري: ٢٣٥

ابو العالية رفيع بن مهران: ٤٦٣

ابو العبّاس المبرد: ٤٦٧

ابو علي الجبائي: ٢١٢، ٣٦٥.

ابو عمرو القاري البصري: ٤٩.

ابو الفرج ابن الجرزي: ٤٧٨

ابو هاشم الجبائي: ٢١١

ابو يزيد البسطامي: ٢١٤

ابيّ بن كعب: ١٣٤

اخطب خوارزم موفّق بن أحمد: ٢٠٢
الأخفش الأوسط: ٤٧٠
الاعرج عبدالرحمن: ٣٥٨
الأعمش سليمان: ٤٣٦
الأعشى الشاعر عامر بن حارث: ١٢٩
الباقلاني القاضي: ٣٦٢
البكري أحمد بن عبدالله: ٦١
البيضاوي: ٥٣
البيهقي: ٤٣٩
ثعلب النحوي أحمد بن يحيى: ٢٣
جابر الجعفي: ٤٧٠
جرير بن عطية الشاعر: ٩٩
جعفر النجفي: ٤٣
جميل بن درّاج: ٤٥٠
الجواليقي اسماعيل: ١٢٣
الجوهري ابو نصر: ٥٥
حسان بن ثابت الشاعر: ٢٤٤
الحسن البصري: ٤٤٦
حماد بن سلمة: ٤٧٧
حُييّ بن أخطب: ٤٧٣
الخليل بن أحمد العروضي: ٤٣٩
دحية الكلبي: ٢٣.
الراجز العجاج بن رؤبة: ٢٥٨
الراغب الاصبهاني: ٤٣٢
الزهري محمد بن مسلم: ٤٤٩
سلار أبو يعلى الديلمي: ٤٧
السمعاني النيسابوري: ٢٠٣
سويد الشاعر: ٤٦٥
السيّد الرضي: ٤٥١
السيّد المرتضى: ٤٧
الشيخ الانصاري: ٤٤
الشيخ جعفر النجفي: ٤٣
صدر الشيرازي: ٤٦٠
ضحّاك بن مزاحم: ٤٧٥
عبادة الصامت: ٤٧٥
عبدالرحمن بن سابط: ٥٧
عبدالله بن سلام: ١٤١
عكرمة البربري: ٤٧٦
العلامة الحلي: ٤٤
علي بن عاصم: ٤٧٧

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

عمرو بن ابي المقدام: ٧٢
الفخر الرازي: ٤٣٣
الفرّاء النحوي: ٤٧٠
الفيض الكاشاني: ٤٦
قالون القاري: ٤٩
قتادة بن دعامة: ٤٥٩
القرطبي الأنصاري: ٤٣٧
قطرب: ٤٣٦
القيسي القيرواني: ٤٦٨
الكسائي النحوي القاري: ٤٩
كعب الأحبار: ٤٣٨
كعب بن الاشرف: ٤٥٨
لبيد بن ربيعة: ٣٣١
الليث بن خالد: ٥٤
معمر بن المثنّى: ٥٢
المغيرة بن زياد البجلي: ٤٧٧
موسى بن القاسم: ٤٥٢
نابغة الجعدي: ٤٣٤
نافع بن الازرق: ٣٦١
نافع القاري المدني: ٤٩
ورش القاري: ٤٣٦
يعقوب بن اسحاق البصري: ٨

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

فهرس مصادر التحقيق

القرآن الكريم
الاحتجاج للطبرسي
احقاق الحق للتستري
إرشاد القلوب للديلمي
الاستيعاب
الأمالي للسيّد المرتضى
الأمالي للصدوق
الانوار النعمانية
البحر المحيط لابي حيّان الاندلسي
بصائر الدرجات للصفّار
التفسير المنسوب للإمام العسكري عليه السلام
تفسير البرهان للبحراني
تفسير التبيان للطوسي
تفسير جامع البيان للطبري
تفسير الفخر الرازي
تفسير فرات بن ابراهيم
تفسير القرطبي
تفسير القمي
تفسير الكشاف للزمخشري
تفسير كنز الدقائق
تفسير مجمع البيان للطبرسي
التوحيد للصدوق
جامع البيان للطبري
جامع الصغير للسيوطي
جواهر الكلام في الفقه
الخصال للصدوق
الدر المنثور للسيوطي
سعد السعود لابن طاووس
شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد
صحيفة الرضا عليه السلام
علل الشرائع للصدوق
عوالي اللئالي

عيون الأخبار للصدوق
فرحة الغري لابن طاووس
الكافي للكليني
كامل الزيارات لابن قولويه
الكشاف للزمخشري
كشف الظنون
كنز الدقائق للمشهدي
كنز العمال للمتقي الهندي
لسان العرب لابن منظور
مجمع البيان للطبرسي
المحاسن للبرقي
مرآت العقول للمجلسي
المزهّر للسيوطي
مشكل اعراب القرآن
مطالب السؤل لابن طلحة
معاني الاخبار للصدوق
ملحقات احقاق الحق
المفردات للراغب الاصبهاني
الملاحم لابن المنادى
المناقب للخوارزمي
المناقب لابن شهراشوب
المناقب لابن المغازلي
المنتخب لابن الجزري
النهاية للجزري
انهج البلاغة للسيد الرضيّ
الوافي لفيض الكاشاني
الوسائل للشيخ الحرّ العاملي
ينابيع المودة للنقشبندي الحنفي

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی